

صَوْنُ الْحِكْمَةِ
و
ثُلُثُ رَسَائِل

تأليف

أبو سليمان المنطقي التخنيتاني

حققه و ترجم
الإنز عزرا الععن برو

طهران
١٩٧٤

ب فرمان
علیحضرت ہمایون محمد رضا پهلوی
شاہنشاہ آریامهر

بیاناد فرهنگ ایران

رباست آغواری

علیاً حضرت فرج پھلوی شهبانوی ایران

نیابت رباست

والا حضرت شاهدخت اشرف پھلوی

صَوْانُ الْكِتَابِ

و

ثَلَاثُ رَسَائِلٍ

تأليف

أبو سليمان المنظقي السجستاني

حَسَقَهُ وَفَتَدَمَ لَهُ
الدُّكْتُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَرْوَيِ

طهران

١٩٧٤

شبكة كتب الشيعة



أَسْنَادُ اِنْتِرْبَلِ إِرَان

از جمله آثار تمثیلی دین و اندیشه ایرانی فلسفه و عرفان است. سهم بزرگی که ایرانیان در تابعیت فلسفه اسلامی را شناخته اند بر اجل تحقیق پوشیده نیست. در این باب بسیاری از اندیشندان دمکشنان ایرانی و غیر ایرانی مطالب و متعالات فراوان نوشته اند. اما شاید بجز خود این منفی چنانکه باید ادانه باشد: «پیر حکیمان و عارفان بزرگ ایرانی اندیشه های خود را بزبان فشرده بگویند زمان خود، یعنی عربی نوشته اند و براین بسب غایب بخواهند.

مشکران عربی تحریر شده اند.

بسیاری از آثار این بزرگان که بزبان فارسی نوشته شده نیز به عنوان صورت چاپ و انتشار نیافرده است. و تحقیق دقیق درباره خصوصیات اندیشه ایشان و آنچه در فرهنگ جهان اسلامی خاص ایرانیان بوده است نیز نهاده از جمله کارهای ناکرده است. براین بسب نیاد فرهنگ ایران می‌گویند که تامی تو اند آثار تحقیک ایران را از چیزی و عارف بآنچه به فارسی است و تفسیر شده یا نزن کامل و دقیق از آن با فراموشی نیامده است با اتفاقی هرچه ستر تصحیح کند و دو دسترس پژوهشده کان گذاشته و درباره آنچه به زبان عربی است، اگر رازم باشد متن از این فارسی نقل نکند، یا درباره مسائل اندیشه های ایشان و خدمتی که به شناخت هستی و جسمان کرده اند تحقیقی دقیق انجام دید و دو دسترس فارسی زبان گذاشته. سلطنت کتاب های فلسفه و عرفان ایران، بین محدود به وجود آمده است.

دیر کل نیاد فرهنگ ایران
دگرچه دیر غافری

الفهرس

ص

٥

الموضوع

تصدير عام

أبو سليمان المنطقي السجستاني — تكوينه العلمي ١٢ — التزامه لبيته ١٦
— حلقة أبي سليمان ١٨ — تاريخ وفاته ٢١ — مؤلفاته ٢٣ —
مختصر الساوي ٢٦ — المخطوط رقم ٩٤ ص ٣١ — أبو سليمان
شاعرًا ٣٥ — مقارنة بين الشعر والنثر ٣٦

٤٠

آراء أبي سليمان

العقل ٥٠ — الطفل والبديهة ٥١ — العقل المهي ٥٢ — النفس والروح
والجسم ٥٣ — اثبات وجود النفس ٥٦ — مسائل في الطبيعة ٥٦ —
أ — الطبيعة ٥٨ — ب — الزمان والدهر ٥٩ — مسائل في الاهيات —
٦١ — كيفية فعل الله ٦١ — مسائل في الانسان ٦٣ .
أ — غاية الانسان ٦٣ — ب — الخير ٦٣ — الفرق بين النحو والمنطق
٦٥ — الكهانة وعلم أحكام النجوم والأرزاق ٦٧ — لا يجتمع
الرزق والحكمة معا ٧١ — هذا الكتاب ٧٢ .

أول من عرف بالحكمة

صوان الحكمة

٧٥

صوان الحكمة ٧٥ — أول من عرف بالحكمة ٧٧ —

انكسماندرس الملمطي ٧٨ ، انقسمانس الملمطي — انقساغورس —

ارخلاؤس — فيثاغورس ٧٩ — هرقليطس ٨٠ — ابادقلس —

سقراط وأفلاطون — أرسسطوطاليس ٨١ — زينون بن مانساوس

٨٢ — فيثاغورس — سقراط ٨٣ — أفلاطون ٨٤ — أرسسطوطاليس

— ٨٥

٩٢

رأي آخر في ظهور الفلسفة

٩٨

من تاريخ الأطباء

كلام يحيى النحوي في نشأة الطب ١٠٠ — تالس الملمطي ١١١ —

انقسيمانس الملمطي ١١٣ — انقساغورس ١١٤ — ارملاوس

١١٥ — فيثاغورس ١١٦ — وصاياه الذهبية ١١٩ — سقراطيس

الحكيم ١٢٤ — أفلاطون الحكيم ١٢٨ — المعلم الأول

— أرسسطاطاليس ١٣٥ — جواب أرسسطوطاليس لفيلفوس الملك

١٥٥ — آداب الاسكندر ١٦١ — كتاب الاسكندر الى امه

١٦٦ — ذيوجانس الكلبي ١٦٩ — الشيخ اليوناني ١٧٢ — ثاوفرسطس

١٧٦ — اوذيموس ١٧٨ — اسخولوس ١٨١ — هرميس الحكيم

١٨٤ — سولون ١٩٠ — اوميروس الشاعر — ١٩٢

ذيمقراطيس ٢٠٣ — طيماناوس ماليسيس — كسانوفون — اوقيليدس

٢٠٥ — بقراط ٢٠٦ — الطبيب الفاضل الكامل ٢٠٧ — أيمانه وعهده

٢١٣ — قابس السقراطي ٢١٤ — باسليوس ٢١٥ — بطلميوس

٢١٦ — أرسطيس ٢١٧ — سولين — داريوس ٢١٨ —

- اثرووذليس — بليناس ٢٢٠ — بارقليس — موريطس —
 أرسطوفانس ٢٢١ — فيلسوس — اوريفيدرس — ارشميدس
 ٢٢٢ — مهرارييس — فيدياس — ذيماس ٢٢٣ — فواطيرخس —
 بروطاغورس — غرغوريوس ٢٢٤ — سيمونيدس — ثيوديدوس
 ٢٢٥ ينساليس — اخليس — سطراطونيقوس
 ٢٢٦ خاوس — اتفطيطوس ، غلام سقراط
 ٢٢٧ ثارغافس — فيدروس
 ٢٢٨ فيلاسطوس — نيفورس
 ٢٢٩ طيلاماخص — نسوفيون — آروس — اسمخينس
 ٢٣٠ انكسيوس — انبريوس
 ٢٣١ اومينوس — سوقليس — اسونس — بياور سطس الملك
 ٢٣٢ ماسرجس — مورون السوفسطائي — ايير مسدس
 ٢٣٣ فورس — فلسطين
 ٢٣٤ زينون
 ٢٣٥ بلوطيس — اسقراطيس
 ٢٣٦ مسلوس
 ٢٣٧ انطياخرس — خادافرن
 ٢٣٨ فينوس — نيفايون — براطولس — نيفالوس
 ٢٣٩ استانس الخطيب — كسافر سطس
 ٢٤٠ بندارس — اسانس — ثانيذوس
 ٢٤١ ديمستانس
 ٢٤٢ داو تاليون — ذيميقوس
 ٢٤٣ لاقن — ارون الملك
 ٢٤٤ موسوريوس — افليمن
 ٢٤٥ سافر سطس — كسانو قراتيس
 ٢٤٦ انطيانس — أناخر سيس
 ٢٤٧ طيمطوس — أناخوس الصقلبي
 ٢٤٨ ايسورييس — فرسطر خس
 ٢٤٩

- ٢٥٠ طيفن – فيلُن – فقرatis
 ٢٥١ قرسطس المشاء – سقراتيس الشاعر
 ٢٥٢ بلون – سلوس
 ٢٥٣ أومانوس – أناخورس القاضي – كورس
 ٢٥٤ ريسموس – اسونس – سمانيدس الموسيقار
 ٢٥٥ ثانيس – وافقطيطس – نفيطوس
 ٢٥٦ بارقدس – فلاسيلاوس – أغس
 ٢٥٧ موس – انكسوم – ماناقيلس – فيليموس – اوفورس
 ٢٥٨ موريق الملك – اسانس – فانيذروس – ذيموستانس
 ٢٥٩ سقنداس – ثافسطيوس – فرفوريوس
 ٢٦١ الاسكندر الافروديسي – اليнос
 ٢٦٢ أومينوس الحكيم
 ٢٦٣ أرميديوس
 ٢٦٤ جالينوس
 ٢٧٦ يحيى النحوي الاسكندراني
 ٢٨٠ حنين بن إسحق وإسحق ابنه
 ٢٨٢ أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي
 ٢٩٧ أحمد بن الطيب السرخي
 ٢٩٨ الحسن بن اسحق بن محارب القمي
 ٢٩٩ أبو الحسن ثابت بن قرعة الحراني
 ٣٠٣ أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي
 ٣٠٥ محمد بن الجهم
 ٣٠٦ شهيد بن الحسين
 ٣٠٧ أبو الحسن محمد بن يوسف العامري
 ٣١١ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي

٣١٥	أبو جعفر بن بابويه ، ملاك سجستان
٣٢١	الأستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد القميّ
٣٢٧	أبو زكرياء يحيى بن عدّي
٣٢٨	الحسن بن مقداد
٣٣١	أبو بكر الحسن بن كردة القومسي
٣٣٢	عيسى بن علي بن عيسى ابن الجراح الوزير
٣٣٣	أبو علي عيسى بن زُرْعة البغدادي
٣٣٥	ابن السوار
٣٣٦	أبو القاسم الأنطاكي المعروف بالمجتبى
٣٣٧	أبو زكرياء الصimirي
٣٣٨	طلحة النسفي – نظيف الرومي
٣٣٩	وهب بن يعيش الرقّي – غلام زحل وابن بيلس
٣٤٠	أبو تمام النيسابوري – البدري
٣٤١	النوشجاني
٣٤٢	أبو محمد العروضي – أبو إسحق وأبو الخطاب الصابئان
٣٤٦	أبو علي أحمد بن محمد مسكونيه
٣٥٣	أبو الحير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام
٣٥٥	أبو النفيس
٣٦٥	ثلاث رسائل تأليف أبي سليمان السجستاني المطافي
٣٦٧	مقالة أبي سليمان السجزي في أن الأجرام العلوية ذوات أنفس ناطقة
٣٧٢	مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني في المحرك الأول
٣٧٧	مقالة أبي سليمان السجزي في الكمال الخاص بنوع الإنسان
٣٨٩	فهرس الأعلام
٣٩٧	فهرس اسماء الكتب

تصدير عام

- ١ -

أبو سليمان المنطقي السجستاني

من الشخصيات الفذة في تاريخ الفكر الإسلامي : أبو سليمان محمد بن طاهر بن بابا بن بهرام السجستاني المنطقي ، إذ كان من كبار أصحاب الترجمة الإنسانية *humanisme* التي ازدهرت في الحضارة الإسلامية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، بفضل انتشار التراث اليوناني بعامة ، والفلسفية منه بخاصة ، في أواسط تجاوزت نطاق أهل الاختصاص من رجال الفلسفة والعلم . ويمكن أن يشبّه بأبييلارد في العصور الوسطى الأوروبية ، وبإيرزم *Erasme* في عصر النهضة الأوروبية الحديثة . ذلك أنه جمع بين المشاركه في الفلسفة اليونانية وبين الأدب ، واحتفل بلبلة القول قدر احتفالي المعاني الفلسفية ، وجمع حوله حلقة ممتازة من الأدباء المفكرين ، والمفكريين الأدباء ، على رأسها أبو حيان التوحيدي خير من روى لنا أخباره وأقواله وعرفنا أحواله ، ثم أبو زكريا الصيمرمي ، وأبو الفتح النوشجاني ، وأبو محمد المقدسي ، وأبو يكر القومسي ، وأبو القاسم عبيد الله بن الحسن المعروف بغلام زحل ، وعلى ابن عيسى الرماني أول من مزج النحو العربي بالمنطق الفلسفية ، وأبو الحسن

العامري صاحب كتاب «السعادة والإسعاد» ومن أجل المشاركين في الفلسفة اليونانية – وكانت يجتمعون في بيته ، فيفاوضهم في العديد من عريض المشاكل الفلسفية ، وقد سجل لنا بعض محاضر هذه الجلسات الفلسفية أبو حيـان التوحيدـي – خصوصاً في كتابه «المقابـات» – حتى «كان منزلـه مقيلاً لأهل العـلوم الـقدـيمة» على حد تعبير القـفـطـي^(١).

حياته

بيد أن ما لدينا من معلومات عن حياته ضئيل للغاية :

١ – فلستـنا نعلم متـى ولـد^(٢) ولا متـى توفـي – على وجه التـحدـيد ولا على وجه التـقـرـيب .

ولكن الأمر الذي لا شكـ فيه هو أنه كان يعيشـ في سـنة إـحدـى وـتـسـعينـ وـثـلـثـائـة لـلـهـجـرة إـذ قال التـوـحـيدـي^(٣) في المقـابـة رقمـ ٨٢ : «أـمـلـي أـبـو سـليمـان عـلـى جـمـاعـة ، كـنـتـ أـحـدـهـم ، سـنة اـحـدـى وـتـسـعينـ وـثـلـثـائـة ، وـقـدـ سـئـلـ عن الـواـحـدـ فـقـالـ ... » .

(١) القـفـطـي : «إـخـبـارـ الـعـلـمـاء بـأـخـبـارـ الـحـكـمـاء» صـ ١٨٥ - ١٨٦ ، القـاهـرـة سـنة ١٣٢٦ هـ = من ٢٨٢ من نـشـرـة بـرـتـ .

(٢) ما ذـكرـه صـموـيل مـ. اـشتـرنـ S. M. Stern في مـقـالـة «بـدـائـرـةـ الـعـارـفـ الـاسـلامـيـة» الطـبـعةـ الثـانـيـةـ (طـ من ١٥٦ـ) من أـنـهـ ولـدـ حـوـاليـ سـنة ٣٠٠ـ هـ وـتـوفـيـ حـوـاليـ سـنة ٣٧٥ـ – غـلـطـ فـاحـشـ كـاـ سـبـبـينـ .

(٣) أبو حـيـانـ التـوـحـيدـي : «المـقـابـات» صـ ٢٨٦ ، نـشـرـةـ السـنـدـوـبـيـ ، القـاهـرـة سـنة ١٩٢٩ـ .

(*) رـاجـعـ : ١) ابنـ النـديـمـ : «الفـهـرـسـ» صـ ٢٦٤ـ نـشـرـةـ فـلـوـجـلـ ؛ ٢) صـاعـدـ الـانـدـلـسـيـ صـ ٧١ـ ، نـشـرـةـ شـيخـنـوـ ؛ ٣) ابنـ القـفـطـيـ صـ ٢٨٢ـ - ٢٨٣ـ ، نـشـرـةـ بـرـتـ ؛ ٤) ابنـ أـبـيـ أـصـيـبـعـةـ جـ ١ـ صـ ٣٢١ـ - ٣٢٢ـ ، نـشـرـةـ مـلـرـ) البـيـهـقـيـ : «تـمـةـ صـوـانـ الـحـكـمـةـ» ، صـ ٧٤ـ / ٧٥ـ ، نـشـرـةـ مـحـمـدـ شـفـيعـ فـيـ لـاهـورـ .

وإذا كان أبو سليمان قد توفي بعد سنة ٣٩١ هـ ، فيجب أن نجعل تاريخ ميلاده في العقد الثالث من القرن الرابع ، وليس قبل ذلك ، إذ لا يمكن أن يمتد به العمر إلى أن يعيش في سنة ٣٩١ هـ لو قدرنا ولادته قبل ذلك . كما لا يمكن ، من ناحية أخرى ، أن تكون ولادته بعد العقد الثالث من القرن الرابع ، لأنه كان على صلة وثيقة بعاصد الدولة ، أبي شجاع فناخسرو ، ابن ركن الدولة ، البوهي (ولد في ٥ ذي القعدة سنة ٣٢٤ هـ ٢٤ سبتمبر سنة ٩٣٦ م) . وعاصد الدولة لم يستتب له حكم العراق إلاّ في سنة ٣٦٧ هـ (سنة ٩٧٧ م) وظل مسيطرًا على العراق وفارس وسistan وغيرها حتى وفاته في ٨ شوال سنة ٣٧٢ هـ (٢٦ مارس سنة ٩٨٣) في بغداد وهو في سنّ الثانية والأربعين . ولا بد أن يكون أبو سليمان قد بلغ مرتبة عالية في الحكمة والأدب حتى يُقرّبه عاصد الدولة إليه ، وبهذافترض أنه كان في حدود الأربعين حين كان عاصد الدولة البوهي مسيطرًا على العراق . والقطبي يذكر أن أبو سليمان أهدى « رسائل إلى عاصد الدولة عده في فنونٍ مختلفة من الحكمة »^(١) . وابن النديم في « الفهرست » (ص ٢٦٤ س ١٦ ، نشرة فلوجل) قال : « وموالده سنة ... ثم ترك مكان الرقم خالياً ، مما يدل على أنه لم يكن يعرف تاريخ ميلاده ، وانتظر حتى يعثر عليه ؛ واضح أنه لم يعثر عليه بعد ذلك ، بدليل أن موضع الرقم بقي خالياً .

أما الذين يجعلون ميلاد أبي سليمان مبكراً عن ذلك فيستندون إلى خبر عابر للقطبي في أول ترجمته حين قال عنه : « قرأ على متى بن يونس وأمثاله »^(٢) . واضح ما في هذه العبارة من إهمال وعدم تدقير . ومع ذلك تعلق بها ميرزا محمد خان بن عبد الوهاب قزويني في مقالة له بعنوان « تولد ووفات أبو سليمان »^(٣) ، فقال بعد أن أكد أن ولادة أبي سليمان لا بد أنها كانت في

(١) القطبي : « أخبار الحكام » ص ١٨٦ . القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

(٢) الكتاب نفسه ص ١٨٥ .

(٣) مطبوعة ضمن : « بحثت مقالة قزويني » . جلد ٢ ص ١٥٦ - ١٦١ . طبعة ثانية ، في طهران ١٣٣٢ هـ . ش .

وَقَرِينَهُ دِيْكَرْ بَرَ صَحْتَ احْتِمَالَ مَذْكُورَ آنَسَتْ كَهْ أَبُو سَلِيمَانَ ،
بَتَصْرِيفِ قَفْطِيِّ (تَارِيخُ الْحَكَمَاءِ ، ص ٢٨٢) إِزْ تَلَامِذَهُ أَبُو بَشَرَ مَتَّى بْنُ
يُونُسَ ، نَصْرَانِيِّ حَكَمِيِّ وَمَنْطَقِيِّ مَعْرُوفٍ بُودَهُ . وَمَتَّى بْنُ يُونُسَ درِ يَازِدِهِم
رَمَضَانَ سَنَةَ سِيَصْدِ وَبِيَسْتَ وَهَشْتَ وَفَاتَ نَمُودَهُ اسْتَ (أَبْنَ أَبِي أَصْبِعَةَ
ج ١ ص ٢٣٥) ، پَسْ أَبُو سَلِيمَانَ اَكْرَ هُمْ فَرَضَاً فَقْطَ سَنَوَاتَ أَخِيرِ عَمَرِ
مَتَّى بْنُ يُونُسَ ازْ دَرَكَ كَرَدَهُ بُودَ بازْ بَرَايِ اِينَكَهْ صَلَاحِيتَ تَلَمِذَهُ وَأَخْذَ اَزَوْ
دَاشْتَهُ باشَدَ لَا بَدْ بَايِسْتَ مَقَارَنَ وَفَاتَ بْنُ يُونُسَ ، يَعْنِي درِ سَنَةَ ٣٢٨َ أَقْلَا
درِ حدُودِ بَيْسَتَ سَالَكَى كَما بَيْشَ بُودَهُ باشَدَ ، پَسْ اِينَ قَرِينَهُ نِيزَ مَارَا بهَمانَ
يَتَجَهَ مِيرَسَانَدَ يَعْنِي اِينَكَهْ وَلَادَتْ أَبُو سَلِيمَانَ جَرِيَاً عَلَى ظَواهِرِ الْأَمْوَارِ العَادِيَةِ
نَحْوَ أَكْثَرِ مَؤْخَرِ ازْ حدُودِ ٣١٠ نَمِيَوَانَدَ باشَدَ ، اِينَهَا هَمَهُ رَاجِعٌ بَحْدَ أَكْثَرِ
بُودَ . اَمَا حَدَّ أَقْلَ سَالَ وَلَادَتْ او مَعْلُومٍ نِيَسْتَ . وَمُمْكِنٌ اسْتَ دَهْ سَالَ يَا
بَيْسَتَ سَالَ يَا كَمْرَ يَا يِيشَرَ مَقْدَمَ بَرَ تَارِيخِ مَذْكُورَ باشَدَ » .

وَتَرْجِمَتْهَا :

وَهَاهُ كَقَرِينَهُ اَخْرَى تَدَلُّ عَلَى صَحَّةِ احْتِمَالِ مَا ذَكَرْنَا هِيَ أَنْ أَبَا سَلِيمَانَ ،
بَحْسَبِ قَوْلِ الْقَفْطِيِّ ، كَانَ مِنْ تَلَامِذَهُ أَبِي بَشَرَ مَتَّى بْنُ يُونُسَ ، النَّصْرَانِيِّ ،
الْحَكَمِيِّ ، وَالْمَنْطَقِيِّ الْمَعْرُوفِ . وَمَتَّى بْنُ يُونُسَ تَوَفَّ فِي اَحَدِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ
سَنَةَ ثَمَانَ وَعَشْرَيْنَ وَثَلَاثَمَائَةَ . فَلَوْ فَرَضْنَا أَنْ أَبَا سَلِيمَانَ لَمْ يَدْرِكْ إِلَّاَ السَّنَوَاتَ
الْآخِيَّةَ مِنْ عُمَرِ مَتَّى بْنُ يُونُسَ ، وَأَنَّ احْتِمَالَ تَلَمِذَهُ وَأَخْذَهُ عَنْهُ يَجِبُ أَنْ
يَقَارِنَ بِوَفَاهَةِ مَتَّى بْنُ يُونُسَ ، أَعْنِي فِي سَنَةِ ٣٢٨َ ، فَعَلَى ذَلِكَ لَا بَدْ أَنْ يَكُونَ
أَبُو سَلِيمَانَ فِي سَنِ الْعَشَرَيْنَ عَلَى الْأَقْلَ أوَّلَ مَا يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ اَنْ هَذِهِ الْقَرِينَهُ
تَؤَدِّي بِنَا إِلَى هَذِهِ النَّتِيْجَهُ ، أَعْنِي أَنْ وَلَادَهُ أَبِي سَلِيمَانَ — جَرِيَاً عَلَى ظَواهِرِ الْأَمْوَارِ
الْعَادِيَةِ — لَا يَعْكُنَ أَنْ تَتأَخَّرَ عَنْ حدُودِ سَنَةِ ٣١٠ . وَكُلُّ هَذَا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَدَّ
الْأَكْثَرِ لِتَارِيخِ مِيلَادِهِ . أَمَا الحَدُّ الْأَقْلَ لِسَنَةِ وَلَادَتِهِ فَلِيُسْ بِعَلْمٍ . وَمِنْ

الممکن تقديم التاريخ المذکور عشر أو عشرين سنة أو أقل أو أكثر .

أما القرینة الأولى التي استند إليها قزوینی فهي ما ورد في المقابلة رقم ۸۹ (ص ۲۹۶ من طبعة السنديوني ، القاهرة سنة ۱۹۲۹) من أنه « جرى يوماً بحضور أبي سليمان حديث أحكام النجوم ، فقال : من طريق ما ظهر لنا منها أنه ولد في جربتي ابن نباتة . فقبل لي : لو أخذت الطالع ؟ فأخذته وعرضته على علي بن يحيى . فعمل ، وقوم ، فقال لنا فيما قال : هذا المولود يكون كذب الناس . فتعجبنا منه ! فدارت الأيام حتى ترعرع الغلام وبلغ وخرج شاعراً كما ترى ، معدوداً في عصره ». ويعلق عليها قزوینی فيقول : « حال غرض از ایراد این فصل آنست که ازین حکایت صریحاً واضحاً معلوم میشود که ابو سليمان صاحب ترجمه در سنه ۳۲۷، که سال ولادت ابن نباتة است ، مردی بالغ وبا اطلاع از نجوم قادر بر استخراج زایجه طالع بوده است ، یعنی بعبارة اخري طفل ضئیعه یا کوکب خرد سال نبوده است . پس اگر سن اودا در آن تاريخ یعنی در سنه ۳۲۷ باقل احتمالات عادي در أمثال این موارد در حدود بیست سالگی هم فرض تمایل ولادت او در حدود ۳۰۷ واقع خواهد شد لا محالة ». (میرزا محمد قزوینی : « بیست مقاله » ج ۲ ص ۱۵۸ ، تهران سنه ۱۳۳۲ هش) .

وترجمته :

« والغرض من ايراد هذا الفصل (أي كلام التوحيد في « المقابلات ») هو أنه معلوم ، بصراحة ووضوح ، من هذه الحكاية أن أبو سليمان ، صاحب الترجمة ، كان في سنة ۳۲۷ - وهي سنة ميلاد ابن نباتة - في بالغاً مطلعاً على علم النجوم وقدراً على استخراج الطالع ، أعني ، بعبارة أخرى ، أنه لم يكن طفلاً صغيراً . ثم إننا لو فرضنا أن سنه في ذلك التاريخ - أعني سنة ۳۲۷ - بحسب أقل احتمال معتاد في أمثال هذه الأمور - كانت في حدود عشرين سنة ، فإن تاريخ ميلاده يقع لا محالة في حدود سنة ۳۰۷ ». ولما وجد القزوینی أن في المقابلة رقم ۸۲ ما يناقض فرضه ، إذ هي تذكر

سنة ٣٩١ على أن أبو سليمان أمل فيها ما ورد في تلك المقابلة — فإنّه زعم أن النص الوارد في طبعة «المقابسات» محرف ، إذ طبعة الهند حافلة بالكثير من الأغلاط والتصحيفات الفاحشة ، وأنه كثيراً ما وقع في كتب التاريخ والرجال تصحيف : «سبع» إلى «تسع» ، و «سبعين» إلى « تسعين ». ولهذا يرى قزويني أن ما ورد في «المقابسات» هكذا : « وأمل أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ... » يجب أن يُصحح هكذا : « وأمل أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم سنة احادي وسبعين وثلاثمائة ... ».

فللننظر الآن في هذه الحجج :

١ — أما الحجة المأكولة من طالع ميلاد ابن نباتة ، فلا تصح إلا إذا عرفنا على وجه اليقين تاريخ ميلاد ابن نباتة . ولكن مصدرنا الوحيد عن ولادة أبي نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي ، الشاعر الذي مدح سيف الدولة ، هو ابن خلkan ، الذي قال : « وكانت ولادته في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وتوفي يوم الأحد بعد طلوع الشمس ثالث شوال سنة خمس وأربعين ، ببغداد ^(١) » — أي أنه عاش ٧٨ عاماً ! وهذا لا يبعث على الاطمئنان إلى ما ذكره من تاريخ ميلاده . ولم يذكر تاريخ ولادته أحد غير ابن خلkan ، فيما رجعنا إليه من مصادر مثل «البيتية» للشعالي ، وهي أوسع مصادرنا عن حياته ، وأهمل ذكره ياقوت في «معجم الأدباء» ، ولم يذكر تاريخ ميلاده ابن العماد في «الشذرات» (تحت عام ٤٠٥ هـ) . ولا نعرف من أي مصدر أين ولد ابن نباتة السعدي حتى نعرف من ذلك أين كان يعيش أبو سليمان حين ولد ابن نباتة في بيت مجاور لبيته :

٢ — وأما الحجة الأخرى المأكولة من دعوى تلمذ أبي سليمان لأبي بشر متى بن يونس ، استناداً إلى ما ذكره القفطي : «قرأ على متى ابن يونس

(١) ابن خلkan : « وفيات الأعيان » الترجمة رقم ٣٥٩ ، ج ٢ ص ٣٦٤ ، القاهرة ، طبعة محى الدين .

وأمثاله » — فهي أكثر تهافتاً من الأولى ، لأن العبارة يبدو عليها الاهتمام الشديد وعدم التدقير . ولو صَحَ ذلك لذكره ابن النديم في « الفهرست » في مقاله عن أبي سليمان ، وابن أبي أصيبيع . بل هذا الأخير إنما يذكر فقط عن أبي سليمان أنه : « اجتمع يحيى بن عديّ ببغداد ، وأخذ عنه » (ابن أبي أصيبيع ج ١ ص ٣٢١ ، نشرة ملر) . ولهذا ينبغي أن نطرح ما قاله القسطي بعبارة المهملة هاتيك ، خصوصاً إذا لاحظنا من ناحية أخرى أنَّ أبا سليمان قد ظل في سجستان إلى ما بعد سنة ٣٢٨ هـ ، وهي سنة وفاة أبي بشر متى بن يونس القنائي ، بدليل اتصاله آنذاك بحاكم سجستان أبي جعفر أحمد بن محمد بن خلف بن الليث ، بن بابويه .

٣ — أما قوله بالتحريف في مطبوعة الهند ، فيلاحظ أن النسخ المخطوطة ، خصوصاً نسخة ليدن ، وهي خير نسخ المقابلات ، واضح فيها : « تسعين » ، ولا يمكن أن تقرأ « سبعين » .

تكوينه العلمي

وقد نشأ أبو سليمان في إقليم سجستان (ويسمى اليوم : سistan في أقصى شرق إيران عند الحدود مع إقليم بلوخستان في باكستان ، ويحد جنوباً بالمحيط الهندي) .

ودرس الفقه أولاً كما ورد في الفصل الخاص به هنا (راجع ص ٣١١) حيث يرد عنه أنه « كان قديم الدرس للفقه أيام الشيبة ». وكان حنفي المذهب (الموضع نفسه) .

وصاحب أبي جعفر بن بابويه ، ملك سجستان (راجع هنا ص ٣١٥). وقد قال عنه أبو سليمان : « كان الملك أبو جعفر قويّاً في علم السياسة ، ثم يتصرف في غيرها ب بصيرة حسنة . وكان آخذًا نفسه بجموع السياسة ، مع المروءة الظاهرة والعنف الغالب ، وضبط النفس عند عارض الهوى » (الموضع نفسه) . وكان يحفظ من كلام اليونانيين ونواذرهم وسيرهم وأحوالهم ما لم يجد أبو سليمان مثله عند أحد غيره . « وكانت تعجبه نواذر اليونانيين ويقول : إن قوماً هذه فكاهتهم ومؤانستهم واستراحتهم - ماذا يظنُ بهم إذا أخذوا في الجد ، واعتصروا قوى غرائزهم بالقصد ؟ ! » « وكان يحفظ جميع الفقرات التي لأرساط طالبيس في السياسة ، مما كتب إلى الاسكندر وما شافهه به » . وكان مجلسه يضم جماعة من المشتغلين بالحكمة اليونانية والفكر بعمادة ، منهم الأسفزارى

وابن حبان وطلحة وأبو تمام ، وسترى ترجمة بعضهم في كتابنا هذا .

وقد تولى أبو جعفر إمارة سجستان في سنة ٣١١ وقتل في شهر ربيع الأول سنة ٣٥٢ هـ وهو أمير سجستان ^(١) . واسمها الكامل أبو جعفر أحمد بن محمد ابن خلف بن الليث .

فلا بد أن صحبة أبي سليمان للأمير أبي جعفر كانت في خلال هذه المدة ، والأرجح أن تكون في أواخرها .

ولا ندري على من أخذ أبو سليمان علوم الأوائل في هذه المرحلة الأولى . والتوجيحي لا يذكر لنا شيئاً في هذا الصدد .

وكلنا نعلم أنه حين ورد بغداد اتصل بالمشتغلين بعلوم الأوائل ، وعلى رأسهم يحيى بن عدي . فقد ذكر ابن أبي أصيبيعة : « واجتمع يحيى بن عدي ببغداد وأخذ عنه » ^(٢) . ويؤكد ذلك ما ذكره التوجيحي في المقابلة ^(٣) رقم ٤٨ ، إذ ذكر على لسان أبي سليمان : « وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول : إنني لأعجب كثيراً من قول أصحابنا ... ». فأبو سليمان كان يتحدث عن يحيى بن عدي بوصفه : شيخه ، أبي أستاذة في علوم الأوائل . واستعمل أبو سليمان نفس التعبير مرة أخرى في المقابلة رقم ٨٩ (ص ٢٧٩ من طبعة السنديبي) فقال : ثم انظر إلى قول شيخنا أبي زكريا يحيى بن عدي ... » .

(١) راجع عنه : « تاريخ سistan » مؤلف في حدود ما بين ٤٤٥ - ٧٢٥ ، ص ٣١٠ - ٣٢٧ - ٣٢٨ . تبران ، بدون تاريخ . والاسم سستان قديم ، نجده في الشعر الفارسي عند الفردوسي ، الذي لا يستعمل غيره ، وفروغى . ولكن الأغلب في الكتب العربية وروده بصورة : سستان . والسبة إليه في كلتا الحالتين : سستانى ، وسجزى .

(٢) ابن أبي أصيبيعة : « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ج ١ ص ٣٢١ ، طبع مطر ، القاهرة سنة ١٨٨٢ .

(٣) أبو حيان التوجيحي : « المقابلات » ، المقابلة رقم ٤٨ . ، ص ٢٢٤ س ١ من طبعة السنديبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

وأبو زكريا يحيى^(١) بن عدي ولد سنة ٢٨٣ هـ أو ٣٦٣ مـ وتوفي سنة ٢٨٢ هـ أو ٣٦٤ مـ ، وهو في سن الحادية والثمانين .

كذلك ذكر أبو حيان التوحيدى في « الامتاع^(٢) والمؤانسة » أن الوزير أبا عبد الله العارض قال عن أبي سليمان : « ... وهو رجل يعرف بالمنطقى ، وهو من علمان يحيى بن عدى النصراني ، ويقرأ عليه كتب يونان ، وتفسير دقائق كتبهم بغاية البيان » .

فيحيى بن عدى كان إذن أستاذ أبي سليمان السجستانى في الحكمة وعلوم الأولياء ، كما كان أستاذ جماعة المشتغلين بعلوم الأولياء البارزين في القرن الرابع الهجري ، مثل ابن زرعة ، وابن الحمار ، وابن السمع ، والقومي ، ومسكويه ، ونظيف النفس الرومي ، وعيسى بن علي ، وأبي الحسن العامري ، حتى قال عنه التوحيدى : « وهو أستاذ هذه الجماعة » (« الامتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ٣٨ س ١٣ ، القاهرة سنة ١٩٤٢) . والتوكيدى (« الامتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٣ - ٣٧) قد وصف هؤلاء وصفاً دقيقاً . وأربعة منهم كانوا من كبار المترجمين لكتب الأولياء من اليونانية أو عن السريانية ، وهم : أبو علي عيسى بن اسحق بن زرعة (المتوفى سنة ٣٩٨ هـ) ، ونظيف النفس الرومي ، وأبو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الحمار (المولود سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ مـ) ، وعيسى بن علي (المتوفى سنة ٣٩١) - وهو المسلم الوحيد بينهم - وقد كان على حد تعبير التوكيدى « حجّة في النقل والترجمة ، والتصرف في فنون اللغات » (« الامتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٣٦) .

(١) راجع عنه : « الفهرست » لابن النديم ص ٠٢٦٤ ، س ٥ - ١٤ ؛ القفطى ص ٣٦١ ؛ ابن أبي أصيبة ج ١ ص ٢٣٥ ؛ « تتمة صوان الحكمة » بيهقى ص ٩٠ ؛ ابن العبرى : « تاريخ مختصر الدول » ص ٢٩٧ ؛ عبد الرحمن بدوى : « التراث اليونانى » .

(٢) أبو حيان التوكيدى : « الامتاع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨ ، القاهرة سنة ١٩٤٢ .

وبهؤلاء اختلط أبو سليمان ، ومعهم تبادل المعرف اليونانية ، وكان لذلك أثره البالغ في تحصيل قدر واسع من العلم بتاريخ الفلاسفة والأطباء والرياضيين والحكماء اليونانيين ، وفي الاحتفال بكل ما نقل إلى العربية من تراث يوناني . ودفعته هذه التزعة إلى التعلق بالتراث اليونياني إلى حد أنه كان يحرص على اقتناه المخطوطات اليونانية نفسها ، كما يدل على ذلك خبر ذكره محمد ابن اسحق بن النديم في « الفهرست » ، وهو خبر مهم جداً بالنسبة إلى تاريخ المخطوطات اليونانية في العالم الإسلامي ، وهذا يحسن بنا هنا لإبراده بتمامه لينلفت إليه نظر الباحثين :

« قال محمد بن اسحق (= ابن النديم) : خبرني الثقة أنه انهار في سنة خمسين وثلاثمائة من سني الهجرة ازج آخر لم يعرف مكانه لأنه قدّر في سطحه أنه مُضْمَّنَ ، إلى أن انهار وانكشف عن هذه الكتب الكثيرة التي لا يهتدى أحدٌ إلى قراءتها . والذي رأيتُ أنا بالمشاهدة : أن أبا الفضل بن العميد أَنْفَذَ إلى ها هنا في سنة نيف وأربعين كتاباً مقطعة أُصِيبَتْ بأصفهان في سور المدينة في صناديق . وكانت باليونانية . فاستخرجها أهل هذا الشأن مثل يوحنا ^(١) وغيره . وكانت أسماء الجيش ومبلغ أرزاقهم . وكانت الكتب في نهاية نتن الراحلة ، حتى كأنَّ الدباغة فارقتها عن قُربٍ . فلما بقيت ببغداد حولاً ، جفت وتغيرت وزالت الراحلة عنها . ومنها ، في هذا الوقت ، شيءٌ عند شيخنا أبي سليمان ^(٢) » .

وهذا الخبر يدل :

(١) على أنه كانت توجد مخطوطات يونانية في أصفهان ؟

(١) يقترح فلوجل (في نشرته « للفهرست » ، التعليق الخاص بصفحة ٢٤١) أن يكون المقصود هو أبو عمرو يوحنا بن يوسف الكاتب ، وكان أحد المترجمين ، وهو الذي نقل كتاب أفلاطون « في آداب الصبيان » .

(٢) ابن النديم : « الفهرست » ص ٢٤١ س ٧ - س ١٤ ، نشرة فلوجل ، ليبيتسك .

ب) وأن أبا سليمان السجستاني اهتم بها ، واحتفظ بشيء منها ؛

ج) وأن صاحب «القهرست» يعد أبا سليمان بمثابة شيخه .

التراجمة لبيته

متى ورد أبو سليمان إلى بغداد ؟ لسنا ندرى على وجه الدقة . لكن ربما كان ذلك في حدود سنة ٣٥٠ هـ ، أو قبلها وقبل مصرع ملك سجستان ، أبي جعفر بن بابويه ، لأنَّه ظل يراسل أبي جعفر وينوب عنه في نقل الرسائل .

على أنه يبدو أنه كان لا يغشى مجالس الوزراء والأعيان ، شأن غيره من أهل الفكر في هذا العصر الحافل بالمنعين على أهل الفكر والأدب ، مثل أبي عبد الله العارض ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد . وقد فسر السبب في ذلك (١) الققطي ، فقال إنَّ أبا سليمان «كان أعزور ، وكان به وَضَحَّ (= برَص) ، وكان ذلك سبب انقطاعه عن الناس ولزومه متزلاً ، فلا يأتيه إلا مستفيدٌ وطالب علم ». .

وكان يعيش عيشة الكفاف ، إلى حد أنَّ « حاجته (كانت) ماسة إلى رغيف ، وحوله وقوته قد عجزا عن أجرة مسكنه ، وعن وجه غدائه وعشائه » كما قال التوحيدى (٢) . ولقد قال فيه الشاعر البديهي يصف حاله وعاهته وما جرَّه ذلك عليه من شؤم :

أبو سليمان عالِمٌ فَطِينٌ
ما هو في علمه بِمُنْتَفَصٍ
لَكُنْ تَطِيرَتُ عَنْدَ رَؤْيَتِهِ
مِنْ عَوَرٍ مُوحِشٍ وَمِنْ بَرَصٍ
وَبَابِنَهِ مِثْلُ ما بِوالدِهِ
وَهَذِهِ قَصَّةٌ مِنَ الْقَصَصِ (٣)

(١) الققطي : «أخبار العلماء بأخبار الحكماء» ص ٢٨٣ .

(٢) التوحيدى : «الامتعة والمزاونة» ج ١ ص ٣١ .

(٣) المرجع نفسه ، ج ١ ص ٣١ .

فلم يكن يعيش إلاً مما ينعم عليه الوزراء والكبار من العاطفين على العلماء ، مثل أبي عبد الله العارض ، الذي ذكر التوحيد (المرجع نفسه ج ١ ص ٣١) أنه وصله مرة بمائة دينار ، فابتهر لها أشد الابتهاج حتى راح « يترقب ويتحنّك » – أي يتخيّر ويدير العمامة من تحت حنكه سروراً.

ولكنه ظل على اتصال بإقليمه الذي ينتسب إليه سجستان . قال التوحيدى قال (أبو عبد الله العارض) : بلغني أن أبو سليمان يزور في أيام الجمعة رُسُل سجستان لِمَّا^(١) ، ويظلُّ عندهم طاعماً ناعماً » ، وكان التوحيدى يصاحبه في هذا الاجتماع ، الذي كانت تحضره جماعة منهم ابن جبلة الكاتب ، وابن برمويه^(٢) ، وابن الناظر ، أحد رجال صمصم الدوّلة ، وبندار المغني ، وغزال الراقص ، وجارة اسمها عَلَم^(٣) .

وكما قلنا : ظل أبو سليمان على اتصال بأبي جعفر بن بابويه ملك سجستان ، يتولى عنه نقل الرسائل إلى من يريده في بغداد ، ولا بد أن هذه الرسائل كانت تصل بواسطة أولئك الرسُل القادمين من سجستان والذين كان أبو سليمان يجتمع بهم في أيام الجمعة . قال التوحيدى « وكتب إليه (أي إلى أبي سعيد السيرافي ، النحوي الشهير) أبو جعفر مَلِك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً يخاطبه فيه بالشيخ الفرد ، سأله عن سبعين مسألةً في القرآن ، ومائة كلمة في العربية ، وثلاثمائة بيت من الشعر – هكذا حدثني به أبو سليمان ، وأربعين مسألة في الأحكام ، وثلاثين مسألةً في الأصول على طريق المتكلّمين^(٤) ».

(١) أي : مجتمعين ؛ والم : الجمع .

(٢) هو الحسن بن برمويه ، وكان كاتباً لوالده صمصم الدولة . وتأمر عنده على الإيقاع بابن سعدان وقتله ، واستوزره بعد ذلك صمصم الدولة ، فشارك في الوزارة مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف . راجع كتاب « ذيل تجارب الأمم » .

(٣) راجع « الامتناع والمؤانسة » ج ١ ص ٤٢ .

(٤) التوحيدى : « الامتناع والمؤانسة » ج ١ ص ١٣٠ .

ونعلم من خبر آخر أورده التوحيدى (« الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ١١٧) أنه كان على اتصال بقابوس بن وشمگير .

كما يرد في هذا الكتاب ، في الفصل الخاص بابن العميد ، أبي الفضل ، انه حرص على لقاء أبي سليمان .

حلقة أبي سليمان

والحلقة التي كانت تتعلق حول أبي سليمان في بيته كانت تضمّ نخبة ممتازة من المشاركون في الفكر والأدب ، ذكر لنا من أسمائهم أبو حيان التوحيدى :

- ١ - أبو زكريا الصبمري - وستائي ترجمته هنا في هذا الكتاب .
- ٢ - أبو الفتح النوشجاني - وستائي ترجمته هنا في هذا الكتاب .
- ٣ - أبو محمد المقدسي العروضي - وستائي ترجمته في كتابنا هذا .
- ٤ - أبو بكر القومي - وستائي ترجمته في كتابنا هذا .
- ٥ - أبو القاسم عبيد الله بن الحسن المعروف بغلام زحل ، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ وستائي ترجمته هنا .
- ٦ - علي بن عيسى الرمانى ، أول نحوى مزج النحو بالمنطق ، وتوفي سنة ٣٨٤ هـ .
- ٧ - أبو العباس البخاري .
- ٨ - أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس ، ويعرف بابن الوراق ، وكان نحوياً . وتوفي سنة ٣٨١ هـ .
- ٩ - أبو علي عيسى بن زرعة ، المترجم النصراني ، المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وستائي ترجمته هنا .

١٠ — أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح ، المتوفى سنة ٥٣٩١ وستأني ترجمته هنا . وقبل هؤلاء جميعاً أبو حيّان التوحيدي نفسه . وهو صاحب الفضل في نقل الكثير من آراء أبي سليمان إلينا ، خصوصاً في كتابيه : « المقابلات » ، و « الإمتاع والمؤانسة » ؛ ولا يكاد كتاب من كتبه — فيما عدا « الاشارات الإلهية » — يخلو من ذكره وإيراد بعض آرائه . ولهذا فإن كتب التوحيدي هي أوسع مصدر لدينا عن أبي سليمان السجستاني : حياته وآرائه . ويمكن أن يشبه حاله مع استاذه أبي سليمان بحال أفلاطون مع أستاذه سocrates .

و كانت الأحاديث بين أبي سليمان و حاضري حلقته في بيته تدور خصوصاً حول موضوعات في الفلسفة ، وفي القليل تدور حول أبواب من الأدب واللغة والعلوم الرياضية . و خير سجل لها هو كتاب « الم مقابلات » لأبي حيّان التوحيدي ، الذي لا نعلم له نظيراً في تاريخ الفكر العربي ، بل يندر أن نجد له نظيراً في الفكر العالمي بعامة .

لكن المشكلة بالنسبة إلى هذا الكتاب هي كالمشكلة بالنسبة إلى محاورات أفلاطون : إلى أي مدى صدق كلامهما في إيراد آراء أستاذه ؟

ذلك أن التوحيدي لم يكن مجرد مُسَجَّل يسجل ما دار في مجالس أبي سليمان ، وكأنه كاتب الجلسة أو استينوجراف sténographe . والشاهد على ذلك أن ما يورده من كلام أبي سليمان هو في الذروة من الفصاحة و جمال العبارة و علو الأسلوب ، بينما كان أبو سليمان — بشهادة التوحيدي نفسه — مصاباً بـ « لُكْنَةِ ناشئة من العُجْمَة »^(١) ، وكان متقطعاً في العبرة ، لا مرسلها على التحو الذي ترد به في المقابلات . وهذا ينبغي أن نفترض أن أبي حيّان إنما كان يسجل المعاني ، ثم يذهب بعد ذلك إلى بيته فيصوغ العبارة ، كما فعل أيضاً في أحاديثه مع أبي عبد الله العارض ، والتي يضمها كتاب « الإمتاع والمؤانسة » .

(١) التوحيدي : « الإمتاع والمؤانسة » ج ١ ص ٢٣ س ٧ . القاهرة ، سنة ١٩٣٩ .

هذا يمكن أن نقرر أن ما أورده التوحيدى في كتبه باسم أبي سليمان السجستاني إنما المعنى فيه لأنّي سليمان ، والعبارة والصياغة والأسلوب كلها للتوحيدى .

وكان من طريقة التوحيدى فيما يبدو أن يكتب الفوائد والتعاليق حين يسمعها أو بعد ذلك بقليل . ومن هذه التعاليق المختلفة التي يحملها في الأزمان المتبااعدة يؤلف ما يؤلف من كتب . والدليل على ذلك أنه في كتاب « المقابسات » مثلاً يذكر تواريخ متبااعدة جداً :

أ - فهو مرة يقول : « سمعت ابن عباد بالرى سنة خمسين يقول ... »^(١) ويقصد طبعاً سنة خمسين وثلاثمائة .

ب - وقال مرة ثانية : « قال أبو سليمان وأنا أقرأ عليه كتاب « النفس » سنة احدى وسبعين وثلاثمائة بمدينة السلام » (« المقابسات » ص ٢٤٦) .

ج - وقال مرة ثالثة : « وأملأ أبو سليمان على جماعة ، كنت أحدهم ، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، وقد سُئل عن الواحد ... » (« المقابسات » ص ٢٨٦) .

فلا بد إذن أنه كان يعد التعليقات في أوقاتها ، ثم يستعين بها فيما بعد عند تحريره لكتبه ، رغم تباعد المدة حتى تصل إلى أكثر من أربعين سنة :

(١) التوحيدى : « المقابسات » ص ٢٣٧ ، نشرة السنديوي ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

تاريخ وفاته

قلنا إن أبا حيان التوحيدى في المقابلة رقم ٨٢ ذكر ما يلى : « أملى أبو سليمان ، على جماعة كنت أحدهم ، سنة احدى وتسعين وثلاثمائة ، وقد سئل عن الواحد فقال ... ». وهذا الخبر يقطع بأن أبا سليمان السجستانى كان يعيش حتى هذا التاريخ ، أي حتى سنة احدى وتسعين وثلاثمائة هجرية .

ويتأيد ذلك من ناحية أخرى بهذه الواقعة وهي أن ابن النديم ، وقد ألف كتابه « الفهرست » سنة ٣٧٧ كما قال في مقدمته ^(١) ، لم يذكر تاريخ وفاة أبي سليمان فيما كتبه عنه (ص ٢٦٤ نشرة فلوجل) ، وأبو سليمان كما قال هو عنه اعتبره ابن النديم : « شيخنا » وهذا يقطع بأن أبا سليمان السجستانى كان لا يزال حيّاً في سنة ٣٧٧ هـ ^(٢) .

وفي الطرف المقابل نجد اسماعيل باشا البغدادي في كتابه « هدية العارفين

(١) قال ابن النديم (ص ٢ ، نشرة فلوجل) : « هذا فهرست كتب جميع الأسم ... منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة » .

(٢) أليس ما يدعوا إلى شدة العجب بعد هذا أن يذكر أشترن S. M. Stern في مقاله الآنف الذكر « بدائرة المعارف الإسلامية » الطبعة الثانية - أن أبا سليمان توفي حوالي سنة ٣٧٥ هـ ! لكن كل المقالات الخاصة بالفلسفة الإسلامية في الطبعة الثانية من « دائرة المعارف الإسلامية » حافلة بأمثال هذه الأغلاط ، ويجب عدم الرجوع إليها الا بتحفظ واحتياط شديد جداً .

أسماء المؤلفين وأثار المصنفين » (ج ٢ ص ٦٠ ، استانبول سنة ١٩٥٥) يقول : « أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني المنطقي ، نزيل بغداد ، المتوفى في حدود سنة ٤١٠ عشر وأربعينات » . لكنه لا يذكر المصدر الذي نقل عنه هذا ، ولهذا لا يمكن الاعتماد عليه .

ولى موقف وسط ذهب أحمد أمين وأحمد الزين فقالا : « مات على أغلب الظن في السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجري ^(١) » .

والحق أننا لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة متى توفي ؛ لكن وفاته كما قلنا وقعت بالضرورة بعد سنة احدى وتسعين وثلاثمائة . ولا نستطيع أن نقرر أكثر من هذا ، بحسب ما توافر لدينا من مصادر حتى الآن .

(١) في تعليقهما على نشرتهما « الامتعة والمؤانسة للتوحيد » ، ج ١ ص ٢٩ ، التعليق رقم ١ . القاهرة ، سنة ١٩٣٩ .

مؤلفاته

تذكر لنا مصادرنا الكتب التالية من تأليف أبي سليمان السجستاني :

١ - « مقالة في مراتب قوى الانسان وكيفية الانذارات التي تنذر بها النفس مما يحدث في عالم الكون » (ابن النديم ص ٢٦٤ ، ابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٣٢٢ ، الققطي ٢٨٣) .

ولعله هو هو بعينه ما ذكره « الفهرست » لابن النديم في باب « الكتب المؤلفة في تعبير الرؤيا » تحت عنوان : « كتاب أبي سليمان المنطقي في الانذارات النوعية » (« الفهرست » ص ٣١٦ س ٢٤ - س ٢٥ نشرة فلوجل) .

٢ - « مقالة في أن الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ، وأنها ذات نفس ، وأن النفس التي لها هي النفس الناطقة » (ابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٣٢٢) .

ومنها نسخة مخطوطة في المخطوط رقم ٩٤ في کتابخانة مجلس شورای ملیٰ في تهران ص ٣٦ - ٣٧ . وقد نشرناه هنا . (ص ٣٦٧ - ٣٧١)

٣ - « كلام في المنطق » (ابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٣٢٢) .

٤ - « مسائل عدة سُئِلَ عنها ، وجواباته لها » (ابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٣٢٢) .

- ٥ - « تعاليق حكمية ومُلَح ونواذر » (ابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٣٢٢) .
- ٦ - « رسالة في اقتصاص طرق الفضائل » (تتمة صوان الحكمة) ، نسخة برلين برقم ورقة ٤٤ بـ ؛ مخطوط فاتح رقم ٣٢٢٢ ورقة ١٠٣) .
- ٧ - « رسالة في المحرك الأول » (« تتمة صوان الحكمة » نسخة برلين برقم ورقة ٤٤ بـ) ؛ مخطوط فاتح رقم ٣٢٢٢ ورقة ١٠٣) .
- ومنها نسخة مخطوطة في المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانة مجلس شورای ملیّ في تهران ص ٣٧ - ص ٣٨ . وقد نشرناها هنا في ص ٣٧٢ - ص ٣٧٦ .
- ٨ - « مقالة في الكمال الخاص بنوع الإنسان » .
- ومنها نسخة مخطوطة ضمن المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانة مجلس شورای ملیّ في تهران ص ٣٨ - ص ٤١ . وقد نشرناها هنا في ص ٣٧٧ - ص ٣٨٦ عن هذه النسخة وأثنين آخرين .
- ٩ - رسالة في وصف الوزير أبي عبد الله العارض (ذكرها التوحيدی في « الامتناع والمؤانسة » ج ١ ص ٢٩ س ٨ - س ٩) .
- ١٠ - رسالة في السياسة .
- ذكرها التوحيدی فقال إن بعض الذين كانوا يغشون مجلس أبي سليمان ، لما سمعوا منه كلاماً بدیعاً في السياسة ، سأله « أن ينظم لهم رسالة في السياسة - فقال (أبو سليمان) : قد رَسَمْتُ شيئاً منذ زمان ، وقد شاع وفشا ، وكتُب وحُمِل في جملة الهدية إلى قابوس بجرجان » (« الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ٢ ص ١١٧) .
- وقابوس هو من غير شک قابوس بن وشمگیر .

١١ - « صوان الحكمة » .

وقد انتخب منه روایتان : إحداهما طولية توجد في المخطوطات التالية :

- ١ - بشير آغا برقم ٩٤٤ .
- ٢ - مراد ملا برقم ١٤٣١ .
- ٣ - كوبرولو برقم ٩٠٢ .
- ٤ - فاتح برقم ٣٢٢٢ - والأربعة في استانبول .
- ٥ - المتحف البريطاني في لندن .

ولا ندري من قام بهذا الانتخاب ، إذ ليس في جميع المخطوطات ولا في المصادر المختلفة أية إشارة إليه .

والرواية الأخرى مختصرة ، وقد قام بها عمر بن سهلان الساوي ، صاحب كتاب «البصائر النصيرية» في المنطق . وقد وردت في المجموع رقم ٣٢٢٢ بالمكتبة السليمانية (مكتبة فاتح) في استانبول . وسنتصفه فيما بعد بالتفصيل . وقد انفرد بابن راد فصل من الفارابي ، لا يوجد في الرواية الأولى وسنورده فيما بعد .

مختصر الساوي

أ « صوان الحكمة »

١ - ورد هذا المختصر في المجموع رقم ٣٢٢٢ بالمكتبة السليمانية (مكتبة فاتح) باسطنبول . وعنوانه كما في المخطوط هكذا :

« كتاب مختصر صوان الحكمة . اختصره الإمام الأجل القاضي ، حجة الحق ، عمر بن سهلان الساوي ، رحمة الله عليه ، المنقول من كلام اليونانيين ، وهو غرر الفوائد ودرر القلائد »

٢ - يبدأ بعد البسمة والتحميد هكذا :

« وبعد ا فهذه فوائد منتخبة من كلام الحكماء ، المنقول في « صوان الحكمة » ، حقها أن ترقم بقلم العقل في لوح النفس . والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

تاليس الملطي : مَنْ عَمِلَ فِي السُّرِّ عَمَلاً . . .

أنكسا غورس

فيثاغورس : أعلى درجات العبد في الخير . . .

ويولج كلاماً من عنده في بعض الموضع مثل ما أولج في داخل ما اقتبسه

من كلام فيثاغورس فقال بعد قول فيثاغورس : « لو كانا صديقين في الحقيقة لتواسيا : وقد أحسن بعض الأعراب في الإفصاح عن هذا المعنى وهو :

عجبت بعض الناس بمنح وده
ويمعن ما ضمت عليه الأصابع
إذا أنا أعطيت الخليل مودتي
فليس لماي بعد ذلك مانع »

٣ - ويتلن فيثاغورس : سقراط (ورقة ٣١)، افلاطون (٨١)، ارساطاليس (١٢ ب)، اسكندر الملك (٢٠١)، ذيوجانس الكلبي (٢٩ ب)، ثاوفرسطس (٣٣ ب)، اوديموس (٣٤١)، هرميس الأول (٣٥١)، سولن الحكم (٣٦١)، اوميرس الشاعر (٣٦ ب)، اسكندر الافروديسي (٣٨ ب)، اللينس (٣٨ ب)، ادمينوس (٣٨ ب)، جالينس (٣٩١)، كلمات لم تنسب إلى معروف من الحكماء (٣٩ ب)، أمثال لهم (٤٠١)، ديمقراطيس (٤٢ ب)، طيماناوس (٤٢ ب)، مالسس (٤٢ ب)، اوقيليدس (٤٣١)، بقراط (٤٣١)، باسليوس (٤٣١)، بطلميوس (٤٣ ب)، صولين (٤٣ ب)، داريوس (٤٣ ب)، بليناس (٤٣ ب)، بارقليس (٤٤١)، فراطريخس (٤٤١)، بروطلمورس (٤٤١)، بيسدرس (٤٤١)، ثوثريديس (٤٤١) آخنس (٤٤ ب)، سطروطوسقوس (٤٤ ب)، خاووس (٤٤ ب)، فلاسطس (٤٤ ب)، طيلاماخص (٤٤ ب)، أروس (٤٤ ب)، اسجينس (٤٥١)، اسوپوس (٤٥١)، فلسطين (٤٥١)، زينون (٤٥١)، اسقراطيس (٤٥١)، انطياخوس (٤٥ ب)، فينيوس (٤٥ ب)، حادا فرن (٤٥ ب)، نيعايون (٤٥ ب)، استانس الخطيب (٤٥ ب)، كسافر سطس (٤٦١)، دينستانس (٤٦١)، موسوريوس (٤٦ ب)، افليمسن (٤٦ ب)، انطينايس (٤٦ ب)، طيمطرس (٤٦ ب)، اباوحوس (٤٦ ب)، فرسطرخس (٤٧١)، طمين (٤٧١)، فيلن (٤٧١)، نقراطيس (٤٧١)، يعقوب بن اسحق الكندي (٤٧ ب)، احمد بن الطيب السريخي (٤٩١)، ثابت بن قرة الحراني (٤٩١)، أبو عثمان الدمشقي (٤٩١)، أبو نصر الفارابي (٥٠١)، أبو الحسن العامري (٥١١)، أبو

سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي (٥٦ أ) ، أبو جعفر بن بابويه ملك سجستان (٥٦ ب) ، يحيى بن عدي (٥٨ ب) ، الحسن بن مقداد (٥٨ ف) ، عيسى بن علي بن عيسى الحرّاج (٥٨ ب) ، أبو علي بن مسكونيه (٥٨ ب) ، أبو النفيس (٥٩ أ) . ومن هذا البيان يتبيّن أن الساوي قد أسقط فصولاً عديدة جداً.

ويتّهي التلخيص في ورقة ٦٠ ب . وفي الصفحة ١٥ سطراً ، وفي السطر حوالي ١١ كلمة .

والساوي في اختصاره يحذف الأخبار ، ويقتصر فيما يورده على الأقوال وحدها .

٤ — وقد انفرد بإيراد فصل عن الفارابي ، لا نجد له نظيراً في سائر النسخ ، وهو نحن أولاء نورده :

(٥٠) أبو نصر الفارابي

حكي عن فيلسوف يوناني أنه قال : من أنصف من نفسه ازداد عزاً . ومن أيف من الباطل ينجح به الحق . ومن غني بذاته اغتبط في آخر أمره .

وحكى أن ثلاثة من المنجمين اجتمعوا في توجههم إلى مدينة . فمروا في طريقهم بغلام حسن الهيئة ، جميل المنظر . فجاوروه ، فوجدوه مشاكلاً بعقله لظاهره . فأحببوا النظر في أمره . واستقصوا ذلك . فقال أحدهم : تسعه حيّة ، ويتفضّي سمّها في جسده وتقتله . وقال آخر : يقع من علو فينتصف عنقه . وقال آخر : يقع في ماء غامر ، فيغرق ويهلك .

فلم يرحا حتى صَعِد شجرة يريد جناءها وثمرتها . فصادف في أغصان تلك الشجرة حية لسعته . فهو منها في نهر كان في أصلها ، فمات .

وهذه كلمات حكاها عن الأوائل : (٥٠ ب)

قال أفلاطن : الشيء الذي لا ينبغي لك أن تفعله فلا تتفوه به . من استحق

منك الخير فلا تتضرر ابتداءه بالمسألة ، ليكون أكمل التذاذاً وأهناً موقعاً . لا تحكم قبل أن تسمع قول الخصمين .

وسئل : لِمَ كُلُّمَا عَلِمْتُمْ ، كَانَتْ عَنْيَا تَكُمْ بِالْعِلْمِ أَشَدَّ ؟

قال : إِنَا كُلُّمَا ازْدَدْنَا عِلْمًا ازْدَدْنَا مَعْرِفَةً بِمَنْفَعَةِ الْعِلْمِ .

وقيل له : أَيِّ الْأَشْيَاءِ أَهُونَ ؟ قال : الْأُمَّةُ الْجُهْمَاءُ .

وسئل : أَيِّ شَيْءٍ يَقْدِرُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَجُودَ بِهِ ؟ قال : حُبُّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ .

وقال : شَمْ مَنْ لَا يَحْتَمِلُ شَتْمَكَ اسْتِدْعَاءً مِنْكَ لِلشَّمْ . وَشَمْ مَنْ يَحْتَمِلُ شَتْمَكَ لَوْمَ . وَيَحْبَبُ عَلَى مَنْ اصْطَنَعَ مَعْرُوفًا أَنْ يَتَنَاهَ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَيَحْبَبُ عَلَى مَنْ أَسْدِيَ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَبْدًا .

وسئل : أَيَّمَا أَحْمَدٌ : الْحَيَاةُ ، أَمِ الْخُوفُ ؟ قال : الْحَيَاةُ ، لَأَنَّهَا يَدْلِلُ عَلَى الْعُقْلِ ، وَالْخُوفُ يَدْلِلُ عَلَى الْجُبْنِ .

إِنِّي أَحَبِّتُ أَنْ لَا تَفُوتَكَ شَهْوَتُكَ فَاشْتَهِ مَا يُمْكِنُكَ .

أَحْسَنُ مَا عُوْشَرَ بِهِ الْمُلُوكُ : اثْنَانٌ : الْبِشَاشَةُ وَتَخْفِيفُ الْمَؤْوَنَةِ .

مَنْ تَشَاغَلَ بِالْأَدْبَرِ فَأَقْلَلَ مَا يَرْبِعُ عَلَيْهِ أَلَا يَتَفَرَّغَ إِلَى الْخَطَا .

لَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَلْعُجَ مِنْ مَرَارَةِ النَّفْسِ إِلَى حدٍ يُظْنَنُ بِهِ مَعْهُ أَنَّهُ شَرِيرٌ ،
وَلَا يَنْبَغِي (أَنْ يَلْعُجَ) مِنْ لَيْنِ الْجَاحِبِ أَنْ يَظْنَنَ بِهِ أَنَّهُ مَلَّاقٌ .

مَنْ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءِ ، نَالَ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ : مَنْ بَرِيءٌ مِنْ الشَّرَّةِ نَالَ
الْعَزَّ ، وَمَنْ بَرِيءٌ مِنْ الْبُخْلِ نَالَ الشَّرْفَ ، وَمَنْ بَرِيءٌ مِنْ الْكِبْرِ نَالَ
الْكَرَامَةَ .

وسئل : بِمَاذَا يَتَنَقَّمُ الْإِنْسَانُ (٥١ أً) مِنْ أَعْدَائِهِ ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَغْيِظُهُمْ ؟ قال :
بِأَنْ يَزْدَادَ فَضْلًاً »

ويلاحظ أن بعض هذه الحكم قد نسبت في مواضع أخرى من الكتاب إلى غير الفارابي .

٥ – كذلك انفرد بفصل طويل عنوانه « وهذه حكم ووصايا انتخبتها من كتب الفرس : الدنيا دول فما كان منها أثاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه قوتك ، التخلص من الدنيا » ... ويستمر هذا الفصل من ورقة ٥١ بـ ٥٦ إلى ورقة ٥٦ أـ^١ ، ويتلوه الفصل الخاص بأبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي . وكل الفصل عبارة عن حكم ووصايا وليس فيه اشارة إلى قائل أو حادثة . وليس من المعقول أن يكون هذا الفصل قد كان موجوداً في أصل « صوان الحكمة » لأبي سليمان ، لأنه يقطع سياق الكتاب قطعاً شديداً ويتناقض مع طريقة أبي سليمان في ذكر الأشخاص ومعهم حكمهم وآدابهم . فمن المرجح عندنا إذن أن يكون الفصل قد انتخبه – على حد التعبير الوارد هنا – الساوي نفسه ولم يكن في أصل أبي سليمان الذي اختصره الساوي .

٦ – وبالجملة فإن مختصر الساوي هذا يقدر بثلث « منتخب صوان الحكمة » الذي نشرناه هنا .

المخطوط رقم ٩٤

في كتابخانة مجلس شورای ملی في تهران

من الرسائل المهمة فيه نذكر ما يلي :

ص	
١	مقالة الفارابي في اثبات المفارقات .
٢	مقالة الفارابي في العقل .
٤	مقالة الفارابي في أغراض ما بعد الطبيعة .
٦ - ٢٧	رسالة في القراءة للفارابي .
٨ - ٣٤	من تعليقات الفارابي
٩ - ٣٤	مقالة الاسكندر الافروديسي في القول في مبادئ الكل على رأي أرسطو طاليس .
١٦ - ٣٦	مقالة أبي سليمان السجزي في أن الأجرام العلوية ذات أنفس ناطقة .
٣٦ - ٣٧	مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني في المحرّك الأول .
٣٨ - ٤١	مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي في الكمال الخاص بنوع الإنسان .
٤٢ - ٤٤	مسائل طبيعية لأرسطو طاليس الفيلسوف وهي المسماة بـ « مابال؟ » ...

- ٤٤ - ٤٥ آداب أرسطو طاليس كتبها في صحيفة وكان يعلمها الاسكندر .
- ٤٦ - ٤٧ هذا مختصر من قول الحكم أرسطو طاليس الفيلسوف في النفس ، وهو سبعة أقوال .
- ٤٨ - ٤٩ مقالة لأبي الحسن بن سوار في الآثار المتخيلة في الجو من البخار المائي وهي : الهالة ، والقوس ، والشموس ، والقضبان .
- ٥٠ - ٦٧ مقالة للفارابي تبدأ هكذا : «المبادئ التي بها قوام الأجسام والأعراض ستة أصناف لها ست مراتب عظمى ...»
- ١٠٣ - ٦٨ قسم من كتاب البيروني : «ما للهند من مقوله» يبدأ بقوله : «قال باسدييو لارجن يحرضه على القتال وهمما بين الصفين : إن كنت بالقضاء السابق مؤمنا فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معهم بموته ولا ذاهلين ذهاباً لا رجوع معه ...»
- ١٠٤ - ٦٩ وينتهي هكذا : «... للتنفس كما للدلفين . وفي أنهارهم الحيوية حيوان يسمى كراه ، وربما يسمى حلثيت ، وأيضاً ثندوه . وهو رقيق طويل جداً زعموا أنه يرصد من يدخل الماء ويقف فيه ، إنساناً كان أو بحيرة ، فيقصده» وهنا ينتهي الكلام وبعده ثلاثة الصفحة أبيضان .
- ١٢٤ - ٧٠ الألواح العمادية للسهروردي المقتول .
- ١٢٥ - ٧١ رسالة في الوجه ، من مؤلفات الشيخ الإمام حجة الحق عمر الخيم .
- ١٢٨ - ٧٢ ووصول رسائل لابن سينا : «وصل الشيخ عدة كتب تشرك في الآيناس بغير سلامته وذلك مما يعظم ...» ويتلوي كتاب «المباحثات»
- ١٨٠ - ٧٣ «حاطك الله مغبوطاً بنيل ما تهواه ، واسعفك بجميع ما

— أَدَمَ اللَّهُ سَلَامْتَكِ — سَأَلَتْ سَعَادَةُ الدَّارِينَ... وَقَسَمَ لَكَ سَعَادَةُ الدَّارِينَ... تَعْمَلَنَا، وَقَسَمَ لَكَ سَعَادَةُ الدَّارِينَ... سَأَلَتْ سَعَادَةُ الدَّارِينَ... أَرْسَطَوْطَالِيسُ إِذْ يَحْكُمُ فِيهَا فِي الْكِتَابِ الْمُوسُومِ بِالسَّمَاءِ وَالْعَالَمِ » . . .

- رسالة في المعاد ، أو لها : « أفضى الله على روح الشيخ الأمين في الدارين أنوار الحكمة وطهّر نفسه عن أدناس الطبيعة ... فلنعد إلى الغرض الذي عنه انفصلنا وهو القول في المعاد »

رسالة في حقائق علم التوحيد ، تشمل على ثلاثة أصول : الأول في إثبات واجب الوجود ، والثاني في وحدانيته ، والثالث في نفي العلل عنه .

« المقالة الأولى في الفصول التي لا يستغني الطبيب الذي ليس بفلاسفة عن معرفتها لثلا يكون غافلا إذا سُئل عن شيء عنها » وهي رسالة مهمة يورد فيها كثيراً من أقوال جالينوس.

مقالة تبين « حقيقة ما عند المشائين المحصلين من حال المبدأ والمعاد ، تقرّباً به إلى الشيخ الجليل أبي محمد بن إبراهيم الفارسي . تتضمن مقالتي هذه ثمرة علمين كبيرين أحدهما الموسوم بأنه في ما بعد الطبيعيات والثاني العلم الموسوم بأنه في الطبيعيات » .

« رسالة للشيخ الرئيس أبي عبد الله بن سينا في تعريف الرأي المحصل الذي ختمت عليه روبيّة الأقدمين في جوهر الأجسام السماوية والعبارة عن مذهبهم أعمق عنده بمقدار اطلاعه على مآخذهم » .

مختصر كتاب النفس عن الفيلسوف أرسطاطاليس ، وهو سبعة أبواب .

من كلام هذا الفيلسوف الفاضل (أرسطو) في الرؤيا .

- ٣٢٣ - فائدة في تحقيق معنى الأقانيم التي قال بها النصارى .
- ٣٢٤ - رسالة يعقوب بن اسحق الكندي إلى محمد بن الجهم في الإبانة عن وحدانية الله تعالى
- ٣٢٥ - رسالة إلى الكاتب الخليل أبي جعفر محمد بن الحسن بن المرزبان رحمة الله الذي ذكره من اختلاف الناس في أمر النفس ... »
- ٣٢٥ - رسالة الحدود لابن سينا .
- ٣٣٨ - رسالة العشق لابن سينا .
- ٣٤٩ - رسالة هرمس في معاذلة النفس ، وتبداً هكذا هنا : « يا نفس ! استعمل التصور والتمثيل فيسائر الأشياء الموجودة عقلاً ووحياً ، واعلمي أن الشيء الذاتي بالحقيقة » ...
- ٣٥٠ - بيان أقسام الحكمة على سبيل الاختصار من كلام الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا .
- ٣٥٥ - رسالة النفح والتسوية للغزالى .

أبو سليمان شاعرا

ويذكر لنا التوحيدى أن أبا سليمان « كان يقرض البيت والبيتين ، وينشدنا ذلك ، وينهى عن بثه عنه ، ويقول : من انت حل لضعفه قوة غيره قحة وجسارة » ، فقد استجر إلى نفسه فضيحة وخسارة ^(١) .

فهو إذن كان يقول القليل من الشعر ، وينشده لأصحابه ، ولكنه ينهاهم عن إذاعته لأنه كان يرى نفسه قليل البصاعة من الشعر ، فخشى أن يجر ذلك عليه المazeera ، والتنقيص من شأنه . وهذا قرار بصرامة أن « الأقلال من هذا الباب (أي من قول الشعر) أولى بنا . فلنسا مِنْ أهل هذا الفن ، وسمة التقصير لائحة علينا ، ودالة على نقصانا ، وإن خفي ذلك بنظرنا ، لأن الإنسان عاشق نفسه وليس بمُواخذها على تقصيره ^(٢) .

ويورد له التوحيدى هاتين القطعتين :

- ١ -

ولاتي عزوف النفس عن يخونني ومعطّي قيادي للحبيب المؤالف
أشاطره روحي ومالي وأنقدي حذاراً عليه مِنْ رياح عواصف

(١) التوحيدى : « المقابسات » ص ٢٩٨ ، نشرة السنديوبى ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

(٢) الكتاب نفسه ص ٢٩٩ .

فَإِنْ خَانَ عَهْدِيْ لَمْ أُخْنُهُ ، وَإِنْ أَكُنْ
عَلَى مَا أُرِيَ مِنْ عَذْرٍ بِمُوَاقِفِ
فِي عَقِبِ الْأَيَّامِ كُلُّ التَّنَاصُفِ
وَأَنْرُكَ عُقْبَاهُ لِعُقْبَتِيْ فِي عَالَمِ

- ٢ -

وَأَيَّامِ الْبَطَالَةِ وَالتَّصَابِ
وَأَيَّامِ التَّجَنِّيِّ وَالْعَتَابِ
مُعْقَبَةً نَفِيساً بِالْعَقَابِ
وَتَمْزُجُ كُلَّ مَعْسُولٍ بِصَابِ
نَشِرْنَ نَذِيرَةً لَكَ بِالْذَّهَابِ
وَيَأْتِيَ بَعْدَهُ كَفَنُ التَّرَابِ
بِكَيْتُ عَلَى مُفَارِقَةِ الشَّبَابِ
وَأَيَّامِ التَّغَازُلِ وَالسَّدَّلَانِ
مَضَتْ فَكَانَهَا لَمَّا تَوَلَّتْ
لَتَبْلِيَ كُلَّ مَلْبُوسٍ جَدِيدٍ
بِيَاضِ الشَّبِيبِ أَعْلَامُ الْمَنَابِ
هُوَ الْكَفَنُ الَّذِي يَبْلِي وَشِيكَا

وَوَاضِعٌ أَنْ هَذَا الشِّعْرُ فِي مُسْتَوِيِّ رَدِيءٍ ، يَغْلِبُ عَلَيْهِ الطَّابِعُ التَّعْلِيمِيُّ ،
وَلَا يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ لَدِيْ صَاحِبِهِ أَيْةً مُلْكَةً شَعْرِيَّةً حَقِيقِيَّةً . فَمَا أَحْسَنَ مَا صَدَقَ
بِو سَلِيمَانَ عَنْ نَفْسِهِ حِينَ اعْتَرَفَ بِأَنَّ قَوْلَ الشِّعْرِ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ !

مقارنة بين الشعر والثر

وَفِيمَا يَتَعْلَمُ بِالْمَقَارِنَةِ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالثَّرِ ، يَرَى أَبُو سَلِيمَانُ أَنَّ للثَّرِ فَضْيَلَتَهُ الَّتِي
لَا تَنْكِرُ ، وَلِلنَّظَمِ شَرْفُهُ الَّذِي لَا يَحْمِدُ ، وَأَنَّ مَنَاقِبَ الثَّرِ فِي مَقَابِلَةِ مَنَاقِبِ النَّظَمِ ،
وَمَثَالُ النَّظَمِ فِي مَقَابِلَةِ مَثَالِ الثَّرِ . وَالَّذِي لَا بُدُّ مِنْهُ « فِيهِمَا السَّلَامَةُ وَالدَّقَّةُ ،
وَتَجْنِبُ الْعَوِيْصَ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّأْوِيلِ وَالتَّلْخِيصِ (١) ». .

وَيَقْسِمُ الْبَلَاغَةَ إِلَى أَنْوَاعٍ وَضَرُوبٍ ، مِنْهَا : بِلَاغَةُ الشِّعْرِ ، وَبِلَاغَةُ

(١) التَّوْحِيدِيُّ : « الْإِمْتَاعُ وَالْمَؤَانَسَةُ » ج ٢ ص ١٣٩ .

الخطابة ، وبلاعنة النثر ، وبلاعنة المثل ، وبلاعنة العقل ، وبلاعنة البدية ، وبلاعنة التأويل .

« فأما بـلاعنة الشعر فـأن يكون نـحـوـه مـقـبـلاـً ، والـمـعـنـى مـنـ كـلـ نـاحـيـةـ مـكـشـوـفـاـً ، وـالـلـفـظـ مـنـ الغـرـيبـ بـرـيـثـاـً ، وـالـكـتـابـةـ لـطـيفـةـ ، وـالـتـصـرـيـعـ اـحـتـجـاجـاـً ، وـالـمـؤـاخـاةـ مـوـجـودـةـ ، وـالـمـوـاءـمـةـ ظـاهـرـةـ .

وـأـمـاـ بـلاـعـنـةـ الـخـطـابـ فـأـنـ يـكـونـ الـلـفـظـ قـرـيـباـً ، وـالـإـشـارـةـ فـيـهاـ غـالـبـةـ ، وـالـسـجـعـ عـلـيـهـاـ مـسـتـوـلـيـاـً ، وـالـوـهـمـ فـيـ أـضـعـافـهـ سـابـحاـً ، وـتـكـونـ فـقـرـهـاـ قـصـارـاـً ، وـيـكـونـ رـكـابـهـ شـوـارـدـ الإـبـلـ .

وـأـمـاـ بـلاـعـنـةـ النـثـرـ فـأـنـ يـكـونـ الـلـفـظـ مـتـنـاوـلاـً ، وـالـمـعـنـىـ مـشـهـورـاـً ، وـالـتـهـذـيبـ مـسـتـعـمـلاـً ، وـالـتـأـلـيـفـ سـهـلاـً ، وـالـمـرـادـ سـلـيـماـً ، وـالـرـوـنـقـ عـالـيـاـً ، وـالـخـواـشـيـ رـقـيقـةـ ، وـالـصـفـائـحـ مـصـقولـةـ ، وـالـأـمـثـلـةـ خـفـيـفـةـ الـمـاـخـذـ ، وـالـمـوـادـيـ مـتـصـلـةـ ، وـالـأـعـجـازـ مـفـصـلـةـ .

وـأـمـاـ بـلاـعـنـةـ المـثـلـ فـأـنـ يـكـونـ الـلـفـظـ مـقـتـضـيـاـً ، وـالـحـرـفـ مـحـتمـلاـً ، وـالـصـورـةـ مـحـفـوظـةـ ، وـالـمـرـمـىـ لـطـيفـاـً ، وـالـبـلـوغـ كـافـيـاـً ، وـالـإـشـارـةـ مـغـنـيـةـ ، وـالـعـبـارـةـ سـائـرـةـ .

وـأـمـاـ بـلاـعـنـةـ الـعـقـلـ فـأـنـ يـكـونـ نـصـيـبـ الـمـفـهـومـ مـنـ الـكـلـامـ أـسـبـقـ إـلـىـ النـفـسـ مـسـمـوـعـهـ إـلـىـ الـأـذـنـ ، وـتـكـونـ الـفـائـدـةـ مـنـ طـرـيـقـ الـمـعـنـىـ أـبـلـغـ مـنـ تـرـصـيـعـ الـلـفـظـ وـتـقـفـيـةـ الـحـدـودـ ، وـتـكـونـ الـبـسـاطـةـ فـيـ أـغـلـبـ مـنـ الـتـرـكـيـبـ ، وـيـكـونـ الـمـقصـودـ مـلـحـوـظـاـً فـيـ عـرـضـ السـتـنـ ، وـالـمـرـمـىـ يـتـلـقـقـ بـالـوـهـمـ لـحـسـنـ الـتـرـتـيـبـ .

وـأـمـاـ بـلاـعـنـةـ الـبـدـيـهـةـ فـأـنـ يـكـونـ انـجـيـاشـ الـلـفـظـ لـلـفـظـ فـيـ وـزـنـ انـجـيـاشـ الـمـعـنـىـ . وـهـنـاكـ يـقـعـ التـعـجـبـ لـلـسـامـعـ ، لـأـنـهـ يـهـجـمـ بـفـهـمـهـ عـلـىـ مـاـ لـاـ يـظـنـ أـنـهـ يـظـفـرـ بـهـ كـمـ يـعـثـرـ بـأـمـوـلـهـ ، عـلـىـ غـفـلـةـ مـنـ تـأـمـيلـهـ . وـالـبـدـيـهـةـ قـدـرـةـ روـحـانـيـةـ ، فـيـ جـبـلـةـ بـشـرـيـةـ ، كـمـاـ أـنـ الرـوـيـةـ صـورـةـ بـشـرـيـةـ فـيـ جـبـلـةـ روـحـانـيـةـ .

وأما بِلَاغَةُ التَّأْوِيلِ فَهِيَ الْتِحْوِجُ ، لِغَمْوِضَهَا ، إِلَى التَّدْبِيرِ وَالتَّصْفُحِ .
وَهَذَا يَفِيدُنَا مِنَ الْمَسْمَوْعِ وَجُوهًا مُخْتَلِفَةً كَثِيرَةً نَاقِلةً . وَبِهَذِهِ الْبِلَاغَةِ يَتَسَعُ فِي
أَسْرَارِ مَعْنَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا ، وَهِيَ الَّتِي تَأْوِلُهَا الْعُلَمَاءُ بِالاستِنْبَاطِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَ وَكَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْحَرَامِ وَالْحَلَالِ ، وَالْحَظْرِ وَالْإِبَاحَةِ
وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَغَيْرِ ذَلِكِ مَا يَكْثُرُ، وَبِهَا تَفَاضِلُوا ، وَعَلَيْهَا تَجَاولُوا ، وَفِيهَا
تَنَافِسُوا ، وَمِنْهَا اسْتَحْلَلُوا ، وَبِهَا اشْتَغَلُوا . وَلَقَدْ فَقَدَتْ هَذِهِ الْبِلَاغَةُ لِفَقْدِ
الرُّوحِ كُلَّهُ وَبَطَلَ الْاسْتِنْبَاطُ : أُولَئِكَ وَآخِرُهُ . وَجَوَّلَانَ النَّفْسَ وَاعْتَصَارُ الْفَكْرِ
إِنَّمَا يَكُونُانِ بِهَذَا النَّمْطِ فِي أَعْمَاقِ هَذَا الْفَنِ . وَهَا هُنَا تَنَشَّالُ الْفَوَائِدِ ، وَتَكْثُرُ
الْعَجَابُ ، وَتَتَلَامَحُ الْخَوَاطِرُ ، وَتَتَلَاحَقُ الْهِيمَمُ . وَمِنْ أَجْلِهَا يُسْتَعَنُ بِقُوَّى
الْبِلَاغَاتِ الْمُتَقْدَمَةِ بِالصِّفَاتِ الْمُمْثَلَةِ ، حَتَّى تَكُونَ مُعِينَةً وَرَافِدَةً فِي إِثَارَةِ الْمَعْنَى
الْمَدْفُونِ ، وَإِنَارَةِ الْمَرَادِ الْمَخْزُونِ (١) » .

وإذا أردنا ايجاز الفروق بين هذه الأنواع من البلاغة لقلنا :

إن بِلَاغَةُ الشِّعْرِ تَتَمَيَّزُ بِسَهْوَةِ الْعِبَارَةِ وَلُطْفِ الْكَنَاءِ ؛

وَبِلَاغَةُ الْخَطَابَةِ تَتَمَيَّزُ بِالسَّعْجِ وَالْفَقْرِ الْقَصَارِ ؛

وَبِلَاغَةُ النَّثْرِ تَتَمَيَّزُ بِالرُّونَقِ وَخَفْفَةِ الْمُأْخَذِ وَتَفْصِيلِ الْفِقَرِ ؛

وَبِلَاغَةُ الْمُثَلِّ تَكَمُّنُ فِي اقْتِصَابِ الْلَّفْظِ وَالْإِقْتَصَارِ عَلَىِ الْاِشَارَةِ وَسَهْوَةِ
الْلَّفْظِ ؛

وَبِلَاغَةُ الْعُقْلِ تَنَبَّعُ مِنْ كُثْرَةِ الْمَعْنَى ؛

وَبِلَاغَةُ الْبَدِيَّةِ تَصُدُّرُ عَنِ ادْهَاشِ السَّامِعِ بِمَا لَا يَتَوقِّعُهُ ؛

وَبِلَاغَةُ التَّأْوِيلِ هِيَ الَّتِي يَتَسَعُ فِيهَا الْكَلَامُ لِكَثِيرٍ مِنْ أَسْرَارِ الْمَعْنَى .

وَلَأَبِي سَلِيمَانَ تَعرِيفٌ شَامِلٌ لِلْبِلَاغَةِ هِيَ أَنَّهَا : « هِيَ الصَّدْقُ فِي الْمَعْنَى مَعَ

(١) التوحيدى : « الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٤١ - ١٤٣ ، القاهرة سنة ١٩٤٢ .

اختلاف الأسماء والأفعال والحرروف ، وإصابة اللغة ، وتحرّي الملاحة المشاكلة
برفض الاستكراه ومحاباة التعسُّف »^(١) .

وعنده أنه لا توجد ببلغة أحسن من بلاغة العرب ، لأن العربية أكثر اللغات
منطقية ، وكأنها هي المنطق بعينه^(٢) .

(١) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابسة رقم ٨٨ ، ص ٢٩٣ . القاهرة سنة ١٩٢٩ .

(٢) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابسة رقم ٨٨ ، ص ٢٩٤ .

آراء أبي سليمان السجستاني

- ١ -

العلاقة بين الفلسفة والدين

ونعرض هنا بعضًا من آراء أبي سليمان في أمهات موضوعات الفلسفة . ونبدأ بذكر رأيه في العلاقة بين الفلسفة والدين ، وكان هذا الأمر موضوع جدال عنيف بين المفكرين المسلمين في القرن الرابع ، بعد أن استتب للفلسفة مكانها بفضل ما ترجم من اليونانية والسريانية في القرن الثالث والنصف الأول من القرن الرابع ، وبفضل محاولات الكلبي والفارابي ومحمد بن زكريا الرازي الفلسفية : وقد كانت المحاولة الكبرى للتوفيق بين الفلسفة والدين هي تلك التي قام بها جماعة إخوان الصفا في رسائلهم الخمسين – وذلك في الفترة ما بين سنة ٣٣٠ هـ وسنة ٣٧٠ هـ .

ويحسن لنا أن نورد رأي أبي سليمان السجستاني في هذه الرسائل ، كما نقله التوحيدي في « الإمتاع والمؤانسة » (ج ٢ ص ٦ وما بعدها) : قال عن إخوان الصفاء :

« تَعِبُوا وَمَا أَغْنَيْتُمَا ، وَنَصَبُوا وَمَا أَجْدَدَوْتُمَا ، وَحَامُوا وَمَا وَرَدَوْتُمَا ، وَغَنَّتُمَا وَمَا أَطْرَبَوْتُمَا ، وَنَسَجُوا فَهَلَهْلُوا ، وَمَشَطُوا فَلَفَلُوا . ظَنُّوا مَا لَا يَكُونُ

ولا يمكن ولا يُستطيع . ظنّوا أنّهم يمكنهم أن يدسوّا الفلسفة – التي هي علمٌ
النجوم والأفلاك والمجسّطي والمقادير وأثار الطبيعة ، والموسيقى التي هي معرفة
النَّغْمَ والايقاعات والتقرات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال
بالإضافات والكميّات والكيفيات – في الشريعة ، وأن يضمّوا ^(١) الشريعة
للفلسفة . وهذا مرأّم دونه حَدَّد ^(٢) . وقد توفر على هذا ، قبل هؤلاء ، قومٌ
كانوا أحدَ آنياباً ، وأحضرَ آسباباً ، وأعظمَ أقداراً ، وأرفعَ أخطاراً ، وأوسعَ
قوى ، وأوثقَ عُرَى – فلم يتمّ لهم ما أرادوه ، ولا بلغوا فيه ما أملوه ،
وحَصَلُوا على لُؤُلُؤَاتٍ قبيحة ، ولطخاتٍ فاضحة ، وألقابٍ موحشة ، وعواقبٍ
مخزية ، وأوزارٍ ثقيلة » . والسبب في ذلك « أن الشريعة مأخوذة عن الله – عزَّ
وجلَّ – بوساطة السَّفِير بينه وبين الْخَلْقِ مِنْ طریقِ الوحي ، وببابِ
المناجاة ، وشهادة الآيات ، وظهور المعجزات ، على ما يوجبه العقل تارةً ،
ويحُوزه تارةً ، لصالح عامةٍ متقدمة ، ومرشدٍ تامةٍ مُبینةً . وفي أثناها ما لا
وسييل إلى البحث عنه والغوص فيه ، ولا بد من التسليم للداعي إليه والمُنْتَهَى عليه .
وهناك يسقط « لمَّا؟ » ويُبطل « كيف؟ » ويزول « هَلَّا؟ » ، ويذهب « لو»
« ليت» في الريح – لأن هذه الموارد ^(٣) عنّها محسومة ، واعتراضات المعارضين
عليها مردودة ، وارتياب المرتباين فيها ضارٌّ ، وسكنون الساكنين إليها نافعٌ .
وجملتها مشتملة على الخير ، وتفصيلها موصولٌ بها على حسن ^(٤) التقبيل . وهي
متداولة بين متعلّق بظاهرٍ مكشوف ، ومحتجٍ بتأويلٍ معروف ، وناصرٍ باللغة
الشائعة ، وحَامٍ ^(٥) بابلجلٍ المبين ، وذابٍ بالعمل الصالح ، وضاربٍ للمثل
السائر ، وراجعٍ إلى البرهان الواضح ، ومتفقّهٍ في الحلال والحرام ، ومستندٍ

(١) وفي نسخة أخرى : يطبقوا

(٢) أي : موانع وصعوبات .

(٣) أي هذه الأسئلة والمطالب لا شأن لها بالشريعة .

(٤) أي قائمٍ على قبولها كما جات عن اعتقاد جازم ساذج .

(٥) يقصد به العالم بعلم الكلام والتوحيد .

إلى الأثر والخبر المشهورين بين أهل الملة ، وراجع إلى اتفاق الأمة . وأساسها على الورع والتقوى ، ومنتهاها إلى العبادة وطلب الزلفى . ليس فيها حديث المنجم في تأثيرات الكواكب وحركات الأفلاك ومقدار الأجرام ومطالع الطوالع ومغارب الغارب ، ولا حديث تشاؤمها وتيامنها ، وهبوطها وصعودها ، ونحسها وسعدها ، وظهورها واستسراها ، ورجوعها واستقامتها ، وتربيعها وتثليتها وتسديسها ومقارنتها ^(١) .

ولا حديث صاحب الطبيعة الناظر في آثارها ، وأشكال الأسطُّعُسَات بثبوتها وافتراقها ، وتصريفها في الأقاليم والمعادن والأبدان ؛ وما يتعلّق بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ؛ وما الفاعل والمفعول منها ؛ وكيف تمازجُها وتزاوجُها ، وكيف تناافرُها وتسايرُها ؛ وإلى أين تسرى قواها ، وعلى أي شيء يقف متهاها .

ولا فيها حديث المهندس الباحث عن مقدار الأشياء ونقطها وخطوطها وسطوحها وأجسامها وأضلاعها وزواياها ومقاطعها ؛ وما الكرة ؟ وما الدائرة ؟ وما المستقيم ؟ وما المنحنى ؟

ولا فيها حديث المنطقى الباحث عن مراتب الأقوال ، وتناسب الأسماء والمحروف والأفعال ؛ وكيف ارتباط بعضها ببعض – على ^(٢) ما وضع رجل من يونان – حتى يصح ، بزعمه ، الصدق ، وينبذ الكذب . وصاحب ^(٣) المنطق يرى أن الطبيب والمنجم والمهندس وكل من فاه بلغظ ^٤ وأم غرضًا فقراء إليه ، محتاجون إلى ما في يديه .

قال (أبي أبو سليمان) : فَعَلَى هَذَا ، كَيْفَ يُسوغ لِإخْرَانِ الصَّفَّاءِ أَنْ

(١) يقصد قرائنات النجوم .

(٢) في المطبوع : موضوع . والرجل من يونان يقصد به أسطوطاليس ، صاحب المنطق – أبي بحسب ما وضع أسطوطاليس على اللغة اليونانية ما قد لا ينطبق على غيرها من اللغات .

(٣) أبي المنطق بوجه عام ، أو عالم المنطق .

ينصبوا من تلقاء أنفسهم دعوةً تجمع حقائق الفلسفة في طريق الشريعة؟ »

ويتابع فيقول : « ولقد اختلفت الأمة ضروباً من الاختلاف في الأصول والفروع ، وتنازعوا منها فنوناً من التنازع في الواضح والمشكّل من الأحكام ، والحلال والحرام ، والتفسير والتأويل ، والعيان والخبر ، والمادة والاصطلاح – فما فزّعوا في شيءٍ من ذلك إلى منجم ولا طيب ولا منطيقي ولا مهندس ولا موسيقي ولا صاحب عزيمة وشعبنة وسحر وكيمياً ، لأن الله تعالى تمّم الدين بنبيه – صلى الله عليه وسلم ، ولم يُحْوِّجه بعد البيان الوارد بالوحى إلى بيانٍ موضوعٍ بالرأي – . »

قال : وكما لم نجد في هذه الأمة من يفرز إلى أصحاب الفلسفة في شيءٍ من دينها ، كذلك أمة عيسى – عليه السلام ، وهي النصارى ، وكذلك المجوس .

قال : وما يزيدك وضوحاً ويريك عجباً أن الأمة اختلفت في آرائها ومذاهبها ومقاليتها فصارت أصنافاً فيها وفرقاؤها : كالمرجئة ، والمعزلة ، والشيعة ، والستّية والخوارج – فما فزّعت طائفَةً من هذه الطوائف إلى الفلاسفة ، ولا حقّقت مقالتها بشواهدِهم وشهادتهم ، ولا اشتغلت بطريقتهم ، ولا وَجَدَتْ عندهم ما لم يكن عندها بكتاب ربّها وأثر نبيّها .

وهكذا الفقهاء الذين اختلفوا في الأحكام من الحلال والحرام ، منذ أيام الصّدّر الأوّل إلى يومنا هذا ، لم نجد لهم تظاهروا بالفلسفة فاستنصرُوهم ، ولا قالوا لهم : أعينوا بما عندكم ، وشاهدوا ، لنا أو علينا ، بما قبلَكم .

قال : فأين الدين من الفلسفة؟ وأين الشيء المأخوذ بالوحى النازل ، من الشيء المأخوذ بالرأي الزائل؟

فإذا أدلّوا بالعقل فالعقل موهبةٌ من الله – جلّ وعزّ – لكل عبد ، ولكن بقدر ما يُدْرَك به ما يعلوه ، كما لا يخفى به عليه ما يتلوه . وليس كذلك

الوحى فإنه على نوره المنتشر وبيانه الميسّر .

قال : وبالجملة ، النبيُّ فوق الفيلسوف ، والفيلسوف دون النبيِّ ، وعلى الفيلسوف أن يتبع النبيَّ ، وليس على النبيِّ أن يتبع الفيلسوف ، لأن النبيَّ مبعوث ، والفيلسوف مبعوث إليه .

قال : ولو كان العقل يُكتفى به لم يكن للوحى فائدةٌ ولا غناءً . على أن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصواتهم مختلفة فيه . ولو كُننا نستغني عن الوحى بالعقل ، كيف كُننا نصنع ، وليس العقل بأسره لواحدٍ منا وإنما هو بجميع الناس ؟ ! فإن قال قائل بالعبد والجهل : كل عاقل موكلٌ إلى قدر عقله ، وليس عليه أن يستفيد الزيادة من غيره ، لأنَّه مكفيٌ ؛ وغيرٌ مطالبٌ بما زاد عليه — قيل له : كفاك تعاذياً في هذا الرأي أنه ليس لك فيه موافقٌ ، ولا عليه مُطابِق . ولو استقلَّ إنسانٌ واحدٌ بعقله في جميع حالاته في دينه ودنياه ، لاستقلَّ أيضاً بقوته في جميع حاجاته في دينه ودنياه ، ولكان وحده يفي بجميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحدٍ من نوعه وجنسه . وهذا قولٌ مزدوجٌ ورأيٌ مخدولٌ » .

فلما رد عليه تلميذه البخاري قائلاً : « وقد اختلفت أيضاً درجات النبوة بالوحى ، وإذا ساغ هذا الاختلاف في الوحى ولم يكن ذلك ^(١) ثالماً له ، ساع أيضاً في العقل ولم يكن مؤثراً فيه » — صاح فيه أبو سليمان : « يا هذا ! اختلفت درجات أصحاب الوحى لم يخرجهم عن الثقة والطمأنينة من اصطفاهم بالوحى ، وخصتهم بالمناجاة ، واجتباهم بالرسالة ، وأكملتهم بما ألبسهم من شعار النبوة . وهذه الثقة والطمأنينة مفقودتان في الناظرين بالعقول المختلفة ، لأنهم على بعدٍ من الثقة والطمأنينة إلا في الشيء القليل والتزير اليسير ؛ وعوارُ هذا الكلام ظاهرٌ ، وخطَّلُ هذا المتكلّم بينَ » .

(١) أي قد حاً فيه .

وخلاصة رأي أبي سليمان السجستاني هو :

أ – أن الدين شيء والفلسفة شيء آخر ؛ إذ الدين يقوم على الوحي ، والفلسفة تقوم على العقل . والوحي يقرر في ثقة واطمئنان ، بينما العقل لا يستطيع القطع بشيء . ومراتب الناس في العقل متفاوتة ، ومن هنا اختلفت آراؤهم في الفلسفة . بينما الوحي ، وإن اختلفت درجاته ، فهو دائماً يصدر عن ثقة وطمأنينة بما يلقى إليه .

ب – ولا حاجة بالشريعة إلى الفلسفة بكل فروعها : من منطق وطب ورياضيات وكيمياء وموسيقى . وهذا لم نر أهل الشريعة يفزعون إليها في الفصل في الأحكام أو تقرير الحلال والحرام . حتى أصحاب المذاهب الكلامية لم يفزوا إلى الفلسفة ولا اشتغلوا بطريقتها .

ج – والدين لا يسمح بالسؤال عن لِمَ وكيف ولو وليت ؛ لأنه قائم على التقرير المطلق ؛ فلا محل لاعتراض أو تعليل أو تشكيك .

وموقف أبي سليمان هذا موقف غريب من شخص مشارك في الفلسفة ، ولهذا قال الوزير أبو عبدالله العارض حين سمع ما عرضه أبو حيان من رأي أبي سليمان : « ما عجبني من جميع هذا الكلام إلاّ من أبي سليمان في هذا الاستحقاق والتفضُّل ، والاحتשاد والتعصُّب ، وهو رجلٌ يُعرف بـ«المنظقي» وهو ^(١) من علمان يحيى بن عدي النصراني ، ويقرأ عليه كُتبَ يونان وتفسيرَ دقائق كُتبِهم بغاية البيان ^(٢) ». .

فيحاول أبو حيان أن يفسّر موقف أبي سليمان على أساس أن هذا يميّز بين الفلسفة والشريعة على أساس أن كليهما حق ، ولكنهما مختلفان في المصدر الذي تعتمد عليه كل واحدة منهما :

(١) هذا يدل على أن تلقيف أبي سليمان بهذا اللقب كان في حياته وكان شائعاً به بين عامة الناس .

(٢) التوحيد : « الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨ .

قال أبو حيان : « إن أبي سليمان يقول إن الفلسفة حقٌّ لكنها ليست من الشريعة في شيء ، والشريعة حقٌّ لكنها ليست من الفلسفة في شيء . وصاحبُ الشريعة مبعوثٌ ، وصاحبُ الفلسفة مبعوثٌ إِلَيْهِ . وأحدهما مخصوص بالوحى ، والآخر مخصوص ببحثه . والأول مَكْفُيٌّ ، والثانى كادح . وهذا يقول : أَمِرْتُ وَعُلِّمْتُ ، وقيل لي ، وما أقول شيئاً من تلقاء نفسي . وهذا يقول : رأيتُ ونظرتُ واستحسنتُ واستقبحت . وهذا يقول : نور العقل أهتدى به . وهذا يقول : معي نورُ خالق الخلق أمشي بضيائه . وهذا يقول : قال الله تعالى ، وقال الملك . وهذا يقول : قال أفلاطن وسocrates . ويُسمَّى من هذا ظاهر تنزيلٍ ، وسائغٌ تأويلٍ ، وتحقيق سُنَّةٍ ، واتفاق أمةٍ . ويُسمَّى من الآخر : الهيوان والصورة ، والطبيعة والاسطُقُسُ ، والذانى والعرَاضي ، والأيسى والليسي^(١) — وما شاكل هذا مما لا يُسمَّى من مُسْلِمٍ ولا يهوديَّ ولا نصرانيَّ ولا مجوسيَّ ولا مانويَّ^(٢) . »

ثم يعرض رأى أبي سليمان النهائى في هذه المسألة ، ويخلص في القول في ذات الشخص الواحد بميدانين منفصلين ، أحدهما ميدان الدين ، والآخر ميدان الفلسفة . وهما لا يندجان ولا يتداخلان ، بل يظل لكل واحد منها أحکامه الخاصة وأدواته وموضوعاته ومناهجه :

يقول أبو سليمان فيما رواه التوحيدي : « من أراد أن يتأمل في يجب عليه أن يُعرض بنظره عن الديانات . ومن اختار التدين فيجب عليه أن ينفرد (= ينصرف) بعنياته عن الفلسفة ، ويتحلى بها مفترقيَّن في مكائن على حالين مختلفين ، ويكون بالدين متقرّباً إلى الله تعالى على ما أوضّحه له صاحب الشريعة عن الله تعالى ، ويكون بالحكمة متصفّحاً لقدرة الله تعالى في هذا العالم الجامع

(١) الأيسى = الوجودي . الليسي = اللاوجودي .

(٢) التوحيدي : « الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨ .

للزينة الباهرة لكل عين ، **المُحَبِّرَة** لكل عقل . ولا يهدم أحدهما بالآخر ، أعني لا يمحقهما **أَنْقَى** إِلَيْهِ صاحبُ الشريعة مجملًا ومفصلاً ، ولا يَغْفَلُ عما استخرن اللهُ تعالى هذا **الخَلْقَ الْعَظِيمَ** على ما ظَهَر بقدرته ، واشتمل بحكمته ، واستقام بمشيئته ، وانتظم بيارادته ، واستتمّ بعلمه . ولا يعترض – على ما يَبْعُدُ في عقله ورأيه من الشريعة ، وبدائع آيات النبوة – بأحكام الفلسفة ، فإن الفلسفة مأخوذة من العقل المقصور على الغاية ، والديانة مأخوذة من الوحي الوارد من العِلْمِ بالقدرة .

قال : ولعمري إن هذا صعب . ولكنه جماعُ الكلام وأَخْذُ المستطاع وغايةُ ما عرَض له الإنسان المؤيد باللطائف ، المزاح بالعلل ، وبضرور التكاليف .

قال : ومنْ فضل نعمة الله تعالى على هذا الخلق أنه نَهَجَ لهم سبيلين ونَصَبَ لهم عَلَمَيْن ، وأَبَانَ لهم نجَدَيْن ليصلوا إلى دار رضوانه إِمَّا بسلوكهما وإِمَّا بسلوكِ أحدهما »^(١) .

وهكذا نجد أبا سليمان ، كما لاحظ التوحيدى ، « قد أفرز الشريعة من الفلسفة ، ثم حث على انتهاهما معاً . وهذا شبيه بالمناقضة »^(٢) . وقد هاجم فيه هذا التناقض أحد أصحاب أبي بكر محمد بن زكرياء الرازى ، الطبيب الفيلسوف المشهور ، وهو أبو غانم الطبيب ، وقد ورد إلى بغداد من الريّ ، وراح يشاد أبا سليمان في هذا التناقض « ويضايقه ، ويلزمه القول بما ينكره على الخصم »^(٣) . وقد عرض أبو حيان على الوزير أن يسجل كلامهما في ورقات ؛ لكن الوزير اكتفى بما سمع ، وكنا نودّ لو أنه سمح لأبي حيان بعرض جدهما ، إذن لكتنا أفدنا كثيراً في سبيل إيضاح موقف أبي سليمان ، ومعرفة ما كان يثار من حُجَّج

(١) التوحيدى : « الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ١٨ - ١٩ .

(٢) الكتاب نفسه ج ٢ ص ٢٣ .

(٣) التوحيدى : « الامتناع والمؤانسة » ج ٢ ص ٢٣ .

بين المفكرين المسلمين حول هذه المسألة الشائكة .

على أن أبا سليمان قد حدّ الفلسفة في احدى «المقابسات» (رقم ٤٨ ، ص ٢٢٣) بأنها «محدودة بحدود ستة ، كلها تدلّك على أنها بحثٌ عن جميع ما في العالم مما ظهر للعين ، وبطَنَ للعقل ، ومركب بينهما ، ومثال إلى حد منها – على ما هو عليه ، واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ، ومسموعه ومرئيه ، موجوده ومدعومه ، من غير هو يُمال به على العقل ، ولا إلَف يفتقر معه إلى جنائية التقليد ؛ مع إحكام العقل الاختياري ، وترتيب العقل الطبيعي ، وتحصيل ما ندّ وانقلب من غير أن تكون أوائل ذلك موجودة حِسَّاً وعياناً، وإن كانت محققة عقلاً وبياناً ، مع أخلاق إلهية واختبارات علوية ، وسياسات عقلية ؛ ومع أشياء كثيرة ذكرُها وتعدادها ، ولا يُبلغ أقصى ما لها من حقّها في شرفها » .

ويحمل على طريقة المتكلمين ، لأنها « مؤسسة على مكابحة اللفظ باللفظ ، وموازنة الشيء بالشيء ، إما بشهادة من العقل ^(١) مدخلة ، وإما بغير شهادة أبلته ؛ والاعتماد على البحدل ، وعلى ما يسبق إلى الحسّ أو يحكم به العيان ، أو على ما ينسح به الخاطر المركب من الحسّ والوهم والتخيّل ، مع الإلْف والعادة والمنشأ وسائر الأعراض التي يطول إحصاؤها ويشقّ الاتيان عليها . وكل ذلك يتعلق بالمحاجة والتدافع ، وإسكات الخصم بما اتفق ، وإتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجع له ، مع بوادر لاتيق بالعلم ، ومع سوء أدب كثير ؟ نعم ! ومع قلة تأله ^(٢) وسوء ديانة وفساد دخلة ، ورفض الورع بحملته ^(٣) ». فطريقة المتكلمين إذن جدلية ، عقيمة ، لا تستند إلى الدليل المحكم لا من العقل ولا شهادة الحسّ ، وغايتها إفحام الخصم من أي طريق وبأية

(١) أي زائفنة موجهة .

(٢) التأله : التقوى والورع والديانة .

(٣) التوحيدى : « المقابسات » ص ٢٢٣ ، نشرة السنديوبى ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

وسيلة ، صحت أو أخطأت . هذا مع التشغيب على الخصم والطاول باللفظ عليه . وكل هذا في غير ورع ولا نزاهة طعمة . أما طريقة الفلسفة فغايتها الوصول إلى الحق جملةً وتفصيلاً ، والبحث في الموجود والمعدوم ، من غير ميل مع الهوى أو مع التقليد، بل بتحكيم للعقل الاختياري واستناد إلى العقل الطبيعي . ويصاحب ذلك أخلاق إلهية وسموًا إلى ما هو أعلى .

ومثل هذه الحملة على المتكلمين نراها مرة أخرى في « الامتناع والمؤانسة » مزودة بشواهد من تاريخ مجادلات المتكلمين المسلمين ، وقد أطال أبو سليمان في ايراد هذه الشواهد مما لا يسمح هذا الموضوع بإيراده ، فتحيل القارئ عليه هناك ^(١) . ولهجته في هذا الموضوع أشدّ حدة ، وخلاصة رأيه هنا أن الدين موضوع على القبول والتسليم والبالغة في التعظيم . وهذا لا يخص دينًا دون دين ، ولا مقالة دون مقالة ، بل هو سار في كل شيءٍ في كل حالٍ وفي كل زمان . وكل منْ حاول رفعَ هذا فقد حاول رفع الفطرة، ونفي الطباع وقلب الأصل . ويؤكّد أبو سليمان أنه « لصلاحه عامةٌ نهي عن المراء والجدل على عادة المتكلمين ، الذين يزعمون أنهم ينصرون الدين ، وهم في غاية العداوة للإسلام وال المسلمين ، وأبعدُ الناس من الطمأنينة واليقين » (ج ٣ ص ١٨٨ ، ١٨٩) . ثم يسوق الشواهد التي تدل على شوئم الكلام ونكد جدل المتكلمين وشبعهم :

(١) التوحيدى : « الامتناع والمؤانسة » ج ٣ ص ١٨٧ - ١٩٥ . القاهرة ، سنة ١٩٤٤ .

العقل

والعقل عند أبي سليمان ينقسم إلى نفس الأقسام التي ينقسم إليها عند الكندي وعند الفارابي ، وهو التقسيم الذي ساد الفلسفة اليونانية عند شراح أرسطو ابتداءً من القرن الثالث الميلادي .

فهو يقسم العقل^(١) إلى الأقسام الثلاثة التالية :

ا - العقل الفعال ، وهو في نسبة الفاعل ، وهو الأولى بالنسبة إلى سائر العقول ؛

ب - العقل الهيولياني ، وهو في نسبة المفعول ، وهو الأخير في سلسلة العقول ؛

ج - وبينهما العقل المستفاد ، وهو في نسبة الفعل والقوة معاً .

وما هو في حيز القوة يحتاج أن يخرج إلى الفعل ، وهذا يحتاج إلى شيء موجود بالفعل ليخرجه من القوة إلى الفعل - وهذا الشيء هو العقل الفعال .

على أن العقل الفعال ، وإن كان في القمة من السُّمُّ وعلو المكانة ، فإن فيه انفعالاً . لكنه الانفعال الأول الذي ليس فوقه انفعال "البنة" . وكلما

(١) راجع المقابلة رقم ٨٣ ، ص ٢٨٩ من نشرة السنديobi .

هبط الانفعال في المنفعل بعد المفعول بعُد عن الشرف الذي كان بالنسبة الأولى في الأول . وهكذا يتدرج في مراتب للمنفعلين حتى يُنتهي إلى المرتبة الدنيا من الانفعال .

وبالمثل « إذا اعتبرت فاعلاً » بعد فاعل حتى تنتهي من عندك إلى الدرجة القصوى ، مررت بأقسام الفاعلين ومراتبهم ^(١) .

العقل والبديةة

ولى جانب الحسّ والعقل بوصفهما أداتي المعرفة ، يقول أبو سليمان بالبديةة *intuition* أو الوجودان . فالمعرفة إما أن تم بالروية والتفكير والتصفح والقياس ، أو تم بالخاطر والبديةة والإلهام والوحي حتى كان الموضوع كان حاضراً بنفسه مترصدأً للبروز والظهور .

و « البديةة تحكي الجزء الإلهي بالانجاس ، وتزيد على ما يغوص عليه القياس ويسبق الطالب المتوقع . والروية تحكي الجزء البشري ، وكذلك الفكر والتتبع والاستمداد المتوقع ». ولا تتوافر القوتان معاً في الإنسان الواحد بدرجة عالية ، أي لا يوجد الإنسان غايةً في البديةة غاية في الروية ، لأن أحدي القوتين إذا اشتغلت قمعت الأخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى .

ولما سأله التوحيدى : أي القوتين أشرف ؟ أجاب أبو سليمان قائلاً : « كلتاهما على غاية الشرف . إلا أن البديةة أبعد من معانى الكون والفساد ، وأغنى عن ضروب الاجتهاد والاستدلال . والروية أصدق بكمال الجواهر ، وأشدّ تصفية للصفة من الكدر . ثم قال : والروية والبديةة تجريان من الإنسان مجرى منامه ويقظته ، وحُلمه وانتباهه ، وغيبيه وشهوده ، وانبساطه وانقباضه . ولا بد من هاتين الحالتين . ومنْ ضعُف فيهما ، فاته الحظ المطلوب في

(١) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابسة رقم ٤٧ ، ص ٢٢٢ .

الحياة ، والشمرة الحلوة من السعْي ^(١) .

ومن تأمل هذه النعوت التي نسبها أبو سليمان السجستاني إلى البداهة وجد فيها مشابه لما يصف برجسون به *la intuition* ؛ لكنها أقرب إلى ما وصف به أفلاطين الوجودان .

العقل إلهي

وإلى جانب هذا التحديد للعقل ، نجد أبو سليمان يخلع على العقل من النعوت ما يخلعه أفلاطين على « النوس » *Nous* ، فيصف العقل بأنه قوة إلهية ، ويقول إن « العقل هو خليفة الله » ، وهو القابل للفيض الحالص الذي لا شوب فيه ولا قدى . وإن قيل (أي عن العقل) : إنه نور في الغاية ، لم يكن بعيد . وإن قيل بأن اسمه مُغْنٌ عن نعته لم يكن بمُنْكِر ^(٢) « والعقل شمس ، إشراقة دائم ، ونوره منتشر ، وطلوعه سرمد ، وكسوفه معدوم ، وتجليّه غير متوقف .

وواضح ما في هذا الكلام من تأثر بما ورد في « أثولوجيا » المنسوب إلى أرسسطوطاليس والذي هو في الحقيقة فصول منتزة من « تسعات » أفلاطين ^(٣) .

(١) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٥٥ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٢) التوحيدى : « الامتناع والمؤانسة » ج ٣ ص ١١٦ ، القاهرة سنة ١٩٤٤ .

(٣) راجع كتابنا : « أفلاطين عند العرب » ط ١ سنة ١٩٥٥ ، ط ٢ سنة ١٩٦٦ ، القاهرة .

النفس والروح والجسم

في محاولة أبي سليمان تعريف النفس ، يبدأ فيستعرض آراء الفلاسفة اليونانيين في النفس وتعريفهم لها ، ويذكر منها التعريفات التالية :

- ١ - النفس مزاج الأركان – والأركان أي العناصر ؟ وهذا التعريف نجده عند أبادقليس .
- ٢ - النفس تألف الأسطقفات – ويمكن أن تقول إنه تعريف ديكريطس.
- ٣ - النفس عدد محرك ذاته – وهو تعريف الفثاغوريين.
- ٤ - النفس هوائية – ويمكن أن يكون تعريف انكسمندريس وانقسامس.
- ٥ - النفس طبيعة دائمة الحركة .
- ٦ - النفس تمام "بحس" طبيعي ذي حياة – وهو تعريف أرسطو طاليس المشهور للنفس .

ومن الملاحظ أن أبو سليمان استمد هذه التعريفات من كتاب « الآراء الطبيعية » المنسوب إلى فلوفطرونخس ، والذي ترجمه إلى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي ، ونشرنا نحن هذه الترجمة في ضمن كتابنا : « أرسطو : في النفس ... » (القاهرة ، سنة ١٩٥٤) .

لكنه يختار تعريفاً لها قريباً مما ورد في « اثولوجيا » أرسطو طاليس ،

فيقول : « إن النفس قوة إلهية واسطة بين الطبيعة المُصرفة للاسطقطسات والعناصر المتهيئة ، وبين العقل المنير لها ، الطالع عليها ، الشائع فيها ، المحيط بها . وكما أن الإنسان ذو طبيعة لأثارها الظاهرة في بدنـه ، كذلك هو ذو نفس لآثارها الظاهرة في آرائه وأبحاثـه ، ومطالبه وماربه ، وكذلك هو ذو عقل لتمييزه وتصفـحـه واختبارـه وفحصـه واستنباطـه ، ويقينـه ، وشكـه ، وعلمه وظنه ، وفهمـه ورويـته ، وبديـته وذكـره ، وذهـنه وحفظـه وفـكرـه ، وحكمـه ولغـته وطمـأنـيـته ^(١) » .

وأما فعل النفس فهو « إثارة العلم من مظانـه ، واستخلاصـه من العـقل بشهادـته ، مع إفاضـاتـها أخـرـ ، وإنـلاتـ منها جـليلـةـ عندـ الإـنـسانـ ، بها يـنـالـ ما يـكـمـلـ بهـ ، وبـكـمالـهـ يـجـدـ السـعادـةـ ، وبـسعـادـتـهـ يـنـجـوـ منـ شـقوـتـهـ ^(٢) (الموضع نفسه) .

ويفرقـ بينـ النـفـسـ وـالـرـوـحـ ، عـلـىـ أـسـاسـ «ـ أـنـ الرـوـحـ جـسـمـ يـضـعـفـ وـيـقـوـىـ ، وـيـصـلـحـ وـيـفـسـدـ ، وـهـوـ وـاسـطـةـ بـيـنـ الـبـدـنـ وـالـنـفـسـ ؛ وـبـهـ تـفـيـضـ النـفـسـ قـواـهاـ عـلـىـ الـبـدـنـ ؛ وـقـدـ يـحـسـ وـيـتـحـرـكـ ، وـيـلـذـ وـيـتـأـلمـ ^(٢) ». وـوـاـضـحـ مـنـ هـذـاـ التـعـرـيفـ أـنـ الرـوـحـ عـنـهـ هـوـ مـاـ يـعـرـفـ بـالـرـوـحـ الـحـيـوـانـيـ ؛ وـتـبـعـاـ لـذـلـكـ هـوـ فـيـ مـرـتـبـةـ وـسـطـيـ بـيـنـ النـفـسـ وـبـيـنـ الـبـدـنـ . أـمـاـ النـفـسـ «ـ فـشـيـءـ بـسيـطـ » ، عـالـيـ الرـتـبـةـ ، بـعـيدـ مـنـ الـفـسـادـ ، مـتـرـزـهـ عـنـ الـاسـتـحـالـةـ » (الموضع نفسه جـ ٣ صـ ١١١ـ).

وـلـاـ يـمـكـنـ النـفـسـ أـنـ تـكـوـنـ جـسـمـاـ ، لـأـنـ النـفـسـ بـسيـطـةـ ، وـالـجـسـمـ مـرـكـبـ . وـهـذـاـ فـيـانـ «ـ كـلـ نـعـتـ أـطـلقـ عـلـىـ الـجـسـمـ نـزـهـتـ عـنـ النـفـسـ ، وـكـلـ نـعـتـ أـطـلقـ عـلـىـ النـفـسـ نـبـاـ عـنـهـ الـجـسـمـ » (الموضع نفسه) .

وـمـاـ دـامـتـ النـفـسـ بـسيـطـةـ ، فـهـيـ باـقـيـةـ خـالـدـةـ . ذـلـكـ أـنـ هـاـ كـانـتـ بـسيـطـةـ فـيـهـ

(١) التوحيدـيـ : «ـ الـامـتـاعـ وـالـمـؤـانـسـةـ » جـ ٣ صـ ١١٠ـ .

(٢) الـكتـابـ نـفـسـهـ جـ ٣ صـ ١١١ـ .

« لا يدخل عليها ضدّ ، ولا يدبّ إليها فساد ، ولا يصل إلى شيء بها بليًّا . والإنسان إنما يَبْلُى ويفسُدُ ويَخْلُقُ ويُطْلُ ويُمُوتُ ويفقد ، لأنَّه يفارق النفس . والنفس تفارق ماذا ، حتى تكون في حكم الإنسان بشكله ؟ ولو كانت كذلك ، لكان عمرِي ثُمَوتُ وتُبلى . » (الموضع نفسه) .

والنفس إذا وصلت إلى معدن الكراهة وجنة الخلد ، فلا حاجة بها إلى عِلْمِ العالم السُّفْلِي الذي لا ثبات له ولا صورة ، لغلبة الحيلولة عليه ، وتذكر الحيلولة حيلولة — وذلك دليلُ النَّفْس ، واعتراضُ الْأَلْم . ولو أن إنساناً نُقلَّ من كَرْبَ حَبْسٍ ضيقٍ إلى روضِ بستانِ ناضرٍ بِهِيجِ مونق ، ثم تذكّر ما كان فيه في حال ما هو عليه — لكان ذلك مُؤذِيَّاً لنفسه ، وكارباً لقلبه ، وقدحًا في روحه ، وآخذًا من جوره وغبطته ، ومُؤهلاً لتنغيص عليه في نشوته » (الكتاب نفسه ج ٣ ص ١١٢) .

والنفس قابلة للفضائل والرذائل ، والخيرات والشرور . وللنفس الحيوانية أخلاق لا تستحيل ولا تتغير ، يقصد بذلك : الغرائز . وللنفس الناطقة أخلاق ترقى بها وتكمُلُ^(١) .

إثبات وجود النفس

وقد تناول أبو سليمان موضوع اثبات وجود النفس مستقلة عن البدن ، وبيان حقيقتها غير الجسمية فيما نقله التوحيد في « الإمتاع والمؤانسة » (ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٥) — وهذا نحن أولاء للشخص رأيه :

يقول : إننا نعرف باليقظة التامة — أي بما يسميه علم النفس الحديث باسم : الاستيطان *introspection* — أنَّ فينا شيئاً ليس بجسم له أبعاد ثلاثة : طول وعرض وسمك (= عمق) ، شيئاً لا يجزأ إلى أجسام ، ولا إلى

(١) التوحيد : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٦١ ، ص ٢٤٦ من نشرة السنديobi .

أعراض ، ولا حاجة به إلى قوة جسمية ، لكنه جوهرٌ مبسوط (= بسيط) ، غير مُدرك بمحاسن من الأحساس .

ولما وجدنا فيما شيئاً غيرَ الجسم ضدّ أجزاءه بِحدَّاته وخاصَّته ، ورأينا له أحوالاً تبَيَّنَ أحوالَ الجسم حتَّى لا تشارك في شيء منها ، وكذلك وجدنا مبادئ للأعراض ، ثم رأينا منه هذه المبادئ للأجسام والأعراض إنما هي من حيث كانت الأجسام أجساماً والأعراض أعراضًا — قضينا أنَّها هنا شيئاً ليس بجسم ولا جزء من الجسم ؛ ولا هو عَرَضٌ ، ولذلك لا يقبل التغيير ولا الحيلولة ؛ — ووجدنا هذا الشيء أيضاً يطَّلع على جميع الأشياء بالسواء ولا يناله فتورٌ ولا ملألاً . ويتبَيَّنُ هذا بشيء أقوله : كل جسم له صورة فإنه لا يقبل صورة أخرى من جنس صورة الأولى أبداً إلاً بعد مفارقة الصورة الأولى — مثال ذلك إنَّ الجسم إذا قَبِيلَ صورة أو شكلًا كالثليث ، فليس يقبل شكلًا آخر : من التربع والتدوير ، إلاً بعد مفارقة الشكل الأول . وكذلك إذا قَبِيلَ نقشاً أو مثلاً فهذا حاله ؛ وإن بقي فيه من رسم الصورة الأولى شيء لا يقبل الصورة الأخرى على النظم الصحيح ، بل تُنقش فيه الصورتان ، ولا تمَّ واحدة منهمما . وهذا يَطَّرد في الشَّمْع وفي الفضة وغيرَها ، إذا قَبِيلَ صورة نقشٍ في الخاتم . ونحن نجد النفس تقبل الصورة كلَّها على التمام والنظام من غير نقص ولا عجز ». وهذه الخاصَّة ضدُّ لخاصَّة الجسم . وهذا يزدادُ الإنسان بصيرة كلَّما نظر وبَحثَ وارتَأى وكَشَفَ .

ويتبَيَّنُ أيضاً عن كثَبٍ أنَّ النفس ليست بعَرَضٍ ، لأنَّ العَرَضَ لا يوجد إلا في غيره ، فهو محمولٌ ، لا حامل ، وليس هو قواماً . وهذا الجوهر الموصوف بهذه الصفات هو الحامل لما لها أن تَحْمِل ؛ وليس له شِبَهٌ من الجسم ولا من العَرَض .

و ... إذا صدق النظر ، وكان النظر عارياً من الهوى ، وصح طلبه للحق بالعقل الغالب ، فإنه لا يخفى عليه الفرقُ بين النفس المحرَّكة للبدن ، وبين

البدن المتحرّك بالنفس .

... ولما عَرَضَت الشَّبَهَةُ لِقَوْمٍ قَصْرَ نَظَرِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَظٌّ وَلَا اطْلَاعٌ ،
ظَنَّوا أَنَّ الرَّبَاطَ الَّذِي بَيْنَ النَّفْسِ وَالْبَدْنِ إِذَا انْحَلَّ فَقَدْ بَطَّلَ جَمِيعاً .

وَهَذَا ظَنٌّ فِيهِ عَسْفٌ ، لِأَنَّهُمَا لَمْ يَكُونَا فِي حَالٍ الْإِرْتِبَاطِ عَلَى شَكْلٍ وَاحِدٍ
وَصُورَةٍ وَاحِدَةٍ ، أَعْنِي أَنَّهُمَا تَبَاهِيَا فِي تَصَاحِبِهِمَا ، وَتَصَاحِبَا فِي تَبَاهِيِّهِمَا . أَلَا
تَرَى أَنَّ الْبَدْنَ كَانَ قِوَامِهِ وَنَظَامِهِ وَتَمَامِهِ بِالنَّفْسِ ؟ هَذَا ظَاهِرٌ .

وَلَيْسَ هَذَا حُكْمَ النَّفْسِ فِي شَأْنَهَا مَعَ الْبَدْنِ ، لِأَنَّهَا وَاصِلَتْهُ فِي الْأُولَى
عِنْدَ مَسْقَطِ النَّطْفَةِ فَمَا زَالَتْ تَرْبِيَهُ وَتَغْذِيَهُ ، وَتُخْسِنَهُ وَتُسْوِيَهُ ، حَتَّى يَبلغَ الْبَدْنُ
إِلَى مَا تَرَى ، وَوُجُودُ الْإِنْسَانِ بِهَا ، لِأَنَّ النَّفْسَ وَحْدَهَا لَيْسَ بِإِنْسَانٍ ، وَالْبَدْنُ
وَحْدَهُ لَيْسَ بِإِنْسَانٍ ، بَلْ إِنْسَانٌ بِهِمَا إِنْسَانٌ . فَإِذَا ذَنَبَ إِنْسَانٌ نَصِيبُهُ مِنَ النَّفْسِ
أَكْثَرُ مِنْ نَصِيبِهِ مِنَ الْبَدْنِ » ^(١) .

وَهَذَا الْحَجَجُ نَجَدُهَا عِنْدَ أَفْلَاطُونَ وَعِنْدَ أَرْسَطِو فِي كِتَابِهِ فِي «النَّفْسِ» . وَقَدْ
ذَكَرَ التَّوْحِيدِيُّ فِي «الْمَقَابِسَاتِ» ^(٢) أَنَّهُ قَرَأَ عَلَى أَبِي سَلِيمَانَ كِتَابَ «النَّفْسِ» لِأَرْسَطِو
فِي سَنَةِ احْدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَمَائَةٍ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ – وَلَا بَدَ أَنْ ذَلِكَ كَانَ فِي التَّرْجِمَةِ
الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَازَّةِ الَّتِي قَامَ بِهَا اسْحَاقُ بْنُ حَنْبِيلٍ ، وَنَشَرَ فَاهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ ^(٣) سَنَةٌ
١٩٥٤ .

(١) التَّوْحِيدِيُّ : «الْإِمْتَاعُ وَالْمَوَانِسَةُ» ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣؛ الْقَاهِرَةُ، سَنَةٌ ١٩٣٩ .

(٢) التَّوْحِيدِيُّ : «الْمَقَابِسَاتِ»؛ الْمَقَابِسَةُ رقم ٦١ ، ص ٢٤٦ مِنْ طَبْعَةِ السَّنَدُوبِيِّ سَنَةٌ ١٩٢٩ .

(٣) بِعِنْوَانِ : «أَرْسَطُو طَالِيُّسْ : فِي النَّفْسِ ...» ، الْقَاهِرَةُ ، ط ١ سَنَةٌ ١٩٥٤ .

مسائل في الطبيعة

أ) الطبيعة

عند أبي سليمان أن الطبيعة اسم مشترك يدل على معانٍ مختلفة ، راح يعددها فذكر أنها تدل :

١ - على ذات كل شيء ، عرضاً كان أو جوهراً ، بسيطاً كان أو مركباً ؛ كما يقال : طبيعة الإنسان ، وطبيعة الفلك ، وطبيعة البياض ، وطبيعة الحرارة .

٢ - على المركب من الأشياء المختلفة ؛

٣ - على المزاج الأول اللاحق لكل مركب من الاستقصارات ؛

٤ - على المزاج العام لنوع الإنسان ؛

٥ - على المزاج الخاص بشخصٍ شخصٍ من نوع الإنسان ، كما يستعمله الطبيب ؛

٦ - أما بحسب النظر الطبيعي العام الذي يختص الفيلسوف الطبيعي فإن الطبيعة هي المعنى الذي حدّه أرسطو طاليس فقال إن الطبيعة هي « مبدأ الحركة والسكنون للشيء الذي هو فيه ، أولاً وبالذات ، لا بطريق العَرَض ». وهذا المعنى يَعُمُّ قِسْمي المركب ، أعني المادة والصورة . فإن المادة مبدأ للحركة

والسكون ، والصورة مبدأ التحرير والتسكين . والأولى بهذا الاسم عند أرسطو طاليس الصورة دون المادة ^(١) .

٧ — وينتهي أبو سليمان إلى حد الطبيعة بأنها « حياة تنفذ في الأجسام » فتعطيها التخلق والتصور بالصورة الخاصة بوحد واحد منها ، وكأنها القوة السارية من المبدأ الأول إلى جميع الأشياء المفعولة بها والقابلة لها ، المرابطة بينه وبينها . وهي — بوجه ما — الصورة المولدة من جزئي المركب ، التي هي غير كل واحد منها على الأفراد ^(٢) .

ب) الزمان والدهر

يورد أبو سليمان تعريفين للزمان ، الأول هو أن « الزمان هو عدد حركة الفلك المترقي ^(٣) بالتقديم والتأخير ». وهذا هو تعريف أرسطو المشهور للزمان بأنه « عدد الحركة بحسب المتقدم والمتاخر ». الثاني قول بعض الناس إنه « مدة تعدد حركة » ..

ويعرض أبو سليمان على هذا التعريف الثاني قائلاً إن « هذا الحد يوهم أن الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر . وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة » .

ولهذا يفرق في الأشياء الحادثة على ضربين : فمنها ما هي جارية مع الدهر ، وتتعلق في وجودها بالذات الأولى . وهذه الأشياء لا يلزمها التناهي وغير التناهي ، ولا القبيل والبعد الذي من قبيل الزمان . إنما هي مضافة في وجودها إلى وجود الذات الأولى . والضرب الثاني : الأشياء الحادثة في الزمان ،

(١) التوحيد : « المقابسات » ، المقابلة رقم ٧٩ ، ص ٢٨٥ .

(٢) الكتاب نفسه ، ص ٢٨٥ .

(٣) في طبعة السندربي : المشرقي — وهو تحرير .

وهو محصور بين ظرفين : « قبل » و « بعد » .

أما الدهر فهو إشارة امتداد وجود ذات من الذوات . وينقسم إلى قسمين : مطلق وبسيط – من قبل أن الذوات إما أن تكون موجودةً وجود إطلاق ، أو بالحقيقة من غير أن تقرن بمبدأً ونهاية ؛ – وإما أن تكون متناهية . فإذا فهم وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء – فهو الدهر المطلق . وإذا فهم امتداد وجود ذات ذي نهاية ، فيكون الدهر الذي بالإضافة والشرط . ومثال الأخير أن نقول إن فلاناً دهره يفعل كذا ، أو كنتُ أفعل الدهر كذا . ومثال الدهر المطلق ما يرجع إلى الذات التي هي أقدم الذوات وأتمها وأمدّها إلى غير نهاية ومن غير بدء^(١) .

وعلى هذا فالدهر إما مطلق ، وإنما نسبيّ . فالمطلق هو الدائم والأندمة الأبدية ، وليس له بدء ولا نهاية ، ويطلق على القديم الأزلي الأبدية . أما النسبي فهو الذي يتعلّق بفعلٍ في وقت محدود له بداية ونهاية .

وهو في هذا كله متأثر بأفلاطين وبرقلس فيما ترجم لهما إلى العربية^(٢) :

(١) راجع المقابسة رقم ٧٣ ، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢) راجع كتابينا : « الفلسفونية المحدثة عند العرب » (برقلس) ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، « أفلوطين عند العرب » ط ١ ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ط ٢ سنة ١٩٦٦ .

مسائل في الالهيات

كيفية فعل الله

هل يفعل الله باضطرار ، أو باختيار ، أو لا بهذا ولا بذلك ؟

سؤال وجيه أبو زكريا الصميري إلى أبي سليمان ، وشرح سؤاله قائلاً إنه إن كان فعل الله كاستنارة الهواء عن الشمس فهو ضروري ، وإن كان كفعل أحدهنا فهو اختياري ؛ وما خلا هذين فغير معقول ، وما لا يعقل هو غير مقبول .

فأجاب أبو سليمان : « قد قال كبار الأوائل : إنه – أي الله – يفعل بنوع أشرف من الاختيار . وذلك النوع لا اسم له عندنا ، لأننا إنما نعرف الأسماء التي قد عهدنا أعيانها أو شبّهناها . والناس إذا عدموا شيئاً عدموا اسمه ، لأن اسمه الخواص فرعٌ عليه وعينه أصلٌ له؛ وإذا ارتفع الأصل ، ارتفع الفرع ... والخواص معرفة الأسماء ، ونحن نحسُّ بمعاني جمّة وفوائد كثيرة ، لا نستطيع صرفها عن أنفسنا ، وقد اتبّست بها وقرَّتْ في أفناها . ومع ذلك إذا حاولنا أسماءها عجزنا . بل قد نتعاضد من الأسماء الفائمة إشاراتٍ بصفاتٍ وتشبيهاتٍ تقوم لنا من بعدُ مقامَ الأسماء الفائمة » .

وفعل الله من هذا النوع : لا اسم له عندنا ، لأنه ليس عندنا نظيره ، ونحن لا نطلق الأسماء إلا على ما عندنا نظيره . وليس لنا أن نقول إن فعل الله

باضطرار ، لأن هذا يؤذن بالعجز في الله ، تعالى عن ذلك . كما ليس لنا أن نقول إن فعل الله باختياره لأن في الاختيار معنى قوياً من الانفعال . « فلم يبق بعد هذا إلا (أن نقول إن فعل الله) بنحو عاليٍ شريفٍ يضيق عنه الاسم مشاراً إليه ، والرسم مدلولاً به عليه » .

بل يتنهى به الأمر إلى القول بأنه لا يجوز حتى أن نقول إن الله « يفعل » ، لأنه « لا فاعل إلا » ويعتريه نوع من أنواع الانفعال في فعله ، كما أنه لا ينفع إلا وهو يعتريه نوع من أنواع الفعل في انفعاله . إلا أن الفعل في حالة الانفعال خفيٌّ جداً ، والفعل في المنفعل خفيٌّ جداً ، وكذلك الانفعال في حالة الفاعل خفيٌّ جداً . وإنما يطلق كل واحد منها : الفاعل والمنفعل ، بحسب ما هو الأعمّ فيه والعالب على جملته ^(١) .

(١) راجع المقابلة رقم ١٠ ص ١٤٩ - ١٥١ من نشرة السنديobi .

مسائل في الأخلاق

أ – غاية الإنسان

دعا أبو سليمان إلى التفكير والاعتبار في حال النفس الإنسانية ، إذ بهذا الاعتبار تظهر الأسرار ، وإذا عرف الإنسان نفسه عرف السبيل إلى صلاحها . وعلى الإنسان أن يجلو مرآة نفسه مما تلطخ بها من أدران الشهوات . ولهذا قال : « أعلم أنك لا تصل إلى سعادتك في نفسك وكما هي حقيقتك وتصفيه ذاتك ، إلا بتنقيتها من دران بدنك ، وصفائها من كدر جملتك ، وصرفها عن جملة هواك ، وفطمها عن ارتفاع شهوتك ، وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك ، وردها عن سلوك الطريق إلى هلكاتك وتلفك وثبورك وأضمحلالك ».

ب – الخير

ولكتنا لا نعثر – فيما لدينا من نصوص منقولة عن أبي سليمان – على تفاصيل الأخلاق التي يدعو إليها ، وما هنالك من نتف متناثرة في هذا الباب منسوبة إليه هي كلمات متناثرة تتناول بعض موضوعات الأخلاق ؛ ثم ما ورد في مقالته « في الكمال الخاصل بنوع الإنسان » التي نشرها هنا . ومن بين هذه

(١) التوحيدى : « المقابسات » المقابسة الأولى ، ص ١١٩ .

النصوص قطعة في الخير ، وفيها يميز بين نوعين من الخير : الخير بالحقيقة ، والخير بالاستعارة . فأما « الخير على الحقيقة فهو المراد لذاته ، والخير بالاستعارة ، هو المراد لغيره . فالمراد : منه ما يراد لذاته فقط ، وما يراد لغيره فقط ، ومنه ما يراد لذاته ولغيره . والذي يراد لغيره فقط بمنزلة (= مثل) الدواء ، والذي يراد لذاته فقط بمنزلة السعادة ، والذي يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة^(١) » .

ومع الأسف ضاعت رسالة « في اقتصاص طرق الفضائل » التي أشار إليها صاحب « تتمة صوان الحكمة » ؛ وكانت خلقة ، لو وجدت ، أن تزودنا بمزيد من البيان في هذا الباب .

٤

(١) الكتاب نفسه مقابسة رقم ٨١ ، ص ٢٨٦ .

الفرق بين النحو والمنطق *

ميّز أبو سليمان بين النحو والمنطق تميّزاً جيداً ، نصّبه في قوله «إن النحو منطق عربي ، والمنطق نحو عقلي» .

وجل نظر المنطقي في المعاني ، وإن كان لا يجوز له الإخلال بالألفاظ : وجُل نظر النحوي في الألفاظ ، وإن كان لا يسوع له الإخلال بالمعاني التي هي لها كالمجازات والجواهر . وكما أن التقصير في تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط ، فكذلك التقصير في تحرير المعنى ضارٌ ونقص وانحطاط .

والنحو العربي نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما ألفوه واعتادوه في تعبيرهم عن المعاني . وأما المنطق فهو «آلته» بها يقع الفصل والتمييز بين ما يقال : هو حق ، أو باطل » — فيما يعتقد ، وبين ما يقال : هو خير أو شر — فيما يفعل ، وبين ما يقال : هو صدق أو كذب — فيما يطلق باللسان ، وبين ما يقال : هو حسن أو قبيح بالفعل »^(١) .

وهذا التعريف للمنطق غريب ، لا نجد له عند الفارابي ولا عند أحد من سائر الفلاسفة المسلمين أو غير المسلمين ؛ إذ اتسع به أبو سليمان حتى جعله يمتد إلى

(*) راجع شرحنا التفصيلي لهذه المشكلة في كتابنا : «المنطق الصوري والرياضي» .

(١) التوحيدى : «المقابسات» ، المقابلة رقم ٢٢ ، ص ١٧١ من طبعة السنديوبى .

الأخلاق ، وهو أمر لا يُقرّه عليه أحد . وكان عليه أن يقتصر على تعريفه بأنه آلة يقع بها الفصل والتمييز بين الحق والباطل أو بين الصدق والكذب - فحسب .

ثم يأخذ أبو سليمان في بيان ما في كليهما من عون للآخر ، فيقرر أن اجتماع المنطق العقلي والنحو هو الغاية والكمال في التعبير والقول .

ويميّز بين النحو والمنطق من جهة أخرى على أساس أن النحو خاص باللغة التي هو نحوها ، بينما المنطق عام لأنّه عقلي يشترك في الخصوص لقوانيته وأحكامه كل العقول أينما كانت وإلى أية أمة انتسبت .

ويقرر أن الشهادة في المنطق مأخوذة من العقل ، بينما الشهادة في النحو مأخوذة من العُرُوف ، والنحو متصور ، والمنطق مبسوط .

والنحو أول مباحث الإنسان لشدة احتياجه إليه في الكلام ، والمنطق آخر مطالبه لأنّه يتضمن درجة عالية من الادراك . والخطأ في النحو يسمى لحناً ، والخطأ في المنطق يسمى إحالة ، أي قوله بما هو محال غير معقول . والنحو تحقيق المعنى باللفظ ، والمنطق تحقيق المعنى بالعقل . والنحو يدخل المنطق ، ولكن مرتبّاً له في نظم العبارة ، والمنطق يدخل النحو ، ولكن محققاً له في تصحيح المعاني . والنحو شكل سمعي ، لأنّه يقوم على السمع والعرف ؛ والمنطق شكل عقلي ، لأنّه يقوم على أحكام العقل . المنطق وزن بعيارِ العقل ، والمنطق كيلٌ بصاع اللفظ .

الكهانة وعلم أحكام النجوم والارزاق

كان أبو سليمان يؤمن بالكهانة ، أعني إمكان التنبؤ بالغيب . إذ كان يرى أن « الكهانة قوّة إلهية توجد في شخصٍ بعد شخصٍ » بسهام سماوية وأسباب فلكية ، وأقسام علوية . فإذا توسطت صارت في منتصف (١) البشرية والربوبية . فحيثئذ يكون ما يبدو بها مشيراً إلى غيب أمور الدنيا وإلى غيب أمور الآخرة على حد يكون على سواء . والغلب ، مع ذلك ، لأمور الدنيا ، لأن الإنسان بالطبيعة أكثر منه بغيرها ، في الأعمّ الأغلب والشائع الأشمل . فإن تحررت (٢) هذه القوة قليلاً ، كانت الإشارة إلى أمور عالية شريفة . ومحل النبوة بين أبناء هذه القوة بالترقي والتحرر . وكلما كان التباس النفس بالزاج الموافق ، كان النور المقتبس من هذه القوة أسطع وأعلى (٣) » .

وقوة المنجم الذي يتبع آثار الكواكب ضعيفة ، لأن الآلة لا تساعده والصبر لا يوافيه ، إذ هو يتلقى هذه الأمور المنتشرة باختياره وقصده وبمحضه . أما الكاهن فقوّته لا تقوم على التتبع والبحث ، بل هي كالإلقاء والوحى والسانح والطارىء .

(١) جمع سهم ، بمعنى : نصيب .

(٢) أي في مركز وسط بين البشرية والربوبية .

(٣) في المطبوع : تحررت – وهو تحرير .

(٤) التوحيدى : « المقابسات » المقابسة رقم ٥٠ ، ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

و تكون الكهانة أقوى إذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء من الحسن ، وكان يلقيها على صفاتها ، « لأن قوتها تنسكب من المحل الأعلى بحسب نسبتها إلى الصلة الأولى تامة قوية وصحيحة واضحة » .

لكن الكاهن قد يخطئ ، كما يخطئ المنجم ؛ ذلك أن الخطأ ليس مقصوماً منه الكاهن ، « لأن قوته لا تبلغ الغاية في الخلاص أبداً ، بسبب تركيبة » .

ولما سأله أبو العباس البخاري : فهل يخطئ صاحب النبوة ؟

أجاب أبو سليمان : « لا . ولكن يسهو ، كما في حديث ذي اليدين ^(١) : وسهوه وخطؤه لا يقدحان في الحال التي رُسّح لها (أي النبوة) ووشح بها وجعل سفيراً إلى الخلق من أجلها ، بل يُحرس حراسةً إن لم تَنْفِ عنه كلَّ الظنة لم يعلقه كُلَّ قرفة » .

فأسأله التوحيدى : فهل يخطئ النبي بقوته النبوة من غير أن يستقرها ويعرض للخلق من أجلها ؟

فأجاب أبو سليمان : « لا ! ولكن يَعْرِض له خيال » ، كما في حديث تأيير ^(٢) نخل الأنصار ، ثم رجع عن رأيه وقال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم . ولا مانع من ذلك . ولو لا هذه القوة التي على حدودها ومائتها في أشخاص العلماء والبررة ، ما كان يصح حَدْسٌ ، ولا تصدق نفس ، ولا يتحقق ظن ، ولا يتوضّح وهم . بل هذا أمر في غاية الغلبة والظهور ، حتى في كثيرون من أنفس العوام » (« المقابلات » المقابلة رقم ٥٠ ، ص ٢٢٨) .

وما يأتي به صاحب الكهانة يتحمل الطعن والاستنكار . وهذا واجب ، ذلك

(١) ذو اليدين هو الخربان السلمي ، أحد الصحابة . ونص حديثه هكذا : عن أبي هريرة أن رسول الله (صلعم) انصرف من اثنين (إلى من صلاة ركتين) فقال ذو اليدين : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال النبي : أصدق ذو اليدين ؟ فقالوا : نعم ! ففصل اثنين آخرين . ثم سلم ، ثم كبر ، ثم سجد سجدين مثل سجوده ، أو أطول ، ثم رفع .

(٢) التأيير : ضرب أعلى النخل بسعنف عاليه طلع كي يلقي

أن «صاحب هذه القوة يرسل الكلام إرسالاً، بمقدمة قوّة مرّة، وبخاتمة مرّة، وبتوسطها أخرى. ولها ، في نفسها ، شأنٌ بالإضافة إلى مزاج صاحبها ، بل بالإضافة إلى كلّ حال عارضة ، وإلى كلّ سببٍ واقع ، والسنّة عاملة عملها ، والبشرية جارية على خاصتها . فحينئذ يخرج ذلك الكلام بين مراتب ثلاث : في الغاية التي لا غاية وراءها ، وفي الوسط الذي يعتدل فيه ، وفي الطرف الأدنى ، وفيما بين ذلك كله بالأرجح والأنقص ، والأقل والأكثر . والتلوييل يركب منشورها ، والظنّ يسري في أطرافها ، والقالة تجد سبيلاً إلى التشنيع عليها . فلذلك وأشباهه يكون ذلك . على أن هذا إذا تؤمّل بالنصفة مقيساً إلى الطياب المختلفة والعادات المتباينة والأغراض المشتبعة – كان في نصاب الحكمة ثابتًا ، وعلى مدارجها جاريًّا ، وإلى أصوتها وفروعها نازعاً . ولو لا ضيق أعطاف الناظرين في هذه الغواصات عن التثبت والإنصاف لكان يتجلّى هذا كلّ التجليّ ، ويزول عنه الخلافُ كلَّ الزوال . (الموضع نفسه ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩) .

ومراتب أصحاب هذه القوة تتفاوت بحسب أنصياءِهم منها ؛ وهم نالوا منها بحسب مقدادير مزاجهم وطبعهم ونحوهم واحتتمالهم . « وذلك التفاوت هو الذي يُعني حال هذا عن هذا ، ويتحطّ شأن هذا عن هذا – إلى آخر أفق الإنسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريقة » (الموضع نفسه ، ص ٢٢٩).

والخطأ الأعظم في حق الأنبياء يقع من جهتين : أن يظن بهم أنهم كذبة أصحاب حيَّل ومخارات ، أو أن يظن بهم أنه لا يجوز أن يقع منهم من القول والفعل ما يوجب التّهمة ويجلب الشك . والرأي الحق هو أن « يعلّم أن المخصوص بهذه القوة (= النبوة) على الدرجة بها ، رفع المكانة معها ، ما دام يخبر بها ولا يمزجها بغيرها : فإنه حينئذ يبني عن أعيان الأمور وقلوب الأحوال وعواقب الأيام . فاما إذا عاد إلينا (أي إلى طبيعتنا الإنسانية المعتادة) مفارقاً للاقتباس (أي من نور النبوة) ، داخلاً في عادة ذوي

الأحساس – فهو كواحدٌ من ضرباته (= أمثاله) ولداته : إن أصاب بفقطته ، وإن أخطأ ففطرته ، لأنه في مسلكٍ غيره من البشر ، ومسكوب من الطين الأول ، ذو طبائع أربع متعادية وعناصر متشابكة ، لا فرق بينه وبين غيره أبداً ، ما دام الحال على ما وصفنا وحدّدنا . وإنما إذا انبعثت القوةُ بسلطتها وانجست النفس برهانها ، فإن هذا الشخص يأتي كل ما يهدى العقول ، ويصلح الأحوال ، ويقْنع النفوس ، وينظم المصالح ، ويقوم الأخلاق ، ويهدّب الطبائع ، ويكون نوراً للعالمين ، ورحمةً للخلق أجمعين ^(١) .

(١) التوحيدى : « المقابسات » ، المقابسة رقم ٥٠ ، ص ٢٣٠ .

لا يجتمع الرزق والحكمة معاً

لقد رأينا ما نال أبا سليمان من فقر وضيق حال ، وما كان يعيشه من عيش الكفاف . ويبدو أنه أراد أن يبرر هذا الوضع الشائع في أن الحكمة والرزق قلماً يجتمعان ، فاستشهد بقول لـأفلاطون هو : «أن الله تعالى بقدر ما يُعطي من الحكمة يمنع الرزق» — وراح يفسّر أسبابه فقال :

« لأن العلم والمال كضررتين قلماً يجتمعان ويصطلحان ، ولأن حظ الإنسان من المال إنما هو من قبيل النفس الشهوية والسبعينية ، وحظه من العلم إنما هو من قبيل النفس العاقلة . وهذا الحظان كالمعاذين والضدرين ... فيجب على الحصيف والمميز أن يتعلم بأن العالم أشرف في سنه وعنصره ، وأوله وأخره ، وسفره وحضرته ، وشهادته ومغيبه من ذي المال . فإذا وُهِب له العلم ، فلا يَأسَ على المال الذي يُجزىء منه اليسير ، ولا يُلهب نفسه على فوته حسرةً وأسفاً . فالعلم مُدَبَّر ، والمال مدبَّر ؛ والعلم نفسي ، والمال جسدي . والعلم أكثر خصوصيةً بالإنسان من المال . وآفاتُ صاحب المال كثيرة وسريعة ، لأنك لا ترى عالماً سُرق علمُه وتُرك فقيراً منه . وقد سُرِقت أموالهم ونُهِيَت وأخذت ، وبقي أصحابها محتاجين لا حيلة لهم . والعلم يزكي على الإنفاق ، ويصحب صاحبه على الإملاق ؛ ويهدي إلى القناعة ، ويُسْبِل السُّترَ على انفاقه . وما هكذا المال ^(١) » .

(١) أبو حيان التوحيدي : «الامتناع والمؤانسة» ج ٢ ص ٤٩ ، القاهرة سنة ١٩٤٢ .

هذا الكتاب

وها نحن أولاء ننشر في هذا المجلد ، ولأول مرةٍ ، كل ما بقى لدينا من مؤلفات أبي سليمان السجستاني المنطقي ، وهي :

- ١ - «منتخب صوان الحكمة» ؟
- ٢ - «رسالة في المحرّك الأول» ؟
- ٣ - «مقالة في الكمال الخاصّ بنوع الإنسان» ؟
- ٤ - «مقالة في أنّ الأجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ، وأنّها ذات أنفس ، وأنّ النفس التي لها هي النفس الناطقة» .

نشرها وفقاً للمخطوطات التي ذكرناها في الفصل الخاص بممؤلفات أبي سليمان في هذا التصدير العام .

والنص الأصلي الكامل لـ «صوان الحكمة» تأليف أبي سليمان مفقود ، ولم يبق منه إلاّ هذا «المنتخب» وما اخترعه عمر بن سهلان الساوي .
ولا شك أن فقدان الأصل الذي كتبه أبو سليمان خسارة هائلة .

والكتاب ينقسم أولاً إلى قسمين أساسيين متفاوتين في الحجم : قسم يتناول تاريخ الأطباء ، وقسم آخر يتناول تاريخ الفلسفة في عصرين : العصر اليوناني ،

والعصر الإسلامي . وفي القسم الأول المتعلق بتاريخ الأطباء اعتمد المؤلف على كتاب يحيى النحوي في نفس الموضوع ، كما يقول هو صراحة (ص ١٤ من مخطوط بشير أغا = ص ١٠٠ هنا) . وبينه وبين الفصل الذي عقده ابن النديم في الطب والأطباء في كتاب «الفهرست» - مشابه وواضحة .

أما القسم الخاص بتاريخ الفلسفة اليونانية فيبدأ مع البداية ، أي بطاليس الملطي . ويهم المؤلف خصوصاً بما ينسب إلى كل فيلسوف من آداب وحكم . وكما بتنا في تصدير نشرنا لكتاب «محatar الحكم ومحاسن الكلم» للمبشر بن فاتك الآمدي - وثم آداب كثيرة مشتركة الایراد في هذا الكتاب وفي منتخب صوان الحكمة - لا يمكننا أن نرد غالبية هذه الآداب والحكم إلى مصادر يونانية باقية لدينا حتى الآن : مثل «حياة الفلسفه» لديوجانس اللائرسي و«أشباح» Stromates القديس كليمانس الاسكندرى وغيرهما منمجموعات من هذا النوع . لكن ليس معنى هذا أبداً أنه ينبغي نسبة تأليفها إلى مؤلفين مسلمين أو سريان . فليست المشكلة بهذه البساطة .

وفي هذا القسم استعان أبو سليمان ، إلى حد ما ، بما ورد في كتاب «نوادر الفلسفه» لحنين بن اسحق - وقد نشرناه هذا العام ، لكن «منتخب صوان الحكمة» أوسع جداً من «نوادر الفلسفه» ، ويورد عشرات بل مئات أمثل ما رد في هذا الأخير من حكم وآداب . وهذا يجعلنا نفترض بالضرورة أن ثمة مصادر أخرى كثيرة استعان بها أبو سليمان في تصنيف كتابه ، مصادر لا نستطيع تحديدها على ضوء ما لدينا الآن من معلومات . ومن بين هذه المصادر كان من غير شك كتاب فرفوريوس في تاريخ الفلسفه ، وعنه نقل ابن النديم وغيره .

وينتهي هذا القسم بفصل عن يحيى النحوي ، والكل يعدونه آخر الفلسفه اليونانيين .

وبعده مباشرة يبدأ القسم المتعلق بالمشتغلين بالفلسفه في الإسلام ، فيتحدث

أولاًً عن حنين بن اسحق ، ويتلوه بفصل عن أبي يوسف يعقوب الكندي . وآخر الفصول يتناول أبا سليمان المقدسي ، وهو أحد مؤلفي « رسائل إخوان الصفا » . والغريب في هذا القسم أن فيه فصلاً عن أبي سليمان السجستاني ، مؤلف الكتاب ، وقد حرر بصيغة الغائب لا المتكلم ؛ وهذا يجعلنا نفترض أن هذا الفصل ليس بقلم أبي سليمان السجستاني نفسه . ويمكن تفسير وجوده هنا بأنه من وضع من انتخب من « صوان الحكمة » ؛ وهو أمرٌ محتمل جداً – وقد جرت العادة بذلك مراراً على الأقل من باب العرفان لصاحب الكتاب الذي انتخب منه ، كما نفعل نحن اليوم حين ننشر كتاباً فنضع في مقدمة التحقيق ترجمة لحياة المؤلف . فلا بدع في هذا إذن ، أبي في أن نجد فصلاً عن أبي سليمان السجستاني في داخل هذا « المنتخب » من كتابه .

أما الرسائل الثلاث الأخرى فآراها لا تخرج عمّا ألفناه من أفكار أبي سليمان مما أورده التوحيدى في مختلف كتبه . ولكنها دراسات قائمة بذاتها وبقلمه ، تشبع القول في الموضوع المحدد الذي تناوله . والمذهب فيها مستمدٌ في الغالب من «أثولوجيا» المنسوب إلى أرسطو ، والذي هو في الواقع فصول موسعة منتزة من «تساعات» أفلوطين .

خاتمة

وعليَّ – في ختام هذا التصدير – أن أعبر عن عميق امتناني للمؤسسة الثقافية الإيرانية : بنياده فرنگ ، المشمولة برعاية صاحبة الجلاله الامبراطورة فرح وسامي توجيهاتها . وأشكر أجزل الشكر سعادة الأستاذ الدكتور پرويز خانلري ، العالِم الكبير والأمين العام لتلك المؤسسة ، والذي تفضل بقبول نشر هذا الكتاب ضمن منشوراتها تلك .

عبد الرحمن بدوي

طهران في شتاء ۱۹۷۴/۱۹۷۳

منتخب صوان المحكمة

تأليف
أبي سليمان السجستاني المنطقي

حقيقة وقدم له
الدكتور عبد الرحمن بدوي

رموز المخطوطات

غ - بشير آغا ٩٤٤

م - مراد ملاً رقم ١٤٣١

ك - كوبولو ٩٠٢

ف - فاتح ٣٢٢٢

أرقام الصفحات هي أرقام مخطوط بشير آغا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّ أَخْمَمْ بِالنَّحْيِرِ ؛ مِنْكَ السَّدَادُ وَإِلَيْكَ الْمُتَهَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَمْدُ الشَاكِرِينَ ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٌ
وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ .

قال الحكيم الفاضل ، وهو مستحبٌ هذا الكتاب ، رحمة الله :

إني رأيت أن أثبت تواريخ الحكماء وأساميهم وبعض كلامهم وأخلاقهم .
فانتسبتُ من كتاب « صوان الحكمة » ذكر القدماء ، وأثبتتُ في آخره كتاب
« تتمة صوان الحكمة » للإمام الفاضل ظهير الدين أبي الحسين بن أبي القاسم
البيهقي ، رحمة الله تعالى . ووضعت في آخره رسالة^(١) وسميت « ياء عام
التتمة » ، وذكرت فيها أشعار المؤاخرين من الحكماء . وختمت تواريخ^(٢)
به . فنقول :

١ - أول من ظهر منه الفلسفة وعرف بالحكمة :

إنما وجدنا ، فيما فتشنا عنه من الكتب ، اختلافاً كبيراً في تواريخ سيني

(١) كما في بغ ، لك والأصح أن تكون : وست . م : وسميتها أيام التتمة . (٢) به : ناقص في م .

الفلاسفة (بحيث) ^(١) لم نجد بُدّاً من إيراد كُلّه على التفاوت الموجود في أثنائه ، طلباً للخروج من العهدة فيه ، وصَرْف المذمَّة والحمدَة في صوابه وإخلاله إلى قائليه . وقد ^(٢) قيل للحسن بن سهل : لم تجعل كلام الأوائل حجة ؟ فقال : لأنَّه مرَّ على الأسماع قبلنا . فلو كان ^(٣) زَلَلاً لما تأديَ مستحسناً إلينا .

ذُكِر في بعض الكتب أن ثالس ^(٤) الملطي (ثالس الملطي) هو أول من تفلسف بمصر ، وصار إلى ملطية وهوشيخ . وبه سميت فرقه من اليونانيين فلاسفة . وقد كان للفلسفة انتقال كثير . وكان يُفيد أنَّ أول ما خلق الله تعالى هو الماء ، وينحل جميع الكائنات أولاً إلى الماء . ودعاه إلى أن يتوفهم ^(٥) جميع الأشياء من الرطوبة . واستدل بقوله أدميروس ^(٦) الشاعر ، حيث قال إن أوقيانوس ^(٧) كأنه عمل مُوكلاً للكل .

(انكسماندرس الملطي)

ثمَّ كان بعده انكسماندرس ^(٨) الملطي ، وكان يرى أنَّ مبدأ الموجودات التي خلقها الله تعالى هو « الذي لا نهاية له » ^(٩) ، وأنَّ منه كان الكون ، وإليه ينتهي الكل .

(١) زيادة يقتضيها السياق . (٢) قد : ناقصة في ك .

(٣) ك : كان فيه زللاً .

(٤) Thalès de Milet ك : الملطي .

(٥) ك : توهم .

(٦) غ : أومينوس . والمقصود Homère . وفي ك ، م : أوميرس .

(٧) غ : اوڤانوس . والمقصود Oceanus

(٨) غ : انكساغورس ، وهو تحريف لاسم انكسماندرس Anaximandre . ك : انكساغيدروس .

I'Infini = Apeiron (٩)

(أنقسمانس الملطي)

ثم كان بعده أنقسمانس ^(١) الملطي ، وكان يرى أن مبدأ الموجودات التي خلقها الله تعالى هو الهواء ، وأنّ منه كان الكل ^{وإليه ينحدر} ، مثل النفس الذي فينا ، فإن الهواء هو الذي يحفظه فينا . والروح والهواء : يمسكان العالم كلّه . والروح والهواء يقالان على معنى واحد قولًا متواطئاً .

(انقساغورس)

ثم كان بعده انقساغورس ^(٢) من قلazمانيوس : وكان ^(٣) يرى أن مبدأ الموجودات التي ^(٤) خلقها الله تعالى هو المتشابهة الأجزاء .

(أرخلاؤس بن أبوالودوروی)

ثم كان بعده ^(٥) أرشيلاوس ^(٦) بن أبولودروس من أهل أثينية . وكان يرى أن مبدأ ما خلق الله تعالى هو ما لا نهاية . ويعرض ^(٧) — فيه التكائف والتخالل : فمنه ما يصير ناراً ، ومنه ما يصير ماءً .

(فيثاغورس)

وهو لاء الفلسفه بعضهم كان تالياً لبعض . وبهم استكملت فلسفة اليونانيين

(١) غ : انشتمانس . وهو Anaximène وورد رسمه صحيحًا في ك . (١) + ذان ... فينا : ناقص في غ .

(٢) غ : افيثاغورس وفلارمانيوس — وعلى هذا عدهما اسمين لشخصين مختلفين . والمقصود هو Anaxagore de Clazomène . ك : انقساغورس وفلارمانيوس .

(٣) غ : وكانا يريان — انظر الحاشية السابقة .

(٤) المتشابهة الأجزاء homéomères

(٥). غ : بعدهما .

(٦) غ : أرسلاوس بن ايدلوزروس ك : ارسلاوس من أهل ... — وهو Archélaus, fils de Apollodoros راجع ذيوجانس اللائسي ١٦ : ٢ . (٦)+ ك : يفرض .

التي كان مبدئها و منشئها من الرجل الذي يقال له ثالس المطلي .

وذُكِر أيضاً أن الفلسفة كان (لها) مبدأ آخر هو من فوتاغورس بن منسارخوس ^(١) من أهل سامس ^(٢) . وهو أول من سمي الفلسفة بهذا الاسم . وكان يرى أن المبادئ التي خلقها الله تعالى أولاً هي الأعداد والمعادلات التي فيها ، وكان يسمّيها تأليفات ؛ ويسمّي المركب من جملة ذلك اسطقطاسات ويسمّيها أيضاً هندسيات .

(هرقلطيتس)

ثم ايراقليطس ^(٣) من أفالسس التي تنسب إلى ماطابنطس ^(٤) . وكان يرى ^(٥) أن مبدأ الأشياء كلها النار ، وانتهاؤها إلى النار . وإذا انطفأت النار انقضى ^(٦) معها العالم .

ثم افيقودس بن ^(٧) ناوقلس من أهل أثينية الذي تفلسف في أيامه (على مذهب) ديمقريطس . وكان يرى أن مبادئ الموجودات أجسام مدركة عقلاً ، لا خلاء فيها ، ولا كون لها : فإن الله خلقها سرمدية غير فاسدة ، لا تحتمل أن تنكسر ، ولا تنهش ، ولا يعرض لها في شيء من أجزائها اختلاف ولا استحالة . وهي مدركة عقلاً . فهي تتحرك في الخلاء بالخلاء ، إلى أن

(١) غ : ميسارحن . لك : للفلسفة كان مبدأ آخر .

(٢) لك ، غ : ساميا . والمقصود Samos

(٣) غ : ايرافلطيتس والثالس ، وتبعاً لذلك ظنهما أسين مختلفين ووضع الفعل بعد ذلك في حالة المثلث . وهو Héraclite d'Ephèse . لك : ايراقليطس وامالسن الذي

(٤) لك ، غ : الذي ينسب إلى ماطابنطس . ومطابنطس Métaponte

(٥) لك غ : كانوا يربان .

(٦) غ : تشكلت بها العالم ! لك : تشكل بها العالم .

(٧) غ : انيكورس بن ساوفوس . ولعل المقصود

Epicure, fils de Neoclas ابيكورس بن ناويلس .

يشاء الله تعالى . وهذا الخلاء لا نهاية له عنده . وكذلك الأجسام يرى أن لا نهاية لها . والأجسام لها هذه الثلاثة الأشياء : الشكل ، والعِظَم ، والثقل .

(أنباذقلس)

ثم أنباذقلس^(١) بن ماتن من أهل اغراقتنا^(٢) : وكان يرى أن الاسطقسات التي خلقها الله تعالى أولاً هي أربعة : النار والهواء والماء والأرض ، والمبادئ اثنان : المحبة والغلبة : إحداهما تفعل الاتحاد ، والأخرى تفعل التفرقة .

(سقراط وأفلاطون)

ثم سقراط بن سفرنسقس^(٣) من أهل أثينية ، وأفلاطون بن أرسطون ، فإن رأيهما في جميع الأشياء رأي واحد ، وهما يريان أن المبادئ ثلاثة ، او هي^(٤) الله تعالى ، ثم خلق العنصر والصورة .

(أرسطوطاليس)

ثم ارسطوطاليس بن نيقوما خُس ، من أهل اسطاغيرا^(٥) : وكان يرى أن المبادئ التي خلقها الله تعالى هي : الصورة ، والعنصر ، والعدم^(٦) ، والاسطقسات الأربع ، وجسم خامس^(٧) هو الأثير غير مستحيل .

(١) غ : أنباذقلس بن فاذن - لـ : بن هاذن . وهو

Empédocle, fils de Meton

(٢) لـ ، غ : افراغبنيا - وهي Agrigente في صقلية .

(٣) غ : نيفرسنس . لـ : سفرنسقس .

(٤) غ : ان .

(٥) م ، لـ ، غ : اسطاغيرا . وهي Stagire

(٦) غ : خاص .

(زینون بن مانساوس)

ثم زينون بن مانساوس^(١) من أهل قطيس^(٢) وكان يرى أن أول ما خلق الله هو العنصر . فالله هو العلة الفاعلة ، والعنصر هو المنفعل ، وأن الاسطعسات أربعة .

وفرقهم ^(٣) سميت ايطالية ^(٤) ، لأن فيثاغورس كان مقيماً بایطالیه ^(٥) ،
لأنه انتقل من سامس التي كانت موطنـه ، بسبب تغلب بولوقراتس المتغلـب ،
فإـنه كان غير راض عنـه بذلك .

وإنما لم أورد ما أنكرته الحكماء الموحّدون من بعض هذه المقالات ورَدَّته على أصحابها ، لأنه غير لائق بهذا الموضوع . وقد أودع الكتب من ذلك ما فيه كفاية ومقنع . ولم يكن القصد ها هنا إلّا ذكر التاريخ وإتباعه بالنكت والتوادر . فدخل فيه ذكر المقالات بالعرض والقصد الثاني .

وذكر أبو الحسن محمد بن يوسف العامري^(٦) - قدس الله روحه العزيز ! - في كتابه الذي يسميه « الأمد على الأبد » - أن أول من وُصِّف بالحكمة كان لقمان الحكمي . والله تعالى يقول : « ولقد آتينا لقمان الحكمة » (سورة

(١) م ، لـ ، غ : ماساوس - وهو Zénon . راجع اللانترسي المقالة السابقة ١ .

(٢) لغ : فيقنس - وهي

(٣) لا يظهر من السياق إلى من ينصرف هذا الضمير ، وإن كان المقصود هو الفيتاغوريين .

(٤) غ : لفطاليقي . والمقصود نسبة إلى جنوب ايطاليا ، وفي اليوناني

(٥) م ، ك ، غ : بانطاليه .

(٦) هو أبو الحسن بن أبي ذر محمد بن يوسف العامري النيسابوري المتوفى سنة ٣٨١هـ. راجع عنه : مجتبى مينوى : « از خزاين ترکیه » ، مقالات في « مجلة دانشکده أدبیات طهران » رقم ٣ السنة الرابعة ، ص ٥٩ - ٨٣ .

وكتابه «الأمد على الأبد» منه مخطوط في المكتبة السليمانية باستانبول ضمن المجموعة رقم ١٧٩ في ٣٤ ورقة ، وفي آخر الكتاب أنه «فرغ من تصنيفه ببخارى في شهور سنة خمس وسبعين وثمانة» .

لقمان) . وكان في زمن داود النبي عليه السلام ، وكان مقامهما جميعاً ببلاد الشام . وكان انبادقلس اليوناني يختلف إليه - على ما حكى - ويأخذ منه حكمته . إلاّ أنه لما عاد إلى بلاد يونان ، تكلم في جِيلَة العالم بما شاء . فوُجِدَتْ ظواهره قادحةً في أمر المعاد . واليونانيون كانوا يصفونه بالحكمة لصاحبته التي كانت للقمن الحكيم . بل هو أول من وُصِفَ منهم بالحكمة :

(فيثاغورس)

ثم أحد الموصوفين منهم بالحكمة : فيثاغورس . وقد اختلف بمصر إلى أصحاب سليمان بن داود ، عليهم السلام ، حين جلوا إليها عن الشام . وقد كان تعلم الهندسة قبلهم من المصريين . فتعلم أيضاً العلوم الطبيعية والإلهية من أصحاب سليمان عليه السلام . ونقل العلوم الثلاثة : أعني علم الهندسة ، وعلم الطبائع - والعلم الإلهي ، إلى بلاد يونان . ثم استخرج بذلك إله الألحان ، وأوقعها تحت النسب والأعداد . وادعى أنه قد استفاد هذه العلوم من مشكاة النبوة .

(سقراط)

ثم أحد الموصوفين منهم بالحكمة بعده سقراط . وكان اقتبس الحكمَةَ من فيثاغورس . واقتصر مِنْ أصحابها على المعلم الإلهية . وأعرضَ عن ملادَةَ الدنيا . وأعلن الخلافَ على اليونانية في الدين . وقبَلَ رؤساء ذوي الشرُوك (٤) بالحجج والأدلة . فثاروا الغاغة عليه ، وأخْلأوا ملكهم إلى قتله . فأودعه الملك (١) السجن تحماًداً إلى جماعتهم . وسقاوه السُّمْ تفاديًّا من شرّهم . وسنذكر هذه القصة على الاستقصاء في موضعها .

(١) لـ ، م : فأودعه الملك الحبس . غ : أودعه الملك إلى السجن .

(أفلاطون)

ثم أحَدُ الموصوفين بالحكمة بعده أفلاطون . وكان فيهم شريف النسب ، مِفْضالاً . وقد وافق سocrates في اقتباس الحكمة وفيثاغورس ؛ إلا أنه لم يقتصر على المعالم الدينية ، بل جمع إليها العلوم الطبيعية والعلوم الرياضية . وله كتب مشهورة ، تولى تصنيفها ، إلا أنها^(١) مرموزة مغلقة . وقد تخرج به عدّة من التلاميذة^(٢) . وفي آخر عمره فوّض التعليم والمدرسة إلى ذوي البراعة من أصحابه ، وتخلّى عن الناس متجرداً لعبادة ربّه . وفي زمانه فشا الوباء في بلاد اليونان ، فتضرّعوا منه إلى الله سبحانه وتعالى وسألوا أحد أنبياء الله من بني إسرائيل عن سببه فأوحى الله إليه بأنه متى ما ضعّفوا مذبحاً لهم على شكل المكعب ارتفع عنهم الوباء^(٣) . فابتلوا مذبحاً آخر وأضافوه إلى الأول فازداد الوباء . فعادوا إلى ذلك النبي عليه السلام ، وسألوه عن ذلك . فأوحى إليهم بأنّهم لم يُضعّفوه ، بل قرروا إليه آخر مثله ، وليس هذا تضليل المكعب . فاستعنوا حينئذ بأفلاطون فقال : « إنكم كنتم تزجرون عن الحكمة ، وتتنفرون عن الهندسة . فابتلواكم الله بالوباء عقوبة لكم ؛ فإن العلوم الحكمية عند الله مقداراً ». ثم ألقى على أصحابه بأنه : « متى أمكنكم استخراج خطين من خطين على نسبة متواالية ، توصلتم إلى تضليل المذبح ، فإنه لا حيلة لكم دون استخراج ذلك ». فعملوا على استخراجه ، وقاموا^(٤) بعمل تضليله . فارتفع الوباء عنهم ، فأمسكوا عن ثلب الهندسة وغيرها من المعالم^(٥) النظرية .

(١) أنها : ناقصة في كـ .

(٢) الواو : ناقصة في غـ ، كـ ، مـ .

(٣) واضح أن هنا نقصاً ، و تمامه : (فلم يرتفع الوباء) .

(٤) غـ : تعموا العمل تضليله .

(٥) نرى المؤلف يستعمل كلمة : « المعالم » بمعنى « المعارف » أو « العلوم » ؛ وهو استعمال غريب لم نجد له عند غيره حتى الآن .

(أرسطاطاليس)

ثم أحدُ الموصوفين منهم بالحكمة بعده: أرسطاطاليس ، وهو معلم الاسكندر ذي القرنين . وكان ملازماً لأفلاطون قريباً من عشرين سنة لاقتباس الحكمة . وكان يُسمى في حداثته : « الروحاني » لفرط ذكائه . وكان أفلاطون يسميه : « العقل » . وهو الذي صنف الكتب المنطقية ، ورتب الأبواب الطبيعية والأبواب الإلهية . ووضع لكل باب منها كتاباً على حدة ، محافظاً على الولاء^(١) فيه . — وفي أيامه استتب^(٢) الملوك الذي القرنين وانقمع به الشرك في بلاد اليونان .

فهو لاء الخمسة كانوا يوصفون بالحكمة . ثم لم يُسمَّ أحدٌ منهم ، بعد هؤلاء ، بـ « الحكيم » ، بل كل واحد منهم كان يُنسب إلى صناعة من الصناعات أو سيرة من السير ، مثل بقراط الطيب^(٣) ، وأميروس الشاعر ، وارشميدس المهندس ، وذيونجنس الكلبي^(٤) ، وديمقراطيس^(٥) الطبيعي . وقد تعرض جاليнос في زمانه ، حين كثرت تصنيفاته ، لأن يوصف بالحكمة ، أعني أن يُنْقَل عن لقب الطيب إلى لقب الحكيم ؛ فهزأوا به وقالوا : « عليك بالمراهم والمسهلات ، وعلاج القروح والحببات . فإن من شهد على نفسه بأنه شاكٌ في العالم : أقدم هو أم مُحدَّث ؟ وفي المعاد : أحقٌ هو أم باطل ؟ وفي النفس : أجوهر هو أم عَرَض ؟ — لِتُتَضَعُ الدرجة عن أن يسمى حكيناً ». إلى هنا كلامُ العامري .

(١) الولاء = التسلسل .

(٢) لك : استتب .

(+) لك : هؤلاء كلِّيماً .

(٣) غ : أومينوس . م ، لك : أميرس .

(٤) لك ، غ : الكلب .

(٥) لك : ديمقراط ؟ م : ديمقراط = ديمقريطس Démocrate

ثم (١) نشا ، بعد من ذكرنا من الأوائل ، قوم سلّموا الأصول الصحيحة
لم تقدمهم ؛ ثم اشتغلوا بتصفح الحزئيات لتصح لهم صناعة . فاقتصروا من
النظر على تلك الآراء المحسوسة في تلك الصناعة الواحدة . وأخذوا أكثر
براهينهم من الأوائل المسلمة التي اشتغل بها أهل النظر من الأوائل . وبعضهم
أخذ قياساته من الأولى والأشبه . وإن كانوا فاضلين ، فليست لهم قوة على
تحقيق أصول صناعتهم ، أعني (٢) مبادئها ، وهم مثل جالينوس وبطلميوس : فإن
كل واحد منهمما اشتغل بالتجربة وحكاية أصحاب التجارب ومستعمل القياس
بتسلیم الأصول والمقدمات التي بُني عليها .

أما جالينوس فإنه نظر في المنطق ، إلا أن كتابه في «البرهان» لم يرتكبه أهل
البراعة من المنطقين . وذكروا أنه ليس يدل على براعته فيه سوى حنين بن
إسحق ، فإنه أظهر لهذا الكتاب تعصباً عظيماً تجاوز فيه الحدّ . وليس هنا
موضوع ذكره . وكذلك ما وجد له كلام في تحقيق مبادئ صناعته ، أعني
الأصول الطبيعية التي هي أوائلها ، كالكلام في العنصر الأول والصورة والفاعل.
ولما عمل في آخر عمره كتاباً «فيما يعتقد رأياً» عدد فيها هذه الأمور
واعترف بالجهل ، وأذعن للتقصير فيما أتعب الحكماء به أنفسهم ، حتى قال
الاسكندر الافروذسي إن جالينوس غرم من عمره ثمانين سنة حتى حصل على
الإقرار بأنه لا يعلم ، وإن تَعَبَ بصناعته المأخوذة من القياسات من التجارب
المأخوذة من الحسن ، وعمل فيها أشياء ينتفع الناس بها انتفاعاً كبيراً ، (٦)
حتى إنه ليس في المعمورة أحد ليس بجالينوس عليه مِنْةٌ . ولكنه لم يَرُمُ ، مع
تحقيقه بصناعته وبراعته فيها ، بلوغَ الدرجة العالية من الحكم والنظر في العلوم
الشريفة التي تسمى الحكم على الإطلاق ، وهي البلوغ .

ولأننا قد ذكرنا اعتقاد كل واحدٍ من الحكماء ، الذين أوّلهم ثاليس

(١) غ : انشأ .

(٢) غ : مباحثها .

الملطى ، في المبدأ ، أوردنا أيضاً ما يراه كل واحد من هؤلاء الحكماء أيضاً –
أعني الذين أوّلهم أنباذقليس – في صفات الباري تعالى .

فأقول : إن مذهب أنباذقليس في صفات الباري – جل جلاله – أنه وإن وُصِّفَ بالعلم والجود والإرادة والقدرة ، فليس هو ذو مكان متميّز يختص بهذه الأسماء المختلفة . لكن كما انا نقول لكل واحد من موجودات العالم إنه معلوم ومقدوره ومُراده وفيض جوده ، من غير أن ثبت منه معاني تنتهي ^(١) ، كذا أيضاً نصف موجودها بالعلم والجود والقدرة والإرادة ، وإن كان واحداً فرداً . وكما أن وجوده ليس يشبه شيئاً من موجودات العالم أو الموجودات العالمية محققة بالوجود الإيمكاني ، أعني بحسب الصنعة ، وذاته واجبة الوجود لا بحسب الصنعة ، كذا أيضاً وحدانيته ليس تشبه وحدانية شيء من موجودات العالم ، إذ الوحدانيات العالمية معرضة للتكرر إما بأجزائها ، وإما بمعانيها ، وإما بنظائرها . وذاته متعالية عن هذا . فهو إذن وإن صَلَح أن يوصف بالعلم والجود والقدرة والإرادة ، فمن أخص صفاته هو أنه حق ^٢ بذاته ، وحكيم بذاته . وإن معنى الحق أن وجوده بحيث يمتنع عليه إطلاق اللاوجود ^(٢) . وأن معنى الحكيم هو أنه موجِّد ^٣ لكل شيء على أتم ما يليق به من الغرض .

وقد وافقه فيثاغورس فيما يعتقده من صفات الباري – جل جلاله ! – إلا في نكتة واحدة وهي أنه زعم أن وصفنا إياه بأنه حكيم (هو الأصح) فإن الحكمة قبل الحق ، وبها يصير الحق حقاً . ثم خالفه في شأن المعاد ^(٣) . وأيضاً فإن المشهور من مذهبة أنه كان يقول إن العالم بكلّيته ينقسم إلى أثني عشر قسماً : أربعة منها هي الأجرام السفلية ، أعني : الأرض والماء والهواء والنار ؛ وثمانية

(١) غ : تهـ (!)

(٢) م ، غ ، ك : أن لا وجود .

(٣) ك ، م : المعاد أيضاً فإن المشهور .

منها هي الأجرام العلوية ، أعني السموات السبع والكرسي المحيط بها . وإن فوق هذا العالم عالماً نورانياً لا يُدرك العقل حُسنه وبهاءه ؛ وإليه يشتق الأنفس الزكية (٧) . وإن كل قسم من هذه الأقسام منضود تحت القسم الذي يعلوه ؛ وهو بالإضافة إلى المستعلى عليه كالثقل له . وأيّما إنسان أحسن تقويم نفسه بالتبيري من العجب والتجبر والمرآة والحسد وغيرها من الشهوات الحسدانية ، فقد صار مستأهلاً لأن يصير في أعلى أقسامها ، فيطلع على جميع ما في جواهر العالم من الحكمة الإلهية . ومني سعد بذلك ، فقد نال السرور الحق ، والعز الحق . فإن الأشياء الملذة حينئذ تأتيه رُسلاً نحو اتيان الألحان الموسيقية إلى حاسته السمع . ولا يحتاج أن يتكلف في طلبها أصلاً .

وقد وافقه سقراط على هذا إلا في نُكْتَتَيْنِ : إحداهما أن (١) قال : إنَّ وصفنا إياه أنه حكيم متعلق بوصفنا إياه أنه حق ، فإن الحق قبل الحكمة . ومهما حصل العلم على غاية كماله ، وُصِفَ بأنه حكمة . والأخرى أن قال : إنَّ السماء هي في النشأة الثانية تصير بلا كواكب ، فإنَّ سبب ثباتها فيها هو سرعة حركات الأفلاك الحاملة لها . وكل متحرك فإلى سكون ما . ومهما سكتت الأفلاك عن دورانها ، فإنَّ كواكبها تتناثر فتصير محطة بالأرض متصلة بعضها بعض كالدائرة الملتئبة ؛ وإن كل نفس كانت دنسة شريرة ، فإنها تبني في هذه الأرض المحاطة باللهيب . وتصير السماء للأنفس الزكية كالأرض ، وتصير سماؤهم سماءً نورية أشرف من هذه . وهناك الحُسْنُ المحض واللذة المحسنة .

ثم زاد على فيثاغورس بأن قال : كل إنسان شَرُف باقتناء الحكمة الحالصة فقد صار محتوياً (٢) على الخيرورة المطلقة . وأعلى درجات العبد في الخيرورة هو

(١) أن : ناقصة في غ .

(٢) غ ، ك ، م : محيوباً .

أن يكتفي بمولاه الحق عن الواسطة بينه وبين مولاه . ومنْ احتاج في اقتناه الحكمة إلى واسطة بينه وبين مولاه فهو ناقص في ذاته في العبودية . وكل من كانت الوسائل بينه وبين مولاه أكثر ، فهو في رتبة العبودية أقصى . فإذا كان البدن مفتقرًا في مصالحه إلى تأثير الطبيعة ، وكانت الطبيعة مفتقرة في تأدية أفعالها إلى تدبير النفس ، وكانت النفس مفتقرة في اختيارها إلى إرشاد العقل ، ولم يكن فوق العقل فاتح إلا المداية الإلهية ، فالحرى أن يكون المستعين بصرير العقل في كافة المصارف مشهوداً له (٨) بفطنة الاكتفاء بمولاه ؛ وأن يكون التابع لشهوة البدن اعتقاداً للداعي الطبيعة والمؤاتي لقوى النفس إذا لم يكن متمسكاً بوجب العقل بعيداً من مولاه ناقصاً في رتبته ، فإذاً لا خبرورة لمن لزم الأوائل الكثيرة ، ولم يترق بعقله إلى الأول الحق .

أما أفلاطون فقد اختلف في مذهبـه : فإنه قال في كتابه «أفولطيقوس» (١) أي تدبير المدن (٢) : إن العالم أبديٌّ ، غير مكون ، دائم البقاء . وتعلق بهذا القول برقلس (٣) الدهري ، وصنف في أزليـة العالم كتابـه الذي نقضـه يحيـي النحوـي .

ثم ذكر في كتابـه المعروـف بـ«طيماؤس» أنـ العالم مـكون ، وأنـ البارـي قد أبدـعـه منـ لا نظامـ إلىـ نظامـ ، وأنـ جواـهرـ العالمـ كلـها مـركـبةـ منـ المـادـةـ والـصـورـةـ ، وأنـ كـلـ مـركـبـ فـهـوـ مـعـرـضـ لـالـنـخـالـ .

ولولا أنـ تلمـيـذهـ أـرسـطـوـطـيلـسـ (٤) شـرـحـ معـناـهـ فيـ اختـلـافـ القـولـيـنـ لـحـكـيمـ

(١) غـ : أـنـولـطـيقـوسـ ، لـكـ : بـولـطـيقـوسـ ؟ مـ : بـولـطـيقـوسـ . والمـقصـودـ مـحاـوـرـةـ «ـالـسيـاسـيـ» Politikos ، رـاجـيـهاـ صـ ٢٦٩ـ جـ ٢ـ ٢٧٠ـ آـ .

(٢) مـ ، غـ ، لـكـ : الـبـدـنـ - وـهـوـ تـحـرـيـفـ وـاضـحـ إـذـ الـكـتـابـ فـيـ السـيـاسـةـ .

(٣) غـ ، لـكـ : بـرـقـلـيـسـ : وـالمـقـصـودـ Proclus . رـاجـيـ الحـجـ التـسـعـ الـأـوـلـ لـهـ فـيـ إـثـبـاتـ أـبـدـيـةـ الـعـالـمـ فـيـ كـتـابـنـاـ «ـالـأـفـلاـطـونـيـةـ الـمـحـدـثـةـ عـنـ الـعـربـ» ، الـقـاهـرـةـ ، سـنـةـ ١٩٥٥ـ .

(٤) هـذـاـ الرـسـمـ الـمـوـجـودـ فـيـ غـ أـقـرـبـ الرـسـومـ إـلـىـ النـطـقـ الـيـونـانـيـ لـاـسـمـ أـرسـطـوـطـالـيـسـ ؟ وـلـمـ نـجـدـ إـلـاـ هـنـاـ .

عليه بالخيرية . إلا أنه بين أن لفظة : « المكوّن » مرتبة تحت الأسماء المشتركة ، وأن مقصوده من قوله إن العالم أبدي غير مكوّن : أي : لم يسبقه زمان ، ولم يحدث عن شيء . وإن مقصوده من قوله إنه مكوّن أنه قد ^(١) صرفه الباري من لا نظام إلى نظام ، أي وجوده متعلق بالصنعة الناظمة للمادة بالصورة ، وليس ولا لواحد ^(٢) من هذين وجوداً بذاته ، دون الاتحاد ب أصحابه . فالمبدع لهما إذن أوجدهما على ^(٣) التأحيد النظمي . فهو إذن بفعله الإبداعي صاريفاً للعالم من لا نظام إلى نظام ، أي من العدم إلى الوجود . ولقد صرّح بذلك في كتاب « التواميس » فقال إن للعالم بدءاً علّيّاً وليس له بدءاً زماني ، أي له فاعل قد اخترعه لا في زمان . وإن فاحصاً إن فحص عن سبب اختياره له ، أجنبناه بأنه مرید بذاته لإقامة جوده ، وقدر على إيجاد ما أراده . وبمثله قد أطلق القول في كتابه المنسوب إلى « فاذن » : بأن النفس غير مكونة وأنها ^(٤) لا تموت . وقال في كتاب « طيماوس » إنه مكوّن ، وإنه يموت ^(٥) ، غير دائم .

وقد تولى ارسسطوطيلس تبيين مراده من اختلاف اللفظتين فقال : عنى بقوله الأول أي ما يتدرج في حدوثه من القوة إلى الفعل ، لكنه حدث دفعه ، « ثم ان لها الموت في دار الشوبة ^(٦) ». وعنى بقوله الثاني أنه معروض للاستحالة من الجهل إلى العلم ومن الرذيلة إلى ^(٧) الفضيلة ، وأن ذاته ما كان ليفوز

(١) م ، غ ، لك : أنه مكوّن وقد صرفه ...

(٢) غ : واحد .

(٣) لك : بالتأحيد ، وفي هامشها : على التأحيد . م : على التأحيد .

(٤) ٣ ، غ ، لك : وانه . (٥) م ، لك : ميت .

(٦) هذه الجملة بعيدة الصلة بما قبلها ، ولكنها موجودة في كل المخطوطات .

بالبقاء الأبدى لولا استبقاء الله له على الدّوام ^(١) . ولقد صرّح بذلك في كتاب « طيماوس » فقال إن خالق الكل أوحى إلى الجنواهر الروحانية : « بأنكم لستم بحيث لا تموتون ؛ ولكنني استبقيكم بقوتي الإلهية » .

وقد أوضح ارسطوطيلس حقيقة الصواب فيما اختلف فيه فيثاغورس وسocrates في أن الحكمة قبل الحق ، أو ^(٢) الحق قبل الحكمة – فقال ^(٣) : إن الحق أعمُ من الحكمة ، إلا أنه قد يكون جلياً ، وقد يكون خفياً . وأما الحكمة فهي أخصُ من الحق ، إلا أنها لن تكون إلا جلية . فاذن الحق مبسوط في العالم ، يشتمل على الحكمة المستفيضة في العالم . والحكمة مستفيضة في العالم ، موضحة للحق المبسوط في العالم . وكلما المعين ليسا يفارقان صُنْع الله الموجد للعالم وقوته المسكبة للعالم . فالقولان إذن مقبولان بجهة واحدة .

فهذا هو جملة ما تُصوّر من مذهب هؤلاء الأربعه وتُلْقَفُ من الأئمة المنسوبين إلى الفلسفة ^(٤) . وليس كتبهم المصنفة في هذه الأبواب بحيث يوقف عليها من غير فاتح يفتحها ، فيها محسنة بالرموز والألغاز . وإنما كانوا يتعهدون ذلك لمعاني ثلاثة : أحدها الكراهة لثلاً يغوص ^(٥) أحدٌ على أسرار الحكمة ممن ليس لها بأهل ، فتصير عُدّة له على اكتساب ضرب من الشرارة . – والثاني أن لا يتوانى العاشق لها في بذل العناية لاقتنائها ، وإن لحقته المشقة في تحصيلها . ويستصعبها الكساندان لغموضها ويزدريها . – والثالث : تشحيد ^(٦) الطبائع باستكداد الفكر لثلاً يجنب المتعلم إلى طيب الدّعّة وروح النّفس ، ويقبل بجهده على تفهم ما ينفر عنه .

(١) م ، غ ، ك : الدوم .

(٢) غ : و

(٣) غ : قال .

(٤) م ، ك : إلى الفلسفة ، غ : المنسوبين بالفلسفة .

(٥) م ، ك : لثلا يغوص على أسرار الحكمة أحد .

(٦) م ، ك : الطبائع .

فاما مذهب أرسطوطليس فهو مذكور في كتبه في الطبيعتيات وفيما بعد الطبيعة ، فلا تحتاج إلى ذكرها هنا .

(رأي آخر في ظهور الفلسفة)

وقيل إن أول ظهور الفلسفة كان في زمن بختنصر . وأول من ابتدأ بها ونجم كان ثالس الملطي هذا الذي ذكرنا ، وأن أول (ما) أطرف أهل زمانه به منها أنه قد كان أطلّ وقتكسوف قمري فحسنه وأنذرهم به قبل كونه . فلما وقع الكسوف ، قُبِل^(١) في أنفسهم بما أنذرهم به . وصار إلينه جماعة فتلقىوا له . ولم يكن قبل ذلك في بلاد يونان شيء من (١٠) العلوم البرهانية . وإنما كانت حالمهم كحال أمّة العرب الجاهلية ليس عندهم إلا علم اللغة وتأليف الأشعار والخطب والأمثال والرسائل . إلى أن نجم ثالس بالفلسفة ، وكذلك علم الحساب والهندسة والمساحة أخذوها عن المصريين . فاما وجود الشعر في أمّة يونان فإنه ظهر فيهم قبل الفلسفة . وأبدعه وميرس^(٢) الشاعر ، وهو عندهم بمثابة امرئ القيس في العرب .

وثالس كان بعد اوميرس بثلاثمائة واثنتين وثمانين سنة . فمن كون ثالس إلى ابتداء ملك بختنصر ثمان وعشرون سنة وأيام . وأمة اليونانيين نجمت بعد موسى عليه السلام ، وإن الشعر بدأ فيهم^(٣) قبل الفلسفة ثمانين من السنين . وأول فيلسوف كان منهم في سنة تسعينية واحدى وخمسين من وفاة موسى عليه السلام . وهذا ما خبر به يوزبيس^(٤) في كتابه الذي ردّ فيه على هيروقلس^(٥) فيما ناقض به الإنجيل .

وذكر فرفوريوس أن ثالس ظهر في سنة ثلاثة وعشرين ومائة من ملك بختنصر ، وغلب خسرو بن دارا على مدينة أثينية من اليونانيين والروم ،

(١) أي صار مقبولاً عندهم بسبب ما أنذرهم به من هذا الخسوف القمري .

(٢) غ : اومنيونس .

(٣) غ : فهم .

(٤) لـ ، م ، غ : كوريس - والمقصود Eusebius في كتابه « ضد هيروقلس »

(٥) غ : الثالث ، م ، لـ : اليانس - فهل المقصود اليانس المرتد Julien l'apostat ؟

وفي زمانه كان ما خالا النبي عليه السلام ، وظهر في بلاد فلسطين ، ونجم في زمانه ديمقريطيس (+) وانكساغورس في بلاد اليونانيين بالفلسفة . وفي زمان ملك أردشير - وهو بهمن الفاضل بن اسفنديار بن كشتاسب - ظهر ديمقراط وابقراط ، وشَهَرَ ابْقِرَاطُ الطَّبَّ . وفي ملك دارا بن أردشير عرف اليونانيون كتابتهم التي هي على أربعة وعشرين (١) حرفاً ، لأنه لم يكن لهم قبل ذلك إلا ستة عشر حرفاً . ذلك أن قدمس (٢) وأخضون ، اللذين من مصر ، جاءا إلى مدينة اثينا (٣) ، وحملوا معهما ستة عشر حرفاً ، وهي التي كان اليونانيون يكتبون بها أولاً ؛ وهذه تسمى حروف فونيقية (٤) . ومن بعد ذلك وجد فلاميديس (٥) أربعة أحرف أخرى . ومن بعد ذلك وجد سيمونيدس (٦) أربعة أحرف أخرى ، وإنما لم تثبت صورها لقلة الفائدة فيها (٧) لمن لا يحسن الخط اليوني . *

(+) غ : ديمقراطيس .

(١) غ : جزءاً .

(٢) غ : قدمس وأخضون م ، ك : قدمس وأيرون . وقدمس = Cadmus الذي قيل انه جاء إلى بوتيا Boeotia من فونيقية في سنة ١٥٠٠ ق . م ، واستولى عليها وعلم أهلها الحروف الأبجدية . أما « وأخضون » فلم يهتد إلىه .

(٣) غ : أغیاس . ك : أبيناس .

(٤) ك ، م ، غ : مود سمه (!)

(٥) ك ، م ، غ : فاريس ادعى .

(٦) غ : سوثرس . ك : سونوديس = Simonides

(٧) ك ، م ، غ : من .

(*) المعروف عامه أن الأبجدية اليونانية كانت تتالف من ١٧ حرفاً مأخوذه من الفينيقية ، بينما الأبجدية الفينيقية كانت تتالف من ٢٢ حرفاً . ثم إنه ينسب إلى Palamedes ، وكان معاصرًا

لحرب طروادة أنه اخترع أربعة حروف أخرى وهي Χ , Θ , Φ , Κ . ثم جاء سيمونيدس

فاختر عربعة حروف أخرى هي Λ , Μ , Ν , Ζ ، مما جعل عدد حروف Simonides

الأبجدية اليونانية ٢٤ حرفاً . أما السبعة عشر حرفاً الأولى فهي : خمسة صائنة ٦

و ١١ ساكنة وهي Β , Γ , Δ , Ζ , Η , Ι , Κ , Μ , Ν , Ο , Ρ , Σ , Τ

ويقال إن أول من وضع الكتابة أهل مصر ، ومن بعدهم أهل فونيقية ، وهي التي جاء بها أولاً قدموس إلى ما هناك ثم من بعدهم اليونانيون . وفي ذلك الزمان ولد أفلاطون . وفي سنة ست عشرة من مُلْك أردشير (١) بن دارا كان أفلاطون حدثاً متعملاً تلميذاً لسقراط . ثم اغتيل سقراطيس بالسم ومات ، بعد أن مهر أفلاطون في الفلسفة وقام مقامه . وأظهر أفلاطون فلسفته وتعاليمه وجلس (...) على كرسيته ، وفي أول سنة من ملوكه ولد أرسطوطليس . فلما أتت له سبع عشرة سنة أسلمه أبوه نيقوماكس إلى أفلاطون . فمكث أفلاطون تسعاً وعشرين سنة يعلم أرسطوطليس الفلسفة . وفي زمن أردشير الثاني ، ابن دارا تملك على بلاده مقدونية من بلاد اليونانيين – فيلفوس أبو الإسكندر . وفي سنة ثلاثة عشرة من مُلْك أردشير هذا ، ولد الإسكندر . ولستين بقيتا من ملك (١) مات أفلاطون الفيلسوف . وفي زمانه أحضر من في مدينة رومية من الناس فمكثوا في الإحصاء (٢) ثلاثة سنين ، ثم كلتوا وأعيادهم الحساب والعد ، فأمسكوا . وفي زمان دارا ، آخر ملوك فارس ، تملك فلوفوس ، والد الإسكندر ، على بلاد اليونانيين ، وصالح دارا على خراج يؤديه . وهلك فيلوفوس هذا في السنة الخامسة من ملك دارا * .

وذكر علي بن يحيى النديم في كتابه الذي جمعه في التاريخ ان جالينوس

(١) بـ : ارسخو (!) م ، لك : ارسخوا . وأفلاطون توفي سنة ٣٤٧ ق. م. في عهد ارتكسركس الثالث (من ملوك الفرس) .

(٢) م ، غ ، لك : الاختصار (!) .

(*) المعروف أن ملوك فارس في القرون من السادس إلى الرابع قبل الميلاد هم : قبيز (٥٢٨ - ٥٢١) ، سيردس (٥٢١) ، دار الأول (٤٨٥ - ٤٢١) ، اكسركس الأول (٤٨٥ - ٤٦٥) ، ارتكسركس الأول (٤٦٥ - ٤٢٥) ، اكسركس الثاني وصفديانوس (٤٢٥ - ٤٤٤) ، دارا الثاني ، نوتس (٤٤٤ - ٤٠٤) ، ارتكسركس الثاني (٤٠٤ - ٣٥٩) ، ارتكسركس الثالث ، أوخس (٣٥٩ - ٣٣٨) ، أرسس Arses (٣٣٨ - ٣٣٦) ، دارا الثالث (٣٣٦ - ٣٣٠) وهو الذي قضى عليه الإسكندر .

الطيب يَذْكُر في كتاب « جوامع كلام أفلاطون في سياسة المدن ^(١) » قولهً يدل على أنه كان بعد زمان عيسى عليه السلام ، وهو أن قال : إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا سيادة الأقاويل البرهانية ، ولذلك صاروا يحتاجون إلى رموز ينتفعون بها – يعني الرموز التي جاءت عن الأنبياء عليهم السلام لأنهم ينتفعون بها منفعة ليست باليسيرة في سيرهم من التصديق بأشياء بغير برهان .

ونجم فيثاغورس الفيلسوف في زمان دارا الثاني . قال * : وقد افتح ملوك فارس كُورآ لليونانيين في الروم ^(٢) ، وغلووا على مداين كانت معادن لكتبهم التي تشتمل على الفلسفة والحكمة ، كالجزيرة ، والشام ومصر وقسطنطينية وغيرها من البلدان . فأخذوا ما كان فيها من كتب الحكماء: بعضها (بالقوة) وبعضها بالهدية . وأما كتب النجوم والهندسة والعدد والموسيقى والطب والحيوان فأهداها غورديانوس ملك الروم لشابور بن أردشير الملقب بذى الأكتاف .

وقال * في فصل من هذا التاريخ : فلذلك تهياً أن كان بالفرس منْ أبدع آلة العود العجيبة الغالية جميع ^(١٢) آلات الموسيقى . قال * : وإنما صار العود ليس بمنسوب إلى رجلٍ بعينه مشار إليه باسمه ، لأن الفيلسوف الذي تولى إبداعه يحكم أنَّ الغالب على أكثر الناس الجهلُ والبطالة . فخاف أن يَدَعُوا أهل الجهل إلى أن يظنوا أن هذه الآلة إنما قصْدَ اللهُ واللغو واللعب وليس ^(٣) بصناعةٍ تنسب إلى شرفٍ ورفعةٍ كصناعة الفلسفة والكتابة

(١) غ : البدن . وهذا الخبر يدل على أن « جوامع كتب السياسة (الجمهورية) » لأفلاطون قد ترجم أيضا إلى العربية ، إلى جانب كتاب « جوامع طيماوس » الذي نشرناه في كتابنا « أفلاطون في الإسلام » ، طهران سنة ١٩٧٤ .

(٢) الروم : آسيا الصغرى . م ، لـ : اليونانيين والروم .

(*) أي علي بن يحيى في كتابه المذكور .

(٣) واللعب ليست : ناقصة في غ ، موجودة في لـ ، م .

وتدبیر المدن . فكره أن ينسبة الحهال إلى الله^(١) واللعب لإبداعه هذه الآلة و يجعلونه بمثابة من أحدث الطبل والدف اللذين قصدهما قصد اللعب . فأنف لنفسه من هذه الحال ، ولم ينسب^(٢) لنفسه هذه الآلة ، فبقيت هذه الآلة غير منسوبة إلى رجل مشار إليه بعينه .

قال : وقد يعلم أن هذه الآلة لم تكن في عصر نيقوما خس^(٣) ولا بطلميوس ، فإن نيقوما خس أقدم عهداً من بطلميوس ، ولم نجد لهما ذكراً – في كتابيهما في صناعة الموسيقى – لهذه الآلة . وقد ذكرها القيثارة والورا^(٤) ، وهما دونها في القدر والشرف . ولو وجدت^(٥) في عصرهما لما تركا ذكرها مع علوها على آلات الموسيقى ، وذكراما دونها .

قال : وبطلميوس لم يكن في عصره بعيد عن ابتداء عصر أردشير بن بابل^(٦) .

وأما علم النجوم فإن^(٧) ابتدأه كان من بابل من جهة الكلدانيين ، وذلك قبل زمان ابراهيم – صلوات الله عليه . وسببه أنهم كانوا مقبلين على صناعي الفلاحة والملاحة ، ولن يستغنوا فيهما عن أحكام النجوم . وأعانتهم على ذلك صفاء الجو في بلادهم ولطائف طبائعهم وذكاء أذهانهم وخفة أرواحهم وقلة الأنداء والسحب في بلادهم .

وأما علم المساحة والهندسة فمن مصر ابتدأه . وسببه أن مَدَ النيل كان

(١) ك : اللعب والله .

(٢) ك : ولم ينسب فبقيت ... غ : لنفسه هذه الآلة غير منسوبة ...

(٣) هو نيقوما خس الحراشي من جرش في الأردن حالياً وكان فيلسوفاً فيشاغوريّاً ورياضيّاً وازدهر في حدود سنة ١٠٠ ميلادية ، وله كتابان موجودان هما « المدخل إلى علم العدد » و « من في التوافق الموسيقي » في مقالة واحدة ، وهو أقدم حجة عن النظرية الفيشاغورية في الموسيقى .

(٤) القيثارة Cithare ؛ الورا = Lyre

(٥) أي آلة العود .

(٦) غ : قال – وهو تحرير ظاهر .

يكسح مزارعهم في كل سنة ، فيحتاجون إلى قسمتها ومساحتها وتقديرها ونخديد حدودها ، بالضرورة^(١) التي دعتهم إلى ذلك تحرزاً من الفرق .

وأما تأليف اللحون فأول من أبدعها قومٌ من اليونانيين يقال لهم تامس^(٢) فيما بين قسطنطينية واسقلبيه^(٣) ، وذلك لكثره ما نالهم من الحروب . فوضعوا أداتين : إحداهما لتنج المرأة في قلوب أوليائهم وتحريضهم على لقاء عدوهم وإزالة الجبن من صدورهم وإماتة الفشل عنهم بالألحان القادحة لنار الغصب المهوّنة للموت . والأخرى لترهيب^(٤) (١٣) قلوب أعدائهم وتشويه عقولهم وتوليه فكّرهم بالألحان المجزعة المؤدية إلى النكول .

وأما علم الحساب فإن أول من فتّقه أهل فونيقي^(٥) ، وهم أهل حمص ومنَ يليهم . وذلك لأنّهم كانوا تجاراً مسافرين يحتاجين إلى الحساب لأرباحهم وحفظ رؤوس أموالهم عليهم في شرائهم وبيعهم وخسارتهم . فهم الذين اخترعوا هذا العلم .

واما علم الطبائع فمن الشام منشئه . وسببه أن الوباء في نواحيه كان يكثر ويعم فيضطرون إلى الاستعانة بالقوى الطبيعية .

ولما كانت صناعة الطب من فروع العلم الطبيعي وكثُر استعمالُ أهل زماننا لأحد قسميه المنسوب إلى يونان ، دون القسم المنسوب إلى الهند حتى صار كالملغى المستغنى عنه وجب ذكر طرفٍ من تواريخ الأطباء اليونانيين لذلك ، ولخصّلة أخرى وهي دخول أخبار جماعة منهم معدودين في جملة

(١) م ، ك : للضرورة .

(٢) م ، غ ، ك : تامس .

(٣) ك : واسقلبية . - واسقلبية = بلاد العقالبة . م : واسقلبية .

(٤) م ، ك : لترهيب .

(٥) ك ، م ، غ : قوثيقى .

أهل الفضل والحكمة في أثناء مَنْ نريد أن نقص "أخبارهم ونحكي المستحسن"^(١)
من نوادرهم : فلاسفة وحكماء .

(من تاريخ الأطباء)

فنقول : إن الأطباء على فرقتين : إحداهما تدعى أن الله تعالى أعلم الناس صناعة الطب ، كما ألمهم سائر مصالحهم . والفرقة الأخرى تدعى أن الناس استخرجوها . وهم أصناف : فبعضهم يصححون ذلك من أمر الدواء المعروف بالراسن ، وسندكر قصة ذلك بعد . وبعضهم يدعى أن أهرمس استخرج صناعة الطب في جملة ما استخرجه من سائر الصناعات الحكيمية . وآخرون يقولون إن أهل فولوس استخرجتها ^(٢) من الأدوية التي لفتها القابلة ^(٣) اليونانية لامرأة ملِكتها . وبعضهم يقول إن أهل موسيا * وافروغيا استخرجوها ^(٤) وذلك أن هؤلاء هم أول من استخرج المزمار ، وكانوا يشفون بتلك الألحان والتوصيات ^(٥) آلامَ النفس ، وبشفاء آلات النفس ما يشفي البدن . وبعضهم يقولون إن المستخرج لها السحرية من أهل بابل وفارس – وهذا خرافة . وبعضهم يدعى أن أهل الهند استخرجوها أولاً . وبعضهم : الصقالبة . والله تعالى أعلم !

(١) غ : المستجين .

(٢) غ : استخرجها .

(٣). غ : استخرجوا وذلك ...

(٤) غ : التوقيفات .

(*) موسيا Mysia أقليم في الشمال الغربي من آسيا الصغرى كان أهله يسمون Musioi ، وكانت تحيط بها لوديا Lydia وافروجيا Phrygia من ناحية الجنوب ، وبتونيا Bithynia من ناحية الشمال الشرقي ، وبربونتس Propontes وبحر ايجي من الشمال والغرب . وكان أشهر بلادها برجموم Pergamum وكوزيكوس Cyzicus . - وافروجيا كانت تشمل أقليماً واسعاً في آسيا الصغرى . اذ شملت القسم الغربي من هضبة آناضول الوسطى ، واليونانيون سموا أهلهما Phruges = الأحرار .

وأما الذين قالوا إن الطب من الله تعالى فهم أيضاً فِرق : ففرقة تدعى أن الله تعالى ألم الناسَ الطبَ بالرؤيا . واحتجوا في ذلك بأن جماعة رأوا ، بلا خلاف ، استعمال أدوية ، فاستعملوها في (١٤) اليقظة فشفتهم من أمراضٍ صعبة ، وصارت تشفى كلَّ من استعملها . — وفرقة تدعى أن الله عز وجل ! — ألم الناس الطب بالتجربة . وزاد الأمر في ذلك وقوى . واحتجوا في ذلك بأن امرأة كانت بمصر ، وكانت شديدة الهم والحزن ، مبتلاة بالغثط والدَرَد ، ومع ذلك كانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوءاً خلطًا رديئاً، وكان (١) حيضها محبسًا . فاتفق لها أن استعملت أكل الراسن مراراً كثيرة بشهوةٍ . فذهب عنها جميع ما كان بها ، ورجعت إلى صحتها . وجميع من كان به شيءٌ مما كان بها أستعمله فبرئ منه . واستعمل الناس التجربة في سائر الأوجاع وسائر الأشياء ، أعني المواد .

ولما كان الخُلُفُ والتباين في هذا على ما ذكرتُ ، صَعَب طلب أوله جداً . لكنني اعتمدت من بين جملة التاريχات (٢) على تاريخ يحيى النحوي ، وهو الذي يسميه الناس « المحب » (٣) للتعب » — من جهة أنه كان إذا هم بتتأليف الشيء من الأشياء بحث عنه بحثاً مستقصيًّا وتعب فيه تعباً كثيراً ولم يأت به إلا على الصحة والجودة . فبحسب ذلك علمتُ أن ما (٤) قاله في ذلك أصحُ ما قيل فيه وأقربه من النظام . وقد أدخلت أنا في خلال ما قاله ذِكْرَ مَنْ . كان في عصر كل واحد من الفلاسفة ، ليكون ذلك أَمْ وأَكْمَل .

(١). غ : كانت حيضها محبسة .

(٢). جمع : تاريخ — وهو غريب .

(٣) ترجمة لقب يحيى النحوي : فيليوبونس Philoponus . راجع كتابنا : « التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية » ط ٣ القاهرة سنة ١٩٦٥ .

(٤) ما : ناقصة في غ .

(كلام يحيى النحوي في نشأة الطب)

قال يحيى النحوي الإسكندراني :

أول من أظهر الطب بمدينة قو ، على ما تناهى إلينا في الكتب المكتوبة والأحاديث المشهورة من العلماء الثقة بذلك ، هو أسلقيبيوس من مدينة قو^(١) . وهي مدينة بقراط الذي استخرج الطب بالتجربة . وكان بينه وبين ظهور جالينوس خاتم الأطباء ثمانية أطباء :

اسقلبيوس الأول
وغوروس
ومنيس
وبرمانيدس
وأفلاطون الطبيب
واسقلبيوس الثاني
وبقراط الثاني
وجالينوس

وكانت مدة ما بين ظهور اسقلبيوس الأول إلى وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسماية سنة وستون سنة ، منها الفرات من كل واحد من هؤلاء الأطباء منذ وفاته إلى ظهور الآخر : أربعة آلاف وثمانمائة وتسعة وثمانون سنة . من ذلك ، منذ وقت وفاة اسقلبيوس الأول وإلى ظهور غورس ثمانمائة وست وخمسون سنة . ومنذ (١٥) وقت غورس وإلى ظهور منيس : خمسماية وستون سنة . ومنذ وقت وفاة منيس وإلى ظهور برمانيدس : سبعمائة وخمس

(١) قو = Kos جزيرة عند مصب خليج هاليكروناسوس ، طولها ٢٥ ميلاً ومحيطها ٧٤ ميلاً تقريباً . ومن أشهر أبنائها : أبقراط والرسام أبلس Apelles والشاعر فيلتمان Philetas ، وربما أيضاً ثيوكريتوس Theocritus .

عشرة سنة . ومنذ وفاة برمانيدس وإلى ظهور أفلاطون سبعمائة وخمس وثلاثون سنة . ومنذ وفاة أفلاطون وإلى ظهور اسقلبيوس الثاني : ألف وأربعمائة وعشرون سنة . ومنذ وفاة اسقلبيوس الثاني وإلى ظهور بقراط : ستون سنة . ومنذ وفاة بقراط وإلى ظهور جالينوس ستمائة وخمس وستون سنة . ومنها ما عاش كل واحد من هؤلاء الثمانية الأطباء منذ وقت مولده وإلى وقت وفاته : ستمائة وثلاث عشرة سنة . من ذلك : اسقلبيوس الأول عاش سبعين سنة : صبي فتى قبل أن تفتح له القوة الإلهية : خمسين سنة ، عالم ومعلم ^(١) : أربعين سنة . غوروس عاش سبعاً وأربعين سنة : صبي ومتعلم : سبع عشرة سنة ، عالم ومعلم ^(٢) : ثلاثين سنة . منيس عاش أربعاً وثمانين سنة : صبي متعلم : خمساً وعشرين سنة ، عالم معلم : خمس عشرة سنة . أفلاطون عاش ستين سنة : صبي متعلم أربعين سنة ، عالم معلم : عشرين سنة . اسقلبيوس الثاني عاش مائة وعشر سنين : صبي ومتعلم : خمس عشرة سنة ، عالم معلم : تسعين سنة ، عُطل : خمس سنين . بقراط عاش خمساً وتسعين سنة : صبي ومتعلم : ست عشرة سنة ، عالم و المتعلّم ^(٣) : تسعًا وسبعين سنة . جالينوس عاش سبعاً وثمانين سنة : صبي ومتعلم : ست عشرة سنة ، عالم معلم ^(٤) : احدى وسبعين سنة .

ولكل واحدٍ من هؤلاء الأطباء الأصول منْ علموه هذه الصناعة وخلفوه بعدهم ثبات ذكرهم من الأولاد والتلاميذ من بين العصابة ^(٥) والكلالة ، لا منْ أولاد القرباء ، إذ كان بينهم العهود والمواثيق أن لا يعلموا هذه الصناعة غريباً ، على ما رسمه اسقلبيوس الأول ، فإن اسقلبيوس هذا خلّف من التلاميذ من بين ولده وغيره من القرابة ستة ، وهم : ماغينوس ^(٦) ،

(١) م ، ك : عالم يعلم .

(٢) غ : عالم معلم .

(٣) م ، ك : العصبة .

(٤) ك ، م : ماغنيس .

وسقراطون ، وآخر وسيس ، ومهراريس — المكذوب عليه المزور بسببه الكتب أنه^(١) لحق سليمان بن داود عليهما السلام ، لأن بينهما ألف سنين ! وهذا حديث خرافة — وسورموس^(٢) ، وسيفاوس . ووُجِدَتْ في بعض الكتب أن هذا^(٣) هو المكذوب عليه ، لا مهراريس . وكان كل واحد من هؤلاء يتحلّل رأي أستاذهم اسقلبيوس ، رأي التجربة ، إذ كان الطب إنما خرج لهم بالتجربة .

ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ إلى من عَلَّمُوه حتى ظهر غوروس .

ومن الأطباء المذكورين في الفترة التي بين اسطبيوس وبين غوروس : سورينوس ، وماينوس ،^(٤) وسموملس ، وثياديروس ، ومسيناوس ، وسفر وقوس الأول ، وسقلموس ، واوطيماخس ، وقدفيمون ، واغانيس ، وايرافلس * ، واستورس^(٥) الطيب .

ولما ظهر غوروس نظر في رأي التجربة وقوّاها ، وخلّف من التلاميذ بين ولد و قريب سبعة ، وهم : مرقس ، وجرئر جيس^(٦) ، ومسطش ، وفولس ، وماهانس ، وأرسيسطراطس الأول ، وسيفورس . وكان كل واحدٍ من هؤلاء يتحلّل رأي أستاذه في التجربة .

ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء إلى منْ عَلَّمُوه وخلفوه من ولدٍ و قريب

(١) م ، لك : وصور ملوك وسيناوس .

(٢) غ : هذا المكذوب .

(٣) م ، لك : وسادماس ومسيناوس .

(٤) م ، لك : اسقوروس .

(٥) م ، لك : وخروجنس .

(*) Herophilos ؟ لكن ايرافلس هذا ولد في خلقدوتية في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد ، ودرس على براكساجوراس . Praxagoras

إلى أن ظهر مينيس . ومن الأطباء المذكورين في الفترة التي بين غوروس ومينيس : افسورس ، وسقوريدس الثاني ، واحتقيون ، واسقوريس ، وبارييس ، واستقلس^(١) وموظيس ، وأفلاطون الأول الطبيب ، وبقراط الأول من اسكندروس^(٢) .

فلما ظهر مينيس نظر في مقالات مَنْ تقدم ، فإذا^(٣) التجربة خطر عنده ، فضم إلية القياس وقال : ليس يجب أن تكون تجربة بلا قياس ، لأنها تكون على خطر . فلما توفي خلف من التلاميذ بين ولد و قريب : أربعة ، وهم : فطرس ، واميروس^(٤) وسورانوس ، ومساوس القديم . ورأى هؤلاء القياس والتجربة . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء إلى من علموه وخلفوه من أهل أثينا إلى أن ظهر برمانيدس .

ومن الأطباء المذكورين في الفترة التي بين مينيس وبين برمانيدس : برسناس ، وغوراس ، واسقورس ، واسطفانوس ، واسقولس ، وساوراس ، وخوراطيس ، وفولوس ، وسورانيذ يقوس ، ومساوس الثاني^(٥) ، وساموس ، وافتطفالوس ، وسوتاخس ، وسريارنوس ، ومالماس .

ثم ظهر برمانيدس^(٦) فقال إن التجربة ، وحدتها كانت أو مع القياس ، فهي خطر . فأسقطها ، وانتحل القياس وحده . فلما مات خلف من التلاميذ من أهل بيته ثلاثة وهم : ثاسلس ، واقرن ، وذيفيلس . فوقع بينه — المنازعات ، وافترقوا ثلاثة فرق . وادعى اقرن بالتجربة وحدتها . وادعى ذيفيلس القياس وحده . وادعى ثاسلس الحِيل وذكر أن الطب إنما هو^(٧)

(١) ك : اسفلس . م : اسفلس .

(٢) م ، ك : غسكندروس .

(٣) في.غ م ، ك بآلف متونة .

(٤) م ، ك : أميس .

(٥) غ : أفلاطون الطبيب .

(٦) هو : ناقصة في.غ .

حيلة^(١) . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ إلى من علموه وخلفوه حتى ظهر فلاطون الطبيب^(٢) .

والأطباء المذكورون في الفترة التي بين برمانيدس وفلاطون الطبيب ينقسمون ثلاثة أقسام ، أما أصحاب التجارب فهم أغراوغنطي ، وسخن ، وانقلس ، وفيليس ، واغافيفطيميس ، والحدروس ، وميلسين – . وأما أصحاب الحِيَل فهم ماناخس ، وماساوس ، وغموناس ، وغوفولس ، وقومس^(٣) . – وأما أصحاب القياس فهم : انكساغورس ، وافولوطيميس ، وماخاخيس^(٤) ، وسقولدس ، وسوبيقس .

فلما ظهر فلاطون ونظر في المقالات علم أن التجربة وحدها ردية خطر ، والقياس وحده لا يصح . فانتحل الرأيين جميعاً ، وأحرق الكتب التي ألفها ناسلس وأصحابه ومنْ انتحل رأياً واحداً : من التجربة ، أو القياس . وترك الكتب القديمة التي فيها الرأيان جميعاً .

وتوفي أفلاطون ، وخلف من تلاميذه من أهل بيته وأولاده ستة ، وهم ميروس ، وأفرده بالحكم على الأمراض ، وفوريوس وأفرده بتدبير الأبدان ، وفولوس وأفرده للفَصَدْ والكَيِّ ، وتافرودوس وأفرده لعلاج الجراحات ، وسرخس وأفرده لعلاج العين ، وفانيس وأفرده لجبر العظام المكسورة وإصلاح العظام المخلوقة .

وليس يمكن في هذا الكتاب ذكر سيرة كل واحدٍ من مضى من الأطباء ، إذ كان يحتاج في ذلك إلى ألف من الأوراق . الغرض هنا الإيجاز وتجاوز

(١) ناقصة في ب.غ.

(٢) م ، ك : قونيس .

(٣) م ، ك : منقولوس .

(*) Soranos = ولد في أنفسوس ، وازدهر في وما في أيام تريان وهادريان (٩٨ - ١٣٨) . ويعد أكبر طبيب أمراض نساء في العصر القديم .

مثل هذه الأقاصيص إلى ما هو الأهم والمراد : من ايراد حِكْمَ الفلاسفة ونواذرهم والمستحسن من كلامهم .

فلم يَزَلَ الطب يجري على سدادٍ بين هؤلاء التلاميذ وبين مَنْ خَلَّفوه من ولد و قريب ، إلى أن ظهر اسقلبيوس الثاني^(١) « ومن الاطباء المذكورين في الفترة بين افلاطون واسقلبيوس الثاني^(٢) » : (١٨) ميلن ، والاغراغنطي ، وثامسطيوس الطبيب ، وافيليوس ، وفوديقولس ، وابراقلس الأول ، واندروماخص القديم ، وافلاغورس ، وماجيس ، وسطس ، وسيفورس ، وغالوس ، وملياطس^(٣) ، وايروقليس^(٤) الطبيب ، وفوثاغورس الطبيب وكان في هذا الوقت من الفلاسفة : فيثاغورس ، وذيو فيلس ، وثاون ، وانبادقليس ، واقليدس ، وساوري ، وطيماناوس ، وانكسيمانس ، وذيمقراطيس فإنه لحق بقراط وهو مع أستاذة اسقلبيديس وثاسلس .

فلما ظهر اسقلبيوس الثاني نظر في الآراء القديمة ، فوجد أن الذي يجب أن يعتقد هو رأي أفلاطون ، فانتحله . وشرح ذلك شرحاً طويلاً لا تحتاج إلى ذكره في هذا الموضوع .

فلما توفي خلف من أهل بيته من غير أن كان فيهم غريب من التلاميذ : ثلاثة نفر ، وهم بقراط بن ايرقليس^(٥) ، وماغارس ، ووارخس . فلم تمض مُدَيْدة أشهر حتى توفي ماغاريس ، وخلفه وارخس . وبقي بقراط وحيداً دهره : كامل الفضائل ، عالماً بسائر الأشياء التي بها يضرب المثل أعني الطبيب الفيلسوف . إلى أن بلغ به الأمر أن عُبِدَ . وسيرته طويلة . وسنذكر بعضها في تصعيف الكتاب عند ذكره . وقوى صناعة القياس والتجربة تقوية

(١) ما بين الرقمين ناقص في غـ . ويلاحظ ان اسم اسقلبيوس الثاني يرد داماً في لـ هـكذا : اسقلبيوس .

(٢) م ، لـ : مليا طاس .

(٣) = Herophilus وقد ولد في خلقدونية في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد ، ودرس على براكساجورس .

(٤) لـ ، م : ابوقليس .

عجبية لا يتهيأ لطاعن أن يخلّها منه وأن يهتكها . وعلّم الغرباء الطب ، وجعلهم أشبه بأولاده ، لما خاف على الطب أن يفني من العالم ، كما ذكر ذلك في كتاب عَهْدِهِ إلى الأطباء الغرباء ، ومن التلاميذ من آل اسقلبيوس ومن غير آل اسقلبيوس : أما من أولاده فثايسلوس ، وذرافقن ، ومالانا اريسا ، ابنته ، وكانت أربع من ابنه . ومن أولاد أولاده : بقراط بن ماسلوس بن بقراط ، وبقراط بن ذرافقن بن بقراط . ومن التلاميذ من أهل بيته ومن غيرهم من الغرباء : مالاذن ، ومارسخس ، وميسيلانوس^(١) وفولولس أجل تلاميذه وخليفته ، ومايسيون^(٢) ، واسطاث ، وساوس^(٣) ، وغورس ، وسيطيوس من أهل بيته ، ومائالس .

ولم يزل الطب يتنقل من هذه الأطباء إلى (١٩) من علموه (وخلفوه) إلى ظهور جالينوس . والأطباء المذكورون في الفترة التي بين بقراط وجالينوس ، فهم تلاميذ بقراط وأولادهم : سقلبيوس الطبيب المفسّر لكتب بقراط ، وانقلابوس الأول الطبيب ، ولوقوس ، وارسطيطراطيس الثاني القياسي (٤) ، وميلن الثاني ، وغاليوس (٥) ، ومروديتوس صاحب العقاقير ، وسقاطس المفسّر لكتب بقراط ، وماطاليس (٦) المفسّر لهذه الكتب أيضاً ، وغالونس (٧) الكاريكياني ، ومغنس (٨) الحمضني ، وأندرومانس القريب العهد ، وسوتاخس

(۱).ك : مسیاوس : م : و مسیانوس فولولس :

(۲) م، ک : مانیستون.

(۳) ساووس، کم:

(٤) القياس : ناقصة في ل.ك. ، وواردة في غ. ، م. :

(٥) ب.م : غالوس و مژر پر پطروس .

(٦) لک : و مایطپانی . م : و مارطاں .

(٧) لـ : غالولس الطارطاي . مـ : عالولس الطاريطاي .

(٨) **Magnus Emesenus** طبيب يوناني من فرقة المفسانيين Pneumatistes عاش قرب نهاية القرن الأول الميلادي ، وألف كتاباً عن الاكتشافات التي تمت منذ عهد تميسون . وقد حفظ لنا جاينوس بعض الشذرات . وله في العربية كتاب عن «البول» منه مخطوطات في برلين (برقم ٦٢٢٢) وأياصوفيا (٦٥٦٣)

الأثيني وروفس الكبير ، واسولوسوس ، وأرسجانس صاحب النبض ،
 وذيسقوريدس الأول المفسر لكتب بقراط ، وثياذريلوس الملقب بموهبة
 في عمل المعجونات ، ومستياوس المعروف بالمقسم للطب ، ومارس الحبيكي^(١)
 الملقب بثاسلس ، باسم ثاسلس الأول الذي ذكرته في أصحاب الحيل لأنه
 وقع إليه كتاب من كتب ثاسلس ، هذا الحبيكي ، كان يقي بقي بعد إحراق تلك
 الكتب فانتحله وقال : لا صناعة غير صناعة الحِيل ، وهي صناعة الطب
 الصحيحة . وأراد أن ينفر^(٢) الناس عن اعتقاد القياس والتجربة . ووضع
 من ذلك الكتاب في الحيل كتباً كثيرة ، فلم تزل مع الأطباء يقبلها بعضهم
 ويردّها بعضهم ، حتى ظهر جالينوس فناقضه عليها وأفسدها وأحرق ما وجد
 منها ، وأبطل هذه الصناعة . واقريطن الملقب بالمدني ، وافافيوس ،
 وخار كاثانس ، واوريابيس ، ومارلتس ، وفافولوس ، وبارقس ،
 ورغالس ، وهرمس الطبيب ، ويولانس ، وماخوراخكانس . وهؤلاء
 الاثنين عشر طيبياً الذي أولهم اقريطن يعرفون بمعاضدي بعضهم بعضاً في تأليف
 الأدوية لمنفعة الناس تشبيهاً لهم بالبروج الاثني عشر . وفيلس الحاقدوني^(٣) ،
 الملقب بالقادر : فإنه كان متجرداً على العلاجات الصعبة في الأمراض الشديدة
 يشفيها ولا يخطيء له علاج . وديقراطيس الثاني الطبيب ، وافروس ،
 وانكاظراس ، وافروذيس ، وبطلميوس الطبيب ، وسقراطس الطبيب ،
 ومارفس الملقب بعاشق (٢٠) العلوم ، وسواريس^(٤) ، وثياذريلوس الملقب
 بالشاعر ، وفورلس قادر العين ، وذيسقوريدس العين زُرْبَى^(٥) ، صاحب

(١) غ : الحبلي . والسبة إلى منهج الحيل في الطب .

(٢) غ : يفسر - ويصح أيضاً بمعنى يجعلهم ينسلكون عن .

(٣) لك : الحاقدوني (بالحاء المهملة كما هي مضبوطة في المخطوط) .

(٤) لك : سورس . م : سوريش .

(٥) غ : العين زوبى . وهو منسوب إلى عين زرب ، بلدة في سوريا بالقرب من طرسوس (في قيليقية) وازدهر في منتصف القرن الأول الميلادي ،

(*) ولد حوالي سنة ٣٢٥ في برحاموم وتوفي في مستهل القرن الخامس ، وكان صديقاً ليوليان

النفس الرَّكِيَّةُ ، النافع للناس المفعنة بالخليلة ، السائع في البلاد ، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، المصور لها ، المُعدَّد لمنافعها حتى إذا صحت له بالتجربة ووُجدها غير مختلفة أثبتها وصوّرها . وعنده أخذ جميعٌ منْ جاء بعده . وبه تقوّوا على سائر ما يحتاجون إليه من الأدوية المفردة . وللأدفوس المفسّر لكتب بقراط ، وقلابطر (١) : امرأة طبيعية ، وجالينوس أخذ عنها أدوية كثيرة وعلاجات شَيْءٍ خاصة في أمور النساء . واسطسادوس (٢) ، وسورانوس الملقب بالذهبي ، وايراقلس (٣) الطريطي ، وارويمس الملك ، وسياروس الفلسطيني ، وغالس الحمصي ، وكسانوقريطس ** ، ومرطانس ، وذيجانس الطبيب الملقب : بالقرابي ، وذوالس الكحال ، واستطناذوس (٤) البلادي ، ومقراطيس الجوارشني ، ولاون ، وارسوس الطرسوسي ، ومحى الحراني ، وموذيوس (٥) الأثيني ، وايراقليس (٦) المعروف بالهادي ، وبطروس بن مارس ، وفردادس الفاصل ، وثافراتس العين زربي (٧) ، وانطيماطروس المنسي المعروف بالعين . واريوس المعروف بالمضاد . وفيروس الطرسوسي الذي له معجون الفلونيا . وغانسواس المصري ، وطوطوسوس الاسكندراني ، ووالس ، وسقورس الملقب بالمطاع لأن الأدوية كانت تطاوعه فيما استعمله . وثانون ، وايران الحراني . وجميع هؤلاء أصحاب أدوية (٨) مركبة . وجالينوس

المرتد ، وكتب دائرة معارف طبية في سبعين مقالة ، لم يبق إلا ثلثها ومحضها . وقد نشر ما بقي من مؤلفاته بوسماكر ودامبرج في ٦ مجلدات ، باريس سنة ١٨٥١ ، سنة ١٨٧٦ في مجموعة الأطباء اليونان واللاتين .

(٩). ك ، مم. : فلا ونظروا .

(١٠) م ، ك : اسقلبيادوس .

(*) م. ، ك : كسانوقراطس .

(١) م ، ك : موذفوس

(٢) ك ، م ، غ : ابراقلس .

(٣) غ : ابراقليس . وبدون نقط في م .)

(٤) غ : العين زرقى .

(٥) ك : الأدوية المركبة .

أخذ منهم كتبه في الأدوية المركبة ، وعن الذين كانوا قبلهم مِمَّن سميّناهم أوّلاً مثل ابو لوسوس وأرشيجانس ^(١) وغيرهما .

ومنْ كان في هذه الفترة من الفلاسفة : زينون الكبير ، وزينون الصغير ، وأقراطيس ^(٢) المنطقي ، ورامون المستوفي ، وأغلوقن النصيبيني ، وسفراط ، وذعفراط ، وأرسسطوطيلس وثاوفرسطس ابن أخيه ، وأوذيموس ، وفافانس ، وآخر وسيس ، وذيجانس الكلبي ، وفيلاطس ، وفيماطرس ، واسقلبيوس (٢١) وارسيس ^(٣) الرومي معلم جالينوس ، وأغلوقن المحب ^ج جالينوس ، والاسكندر الملك ، والاسكندر الافروديسي ، وطاسلوس ^(٤) الاسكندراني ، ومولوموس الاسكندراني ، وفرفوريس الساوري ، وابرقلس الافلاطوني ، واسطفانس المصري ، وسحس ، ورامس .

ومن وفاة جالينوس ، وإلى سنة تسعين ومائتين للهجرة فالأطباء المذكورون في هذه الفترة : اسطفن ، وجاسيوس ، وانقيلاوس ، ومارينوس – هؤلاء الأربعه الاسكندرانيون ، وهم الذين فسّروا كتب جالينوس وجمعوها واختصروا وأوجزوا القول فيها . وطيماؤس الطرسوسي ، ومجينس الاسكندراني ، واصطفن الحراني ، وسموائي ^(٥) الملقب بالهلال لأنه كثير الملازم له متزلاً بالتأليفات . وارساسيوس ^(٦) ، وفولس * ، وارساللوس القوابل ، لأن القوابيل كُن يشاورنه في أمور النساء ، وذياسقوريدس الكحال ، ومافالس الاثيني ، وافروسطس الاسكندراني ، ونيطس الملقب بالمجبر ،

(١) ارشيجانس = Archigenes

(٢) أقراطليس Cratyle ؟

(٣) ك : ارسيس . م : ارميسن .

(٤) ك ، م : طالينوس .

(٥) ك ، م : سموى .

(٦) م ، ك : ارباسوس

? Paulus of Aegina (615-690) = (*)

وكان من الحذاق فيسائر صناعات الطب . ومارسيوس الرومي الذي قدم الاسكندرية فصار واحداً منهم . وايرون ، وربماك .

ومن الفلاسفة المذكورين ثامسطيوس ، وفروفريوس الصوري ، ويحيى النحوي ، وذرائيوس ، وانقلاؤس ، وأومينوس^(١) ، وفولوس ، وافروطرخس ، وادولس^(٢) ، وماغارا العين زربي ، وساروس الايثني ، وادني الطرسوسي .

فجملة السنين من وقت اسقلبيوس الأول إلى سنة ست وتسعين وما يزيد على الهجرة : ألف وثلاثمائة وسبعين عشرة سنة . فأما ابرهيم وموسى - عليهم السلام ! - فإنهم بين السنين التي بين أفلاطون الطبيب واسقلبيوس الثاني ؛ والمسيح - عليه السلام ! - بين السنين التي بين بقراط وجاليнос . من ابرهيم - عليه السلام - إلى موسى عليه السلام : خمسمائة وخمس سنين . ومن ابرهيم إلى المسيح الفان وخمس وستون سنة . ومن ابرهيم إلى سنة تسع^(٣) وما يزيد على الهجرة ألفان وتسعمائة وثلاثون سنة (٢٢) من موسى إلى المسيح ألف وخمسمائة وستون سنة . من موسى إلى سنة تسعين وما يزيد على الهجرة ألفان^(٤) وأربعين وأربع وثلاثون سنة . من المسيح إلى سنة تسعين وما يزيد على الهجرة^(٤) ثمانمائة وأربع وسبعون سنة . ومن اسقلبيوس الأول إلى ابرهيم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثمان وسبعين سنة . من المسيح إلى جالينيوس سبعة وخمسون سنة . والله أعلم .

(١) ك : امرسوس . م : أموسوس .

(٢) ك : واوزيم . م : وازوميس .

(٣) كما في كل النسخ ، ولعل صوابه كما فيما بعد : تسعين .

(٤) ما بين الرقمين ناقص في غ .

(ثالث الملاطي)

هو أول من ابتدأ بالفلسفة ، وبه سميت فرقه من اليونانيين فلاسفة . فقد كان للفلسفة انتقال كبير . وهذا الرجل ت الفلسف بمصر ، وصار إلى ملطية ^(١) وهوشيخ . ولم يوجد من كلامه إلاّ يسير لتقادم العهد وتطاول المدة ، وهو قوله :

الحق ليس بمحدوح ولكنه ممجّد لأنّه أرفع وأعلى من المدح . وإنما مدح الأشياء التي تقوى أن تميل بفعلها مرةً إلى الخير ، ومرةً إلى الشرّ .

وقال : رأس الفضائح : اليمين ، وإن صدّق صاحبها فإنها تعيبه ؛ والشتمة من العيّ ؛ والغضب من ضيق الفكر ؛ والتندم على ما فات من الفشل . وقال : منْ عَمِلَ فِي السُّرِّ عَمَلاً يَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ ، فَلَيْسَ عَنْهُ قَدْرٌ .

وقال : إن الذي لا نحسُّ فيه نفساً ناطقة ، وإنما نحسُّ بأنه لا يحسُّ بدنَا ميّتاً فقط فإنه بهيمة ، ويحب أن يكون شأنه ما يفعله البهائم . فأما الذي نحسُّ بأن فيه نفساً ناطقة غير مائة فليس بالواجب أن يكون شأنه ما تفعله البهائم ، لكن الواجب عليه أن يتمثل أفعال الله تعالى .

وقيل له : لِمَ صار الذين يفعلون الشرّ إنما يعاقبون على أفعالهم من دون

(١) ك : ملاطية .

الذين يَنْوُونَ فعلَ الشر ؟ فقال : مِنْ قَبْلَ أَنَّهُ إِنَّمَا مَا قُصِّدَ بِالْإِنْسَانِ لَا
لأنَّه لا يَتَفَكَّر ، لكنَّ لأنَّه لا يَفْعَلُ الرَّدِيءَ مَا يَتَفَكَّرُ فِيهِ .

وقيل له : أيَّ الْحَيْوَانُ الَّذِي لَا يَشْبَع ؟ فقال : الإِنْسَانُ الَّذِي ^(١) يَرِيدُ .

وقال : الْكَبِيرُ الْهَمَّةُ الَّذِي يَكُونُ عَنْفُ النَّاصِحِ عَنْهُ الْأَطْفَلُ مَوْقِعًا مِنْ
لِينِ الْمَلْقِ الْكَاشِحِ .

وقال : إِذَا وَعَظْتَ مُذْنِبًا فَتَرْفَقْ بِهِ لَثَلَاثًا يَخْرُجُ إِلَى الْمَكَاشِفَةِ .

وقال : كُوْنُوا مِنَ الْمُسِيرِ الْمُوْغِلِ أَخْوَفَ مِنْكُمْ مِنَ الْكَاشِفِ الْمَعْلِنِ ،
لأنَّ مَدَاوَةَ الْعَلَلِ ^(٢) الظَّاهِرَةُ أَهُونُ مِنْ مَدَاوَةِ مَا اسْتَخْفَى وَبَطَنَ .

(٣) وقال : مَنْ سَقَكَ الْمُرُّ لَتَبِرُّ أَشْفَقَ عَلَيْكَ مِنْ أَوْجَرْكَ الْحَلُو لَتَسْقَمَ
وَمَنْ خَوَفَكَ لِتَأْمِنَ أَبْرَبَكَ مِنْ آنِسَكَ حَتَّى تَخَافَ .

وقيل له : أَخْرُجْ هَذَا الْغَمَّ مِنْ قَلْبِكَ ! فقال : لَيْسَ بِإِذْنِي دَخَلََ .

وَسُئِلَّ عَنْ حَالِهِ بَعْدَمَا هَرَمَ ، فقال : هَذَا أَمْوَاتٌ عَلَى مَهْلِ .

وقال : إِنَّ القَوْلَ الَّذِي لَا مَرْدَّ لَهُ هُوَ أَنَّ الْمُبْدِعَ ، وَلَا شَيْءٌ مُبْدِعٌ ،
أَبْدَعُ الَّذِي أَبْدَعَ وَلَا صُورَةٌ لَهُ عَنْهُ بِالذَّاتِ ، لَأَنَّ قَبْلَ الْإِبْدَاعِ إِنَّمَا هُوَ
فَقْطُ . وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا هُوَ فَقْطُ ، فَلَيْسَ يَقَالُ حِينَئِذٍ جَهَةً وَجَهَةً ، بَلْ هُوَ وَكِيفُ
هُوَ ، وَمَمَّا هُوَ ، وَعَلَى مَا هُوَ دَاخِلٌ فِي هُوَ هُوَ . وَالْإِبْدَاعُ إِنَّمَا تَأْيِسُ ^(٤)
شَيْءٍ مَا لَمْ يَكُنْ . وَتَأْيِسُ الشَّيْءِ إِذَا أُيْسَ لَيْسَ يَكُونُ حِينَئِذٍ نَحْوَ ذَاتِ الْمَؤْيِسِ ،
بَلْ نَحْوَ مَا هُوَ خَارِجٌ مِنْهُ . فَلَا حَالَةٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِذَلِكَ التَّأْيِسَ صُورَةً أَبْلَةً ،
وَإِلَّا فَلَيْسَ هُوَ مُؤْيِسٌ . فَإِذَا كَانَ هُوَ مُؤْيِسُ الْأَشْيَاءِ ، فَالْتَّأْيِسُ لَا مِنْ .

(١) غ : لا يَرِيدُ .

(٢) م ، لَكْ : حَتَّى تَأْمِنَ .

(٣) التَّأْيِسُ = الْوَجُودُ . الْمَؤْيِسُ = الْمَوْجُودُ ، الْمُبْدِعُ . أَيْسُ = أَوْجَدٌ .

شيء تقدم ، ولا شيء إنما هو أيس" ولا مأيس" . فإذا كان كذلك فمؤيس الأشياء ليس يحتاج أن تكون عنده صورة الشيء بأبيسيته ؛ وإنما فقد يلزمـه ، إن كانت الصورة عنده (+) أن يكون مقارناً للصور التي عنده، لأن من كانت الصورة عنده (+)، قائمة منفصلة ، فلا محالة أنه مقارن لتلك الصور المبدع الأول إذا بلغت إلى ما لا غاية بعده فإنه لا يلزمـه أن تكون الصور عنده ، وإنما فليس هو مبدع" .

(١)

انقسيمانس الملاطي

ثم كان بعده انقسيمانس الملاطي . فمما روى عنه قوله :

الزمان مغيّر العالم .

وقال : ما أحسن بالإنسان وأجمله وأكمله أن يكون ظاهراً في نفسه ، زكيتاً في آلته عند دنوه من تعلم الأدب وطلب الحكمة ، لتكون فكرـه خالية من الفكر القيحـة الشاغلة العاقلة عمـا يريـدـه من الأدب ، ولـيـكون قوله ، إذا خـرـجـ منه ، يـبـنـاـ واضـحاـ حـسـنـاـ كـلـامـ الصـافـيـ المـاخـوذـ منـ عـيـنـ صـافـيـةـ ، لأنـ حـبـ النـسـاءـ وـشـهـوـةـ الإـنـاثـ هيـ غـاـيـةـ منـافـعـ الفـسـاقـ (٢)ـ وـذـخـائـرـ الإـثـمـ لـفـجـارـ .

وقال : ينبغي لنا أن ننظر في الحكمة وثمرتها بالمرآة النـقـيـةـ . ثم تـفكـرـ بعدُ فيما يجب أن نـهـمـ به (٣)ـ فإنـاـ قدـ رـأـيـناـ النـاسـ إـذـ خـافـواـ الـلـائـمـةـ (٤)ـ وـتـجـنـبـواـ الإـثـمـ لـزـمـهـمـ الـهـمـ وـالـحـسـرـةـ وـرـأـيـناـ أـضـدـادـهـمـ يـفـرـحـونـ فـيـ الـحـالـاتـ كـلـهاـ ،

(١) غـ : أنـفـسـانـسـ .

(٢) مـ ، كـ : المشـاقـ .

(+) ... (+) ما بين الـلـامـتينـ نـاقـصـ فـيـ غـ .

(٣) غـ : طـاـ .

ويتردون في المراتب ويتعجبون منهم وهم لا يدرؤن بذلك لأنهم لما رأوا العلاء مهتمين آسفين مشاغلين مفكرين في صلاح أنفسهم وما يصلح لهم في^(١) معادهم بعد مفارقة هذا البدن ، ورأوا أنفسهم قد فرغت ولزمنها الرأسة ، ظنوا أنهم هم الأفضل السعداء ، وأن هؤلاء هم الأخسء الأشقياء ، وذلك انحلال بصرهم عن تأمل هذا العالم الذي يحتاج أن يستأمل بنظر لطيف . ورأى غلاماً يتقدم إلى مصوّر بشبه صورته به ، فقال : ما أشد حرصك على ألا تشبه صورتك !

أنكساغورس

ثم كان بعد انقسيمانس الملطي : أنكساغورس . وقد ملأ الحكم^(٢) كتبه بأقواله وآرائه ومذاهبه والرد عليه فيما لم يوافقه عليه . وكان يأخذ نفسه بالتقشف ، ويسموها الشدائـد من مقاـسة البرد والخلـيد والثلـج عريـاناً حافـياً على كـبره وضـعفـه . فـقيل له في ذلك فـقال : لأنـي سـريع المـرح فـاحـش الأـشر ، فأـخـاف أنـ تـجـمـحـ بيـ فـتـورـطـيـ فيـ أـهـوـائـهاـ المـذـمـومـةـ .ـ فـماـ ليـ لاـ أـجـعـلـهاـ تـحـتـيـ ،ـ دونـ أـنـ أـكـونـ تـحـتـهاـ؟ـ وـلـمـ لاـ أـحـمـلـهاـ عـلـىـ الشـدـائـدـ دونـ أـنـ تـحـمـلـيـ عـلـىـ الـفـوـاحـشـ؟ـ

وكان في مدینته هيـجـ وـهـرجـ وـاخـلاـطـ لـبعـضـ الـحوـادـثـ ،ـ وـالـفـيـلـوسـوفـ سـاـكـنـ قـارـ .ـ فـقاـلـ لـهـ بـعـضـهـمـ :ـ أـمـاـ تـحـرـكـ هـذـاـ الـهـيـجـ؟ـ فـقاـلـ :ـ لوـ رـأـيـمـ مـثـلـ هـذـاـ فـيـ النـوـمـ ،ـ أـكـنـتـ (٣)ـ تـحـرـكـوـنـ لـهـ فـيـ الـيـقـظـةـ؟ـ فـكـذـلـكـ لـاـ يـقـلـقـيـ هـذـاـ الـذـيـ رـأـيـتـ إـذـاـ رـجـعـتـ إـلـىـ صـحـةـ الرـأـيـ ،ـ لـأـنـ أـمـوـرـ الـعـالـمـ كـلـهـ كـالـحـلـمـ ،ـ وـصـحـةـ

(١) في : ناقصة في كـ .

(٢) الحكم = أسطوطاليس .

(٣) كـ ، مـ ، غـ : لـكـتـمـ .

الرأي كاليقظة .

وخاصمته ^(١) امرأته ، ومكث ^(٢) طويلاً يسمعها وهو محتمل منها ساكت لا يحييها بشيء ، فلما بلغ منها الغيط أخذت غسالة ثياب كانت تغسلها فصببها على رأسه وعلى كتاب كان في يده . فرفع رأسه إليها وقال لها : أمّا إلى هذه الغاية فكنت تبرقين وترعدين . وأمّا الآن فقد (٢٥) أمطرت .

ومرّ برجل عريض عَبَث^(٣) فشتمه وأفحش عليه ، فأعرض عنه الفيلسوف فقيل له : لم لا تتعض من كلامه ؟ فقال : لأنني لا أتوقع أن أسمع من الغراب هدير الحمام ، ولا من الكُرْكِي تغريد القُمُرْي . فكما أني لا أسمع من الطير إلا الصوت الذي يشبهه ، كذلك لا أتعض إذا سمعت من الإنسان ما يشبهه .

وقال : ليس ينبغي لك أن تعدد أمور الحكمـة بين يدي كـسـلان ، وذلك كما أن البـهـيمـة إنـما تـحـسـ من الـذـهـبـ والـجـواـهـرـ بـثـقـلـهـماـ فـقـطـ وـلـاـ تـحـسـ نـفـاستـهـماـ ، كذلك الكـسـلانـ إنـما يـحـسـ من الأمـورـ الحـكـمـيـةـ بـثـقـلـ التـعـبـ عـلـيـهـ مـنـهـاـ وـلـاـ يـحـسـ بـنـفـاستـهـاـ .

وقال : الحزن ^(٤) عارض من فقد المحبوب وفوت المطلوب .

(٥)

أرملاوس بن ابولودرس

ثم كان بعد انكساغورس أرملاوس بن ابولودرس من أهل أثينية . ولم يحفظ من كلامه غير قوله : لا تلبسو اللثام ملابس الحِكْم ، فإن أجسادهم أو حش من أن تتزين بيرودها ، ورقابهم أقبح من أن تتحلى بعقودها .

(١).غ : خاصمت .

(٢).غ : مكثت ... يسمله .

(٣).غ : خبيث .

(٤).غ : الحسن .

(٥).م ، ك : ارسالاوس بن ايدلورس .

وهو لاء الفلسفة بعضهم كان تالياً لبعض ، وبهم استكملت فلسفة اليونانيين ، التي كان مبدئها ومنظورها من الرجل الذي يقال له : ثاليس الملاطي .

فيثاغورس

كان من العلماء الزهاد في الدنيا . وذُكر عنده يوماً المال ، فقال : ما حاجي إلى شيء أعطاه ^(١) البحت والحظ ، ويحفظه على اللؤم والشح ، وبهلكه السخاء والبذل ! ولما حضرته الوفاة في الغربة جعل أصحابه يتحزّنون على موته في غير بلاده ، فقال : يا معاشر الأصدقاء ! ليس بين الموت في الغربة وبينه في الوطن فرق . وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحد ^٢ من جميع الموضع . وأهدى إليه ملك هدية ^٣ ، فردها . فسأله عن ذلك فقال : لأن بذل الموجود وترك طلب المفقود يكونان عن فقر ^٤ النفس وشحها . فلم أحب أن يسخو وأشح ، ويغنى وأفتقر . ودعا جماعة من أصدقائه إلى طعامه ، فصادف خادمه قد تهاون بالأمر ولم يُعِد شيئاً مما يحتاج إليه . وحضره القوم ^(٥) فلم يغضب ولم يتعجب ، لكنه ضحك وقال : لقد استفدنا اليوم ما هو أفضل مما اجتمعنا له ، وهو كظم الغيظ ، ومِلْكُ الغضب ، والظفر بالصبر ، والتحصن بالحلم .

وأتأهـ تلميـ له يـعتذر إـلـيهـ منـ تـقـصـيرـهـ فيـ خـدـمـتـهـ فـقـالـ لهـ : لاـ تـجـمـعـ عـلـيـ الضـرـرـ منـ جـهـتـينـ : تـعـنـيـ نـفـسـكـ ، وـتـشـغـلـيـ عـنـ الذـيـ أـحـتـاجـ إـلـيـ وإـلـىـ النـظرـ

(١) م ، ك : أعطاه بالبحت .

(٢) كـذاـ فـيـ لـكـ ، غـ . مـ : عـنـ عـبـرـ فـقـرـ النـفـسـ وـشـحـهـ - وـقـدـ يـكـونـ صـوـابـهـ : عـنـ .

والتفكير فيه^(١) .

وسُئل عن الحكمة فقال : علم حقائق الأشياء الموجودة بحالٍ واحدة أبداً .
وكانت سيرته أن يقول : ينبغي للمرء أن يكون حسن الشكل في صغره ،
وعفيفاً عند ادراكه ، وعدلأً في شبابه ، وذا رأي في كهولته ، وحافظاً
للسن عن كبره وقت فنائه ، فلا تلحقه الندامة بعد الموت .

وأراد أن يعظ الناس ويوبخهم على تهاونهم بالعلم . فصعد موضعًا عالياً
وصاح : « يا معاشر الناس ! ». فلما اجتمعوا قال : « إني لم أدعكم ،
بل^(٢) دعوتُ الناس ». .

وقال أيضاً : خذوا أنفسكم من الشريعة بثلاثة أشياء : ترك اللجاج
والغضب ؛ واهجروا كثرة الأكل ؛ ولا تناموا الكثير .

وقال لتميذ له يتهاون بالعلم : أيها الحدث ! إنك إن لم تصبر على
تعب التعلم ، صبرتَ على شقاء الجهل .

وقال : علّموا أبناء الفلاسفة الأعدادَ والأشكال ، ليعرفوا من الأعداد
كيف انحراف الأشكال وخروجهما من الاستقامة .

ومن أجل ذاك كان أفالاطون ينادي : « لا يدخلنَ في الفلسفة شابٌ
لم يعرف التعاليم الأربع ». .

وقال^(٣) : إذا فعلتَ الخيرَ ، ثم فارقتَ هذا البدن ، كنتَ سائحاً في
الملكون غير عابرٍ إلى الإنسانية ، ولا قابلاً للموت .

(١) غ : النظر فيه والتفكير .

(٢) غ : ادعكم فادعوت الناس (!)

(٣) أي فياغورس .

وَسُئِلَ : مَا الَّذِي يَهُدُ الرَّجُلَ وَيَنْهَاكُهُ ، فَقَالَ : الغَضَبُ وَالْحَسَدُ .
وَأَبْلَغَ مِنْهُمَا الْهَمَ .

وَقَالَ : لَا تَطْلُبِنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ بِحَسْبِ مُحِبَّتِكُمْ ؛ وَلَكِنْ اطْلُبُ
مِنْهَا مَا هُوَ مُحِبُّ فِي نَفْسِهِ لِصَحَّتِهِ وَصَوَابِهِ .

وَقَالَ : إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يُطِيبَ لِكَ عِيشَكَ ، فَارْضُ أَنْ يُقالَ إِنَّكَ عَدِيمُ
الْعُقْلِ^(١) ، بَدْلًا مِنْ أَنْ يُقالَ إِنَّكَ عَاقِلٌ ، فَإِنَّ النَّاسَ أَعْدَاءُ مَنْ خَالَفُوهُمْ .

وَقَالَ لَابْنِهِ : إِذَا دَعَوْتَ أَبْنَكَ أَوْ غَلامَكَ أَوْ خَادِمَكَ ، فَأَخْطُرِرْ بِيَالِكَ
طَاعَةً مِنْ تَدْعُوْ وَعَصِيَانَهُ ، وَإِنَّهُ يُمْكِنُهُ^(٢) أَنْ يُطِيعَكَ أَوْ يُعَصِّيكَ لِتَكُونَ
مِنْ رَأْيِكَ عَلَى صَحَّةِ وَثَقَةِ ، وَمِنْ أَمْوَالِهِ عَلَى مَعْرِفَةِ لِثَلَاثَةٍ تَجْعَلُهُمْ سَبِيلًا لِتَكْدِيرِ
حَيَاةِنَّكَ .

وَقَالَ : رَوَّضُوا النَّفْسَ بِالْأَحْلَامِ ، لَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ التَّلَامِذَةِ إِذَا سَهَرُوا
اسْتَرَتْ مِنْهُمْ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلُومِ ، وَإِذَا نَامُوا حَلَمُوا بِهَا .

وَسُئِلَ عَنِ اللَّذَّةِ فَقَالَ : لَيْسَ كُلُّ لَذِيدٍ بَنَافِعٌ ، وَلَيْسَ^(٢) كُلُّ نَافِعٍ
لَذِيدًا .

وَقَالَ : يُنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَحْسِنَ خَلْقَهُ مَعَ أَهْلِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَبِخَاصَّةٍ
عِنْدَ الصُّنْعَيْنِ لِثَلَاثَةٍ يَقْصُرُوا فِي تَحْمِيلِهِ عِنْدَ إِخْرَانِهِ .

وَسُئِلَ عَنِ النَّوْمِ فَقَالَ : رَاحَةٌ مِنَ التَّعْبِ ، وَمَلَائِمَةٌ لِلْمَوْتِ .

وَقَالَ : النَّوْمُ مَدْتَهُ خَفِيفَةٌ ، وَالْمَوْتُ نَوْمٌ طَوِيلٌ .

وَقَالَ : التَّعْبُ^(٣) فِي الْحِكْمَةِ وَتَعْلِمُ الْأَدْبَرَ أَكَالِيلَ وَتِيجَانَ تُصَاغُ مِنْ

(١) م ، ك : عَدِيمٌ عُقْلٌ .

(٢) ك ، م : وَلَكِنْ كُلُّ نَافِعٍ لَذِيدٌ .

(٣) ك ، م : التَّعْبُ فِي الْأَدْبَرِ وَتَعْلِمُ الْحِكْمَةَ أَكَالِيلَ وَتِيجَانَ تُصَاغُ فِي جَوَاهِرِ .

جوهر البيان ، وتوضع على رءوس المحبين لها . فالناظرون إليها يمدحون ، والمعلمون يفرحون ، واللامذة يقلون ويكررون ، والجهال يحسدون ويتعدّبون . وقال : الصورة ذَكَر ، والهيولي أُنْثى ، والطبيعة لا ذكر ولا أُنْثى . وقال : إذا كان الفناء يأتِي على كل شيء ، فالموت واقع بكل حيّ ، وقد وقع الكونُ مع الفساد ، فالطمأنينة إلى الأمان غرور .

وقيل له : مَنْ أنت ؟ وما * أنت ؟ فقال : أنا من حيث أنا « من » فأنا مَلَك ، ومن حيث أنا « ما » فأنا طينة ، ومن حيث اختلاط « مَنْ » به « ما » فأنا إنسان . ومن حيث تصفية الأختلاط فأنا ربّ . وهذا مجموع من كتا ايمبليخس^(١) لتبين وصايا فيثاغورس المعروفة « بالذهبية » ، (و) التي يقال إن جالينوس الفاضل كان يقرؤها كل يوم ^{غُدوًّا} وعشية تعظيماً لها وأخذأ بها .

(وصايا فيثاغورس الذهبية)

قال فيثاغورس :

أول ما أوصيك به ، بعد تقوى^(٢) الله ، تبجيل الدين لا يخلّ بهم الموت من الله تعالى وأوليائه ، وإكرامهم بما توجبه الشريعة . وتَوَقَّ اليمين . ثم أوصيك بامتثال ذلك^(٣) في خدمة الباصررين في مذاهبهم .

* حدث هنا اضطراب في أوراق لك ، والتلاوة في بده الكراهة الخامسة .

(١).غ : أنا ملخص - والمقصود شرح ايمبليخوس Iamblique على الوصايا الذهبية المنسوبة إلى فيثاغورس ، والتي نشرنا نصها العربي في تحقيقنا لكتاب « جاويدان خرد » لسكويه ، القاهرة ، سنة ١٩٥٢ . ويوجد من شرح ايمبليخس هذا نسخة في مخطوطة بكتابخانه مجلس شورای ملی ایران ، في طهران .

(٢) بعد تقوى الله : ناقصة فيك ، م .

(٣) لك ، م : ذلك في الإلهين .

وأوصيك أيضاً بتجليل عمار الأرض ، بفعل ما توجبه الشريعة في
إكرامهم .

و(١) أوصيك باكرام سَلَفِك وأقربائك :

وأوصيك أن تتخذ من سائر (٢) الناس أفضليهم صديقاً (٢) ، لتكون صديقاً للفضيلة ، وأن تُلِّين له جانبيك في الكلام وفي الفعل ، ما أدى ذلك إلى المنفعة . ولا تستفسد صديقاً لفوة تكون (٣) منه ما أمكنك . على أن الإمكان قريبٌ من الضرورة . فهذا أول ما ينبغي أن تعلمه .

ثم ينبغي (٤) أن تتعود ضبط نفسك عن هذه الأشياء التي أنا ذاكرها (٤)
أوها : أمر بطنك وفرْجك ، والغضب ، والنوم (٥) .

واحدذر أن ترتكب قبيحاً من الأمور في وقت من الأوقات ، لا على خلْوة ولا مع غيرك . ول يكن استحياءك من نفسك أكثر من استحياءك من كل أحد . ثم ينبغي لك أن تلزم نفسك الإنصاف في كلامك وفعاليك : ولا تحملنّ نفسك على ارتكاب أمرٍ من الأمور بلا تمييز ، بل اعلم ان الموت حال يجمع الناس لا محالة .

وأما المال ، فليكن قصدك فيه اكتسابه في حال ، وإتلافه في حال (٦) آخر .

وما قد ينال الإنسان (٧) من الأشياء المؤذية بالأسباب السماوية ، فاصبر

(١) م ، لك : ثم .

(٢) م ، لك : صديقاً في الفضيلة وأن ...

(٣) تكون : ناقصة في لك ، م .

(٤) م .. ، لك : قد ينبغي لك .

(٥) غ : أنا أذكر .

(٦) م ، لك : وغضبك ونومك .

(٧) غ : في حال . م ، لك : في آخر .

(٨) غ : الناس .

على ما ينوبك منها من غير أن تندمر بل تروم مداوتها بقدر طاقتك . وينبغي لك أن تعلم أن ما ينوب الأخيار من الناس من هذه الأشياء ليس بالكثير .
وإذا سمعت من كلام الناس الكبير : جيده وردئه ، فلا تتعض منه ، ولا تحملنَّ نفسك على الامتناع من استماعه . وإن سمعت كذباً فهوَنْ على نفسك الصبر عليه .

وما أنا قائله فأجز أمرك عليه في كل ما تستعمله : لا يحملنك أحد ، لا بكلام ولا بفعال ، على أن تفعل ما ليس بجميل ولا تتفوه به . وروَّ قبل الفعل ، كي ^(١) لا تُعَاب في فعلك . واحذر أن تقول ^(٢) أو تفعل ما يستجهل منك ، بل إنما ينبغي أن تقتصر فيما تفعله على ما لم يَعُد بالضرر عليك . ولا تفعل فعلاً وأنت جاهل به ، بل تَعْرَف في حال ^(٣) وفي كل واحد من الأفعال ما يجب أن تفعله ، فإنك حينئذ تُسْرُّ بمعاشك . ولا ينبغي لك ^(٤) أن تمهل أمرَ صحة بدنك ، لكن ^(٥) تعني بالقصد في الطعام والشراب وأسباب الرياضة وإنما أعني بذلك ^(٦) القصد : ما لم يَضُرْ . وعَوْدَ نفسك أن ^(٢٩) يكون تدبيرك تدبيراً نقِيّاً غير مضطرب . واحذر أن تفعل ما يجعلك عليك الحسد . ولا تَسْكُن ^(٧) مثلاً بمنزلة مَنْ لا يخبر له بقدر ما في يده . ولا تكون أيضاً شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل ^(٨) الأفضل في الأمور كلها هو ^(٩) القصد .

(١) غ : كيمالا .

(٢) م ، لك : تفعل أو تقول .

(٣) م ، لك : تعرف ما يجب في كل واحد من الأفعال .

(٤) لك : ناقصة في لك ، م .

(٥) م ، لك : كل .

(٦) غ : بالقصد .

(٧) م ، لك : ولا تكون .

(٨) م ، لك : والأفضل .

(٩) هو : ناقصة في لك ، م .

فيها . ول يكن ما تفعله ما^(١) لا يعود بالضرر عليك^(٢) . واستعمل الفكر قبل العمل . ولا تساعدنَّ عينيك على النوم قبل أن تتصفح كلَّ واحد من الأفعال التي فعلتها في نهارك أجمع^(٣) ، فتفتف قبل نومك في الموضع الذي تجاوزت فيه ما ينبغي ان كنت فعلت ذاك عما زُلتَ إن كنت زُلتَ وعلى ما فعلته مِمَّا كان يجب أن تفعله ، وما كان يجب أن لا تفعله فعلته وما^(٤) كان يجب ألا تفعله ويتصل ألا تفعله فلم تفعله^(٥) وابداً من ذلك مِنْ أول ما فعلته ، وأجر تفقدك فيه^(٦) إلى آخر ما فعلته . فمَنْ كنت قد أتيت مكروها ، فلينذعرنَّك^(٧) ؛ ومنْ كنت قد أتيت رضياً ، فليبهجنَّك . فعل^(٨) هذا فلينحن حرصك ، وفيها دُؤوبك ، وإليها فاصيرف هِمَتك^(٩) ، فإنها توطنَّ لك ما يرقيك إلى الفضيلة الإلهية .

لأيُّ الذي وهب لأنفسنا اليتبوع ذا الأربع من الطبيعة التي لا تتغير ! متى التمَست فعلاً من الأفعال فابداً بالابتهاج إلى ربِّك بالنجاح فيه ، فإنك إذا لزِمت ذلك^(١٠) ، ولم تختلف هذه الوصايا ، وقفت على كُنه ما يجري عليه الأمر^(١١) في تدبير الله تعالى وأوليائه ؛ وفيما ، معاشر الناس ، ما منه زائل في الواحد بعد الواحد ، وما منه ثابت . وعلمتَ ما قدر من مجرى الطبيعة في كل شيء على مثالِ واحد كيما لا ترجو لها ما لا يُرجَى ولا

(١) ما : ناقصة في لك .

(٢) عليك : ناقصة في لك .

(٣) م ، لك : أجمع ثلاثة بثلاث فتفتف على الموضع الذي زلت فيه عما زلت ، وعلى ما فعلته ما (٤...٤) ما بين الرقين ناقص في غ .

(٥) غ : تفقد له ذلك إلى ...

(٦) م ، لك : فليرغبك .

(٧) م ، لك : ففي هذه الأشياء فلينحن اجتهادك ودُؤوبك .

(٨) م ، لك : محبتك .

(٩) ذلك ولم تختلف : ناقص في لك .

(١٠) لك ، م : في الله وفي أوليائه .

يذهب عليك أمر من الأمور ^(١) . وعلمت أن الناس بشقاء جدهم الذي اختاروه لأنفسهم بإرادتهم في حدّ من يُرثى لهم ، إذ كانوا مشرفين على الخيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتقدّون أنفسهم ^(٢) فيما بُلُوا به ، فإن الشاذّ من الناس يتهيأ له استنقاذ نفسه من الشرور . وإنّ ما بُلُوا به من ذلك هو الذي يقع في قلوبهم ^(٣) وأذهانهم ، فهم يتقلبون في الشر ^(٤) ، بمنزلة ما يتَدَخِّرَ في الأوقات المختلفة إلى آفات مختلفة وإلى أحوال مختلفة ، فيقعون في شرور لا إحصاء لها . وذلك أن الشر الملازم للغريزة بخيه يُنْكِي ، وهو ^(٥) لا يشعر ، وقد ينبغي أن لا يُساعِد ، بل يهرب منه باظهار الاستخدا له .

يائتها الأب الواهب للحياة ! حقاً أقول إنك قادر على أن تدفع عنهم بلايا كثيرة إن ظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم . لكنك أنت ، أيها الإنسان ، ينبغي لك أن تتشجع فإنه إذا كان في الإنسان جنس إلهي ، فالطبيعة الإلهية تقوده إلى الوقوف على كل واحدٍ من الأشياء التي إن نلّت منها حظاً من الحظوظ ولزّمت ما أشير به عليك ، وشفيت نفسك من هذه الأوصاب ^(٦) والأضياع - نجوت سالماً . لكن اشبع من الأطعمة التي ذكرناها ، واجعل امتحانك لها بتزكية النفس وحلّ أسرها من جسدها ^(٧) . وخبر الناس بما تقف عليه في واحدٍ واحد . واجعل القييم المشرف على ذلك التمييز الصحيح ، فإنك عند ذلك إذا فارقت هذا البدن حتى تصير مُخلّ في الجو ، تكون حينئذ سائحاً غير عائد إلى الإنسانية ولا قابل للموت . والسلام ! تمت ^(٨) الوصايا .

(١) ولا ... الأمور : ناقص في غ .

(٢) لك ، م : حما .

(٣) م ، لك : في أذهانهم فهم ...

(٤) في الشر : ناقص في لك ، م .

(٥) غ : الأحباب . م ، لك : الحظوظ لزّمت ... ونجوت .

(٦) من جسدها : ناقص في م ، لك - م ، لك : وخير لواحد ما - تقف عليه من ذلك واجعل ...

(٧) والسلام : ناقصة في لك . تمت الوصايا : ناقصة في غ .

وَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ تَقُولُ : بِقَدْرِ مَا نَعْلَمُ نَطْلُبُ
نَعْلَمْ ؟ فَقَالَ : تَقُولُ : إِنَّ الْطَّلْبَ يَتَقَدَّمُ الْعِلْمَ ، لَأَنَّا نَطْلُبُ أَنْ نَعْلَمَ . فَإِنْ
قَالَ قَائِلٌ : أَفَيَكُونُ الْطَّلْبُ بِعِلْمٍ ، أَمْ بِلَا عِلْمٍ ؟ تَقُولُ : يَكُونُ الْطَّلْبُ مَعَ عِلْمٍ
جُزْئِيًّا يَرَادُ بِهِ إِدْرَاكُ الْعِلْمِ الْكُلُّيِّ ، فَنَطْلُبُ بِالْجُزْئِيِّ الْكُلُّيِّ ، وَبِالشَّخْصِ ...
الصُّورَةِ . وَبِقَدْرِ الْطَّلْبِ يَكُونُ إِدْرَاكُ الْعِلْمِ . وَلَوْ تَقَدَّمَ الْعِلْمُ الْطَّلْبُ لَبَطَّلَ
الْطَّلْبُ ، لَأَنَّا إِذَا عَلِمْنَا لَمْ نَخْتَجِنْ إِلَى الْطَّلْبِ .

« قال^(١) فيتااغورس: اعلم أنك ستعارض بأفكراك وأقوالك وأفعالك .
 وسيظهر لك في كل حادثة فكرية أو عملية صورة روحانية أو جسمانية .
 فإن كانت الحركة شهوية أو عصبية صارت مادة للشيطان تؤذيك في حال
 حياتك ، وتحجبك عن ملاقة النور بعد وفاتك . وإن كانت الحركة أمرية
 أو عقلية ، صارت ملائكة تلتذب بمنادته في دنياك ، وتهتدى بنوره في آخراك ،
 إلى جوار الله وكرامته^(٢) ».

(٢)

سقراطيس الحكم

كان حنين بن إسحق^(٣) يقول :

سقراطيس أبو الفلسفه القدماء . وهو حكيم الحكماء . مِنْ عَنْدِه
وردت الفلسفه ، وعنه صدرت الحكمة . له الأمثال السائرة ، والفوائد
الغامرة . كلامه في القلوب كنسيم الرياح عند الهبوب ، وكالراحة للمكروب .
وأثره في الخواطر والعقول كأثر الماء في الهاجر .

(١...١) هذه الفقرة موجودة في قطعة ورق طيارة بين ص ١٥ و ص ٢٦ من المخطوط غ ،
ولا توجد في سائر النسخ .

(٢) الحكم : ناقصة في لك .

(٣) لك : كان حنين بن اسحق يقول سقراطيس أبو ... غ: قال حنين بن اسحق كان سقراطيس أبو ...

وكان زاهداً ورعاً ، ما شبع من الخبز قط .

وكان يقول : سوءةً لمن أعطي الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة ، ولمن^(٣١) أعطي السلام فجزع لفقد التعب والألم ! فإن ثمرة الحكمة السلام والدعة ، وثمرة الذهب والفضة التعب والألم .

وقال : القناعة مخدومة . ومن خدام غير ذاته فليس بحُر .

وقال : القناعة ينبوع الأحزان ، فلا تقتنوا .

وقال : لا تحرصوا على اكتساب القناعات ، فيتبدّد فكركم . واستهينوا بالموت كيلا تموتونا . وأميتو الشهوات ، تخلّدوا . والزموا العدل ، تلزمكم النجاة .

وقيل له : ما لك لا تحزن ؟ فقال^(١) : لأنني لا أقتنى ما يحزنني فقده .

قيل له : فما لك لا تشاهد ؟ فقال^(١) : لأنني وجدت الانفراد بالخلوة أجمع لدعائي السلوة .

قيل له : فما لك قليل الأسف ؟ فقال^(١) : لأنني لا أتعجل الكائن ، وأدع الممکن .

قيل : وما لك قليل المرزية^(٢) من الطعام ؟ فقال^(١) : إشفاقاً على الطبايع من تضادها .

وكتب إليه فيلسوف^{*} يعاته ويغيّره بقلة الأكل ولبس المسوح واقتصاره على وزن سبعين درهماً من الطعام ، ويقول (له) : «أنت تزعم أن الرحمة واجبة على كل ذي روح وكل ذي نفس ، وأنت ذو روح ونفسٍ وتظلمهما

(١) غم ، لك : قال .

(٢) كذا في النسخ كلها .

بأن تقلّل غذائك وتقتصر على وزن سبعين درهماً خبزاً يابساً ، وهو غذاءٌ طيرٌ .

فأجابه بجواب طويل مخصوص له : « لقد مدحتني في وجهي وهو ذمٌ ؛ وعاتبني على لبس الحشن وقد يعشق الإنسانُ القبيحة ويترك الحسناء . وأنت تعيني بقلة الأكل ، وإنما أنا آكل لأعيش ، وأنت تعيش لتأكل . وبيننا في هذا الذي نقصد فرق ثم لا قليل على الإطلاق ولا كثير ، لأنَّ كثير سocrates هو قليل هو فيقنس ، وكثير هو فيقنس هو قليل أوميروس الشاعر ، وكثير أوميروس هو قليل ذنياطس – ويقال إنه هو كان آكل ^(١) من رؤي من اليونانيين طفلاً ^(٢) في الدنيا – وقليل سocrates عنده كثير . والسلم ! ». .

وكتب إليه : « قد عرفت السببَ في قلةِ أكلك ، فما السبب في قلةِ كلامك ؟ فأنت تدخل على نفسك بالأكل ، وعلى الناس بالكلام ، فتؤثر الفقر على الغنى وقلة الكلام على الفصاحة ». فأجابه بجواب طويل مخصوص له : « ما احتجت إلى مفارقته وتركه على الناس ^(٣) فليس لك . والشغل بما ليس لك ^(٤) عناء . وأما قلة الكلام فإنَّ الله تعالى خلق لي أذنين ولساناً واحداً ، لأسمع ^(٥) ضعيفاً ما أقول . وأنت تتكلم بأكثر مما تسمع » – ونسبة إلى المذر والكذب . .

ومرَّ به رجلٌ سمين . فقيل له : ما الذي أسمن هذا ؟ فقال : غفلته عن الأدب .

وقيل له : منْ أخْسَرَ الناس صفةً ؟ فقال : من باع قديم المودة بمستحدثها .

(١) أي أكثر الناس أكلًا بين اليونانيين .

(٢) طفلاً في الدنيا : ناقص في لك . – وفي م : اليونانيين فلفل في الدنيا .

(٣) لك : ناقصة في لك ، وواردة في م ، غ .

(٤) م ، لك : ضعيفي .

وقيل له : مَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ فقال : معاونك على اتّباع الهوى .

وقال : الْمُلْكُ الأَعْظَمُ هُوَ أَنْ يَغْلِبَ الْإِنْسَانُ شَهْوَاتِهِ .

وقال : الطبيعة أَمَةٌ لِلْعُقْلِ ، وَالْعُقْلُ عَبْدٌ لِلْمُبْدِعِ الْأَوَّلِ .

وسُئِلَ : أَيِّ شَيْءٍ أَنْفَعُ مِنْ جَمِيعِ الْمَقْتَنِيَاتِ ؟ فقال : الصَّدِيقُ الْمُخْلِصُ .

وعابه رجل من المترفين الأغنياء فقال : « إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَعِيشَ كَعِيشَكَ قَدِرَتُ عَلَيْهِ ؛ وَلَوْ أَرَدْتَ أَنْ تَعِيشَ كَعِيشَيِّي لَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ . وَعَابَهُ بَعْضُ الْأَغْنِيَاءِ بِالْفَقْرِ فَقَالَ »^(١) : لَوْ عَرَفْتَ الْفَقْرَ لَشَغَلَكَ التَّوْجُعُ لِنَفْسِكَ عَنِ التَّوْجُعِ لِسَقْرَاطِ .

وَكَانَ يَتَعَلَّمُ الْمُوسِيقِيَّ عَلَى الْكِبِيرِ . فَقِيلَ لَهُ : أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَتَعَلَّمَ عَلَى الْكِبِيرِ ؟ فقال : حَيَّا مِنْ أَنْ أَكُونَ جَاهِلًا عَلَى الْكِبِيرِ أَكْثَرُ .

وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : حَرَمْتَ يَا سَقْرَاطَ عَلَى نَفْسِكَ ^(٢) نَعِيمَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : وَمَا نَعِيمُ الدُّنْيَا ؟ قال : أَكْلُ الْلَّهْمَانَ الطَّيِّبَةَ وَشُرْبُ الْخَمْرَ الْلَّذِيْذَةَ ، وَلِبِسُ الشَّيَابِ الْفَاخِرَةَ ، وَاتِّيَانُ الْمَنَاكِحِ الْحَسِنَةَ . قال (أَيُّ سَقْرَاطٌ) : وَهَبْتُ ذَلِكَ لِمَنْ رَضِيَ لِنَفْسِهِ ^(٣) أَنْ يَشْبِهَ الْخَنَازِيرَ وَالْقَرْدَةَ ، وَأَنْ يَشْبِهَ السَّبَاعَ فِي أَنْ تَكُونَ بَطْنَهُ مَقْبَرَةً لِلْحَيَّاتِ . وَأَثَرْتُ عِمَارَةَ الْبَدْنِ الْفَاسِدَ عَلَى عِمَارَةِ الرُّوحِ الْبَاقِيِّ .

وَقَالَ : إِنَّ اللَّذَّةَ خَنَاقٌ مِنْ عَسْلٍ .

وَنَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ لِتَذَهَّبَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَالَ لَهَا : إِنِّي أَظُنُّ أَنْ ذَهَابَكَ لِيُسَرُّ لِلنَّاظِرِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَكِنْ لِتَنْظَرَ الْمَدِينَةَ إِلَيْكَ .

وَكَانَ جَالِسًا عَنْدَ رَجُلٍ فَعَطَشَ الرَّجُلُ وَقَالَ لِغَلَامِهِ : اذْهَبْ إِلَى الْخَمَارِ

(١) ما بين الرقمين ناقص في غـ .

(٢) م ، لـ : حَرَمْتَ نَفْسِكَ يَا سَقْرَاطَ نَعِيمَ الدُّنْيَا .

(٣) م ، لـ ، غـ : نَفْسِهِ .

فُقُلْ لَهُ أَقْرِضْنَا جَرَّةً خَمْرًا وَارْفُقْ بَنَا فِي الشَّمْنَ . فَقَالَ سَقْرَاطٌ : أَحْسَنَ مِنْ هَذَا أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ أَنْ تَقْنُنَ^(١) بِالْمَاءِ .

وَقَالَ : الرَّجُالُ أَرْبَعَةٌ : جَوَادٌ ، وَبَخِيلٌ ، وَمَسْرُوفٌ وَمَقْتَصِدٌ . فَإِلَيْهِ جَوَادٌ هُوَ مِنْ أَعْطَى نَصِيبَ دُنْيَاهُ لِنَصِيبِهِ^(٣٢) مِنَ الْآخِرَةِ . وَالْبَخِيلُ هُوَ الَّذِي لَا يَعْطِي وَاحِدًا مِنْهُمَا نَصِيبَهُمَا . وَالْمَسْرُوفُ هُوَ^(٢) الَّذِي يَجْمِعُهُمَا لِدُنْيَا . وَالْمَقْتَصِدُ هُوَ الَّذِي يَعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَصِيبَهُ .

وَقَالَ : إِذَا كَانَ الْعُقْلُ صَحِيحًا وَالْفَهْمُ قَوِيًّا ، كَانَ يُسِيرُ التَّجْرِيَّةَ لَهُ كَثِيرًا . وَأَمَّا قُوَّةُ الْأَبْدَانِ فَإِنَّمَا جَعَلَتْ قِسْنَمًا لِمَنْ لَاحَظَ لَهُ مِنَ الْعُقْلِ ، مِنْزَلَةً الْبَهَائِمِ .

قَالَ : الْجَاهِلُ إِنْ نَطَقَ أَخْطَأً ، وَإِنْ سَكَتَ أَخْطَأً ، وَإِنْ رَأَى عَجَزًا ، وَإِنْ سَلَكَ ضَلَالًا .

وَقَالَ : الرَّخَاءُ يُبَطِّرُ ، وَالْبَلَاءُ يُؤَدِّبُ .

وَقَالَ : إِذَا بَلَغَ الْمَرءُ فَوْقَ مَقْدَارِهِ مِنَ الدُّنْيَا تَكَدَّرَتْ أَحْوَالُهُ لِلنَّاسِ .

وَقَالَ : مِنْزَلَةُ لَطَافَةِ الْقَلْبِ فِي الْأَبْدَانِ مِنْزَلَةُ النَّوَاطِرِ فِي الْأَجْفَانِ .

وَقَالَ : الْمَالُ رَدَاءُ الْمُتَكَبِّرِ ، وَالْمَهْوِيُّ مَرْكَبُ الْعَاصِيِّ ، وَالْمُتَنَبِّيُّ رَأْسُ مَالِ الْجَاهِلِ ، وَالْكَبِيرُ قَاعِدَةُ الْمُقْتَ . وَسُوءُ الْخَلْقِ سُرُّ بَيْنَ الْمَرءِ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى^٥ .

أَفَلَاطُونُ الْحَكِيمُ^(٣)

وَهُوَ الْإِلهُ الَّذِي سَلَّمَ لَهُ السَّبِيقَ كُلَّ مَنَ . كَانَ بَعْدَهُ . وَإِذَا شَتَّ

(١) لَكَ ، غَ : تَقْنُنَ . وَمَا أَثْبَتَنَا فِي مِنْ .

(٢) هُوَ : نَاقِصَةٌ فِي لَكَ ، مِنْ .

(٣) لَكَ : الْفِيْلُسُوفُ ، وَمَا أَثْبَتَنَا فِي مِنْ ، غَ .

أن نشهد في هذه القُلّة العلية ، وفي هذه المكانة الرفيعة ، فانظر إلى أثاره وأمارته في أرسطو طاليس ، فإنه الذي ألف الصناعة بأجزائها ، وتصفحها من حضيضها إلى عليهاها ، وأجتني ثمرة كلٌّ منْ غرسها من أولها .

والقول في هذين السَّيدين الفاضلين الكاملين طويل ، والثناء عليهم موصول ، وإحسانهما إلى كُلٍّ منْ كان بعدهما ظاهر .

ومن نوادر كلامه قال : فعلُ الإنسان الخير والشرّ . فأول الخير تركُ الشرّ ، وأول الشر تركُ الخير .

وقال ل תלמידه أرسطو طاليس : اعرف ربّك وخفّه ، وأدِم عنايتك بالعلم والتعليم .

وقال : أكثر عنايتك بعذائقك يوماً يوماً – أي : لا تدّخر .

وقال : لا تَنَمْ حتى تحاسب نفسك على ثلاثة : هل أخطأت في يومك ؟ وما اكتسبت فيه ؟ وما كان ينبغي أن تعمله من البرّ ، فقصرت فيه ؟

وقال : الزم العدل في كل أمرك ، وعليك بالاستقامة ولزوم الخير .

وقال : العالم يعرف الباحل لأنّه مرتّ كان (٣٤) جاهلاً ؛ والباحث لا يعرف العالم لأنّه لم يكن قط (١) عالماً .

وقال : كما أن المرأة لا تأتي بولد إلا بوجع ، كذلك الرجل لا يأتي بالفضيلة إلا بطبع .

وقال : فضيلة الحكمة معرفتها الكل ، وفضيلة الحكيم معرفة الجزء إذا وصله بالكل .

(١) م ، ك : مرتّ .

وقال : إذا أردت أن يدوم سرورك فلا تَسْتَمِّ اللذة نحو الشيء حتى تقطع ، بل تدع (من) اللذة فضلة في الملتذ ليدوم السرور ، لأن آخر كل شيء هو الحال في الذهن .

وقال : إنما يكون نظرك إلى حُسْنِ الشيء بقدر نظرك إلى حُسْنِ ذاتك .

وقال : النوم هو غوص القوى في عمق النفس .

وقال : فضائل النفس في ثلاثة : المنطق ، والغضب ، والشهوة . ففضيلة المنطق : الحكمة ، وفضيلة الغضب : الشجاعة ، وفضيلة الشهوة : العفة والنسل .

وقال : مزاج العز بالذل ، والجود بالمحبة ، والرحمة بالشجاعة ، والحلم بالعفة ، والحسن بالملائحة – هذه تمام العشر الروحانية . وأما النعمتان المركبتان فالمطلع بالإشارة ، والتبيّن .

وقال الحليم مَلِيكٌ ، والشجاعة خادم ، والعدل وزير .

وقال : الإنسان مركب من اعتدال وانحراف : فالعيوبية والبشرية ، وما أشبه ذلك ، من حيز الجور الذي هو الانحراف . والفضائل كلها من حيز الاعتدال .

وقال : السمع شاهد للمنطق ؛ والشم شاهد للذوق . واللمس شاهد للبصر .

وقال : العادل هو الذي يعدل من نفسه ، لا عند المجاوزة .

وقال : ليس الشم في المنطق ، بل في العقل . وذلك أن المنطق هو قرع المواء . وإذا أثرَ فيك فعلٌ من خارج من طريق العقل ، فذلك هو الشم .

وقال : احضر المشاجرة في وقت الرأي الضيق مع صاحب الآراء . واستعمل امتزاج الآراء حتى تسلم في ذلك الوقت .

وقال : إنما تكون نتائج الجواب بقدر فروع المسئلة .

وقال : استعمل الخدر مع الطمأنينة والدعة ، فإنه قلما ينفع الخدر عند ورود المصيبة .

وقال : من لم يعرف ما صور الفضائل لم يحسن أن يستعملها ولا (أن) يتصرف فيها .

وقال : إذا دخل الحزن ، النفس خمد نورُها (٣٥) . وإذا سُرَّت وفرحت ، اشتعل نورها وظهر زبر جها .

وقال : فضيلة النفس هي أن تكون رُحْبة لتصريف الأشياء .

وسائل عن التجارة فقال : حرص المرء على الجمع بالشّرَّه وقلة القناعة .

وقال : أشد الناس موافقة لسُنَّة الله تعالى أعلمهم بالحسنات ، وأشدّهم رأياً أعلمهم برضوان الله ، وأكلّهم أبعدهم من الشك في الله ، وأحقّهم بتعليمهم أعلمهم بالدنيا والآخرة وما خلقنا له ، وأحسنهم عملاً أكثرهم لهم بالصدق تأدیباً ، وأصوّبهم رجاءً أو ثقّهم بالله ، وأشدّهم بعلمه انتفاعاً أبعدهم من الأذى ، وأفضلهم علمًا أبصّرهم بالأمور ، وأحسنهم معرفةً أنفذّهم ب بصراً ، وأكثرهم بالخير عملاً أعظمهم (١) ، وأرضاهم أفشاهم معروفاً ، وأقوّهم (٢) أحسنهم معونة ، وأشجعهم أشدّهم على الشيطان ، وأفلحهم أغبلهم (٣) للشهوة والحرص ، وأحرّفّهم أمرًا آخذهم بدين الله ، وأثبّتهم طريقة أزلّهم لحسن الخلق ، وأفضلهم ودًا أشدّهم لنفسه حياءً ، وأجودهم أصونهم لطيبة ، وأرفعهم ذكرًا أعظمهم فعالًا ، وأفضلهم راحةً أشدّهم للأمور احتمالًا ، وأغناهم أقنعهم بما أوتى ، وأفضلهم عيشاً آمنهم ، وأثبّتهم (٤)

(١) يبدو أن هاهنا نقصاً في النسخ .

(٢) م ، ك : أقوام .

(٣) غ : الشهوة .

(٤) ك : وأبيهم .

شهادةً عليهم أنطقهم عنهم ، وأعد لهم فيهم مسألةً لهم ، وأحقهم بالنعم أشكركم لما أوتي منها وأرغبهم^(١) في المجازاة بها .
وقال الجحود هو الذي يعطي بلا مسألة .

وقال : كل ما يريد الباحث أن يفعله في آخر أمره فافعله أنت ، أيها العاقل^(٢) ، في أول أمرك .
وقال : الغضب سُكّر النفس .

وقال : الانكار بالحق مثل الإقرار بالباطل .

وقال : ليس الحكيم من ينطق بالحكمة فقط ، بل من عمل بها .

وقال : شهوات العالم تجذب العقل سفلاً ، والحكمة تجذبها علوًّا .

وسأله بعض تلامذته : بماذا أعرف أنني قد صرت حكيمًا ؟ فقال : إذا لم تكن بما تصيب من الرأي معجبًا ، ولم يستفزك عند الذم الغضبُ :

قال : الحلم والحكمة هما أعظم الشرف ، وأرفع الذكر ، وأزيين الخلية ، وأصدق المدحّة ، وأفضل الأمل ، وأوثق الرجاء ، وأذكر المروءة ، وأبهى الجمال ؛ لا يصلح عدلٌ ولا تناول منفعة ولا يُبلغ شرف^(٣٦) إلا بهما ، إلا إن نتال من قبيل سوء التدبير وجوهر السيرة الشيء اليسير نفعه ، القليل بقاوئه ، الذي تمنعه قلة بقائه وسوء موضعه من أن تقرّ به عينٌ أو يحمده لسانٌ أو تطمئنْ إليه نفسٌ ، مع ما ذكر في حكمة الحكيم أن العلم هو السعادة ، وأنه ليس يكون سعيدًا من ليس بعالم ، ولن يكون جاهلاً من كان سعيداً .

وقال : العلم بالخير والشرّ هو تمام العلم ؛ وتمام العمل تمام الحكمة ؛ وبتمام الحكمة تمام سلامه العاقبة .

(١) في : ناقصة في كـ .

(٢) غـ : يا عاقل .

وقال : مَنْ عَرَفَ صُورَةَ الْجَهْلِ كَانَ عَاقِلًا ، وَمَنْ جَهَلَهَا كَانَ جَاهِلًا
بصورة العقل أيضًا .

وقال : الراحة في البطالة حلوة الأصل ، مُرّة الشمرة ؛ والنتصب في طلب
الأدب مرّ الأصل حلو الشمرة .

وقال : القضاء والقدر فوق كل شيء . والتواني والبطالة تحت كل شيء .
ولين الحانب ورُحْبُ الدرع موافقان لكل أحد . والكبير والإعجاب غير
موافقين لأحد .

وقال : أحق الأشياء أن يستكمله أهل الدين التواضع والورع والتقويم . فأمّا
الذل والتواضع فالقناعة والصبر واحتمال المكاره فيما نرجو من المعاد . وأمّا
الورع فكف المرء نفسه عن الذنوب . وأمّا التقويم فكف غيره عنها .

وقال : الرأي الجيد بالتفكير العميق فيما يحتاج فيه إلى (+) المعرفة أفضل من
الاجتهاد . والاجتهاد فيما يحتاج فيه (+) إلى العمل أفضل من الرأي .

وقال لأصحابه : لتكن غایتكم رياضة النفس . وأمّا البدن فاععنوا به (١)
بما يدعوه إليه الاضطرار . واهرموا عن اللذات فإنها تنزع النفوس الضعيفة والقوا
بما على القوية (٢) .

وقال : مَنْ سَاسَ نَفْسَهُ بِالْاعْدَالِ سَاسَ الْكُثْرَةَ الْمُتَفَرِّقَةَ بِالْاعْدَالِ ، لِأَنَّ
الْاعْدَالَ هُوَ الْوَحْدَةُ ، وَمَا خَرَجَ عَنِ الْاعْدَالِ هُوَ الْكُثْرَةُ .

وقال : من خاصّة الحكمة (٣) أنها تدعو إلى نفسها ولا تجد من (٤) أحد

(+) ... +) ناقص في غ .

(١) ك ، م ، غ : له .

(٢) كذا في المخطوط غ - م ، ك : القوة

(٣) غ : الحكماء .

(٤) غ : واحد عن أحد يتطلبها .

يطلبها . ومنْ طلبها ألبسته رداءها . ومنْ بَعْد عنها كشفت له نورَها . وليس يرى الحكمة ولا يطلبها إلَّا مَنْ كان بصر عينيه في قلبه ، لا بصر قلبه في عينيه . وقال : الشهوات تخالف العقل وتصادُه بكلـ (٣٧) وجه . فأصحاب العقل يستمدون بالحكمة ، وأصحاب الشهوة يستمدون بالحواس . فمن استمد من العقل بالحكمة نقيت نفسه وطال عمره ولم يَدْثُرْ ذكره . ومنْ استمد من الشهوة بالحواس ، انقطع عمره ودثر ذكره وسقطت هِمَتَه .

وقال : إذا خطرت لك فكرة في شيءٍ تريده أو تشتهيه ، فاجعله من بالك كالعارض فإنْ تهيأً لك نلتة بأسهل الأمور . وإنْ فات ، لم تضطرِّب النفس إليه .

وقال : من استفاد الأدب في حداشه ، انتفع به في كبره . ومن يغرس كرماً ، يشرب خمراً .

وقيل له : كيف ينبغي أن يُعتقد الصديق ؟ قال : إذا حضر أحسنت الصنع إليه ، وإذا غاب أحسنتَ القول فيه .

وقال : الخط عقال العقول .

وقال : إن للنفس حياةً وموتاً وصحةً وسقماً : فحياتها بأن تعرف حالقها وتتقرب إليه بالبر والشكر ؛ وموتها بأن تجهل حالقها وتبتعد منه بالفجور والكفر . وصحتها بالحكمة ، وسقماها بالجهل .

وقال : خصasse الإنسان تُعرَف بشيئين : بأن يكثر كلامه فيما لا ينتفع به ، ويُخْبِر بما لا يُسْأَل عنه .

وقال لأرسطاطاليس : لا تجالس إلَّا من يحفظ عليك و تستحيي منه .

المعلم الأول

وهو أرسطاطاليس

وتفسیر هذا الاسم : الفاضل الكامل . وكان ابن رجل يسمی نیقوما خس الاسطغریي^(۱) – وهذه مدينة بارض مقدونیة . وكان أبوه هذا عالماً نافذاً في علم الطب . فولد له أرسطوطالیس في موضع من هذه المدينة يسمی براي^(۲) . فلما بلغ ثانی سنین حمله أبوه إلى أثینیة ، وهي المدينة التي كانت تجمع الفلسفه والحكماء . فضمه إلى الشعراء والنحوين والبلغاء الذين كانوا بها ، تلميذاً لهم و المتعلماً منهم . فجمع عليهم واستوعب ما عندهم في تسع سنین . واتفق في ذلك الوقت أن قوماً من الفلسفه أَزْرَواً بعلم هؤلاء القوم ، وعنتفوا المشاغلين بالتعلم منهم والمفتخرین بصناعتهم ، منهم افیغورس^(۳) ولو نفوس وزعموا (۳۸) أنه لا يحتاج إلى علمهم في شيء من الفلسفه ، ولا المتعلمين لذلك فلافلسفة ، لأن النحوين معلمون الصبيان ، والشعراء أصحاب أباطيل وكذب وخداع ، والبلغاء أصحاب محاباة ومحك وخبث ومكر ، إلا أنهم كانوا هم القضاة والحكام في (ذلك) الوقت . فلما بلغ ذلك أرسطوطالیس أدركته الحفیظة لهم ، فناظل

(۱) ک : الاصطغریي . م : الاصطغریي .

(۲) ک : برامی .

(۳) م ، ک : افیغورس ویوسوس .

عنهم وأثبتت حُجَّجَهُمْ ، وقال : لا غناء^(١) للفلسفة عن هذه العلوم ، لأن المنطق أداة^{*} لعلمهم ، والشعر^{*} والبلاغة والنحو والاختصار والإيجاز – حللي^{*} للمنطق وزين^{*} . وقال إن فضل الناس على البهائم بالمنطق ، وأحقهم بالإنسانية أبلغهم في منطقه ، وأوصلهم إلى العبارة عن ذات نفسه وأوضاعهم لمنطقه في موضعه وأحسنهم اختياراً لأوجهه . ثم من بعد ذلك يمكنه وضع شيء شيء على شاكلته ، حتى ينتهي إلى الفلسفة القصوى في غاية الإنسانية ، لأن الفلسفة أشرف الصناعات ، ورأس العلوم . فينبغي أن يكون القول بها والعبارة عنها بأحكام المنطق وأبلغ الكلام وأفصح اللهجة وأنبل اللفظ وأبعده من الخلل ، والدخل ، والزلل ، وسماجة المنطق ، ومنبود اللفظ ، واللكنة ، فإن ذلك يذهب ببرهان الحجة ونور الحكمة ، ويقصر عن الحاجة ، ويُلبّس على المستمع ، ويفسد المعاني ، ويُورث الشبهة .

فلما انتهى إلى ذلك وأتي على جميع ما ذكرناه ، واستقصى صناعات النحو والشعر والبلاغة – قصد لعلم الفلسفة ورغم فيه ، واقطع إلى أفلاطون – الذي تفسير اسمه : العريض الواسع . وصار تلميذاً له ومتعلماً منه ، وهو يومئذ ابن سبع عشرة سنة ، وذلك في موضع يسمى « أقاداميا » من أثينية ، مدينة الحكماء . ولم يكن لأفلاطون تلميذ يتولى هو بنفسه تعليمه إلا تلميذ يقال له كسانوفراطيس^(٢) فإنه كان يستفيد العلم من أفلاطون ، وذلك لأن أفلاطون كانـ ولاـهـ خلافـهـ وجعلـ لـهـ منـبرـ الفـلـاسـفـةـ وـكـرـسـيـهـمـ ، وـصـيـرـ تـعـلـيمـ سـائـرـ تـلـامـذـتـهـ إـلـيـهـ ، وـكانـ هوـ الـذـيـ يـتـولـيـ ذـلـكـ لـهـ ، وـمـنـهـ كـانـواـ يـسـتـفـيدـونـ عـلـومـ الـفـلـاسـفـةـ إـلـاـ اـرـسـطـوـ طـيـلـيـسـ^(٣) فإنه كان يتعلم العلم^(٣٩) من أفلاطون بالسماع وينبهه بال مباشرة مـنـ فـيهـ أـيـضاـ .

(١) م ، غ : بالفلسفة . وما أثبتنا موجود في لك .

(٢) لك ، م ، غ : كسانوفراطيس – م ، لك : تلميذ له كان يقال

(٣) سنكتب رسم اسمه كما يرد في كل موضع في غ ، وهو رسم يتغير هنا كثيراً : ارساطاليس ، ارسسططالليس ، ارسسططيليس .

فَلِمَا ماتَ أَفْلاطُونُ خَرَجَ ارْسَطُو طَالِيْسَ إِلَى مَوْضِعِ بِأَثِينِيَّةٍ يُسَمَّى «لَوْقِيْنُ» لِتَعْلِيمِ النَّاسِ الْفَالِسِفَةِ . وَحَلَفَ كَسَانُو قَرَاطِيْسُ^(١) بِأَقْرَابِيَا لِيَعْلَمَ مَنْ هُنَاكَ عِلْمٌ أَفْلاطُونُ وَيَخْرُجُهُمْ بِذَلِكَ .

وَكَانَ مِنْ رَأْيِ أَفْلاطُونِ الرِّيَاضَةُ لِلْبَدْنِ بِالْمُشَيِّ المُعْتَدِلِ وَالسِّيرِ الْمُقْتَصِدِ لِلتَّحْلِيلِ الْفَضُولِ عَنِ الْأَبِدَانِ ، كِرِيَاضَةُ النَّفْسِ بِالْعِلُومِ الْحَكْمِيَّةِ ، لِتَجْتَمِعَ الْخَلَاتَانِ مِنْ رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَالْبَدْنِ . وَتَقْدِمُ فِي ذَلِكَ إِلَى ارْسَطُو طَالِيْسَ وَكَسَانُو قَرَاطِيْسُ^(٢) . فَكَانَا يَعْلَمَانِ التَّلَامِذَةَ الْفَلَسِفَةَ وَهُمْ^(٣) مَشَاهَةٌ مُتَرَدِّدُونَ يَمْنَةٌ وَيَسْرَةٌ . فَلَقَبُوا بِالْمَشَاةِ الْقَادَامِيَّينَ .

فَلِمَا مَضَى مِنْ ذَلِكَ حِينَّ مِنْ دَهْرِهِمْ ، حَذَفَ عَنِ أَصْحَابِ ارْسَطُو طَالِيْسِ الَّذِينَ بِأَقْادِمِيَا اسْمَ الْمَشَاةِ وَسَمَّوْا إِلَيْهِ الْقَادَامِيَّينَ^(٤) ، وَأَلْقَى أَصْحَابِ كَسَانُو قَرَاطِيْسِ^(٥) عَنِ تَلَامِذَةِ ارْسَطُو طَالِيْسِ .. اسْمُ^(٦) الْقَادَامِيَّينَ وَسَمَّوْهُمْ الْمَشَاةَ فَقَطَ .

وَكَانَ جَمِيعُ كَتَبِ ارْسَطُو طَالِيْسِ وَمَا وَضَعَ مِنْ الْحَكْمَةِ وَالْمَنْطَقِ وَغَيْرِهِ مَوْجُودًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي اِنْتَقَلَ إِلَيْهِ الْمَسْمَى «لَوْقِيْنُ» . وَكَانَتْ كَتَبَهُ وَحِكْمَتُهُ تَسْمَى «عِلْمٌ إِصَابَةُ الْحَقِّ وَسَمَاعَهُ» .

قَالَ الْمَعْلُومُ الثَّانِي أَبُو نَصَرِ مُحَمَّدُ بْنُ طَرَخَانِ الْفَارَابِيِّ – قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ ! – فِي بَعْضِ كَتَبِهِ : «مَا فَرَطَ ارْسَطُو طَالِيْسُ فِي وَضْعِ الْمَنْطَقِ . وَلَقَدْ مَحَضَ النَّصِيحَةَ ، وَانْفَرَدَ بِهِ بِكَمَالِ الْفَضْلِيَّةِ وَبِإِنْجَانِ مُجَلَّةِ قَدْرِهِ وَجُزَّ الْأَرْأَيِّ فِيهِ مَا ذَلَّتْ لَهُ الرُّقَابُ ، وَخَضَعَ لَهُ أُولُو الْأَلْبَابُ ، وَأَفْرَتَ الْأَلْسُنَ لَهُ

(١) لَ، مَ، عَ، : كَسَانُو قَرَاطِيْسِ .

(٢) جَمِيعٌ : مَاشِيٌّ ، أَيٌّ وَهُمْ يَمْشُونَ .

(٣) لَا بدَ أَنْ هَاهُنَا تَحْرِيفًا فِي النَّصِّ ، وَصَوَابَهُ : ... الَّذِينَ بِأَقْادِمِيَا اسْمُ «الْقَادَامِيَّينَ» ، وَسَمَّوْا الْمَشَاةَ» .

(٤) اسْمٌ : نَاقِصَةٌ فِي غَ ، مَ ؛ وَمَوْجُودَةٌ فِي لَ .

بالعجز عن لطيف ما أتى به ودقيق ما أرى ، وبديع ما ألف ، وغريب ما صنف ، حتى صار في الناس علماً ، وعليهم حكماً.

وقال أبو سليمان السجزي - قدس الله روحه ! - : لو لم يكن لأرسسطو طيلس إلا قوله - في وصف الإنسان وذكر حاله وما يدل عليه وعلى غايته وبدهه - : « كيف يَصْلُحُ الْأَنْسَانُ وَهُوَ يَسِرُّهُ مَا يَضْرُّهُ ؟ ! » - لكن كافياً .

وقال : نَصَحَّكَ مَنْ أَسْخَطَكَ بِالْحَقِّ ، وَغَشَّكَ مَنْ أَرْضَاكَ بِالْبَاطِلِ .

وقال : رَفْعُ الْأَصْوَاتِ عَنْ خَلْوَةِ النِّيَّاتِ يَحْلُّ عُقْدَ الْأَفْلَاكِ الدائرات .

وقال : إِنَّ مَنْ رَامَ (٤٠) * هَذَا الْعِلْمَ فَلَيَعْتَقِدْ أَنَّهُ يَسْتَأْنِفْ لِنَفْسِهِ خَلْقًا آخر ، يعني أنه يجب أن لا يتبع المحسوسات والأمور المعتادة .

وقال : نظر النفس للنفس هو العناية بالنفس ، وردع النفس للنفس هو العلاج للنفس ، وعشق النفس للنفس هو المرض للنفس .

النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات . النفس الكريمة هي التي لا تنقل عليها ^(١) المؤونات . لا تصدقن بما لا يرهان عليه . الكذب فضاح ، والكاذب يستشهد أبداً بالحلف . لسان العلم الصدق . من عدم الفهم عن الله عز وجل لم يَجُزْ أَنْ يَسْتَهْمِ مَوْعِظَةَ حَكِيمٍ . إِذَا رأَيْتُمُ الْأَمْرَ الْمُنْكَرَ الغريب ، فلا يَتَدَخَّلُنَّكُمُ الْأَرْتِيَابَ بِرَبِّكُمْ ، وَلَا تَنْدِمُوا عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ . لَا تَأْسِفُنَّ عَلَى مَا فَاتَكُمْ مِنَ الرِّءَاءِ ، فَإِنَّ الْمَالَ شَبِيهٌ بِطَائِرٍ يَنْتَقِلُ مِنْ نَشْرٍ إِلَى نَشْرٍ : فَهُوَ عِنْدَ إِقْبَالِهِ سَرِيعُ الْإِقْبَالِ ، وَعِنْدَ زَوْلِهِ حَثِيثُ الْإِنْتِقالِ .

(*) حدث منا تقديم وتأخير في أوراق مخطوط بشير أغاث ، فأصلحنا ترتيبه .

(١) كـ : تنقل عنها . وفي م بدون نقط .

وقال في وصيته للاسكندر : ليس الأمر بالخير أسعد به من المطيع ، ولا المعلم أقل انتفاعاً بالعلم من المتعلم ، ولا الناصل أولى بالمدح من المنصوح له ؛ حتى قيل إن الله - تعالى ذكره ! - لم يرض لنفسه من الناس إلاّ مثل ما رضي لهم به منه : فإنه أمرهم بالترحم ورحمةهم ، وأمرهم بالتصادق وصدقهم ، وأمرهم بالجود وجاد عليهم ، وأمرهم بالغفور وعفوا عنهم ؛ فليس قابلاً منهم إلاّ مثل ما أعطاهم ، ولا آذن لهم في خلاف ما أتى إليهم . فأعطي من وليت أمره من رأفتكم ورحمتك وغفوك ما ترغب في مثله موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك أعطيته موفرًا .

وقدِمَ رسول ارسسطوطاليس على الإسكندر ، فمكث طويلاً لا يتكلم . فقال له الإسكندر : إما أن تقول فأسمع ، وإما أن أقول فتنصت ؟ فقال الرسول : أيها الملك ! التخيير إليك لا إلىي ، والطاعة على لا عليك .

قال الاسكندر : وما فعل الحكيم ؟

قال : أيها الملك ! جَدَّ في الجهاد . ولقد كان حَذِرَ مستعداً .

قال : ما بلغ جِدَّه ؟

قال : عينه لا تسكن ولا تطرف ؛ ولسانه (٤١) لا يقف (١) . الدنيا عنده كالقيح والدم .

قال : كيف عَمِلَ في الرعية بعدي ؟

قال : أنار القلوب المظلمة في الصدور الخربة ، وكثُرَ (٢) فيها الحكمة ، وأمات فيها الجهالة .

قال : فما لباسُ الظاهر ؟

قال : الزهد في الدنيا والامتناع من شهوتها .

(١) لك : يفتر؛ م : يفقر .

(٢) م ، لك : كثُر .

قال : فما لباسه الباطن ؟

قال : الفكر الطويل والتعجب الدائم .

قال : ومم ذاك ؟

قال : مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَيْفَ اغْرَوْا بِهَا ، وَمِنْ أَهْلِ التَّجْرِيبَةِ كَيْفَ وَثَقَوْا بِهَا .

قال : فَمَنْ أَيْتَهُمْ كَانَ أَشَدَّ تَعْجِبًا ؟

قال : مِنْ مَصْرُوعِهَا كَيْفَ عَاوَدَهَا ، وَمِنْ مَسْلُوبِهَا كَيْفَ رَاجَعَهَا ، وَمِنْ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ كَيْفَ رَجَا الْبَقاءَ ، وَمِنْ غَنِيَّهَا كَيْفَ فَرَحَ بِمَا لَيْسَ لَهُ ، وَمِنْ فَقِيرِهَا كَيْفَ حَزَنَ عَلَى فَوْتِ مَا يَشْقَى بِهِ الْغَنِيَّ .

قال : فَمَنْ أَيْتَهَا كَانَ أَشَدَّ تَعْجِبًا ؟

قال : مِنْ جَمِيعِهَا سَوَاءٌ . وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا فَرَحٌ بِمَا لَيْسَ لَهُ ، وَهَذَا حَزَنٌ عَلَى فَوْتِ مَا يَشْقَى بِهِ الْغَنِيَّ كَيْفَ لَمْ يَنْتَهِ ، فَأَحَبَّ أَنْ يَتَّقَلَّ ظَهَرُهُ وَهُوَ خَفِيفُ الظَّهَرِ ، وَأَحَبَّ أَنْ يَكُثُرَ هَمَّهُ وَهُوَ قَلِيلُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ ، وَأَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِي تَعْبٍ وَنَصَابٍ وَهُوَ مُسْتَرِيحٌ ؛ وَإِنَّمَا يَكْفِيهِ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَسْدُدُ جَوْعَهُ وَيُذْهِبُ ظُمَاهَ ، وَيُسْتَرِّ جَسْمَهُ .

قال : أَهُوَ فِي دَوَامِ الْمُلْكِ لِلْمُلْكِ أَظْهَرَ سِرْوَرًا ، أَمْ فِي زَوَالٍ ؟

قال : بَلْ فِي دَوَامِهِ لِلْمُلْكِ .

قال : وَلِمَ ذَاك ، وَلَيْسَ الدُّنْيَا مِنْ شَانِهِ ؟

قال : لِلْقَدْرَةِ عَلَى إِظْهَارِ الْحِكْمَةِ فِي سُلْطَانَهُ ، وَالاستِمْكَانِ مِنْ إِفَاضَةِ الْعِلْمِ وَإِشَاعَتِهِ ، وَتَقْرِيبِ الْعُلَمَاءِ وَالْحَكَمَاءِ ، وَأَخْذِ الرُّعْيَةِ بِالْأَدْبِ الْعَائِدِ بِالْخَيْرِ ، وَدَرَكِ الْأَجْرِ فِي تَبْصِيرِ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى الْهُدَى وَالسِّيرَةِ الْفَاضِلَةِ وَالْقُوَّةِ عَلَى رَفْضِ الدُّنْيَا وَنَبْذِ الشَّهْوَاتِ وَتَحْرِكِ اللَّذَاتِ عَنْدِ الْقَدْرَةِ

عليها ، والتمكن منها والامتناع عليها عند تكاثرها وتوادرها فإن الدنيا لم تغلبها^(١) على نفسه ولم تورّطه في فخاخها ، ولم تمده بخلاوتها وأنواع خُدَّعها وزخارفها الموجة وأسباب غرورها التي يسرع إليها أهل الجحالة ، ويُسْعِي إلى النشوب في تلفها أهل الغرفة الذين لا يفكرون في عواقب الأمور . ففرج بأن غلبها ولم تغلبها ، وقهراها ولم تقهِّرها ، وضبطها ولم تضبطها ، ولكنها كلما^(٢) لمعت له ازداد منها^(٤٢) بعدها ؛ وكلما تزيَّنت له ازداد منها استيحاشاً ، وكلما تقرَّبت إليه ازداد منها نفوراً .

قال : كيف كانت هيبيته للموت وخوفه من^(٣) من الوقوف على حساب النفوس وديانتها ؟

قال : كان إلى الموت مشتاقاً ، ولما بعده مرتجياً .

قال : ولمَّا ذاك ؟

قال : لأنَّه افتدى نفسه بالدنيا ، وفكَّ رهنَه بالبرّ ، وباع نفسه بالآخرة ، فسعى الحكيم لآخرته فاشترى النعيم الباقي بالنعيم المقضي ، وصار الموت عنده نجاةً من الحبس ، لا يسلبه الموت شيئاً مما قدَّم من الخير وتزوَّد من الحسنات .

قال : فما أغلب طبائعه عليه ؟

قال : الرحمة لكل أحد ، وكفُّ الأذى^(٤) عن كل أحد ، والإحسان إلى كل أحد ، والتوقير لأهل العلم والحكمة ، وبذل فوائد الخير للمستعدّين^(٥) ،

(١) غ : تغلب على نفسه .

(٢) غ : ملقت .

(٣) ك ، غ : على ... حسب . م : على الموقف على حسب .

(٤) م ، ك : الكف عن أذى كل أحد .

(٥) م ، ك : للمستفيدين .

وشكراً لهم على تعلم الحكمه والاستفادة والسؤال والطلب .

وكان يقول : ضَنَّ الرَّجُلُ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ الْمُقْرَبُينَ إِلَى السُّعَادَةِ مِنْ أَشَدِّ الْقُسْوَةِ وَأَعْظَمِ الْإِثْمِ .

قال : كيف تركت أهل البلاد ؟

قال : استلَّ الْجَهَلُ سِيفَهُ ، وأفلَتَ عنِ إِسَارَهُ ، وَعَزَّ بَعْدَ ذُلَّهُ .
وفغر الحرصُ فاه متقداً متضرراً مستولياً غالباً : فتغلب خشاره الناس
ودهماؤهم على الحكماء ، والعلماء الصالحين فأذلوهم وهجروهم ، فانقطعت
مواد (١) العقول ، وضمرت التفوس ، ودخل الحزن علينا ، فتحن متبدداً دون
بأيدي الجهال ، منتشرون في عيش كدر . فبكى عند ذلك الاسكندر وقال :
صابرنا وجهدنا في طلب هذه الدنيا الغرارة ، وصابر العلماء وجهدوا في
رفضها وأبوا أن يقبلوها ، وأينا أن نرفضها فرغبنا فيما زهدوا فيه ، وزَهَدُوا
فيما رغبنا فيه ، وأعقبهم فعلهم سروراً دائماً ، وأعقبنا فعلنا حزناً طويلاً ،
فأصبحنا نرى لأنفسنا ونغيظهم ، ونبكي لأنفسنا ونفرح لهم . فاللويل والثبور
لم سلت منه الدنيا وجميع ما جمع فيها ونصب في ادخاره منها ولم يدرك
الآخرة .

وقال له معلمه أفلاطون : ما الدليل على اثبات الله تعالى ؟

فقال : ليس (٢) شيء من خلقه بأعدل عليه من شيء .

قال : وقد كنت أشرب فازداد ظماً (٤٣) حتى عرفت الباري فرَوَيت
من غير شُرُب .

وقال : الحرص مفسدة ، والبخل منقصة ، والعجلة خطر ، والرفق
يُمُنْ ، والبذاء لؤم .

(١) ك ، م ، غ : مراد .

(٢) ك ، م ، غ : ليست شيء من خلقه بأعدل عليه شيء (!) .

وسائل : أي شيء أصعب عملاً؟ فقال : السكوت .

وسائل : أي وقت ترى لنا للباءة^(١)؟ فقال : إذا شئت أن تضعف .

وكلمه رجل بكلام طويل . فلما أكثر عليه قال : أيتها الرجل ! أما أول كلامك فقد أنسنيه لبعد عهدي به . وأما آخره فلم أعلم لتفاوت أوّله .

قال : لكل جليلة دقيقة ، وحقيقة الموت فقد الأحبة والهجر .

وقال : حسب الأدب شرفاً أنه يتخله غير أهله ، ويتزين به من هو خلواً منه .

وسائل عن اللذة فقال : إذا شاركت الشهوة بعض الحواس ، ظهرت اللذة .

وقال : إنما شرف الإنسان على جميع الحيوان بالنطق والذهب . وإن سكت ولم يفهم ، عاد بحيناً .

وقال : المنطق^(١) آلة لجميع الحكمة .

وسائل : إلىكم شيء يحتاج الإنسان حتى يصير فيلسوفاً؟ فقال : إلى ثلاثة أشياء : فقر ، وطبيعة ، وعناية .

وقال : ناموس الأشياء الملك العادل .

وقال : ليس في العالم شيء غير تمام ، وما فعلت الطبيعة شيئاً باطلأً .

وقال : الأدب يزين غنى الغني ، ويستر فقر الفقير .

وقال : الحليم هو الذي لا يقلقه غضب غيره .

(١) الباءة : الباء . لك : ترى لنا الباء . م : ترى لنا الباءة .

(٢) آى علم المنطق .

(*) إلى هنا ينتهي الخلط في تركيب المخطوط لك ، ويعود الترتيب مع بدء الكراسة الثالثة .

وقال : ينبغي للملك أن يحرس الجبز من التجار ، والرأي من القواد .

وقال : المنطق يحرك الغضب ، والغضب يحرك القلب ، والقلب يحرك الوريدان . والوريدان يحرّكَان البدن كلّه .

وقال : الحليم إذا قلِقْ تولَدَتْ الشجاعة^١ ، وإذا سكنَ كان منه العفة والعدالة .

وقال : شرف البلاغة قلة اللفظ ، وعظمَ البيان ، وسعة المعرفة .

وقال : مَنْ أرادَ أَنْ ينظرَ إِلَى صُورَةَ نَفْسِهِ مُجْرَدَةً ، فَلْيَجْعَلِ الْحَكْمَةَ مَرَأَةً .

وقال : بَصَرُ العُقْلِ وبَصَرُ النَّفْسِ قد يَقُومُانِ بِذَاتِهِمَا ، وبَصَرُ الْعَيْنِ لَا يَقُومُ لَا بِأَحَدِهِمَا .

وقال : الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى الشيء المعلوم .

وقال : الفاقة تجعل الرجل الطويل الجسم في عين الناظر إليه صبياً صغيراً ، وتُفْخِمُ الرجلَ القوَالَ (٤٤) البليغ ، وتُلْبِسَ (٢) منطقه وتعجبه عند من يسمعه منه .

وقال : ينبغي للأديب أن يطلب مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وأن يقتبس من كُلِّ أحد ، فإنه من أصيب منه (و) حيث أصيَبَ نافعٌ لمن أصابه .

وقال : نحن مع كُلِّ أحد كما يحب ، ومع الصديق فوق ما يأملُ .

وقال : في الشتاء يُحتاجُ إلى الغطاء والدثار ، وفي قُرْبِ الكِبِيرِ يحتاجُ إلى التكشف من الأحزان .

وقال : الإنسان مضطربٌ في صورة مختار .

وقال : إِنَّ مَنْ أَشَدَّ العِيُوبَ لِلإِنْسَانِ خَفَاءَ عِيُوبِهِ عَلَيْهِ ، لَأَنَّ مَنْ

(١) غ : ولبس .

خفى عليه عيبه لم يُبُصر محسن غيره . ومنْ خفى عليه عيُّبٌ نفسه ومحاسن غيره لم يُفلع عن عيده الذي لا يعرف ، ولم يتل من محسن غيره الذي لا يبصرها .

وقال لتلامذته : إنَّ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لَكُمْ مَا تُوَعِّدُونَهُ آذانَكُمْ ، وَأَنْفَعُهَا لغيركم ما يسمع منكم .

وقال : العشق هِمَةٌ نَفْسٌ فارغة لا شغل لها .

فأخذ الأخطل^(١) هذه الكلمة وقال :

وَكَمْ قُتِلَتْ أَرْوَاهُ بِلَادِيْهِ لَهَا وأَرْوَاهُ لِفُرَاغِ الرِّجَالِ قَتُولُ

وقال : الشرير عدوّ نفسه ؟ فكيف يكون صديقاً لغيره ؟ !

وقال : لتكن غايتك في طلب المال الإفضل^{*} به على الإخوان ، فإنَّ الشريف الهمة لا يطلب الصيد ليأكله أو يسدّ به فورة جوعه ، لكن ليتحف به أصدقاءه .

وقال : القلم العلة الفاعلة ، والمداد الصورة الميلانية ، والخط العلة الصورية ، والبلاغة العلة التمامية .

وسئل عن معنى الصديق ووصفه ، فقال : صديقك من كان قلبه فيما يحب لنفسك كقلبك إلا إله في غير جسمك .

وقال : الفصل بين التأدب وبين مَنْ لا أدب له كالفصل بين الأحياء والأموات .

ولقيه ولد زنا فشتمه فقال : احذر أن تشم الناس فإنك لا تدرى لعلك تشم أبيك .

(١) راجع «ديوان الأخطل» نشرة انطون صالحاني في بيروت

وقال : عَوْدُوا النُّفُوسُ الْأَدَابَ لَأَنَّ مِنْهَا وَفِيهَا تَظَاهَرُ عَجَائِبُ الْفَكْرِ
وَلِطَائِفَ النَّظرِ .

وَرَأَى إِنْسَانًا نَاقِهَا كَثِيرًا الْأَكْلُ وَهُوَ يَرْوِي أَنَّهُ يَقْوِي بِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا
لَيْسَ زِيادةُ الْقُوَّةِ بِكُثْرَةِ مَا تَورَدَ ^(١) عَلَى بَدْنِكَ مِنَ الْغَذَاءِ ، وَلَكِنْ بِكُثْرَةِ مَا
تَقْبِلُ .

وَقَالَ : مَا أَحْسَنُ الْحِكْمَةِ فِي الْمَلُوكِ وَأَهْلِ الْشَّرْفِ وَذُوِّي الْأَقْدَارِ !
وَذَلِكَ أَنَّهَا تَقْسِطُ ^(٤٥) حَالَاهُمْ وَتَعْدَّ لَهُ فِي جَمِيعِ مَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ ، وَهِيَ
مَعَ ذَلِكَ تَرْفُعُ الدِّينِ مِنْ (الرَّتْبَةِ) السُّفْلَى إِلَى رَتْبَةِ عَلِيَا ، وَلَيْسَ هُوَ دِينُءِ فِي
ذَاتِهِ ، بَلْ عِنْدَ مَنْ يَجْهَلُهُ .

وَقَالَ : لَا خَيْرٌ فِي شَدَّةٍ لَا تَمَازِجُهَا حِيلَةٌ . وَصَاحِبُ الْحِيلَةِ قَدْ يَقْوِمُ فِي
مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مَقْامُ صَاحِبِ الشَّدَّةِ وَأَكْثَرُ ، وَصَاحِبُ الشَّدَّةِ لَا يَقْوِمُ مَقْامُ
صَاحِبِ الْحِيلَةِ : فَصَاحِبُ الْحِيلَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِ الشَّدَّةِ .

وَقَالَ : إِذَا كَانَ الْمَلِكُ عَالِمًا وَالْقَاضِي عَفِيفًا ، وَصَاحِبُ الْشَّرْطَةِ ^(٢)
عَادِلًا — دَامَ الْمُلْكُ وَثَبَتَ سُنْتُهُ وَلَمْ تَدْثُرْ . وَإِذَا ^(٣) كَانُوا عَلَى خَلَافَ ذَلِكَ
دَثْرٍ وَفَسَدَ .

وَقَالَ لِتَلَامِذَتِهِ : لَتَكُنْ لَكُمْ أَرْبَعَ آذَانَ : اثْنَتَانِ تَسْمِعُونَ بِهِمَا مَا يَهْمِكُمْ ،
وَاثْنَتَانِ لَا يَعْنِيْكُمْ ، لَثَلَاثَةِ يَجْتَمِعُ مَا يَعْنِيْ بِهِ وَمَا لَا يَعْنِيْ بِهِ فِي دُعَاءٍ وَاحِدٍ .

وَسَمِعَ قَوْمًا يَتَفَاخِرُونَ بِالْطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَقَالَ لَهُمْ : لَيْكُنْ تَبَاهِيْكُمْ
بِالْحِكْمَةِ وَالْأَدَابِ ، فَإِنَّهَا يُبَاهِي ^(٤) بِهَا . وَدَعُوا ذَكْرَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ،

(١) عَلَى : نَاقِصَةٌ فِي كَ ، مَ .

(٢) غَ : الشَّرِيْطَةِ .

(٣) كَ ، مَ ، غَ : كَانَ .

(٤) كَ ، غَ : تَبَاهَةً . مَ : نَبَاهَةً .

فإن ذكر ذلك في غير وقت الحاجة إليه نقص وشرأه .
وسُئِلَ : أي الرسل أحرى بالنجح ؟ فقال : الذي له جمال مع عقل .

وكان مؤدّب الإسكندر ومعلمه وزيره والمشير عليه . وبلغ من تعظيم الإسكندر له أن سُئِلَ عن أبيه وعن أرسطوطليس : أيهما أحب إليه ؟ فقال : أرسطوطليس ، لأن الذي كان سبب كوني القريب ، وأرسطوطليس كان سبب تجويد كوني .

وأسأله الإسكندر أن يصير معه إلى بلاد آسيا ، فقال : لا أحب أن أُلزم نفسي بالعبودية وأنا حر .

ولما عزم على محاربة دارا أتاه أرسطوطليس زائراً وموعداً ، وكان قد غاب عنه مدة فآراد أن يصله ويصرفه^(١) مكرماً مجازياً. فسأل الخازن عن مقدار ما تبقى في بيت المال بعد تجهيزه وما لا بد له منه . فذكر أن الحاصل في بيت المال من العين : خمسمائة ألف دينار حمر . فقال : ندفع جميع ذلك إلى أرسطوطليس ، وذلك لأننا على مجاهدة هذا الرجل : فإن غالبنا فهو أحق من أخذها ، إذ كان معلمنا مع مكانه منا وأثره علينا وبركته علينا . وإن غالبنا نحن ففي مال دارا وخزائنه ما يفي بحاجتنا ، ويفصل عن إرادتنا .

وقال ارمينوس^(٢) إن أرسطوطليس كان يحاور الإسكندر في كل يوم ، ويقسم يومه معه أربعة أقسام : القسم الأول يحاوره ويناظره في العدل ؛ والقسم الثاني في الحكم^(٣) ؛ والقسم الثالث في الشجاعة ، والقسم الرابع في العفة :

(١) غ : ويصرفه محبوباً مكرماً .

(٢) ك : اوبيوس . م : اوبيوس .

(٣) غ : الحكم .

وقال له الإسكندر^(١) لما أراد الخروج : عِظْنِي إِذَا إِنْ لَمْ تُخْرِجْ مَعِي !
 فقال^(٢) : اجعل تأنيك زمام عجلتك ، وحيلتك رسول شدتك ،
 وعفوك ملئك قدرتك ، وأنا ضامن^{*} لك قلوب رعيتك ، إن لم تُخْرِجْ جهنم
 بالشدة علَيْهِمْ ، أو تبطرهم بفضل الإحسان إلَيْهِمْ .

وقال له : احفظ عني ما أقول لك : إذا كنت في مجلس الشراب فلتكن
 مذاكرتك في القول ، فإن النفس آنس^{*} بذلك . وإذا جلست إلى خاصتك ،
 فاذكر الحكمة فإنهم لها أفهم . وإذا خلوت في النوم فاذكر العفة فإنها تمنعك
 أن تضع نطفتك فيما لا معنى له .

وكتب إلى الإسكندر في رسالة : إن الزمان يأتي^(٣) على كل شيء :
 فيُخْلِقُ الآثار ، ويحيي الأفعال ، إلا ما رسم من الشكر في قلوب الأخيار .
 فاجتهد أن تُودِع قلوبهم محبة^{*} لك يَبْقِي ذَرْكَ بِهَا وَكَرْمَ أَفْعَالِكَ وَشَرْفَ
 آثارك .

ولما أراد الإسكندر الخروج إلى أقصى الأرض ، عَرَضَ عليه الخروج
 معه ثانية ، فقال : نَحِيلَ جسми ، وَضَعُفَ عن الحركة ، فلا تزعجي .
 وقال : فأوصي بشيء يرفع قدرتي ويحببني إلى رعيتي ! فقال : تعلم العلم
 اعمل به واستنبط ما يخلو بقلوب السامعين ، ويعذب على ألسنة الذاكرين
 تَنْقَدْ لك الرعية من غير حرب .

وكتب إليه أن اكتب إلى بما أنتفع به وأوجز^{*} . فكتب إليه : تحبب
 إلى خاصتك بالبذل ، وإلى عامتك بالعدل والسلم .

وقال : إن أخلص الإخوان مودة^{*} من^{*} لم تكن مودته لرجاء منفعة ،

(١) غ : ولما .

(٢) أي أسطوطاليس .

(٣) غ : أنتي .

ولا خوف مضرّة ، ولكن لصلاح به وطبع منه ، فإنّه مَنْ كَانَ مُوَدّتَه من قِبَل طباعه وصلاحه فهو أَفْضَلُ لِلمرءِ ثقَةً مِنْ والدته وامرأته وولده . ولا يسلب الأخوان مَنْ كَانَ كَذَلِكَ مِنَ الْمُوَدَّةِ لَهُمْ إِلَّا الْمَوْتُ .

وقال : مَنْ آيَةُ الْأَخِ الصَّالِحِ أَنْ يَوْدَ إِخْرَاجَ إِخْرَاجِه ، ويعادي أعدائهم .

(٤٧) وحكى عنه (١) أن هذه الآداب كتبها في صحيفة (٢) وتعلّمها الإسكندر : لكل انسان حاجة ، وإلى كل حاجة سبيل " مَنْ أَصَابَهُ أَنْجَحَ ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ خَابَ . وَحاجَةُ الْإِنْسَانِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، وَالسَّبِيلُ إِلَى إِدْرَاكِهَا الْعُقْلُ ، وَالْعُقْلُ نُوْعَانٌ : مَطْبُوعٌ غَرِيزِيٌّ ، وَمُسْتَفَادٌ . فَالْمَطْبُوعُ خَلْقَةٌ ، اَنْفَرَدَ بِهَا الْخَالِقُ عَزَّ وَجَلَّ . وَالْمُسْتَفَادُ فَائِدَةُ التَّعْلُمِ . وَلَا سَبِيلٌ إِلَى فَائِدَةِ الْمَتَعْلَمِ إِلَّا بِصَحَّةِ الْعُقْلِ الْمَطْبُوعِ . وَمَنْ صَحَّ مِنْهُ الْعُقْلُ الْمَطْبُوعُ ، استفاد العقل المتعلم . وإذا اجتمع العقل الطبيعي إلى العقل المتعلم قوّاه بقوّته كنور (٣) الشّمس نور البصر . ولا عائق للعقل إِلَّا الهوى . والهوى نوعان : أحدهما بغية الهوى الباطنة ، والآخر بغية الهوى الظاهرة ، فمتزلة ما ظهر من بغية الهوى من طبيعة الهوى كمثل ما ظهر من النار الموقدة الكامنة . فإذا اتصل بالهوى بغيةه أشعله إشعال الحطب . وإن انقطع عنه سكن كامناً . وليس بساكن ، إِلَّا ريشما يقدر عليها . فإن قدر عليها أذكي ناره بقضاءه لذته إِلَّا أن يمنع . ولن يمنعه إِلَّا العقل الوافر الصحيح إذا قدر . وقد تبلغ صحة العقل أن تعرف حقائق الأمور ، ولا يبلغ من قوته أن يمنع الهوى من شهوته . فإذا كان العقل بتلك المتزلة ، ألفى صاحبه بصيراً بالرشد ، غير قادر عليه ، وعارفاً بالغى غير ممتنع منه . وقد يكون من العقل ما يجمع مع

(١) ك ، م ، غ : منه .

(٢) يوجد من هذه الآداب نسخة ضمن مجموع في كتابخانه علمي برقم ٦٣٠ في طهران وحمله الآن في المكتبة المركزية بجامعة طهران .

(٣) كنور : ناقصة في ك ، م .

المعرفة بالأمور الامتناع من الهوى . وعلة ذلك أمران : أحدهما قوة العقل ، والآخر ضعف الهوى . فإن غلت طبيعة العقل في القوة طبيعة الهوى لم يقدر الهوى على غلبة العقل إلا بما يتصل به من الشهوات ، ولا العقل على أن يغلب الهوى إلا بما يتصل به من فائدة العقل المتعلم . ولما كُنَّا على حال لا تكمل فيها عقولنا كمالاً يستغنى به ، ولم تضعف أهواؤنا ضعفاً تزهد معه في الشهوات ، لم يكن إلا المواظبة على التعلم لترى في العقل المعين على الهوى . والله الموفق ، ولا قوة إلا به .

وكتب إلى الإسكندر : إذا استولت عليك السلامـة فجـدد (٤٨) ذكر العطـب . وإذا هـنـأـتـكـ العـافـيـةـ ،ـ فـحـدـثـ نـفـسـكـ بـالـبـلـاءـ .ـ وإـذـاـ اـطـمـأـنـ بـكـ الـأـمـنـ ،ـ فـاسـتـشـعـرـ الـحـوـفـ .ـ وإـذـاـ بـلـغـتـ نـهاـيـةـ الـأـمـلـ ،ـ فـاذـكـرـ الـمـوـتـ .ـ وإنـ أـحـبـتـ نـفـسـكـ ،ـ فـلاـ تـجـعـلـ هـاـ فـيـ الإـسـاءـةـ نـصـيـباـ .ـ

وقال : نصيحة العاقل مبنولة للعامة ، وسيرة مكتوم عن الخاصة .

وقال : إن الشيء الذي به تميّز هو شيء إلهي عارف بذاته ، وأنه هو الإنسان بالحقيقة ، وأن حياة هذا هي الحياة الفاضلة السعيدة ، وإن له فعلاً خاصاً به لا يشاركه فيه غيره وهو : يتصور ذاته ، ويدور على ذاته بأن يعقل ذاته .

وقال بعض أولاد الملوك حين شخص مع الإسكندر : صنْ عقلَك بحملتك ، ووقارك بعفافك ، ونجحتك بمحابية الخُلَاء ، وجئْدك بالإجمال في الطلب . ولا يأتينْ عليك وقت إلا وأنت فيه متعقب ما كان منك ، ومتربق لما سيكون منك . وابخل بحياتك على كل منْ استرقها منك ، وعن قهر ما في نفسك فلا تغبُّنها عندما تأخذ منها ، ولا تحابِّها عندما تعطيها .

وكان يقول : ينبغي لمن أراد أن يتعلم الأمور الجميلة العادلة أن تكون

أخلاقه قد جَرَّتْ على ما ينبغي ، فإن ابتداء العلم بالشيء هو العلم بـأنيته^(١)
ثم : « لم » هو .

وقال : النفس ليست في البدن ، بل البدن في النفس ، لأنها أوسع منه
وأبسط .

حَكَى أبو حيَان^(٢) في كتابه الذي سماه « البصائر » أن الأستاذ الرئيس
أبا الفضل بن العميد - رحمه الله ! - كان كَلِفَاً بأبي عثمان الجاحظ ،
حرِيصاً على كتبه ، ومِثْلُه محروص عليه ومتناهِسٌ فيه . وكان^(٣) يقول :
ينبغي للفضل أن يذهب في المعاني مذهب^(٤) أرسطاطاليس : فإنه وطأ
طُرُقَ الحِكْمَة ، وضرب منارها ، ونشر أعلامها ، وأنشأه الله في دهر
صالح ، وقيض له عَدْلٌ ملِكٌ فاضل - يعني الاسكندر - ، وحبَّ
إليه معرفة أسرار العالم ، وفرَغَه لتمهيد المِنْطَقَ ، وألهمه دقائق الحِكْمَ ،
وأَتَمَّ على لسانه حقائق ما سلف من الأمم . قال^(٥) : وإنما يجهل قدر هذا
الحكيم عامي حَشَوَيٌّ ، أو مَنْ هو في طباعه وإن كان بائناً^(٥) عن ظاهر
أمره ، أو عالماً لم يذق حلاوة الحق ولم^(٤٩) ينسليخ من جلب الموى : فهو
يشتَّع على هذا الرجل تارة بالكفر ، وتارة بالجهل - تملقاً لمن يطلب إليه
ما في بيده أو يفرح بعرض الجاه عنده . وصاحب هذا الفضل ليس للحكمة
مُحَلٌّ ، ولا للعلم في نفسه مَقَرٌّ . وإنما هو متثنِّي بالدعوى ، وَمُظْهِرٌ عنده
للحقيقة .

قال : وفي الألفاظ يكون مقتدياً بأبي عثمان الجاحظ ، فإنه أوحد

(١) م ، ك : بأنه .

(٢) أي أبو حيَان التوحيدِي في كتابه « البصائر والذخائر » .

(٣) أي ابن العميد .

(٤) م ، ك : مذاهب .

(٥) ك : نابياً . م : نائياً . لي

في غزارته وفصاحته ؛ وفي النظم لا يختار على البحري ، فإنه سهل الطريقة ممتنعها . ومن عَرَفَ جوهر الكلام ومواقع الاستعارة وأثار المعاني وسبيل التأليف في الكتابة^(١) لا يخلُّ بالمعنى عنه ، وتصريح لا يفصح المصح به ، ورقة لها تغلغل في القلب ، ودقة فيها مجال للعقل ، وإيضاح يغنى عن تحكم الظن ، وتلطف خلوب السامع عَلِيمٌ ما دلت عليه وأشارت إليه . ثم العمل معرض لك ، فخُذْهُ كيف وجده وأردته .

الاسكندر الملك

وهو ذو القرنين

كان من قصته أن والده كان رجلاً من أهل مدينة يقال لها مقدونية ، اسمه فيليوس من أهل بيت الملك ، أفضى إليه ذلك وراثةً عن أبيه . وكان رجلاً لا يولد له . فاشتد ذلك عليه وعلى أهل مملكته ، مخافة أن يحدث عليه حدث الموت فيذهب ذكره ولا يكون له عقب . فكثر لذلك همه ، لأن الملك لم يكن فيهم قدِيماً . فجمع أصحاب النجوم ومنْ له علم^(٢) — بالحساب^(٣) ، وكل من يظن^(٤) أن عنده معرفة بشيء من ذلك . وسألهم النظر في أمره . فأجمعوا على أنه سيرزق ولداً يكون له علم وشرف يبلغ أقطار الأرض ، ويبلغ ملكه ما لم يبلغه ملك أبيه . فسر بذلك الملك ، وجعل يترقب الوقت الذي وقت له . وجعل يتوقى أن يصيب من نسائه إلا ذات الحسب والجمال . فمكث بذلك حيناً . ثم إنه ذات ليلة خلا فيها بنفسه وعرضت له فكرة في زوال العالم وما الناس عليه من وشيك الرحلة . فيينا هو في ذلك

(١) ك ، م ، غ : كتابه .

(٢) ك ، م ، غ : الحساب .

(٣) ك ، غ : نطق . وما ابنته في م .

(٤) م ، غ ، ك : فسأله .

إذ رأى حيةً عظيمة قد توسطت البيت معه . فأرعبه ذلك وأذهله مما كان فيه من الفكر . ثم سمع قائلاً (٥٠) يقول : « يا فيلوفوس ! قد وهب الله لك غلاماً يُحْبِي ذكرك ، ويقوم به نَسْلُك ». ثم توارت عنه الحياة . فقام من ليلته فواقع (١) الامرأة الأخصّ به ، فحملت من ليلتها . ولم تزل مصونة حتى ولدت غلاماً . فسماه « الاسكندر ». فنشأ نشوةً حسناً حتى بلغ سبع سنين . وطلب له المعلمين والمؤديين . وكان مولده في السنة الثالثة عشرة من مُلك دار الأكبّر الملقب بـ « أردشير » ، والد دارا الأصغر ؛ ولستين بقيتا من زمان مُلك ارسجو . فملك اليونانيين كلها بعد أن كان ملكاً على بلاد مقدونية فقط ، وصالح دارا على خراج يؤدّيه إليه ، وهلك في السنة الخامسة من مُلك دارا الأصغر . فملك بعده الاسكندر ابنه . وكان جمع الحكماء وأهل الأدب بمدينة يقال لها أثينا . وكان رئيس الحكماء وكبيرهم أسطوطيباس الفيلسوف .

فكتب إليه فيلوفوس الملك كتاباً ، هذه نسخته :

« أما بعد ! فإنه لو كان بالمرء غناء عن الطرق المحمودة والسبل المرشدة ، والفحص عن ذلك وطلبه من موضعه ، لكان الأوّلون المتقدمون أجدر برؤ ذلك ، ولم يكن عمارة ولا دأب ولا ملك ولا مقدرة . وأحق الناس ، أيها الحكماء ، بطلب ذلك والمعاناة له والدأب في طلبه والاجتهاد فيه : منْ كان بأمور الناس معنياً ، وللقيام بأمورهم وصلاحهم متضمناً – ليستكملي بمعرفة ذلك الحيطة عليهم والذب عنهم والمنع من عدوهم والنظر في مصلحتهم . وقد أجهدت نفسي إذ كنت المتولي لذلك ، القائم به ، وفي واجب حق ملكتي علىَّ ومن كنت (٢) به متقلداً وبه قائماً ، أن أقدم حُسْنَ النظر إليهم

(١) غ : امرأة : ك ، م : امرأته .

(٢) غ : ومن حيث كنت .

وَجَمِيلُ الاحْتِيَاطِ لَهُمْ^(١) حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ لِي بَاقيًّا ، وَأَنْ أُودِعَ قُلُوبَ النَّاسِ
مِنْ جَمِيلِ الذِّكْرِ بَعْدَ الْمَفَارِقَةِ لَهُمْ مَا يَبْقَى .

وَقَدْ وُهِبَ لِي وَلَدٌ^(٢) امْتَحَنَتِهِ مِنْ صَغْرِهِ بِالْعَلَامَاتِ الَّتِي وَضَعَتْهَا الْكَهْنَةُ فِيهِ ،
فَوُجُودُهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي . وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ .
وَأَحَبِبْتُ أَنْ يَنَالَ الْغَايَةَ^(٣) فِي الْعِلْمِ بِهِ وَالْعِرْفَةِ لَهُ وَإِصْلَاحَ تَدْبِيرِهِ : فَيَكُونُ
مَتَمَسِّكًا بِالدِّينِ ، قَائِمًا بِحَقِّ الدِّيَانَةِ وَيُرْضِي النَّاسَ^(٤) عَنْهُ^(٥) لَمَّا يَظْهُرَ مِنْ
دَقِيقِ سِيَاسَتِهِ وَحَمْمُودِ رِيَاسَتِهِ ، فَيَبْلُغُ^(٦) مِنْ ذَلِكَ مَبْلَغاً حَمْمُودَّاً يَتَحَدَّثُ عَنْهُ
وَيَبْقَى ذَكْرُهُ . وَإِنَّهُ يَنْبَغِي ، لِمَنْ كَانَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَحَلِّ ، أَنْ يَصْرُفَ نَفْسَهُ فِي
مَصْلَحةِ رَعْيَتِهِ وَيَوْدِعُهُمْ مِنْ جَمِيلِ فَعْلَتِهِ بِهِمْ مَا يَبْقَى لَهُ . فَإِنَّ مَنْ يَذَكِّرُ
بِجُنُونِ الْأَثْرِ وَصَوَابِ التَّدْبِيرِ فَذَكْرُهُ غَيْرُ دَاثِرٍ .

وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ بِكِ أَيُّهَا الْحَكَمَ الْعَالَمُ : لِعِلْمِكَ
وَقَدِيمِ أَثْرِكَ وَكُثُرَةِ تَجَارِبِكَ . فَأَرْدَتُكَ هَذَا الْأَمْرَ الْجَلِيلَ ، وَرَأَيْتُ إِيداعِكَ
هَذَا الْمَصْوُنَ ، وَسَأْلَتُكَ^(٧) تَوْقِيفَهِ عَلَى مَا فِيهِ مَصْلَحَتِهِ لِلرَّعْيَةِ وَمَصْلَحَةِ الرَّعْيَةِ لَهُ ،
حَتَّى يَشَاكِلَ (كُلُّ) وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَاحِبَهُ ، وَيَصْحُّ لِلرَّاعِي الرَّعْيَةُ عَلَى
حَقِّهَا ، كَمَا تَصْحُّ لِلرَّاعِي الرَّاعِي ، فَيَتَوَلَّ^(٨) هَذَا الْجَسِيمَ بَعْدِي ، وَأَعْقَدَ ذَلِكَ لَهُ
فِي أَعْنَاقِ نَظَرَائِهِ ، وَأَقْدَمَ فِيهِ بَعْدَ التَّوْفِيقِ » .

(١) لَهُمْ : نَاقِصَةٌ فِي لَكُ .

(٢) مُ ، غُ ، لَكُ : بِغَايَا الْعِلْمِ بِهِ .

(٣) غُ : مَنْهُ مَا .

(٤) مُ ، لَكُ ، غُ : فَبَلَغَ .

(٥) مُ ، لَكُ : وَسَأْلَتُكَ .

جواب أرسطو طاليس لفيلافسوس الملك

والد الاسكندر

« أما بعد !

فإن كتاب الملك العظيم ذكره ، العالي قدره ، وصل إلى بأعظم السرور ، وأحصل البهجة لعظيم الرأي الذي وفق له الملك الظاهر فضله ، المنشر كرمه . وفهمت ما ذكره من الكهانة ، وما وصفت به ابن الملك . فلعمري إنه على ما وصفته للملك ، ووجده سيلغ ملكاً إلى مملكته ، ويستعيد سلطاناً إلى سلطانه وجنداً وأعوازاً ، وسيحمل الناس على سُنة القسط وحق العدل . فإنه وإن كان يجب على الملك النظر في الأمور الغامضة والفحص عن جميع ذلك حتى تصحّ عنده ، فتفقد أمره على ما عُرِفَ منه حتى تصحّ له أمور العامة ؛ وإنما يجب على العامة الفحص حتى يجمعوا للملك بالحق الذي له علمهم ضرورةً .

وقد قال اوقيليدس إنه لا ينبغي لأهل الحكمة أن يمنعوها طلباً بها ، فإن من منع ذلك كان بمثابة من منع الماء من الظمآن إليه^(١) وكذا أيضاً لا ينبغي أن تُعرض على من لم يطلبها فيقل قدر الحكمة ويُسخّف بها ، فيكون ذلك بمثابة من يعرض على الريّان الماء المالح .

وقد عرف الملك حال الناس . وإن آباءك محمود أثرهم الذين كانوا أسسوا العلم فيها^(٢) وتقدّموا فيه بكتاب وضعوه عند مسروغس ، رئيس الكهنة ، بأن لا ينقل العلم منها ، وأن تكون هي معقل ذلك وموضعه . فإنه متى صار الأمر إلى خلافها ، دثر ذكرهم واضمحلّ الاسمُ الذي شرفوا به .

(١) غ : البشـ. م : من الماء الظمآن .

وقد كاد لعمري أن يدخل ذلك الموضع الخللُ وينخلو حتى حسن نظر الملك في ذلك وكثير تفقده^(١) له ، وأمر بإقامته علم ما لم يزل . وقد قال أوميرس^(٢) الشاعر : إن للحكمة خلاء^(٣) موضع لترسخ في العقول وتفهم .

وقد أجبتك ، أيها الملك محمود ، إلى الذي سألتني وامتدحت به عند أهل الحكمة ، ورجوتُ أن تكون مسدّداً ، وأن يكون المشار إليه بهذا الأمر حقيقةً لما يؤهّل له من سعادة الجد وإظهار الرشد .

وبعد هذا ، أيها الملك ، فإنه إن لم يكن بأثيناس أحدٌ يوازيه في القدر ، فإن فضل المذاكرة عزيزٌ عند منْ يقصد الحكمة . وقبلنا قوم ليس بنا عن إجتماعهم معه غناءً ، لرسوخ الحكمة وثبات المعرفة . ففي سعادة جَدَك ، أيها الملك ، وما مُكِنَ لك ، دليلٌ على زيادة ذلك لك أولاً وآخرًا .

فلما وصل الكتاب إلى فيليوس الملك ، حَمَدَ ذلك من الحكيم ، ثم دعا بالقواد ومنْ في^(٤) أثينية من أهل النجدة والبأس وأهل القدر ، فعقد لابنه البيعة في أعناق الكل ، وأطرب ذكر نفسه عندهم ، وحدد لهم العطايا والمواهب . وكتب إلى جميع عُمَالَه فأخذ^(٥) ذلك عليهم وصححوه . ثم كتب إلى أرسطوطليس يُعلِّمه ذلك ، ووجه إليه بالاسكندر ابنه إلى أثيناس^(٦) . فقبله أرسطوطليس بأحسن قبول ، وقصد نحوه حتى بلغ الغلام

(١) لـ ، م ، غ : تقصدـه .

(٢) غ : أوميرس .

(٣) كذا في النسخ كلها .

(٤) غ : ومن أهل أثينـة . م ، لـ : ومن أهل أثينـية بأهل النجـدة .

(٥) غ : فاحدـاً دلـلـ عليهم .

(٦) لاحظ أنه يكتب الاسم مرة : أثينـية ، ومرة : أثينـاس - والرسم الآخر هو اليونـاني الحالـص .

حيث ظنَّ به ، ورجا أن يكون الخَلَفَ الصالح بعد أبيه . وأقام^(١) على ذلك خمس سنين ينمو أحسن نموًّا ؛ وبلغ أحسن بلوغ^(٢) ، ونال من العلم والفلسفة ما لم ينلَه أحدٌ من أهل زمانه .

ثم إن والده اُعتلَ عِلْةً خاف منها على نفسه . فكتب إلى أرسطوطيليس يُعلمه ذلك ، ويُسأله القدوم عليه بابنه ليجدد له العهد الذي عقد له . فلما ورد الكتاب إلى أرسطوطيليس قَدِيم عليه بالاسكندر^(٣) وقد زينه من العلم بأحسنه . فدخل على الملك . فأمر بتقديم مجلس أرسطوطيليس ، وأحسن المكافأة له على ما كان منه في ابنه . وجَمَعَ أهْلَ العلم وأهْلَ المعرفة ، وفاته ، فرأوا أنه قد بلغ الغاية في الأدب . فقال له الملك : « أرجو ، يا بُنَيَّ ، أن تَبْلُغَ ما تُؤمِّلُ فِيكَ ، ونرجو لَكَ مِنْ سَعَادَةِ الْجَدِ ، وَتَكُونَ مَسْتَحِقَّ لِلْقِيَامِ بِأَمْوَالِ النَّاسِ كَفِيَامِ آبَائِكَ تَحْنَثِنَا وَعَطْفًا وَرَفْقًا وَرَحْمَةً » . ثم جدد له البيعة ، وتقديم في عقد الإكليل على رأسه ، وأجلسه مجلس المُلْك ، وأدْخَلَ عليه القوادُ والجنادُ ، وسلموا عليه بسلام الملك . ثم دعا^(٤) معلمه وقال : « الحمد لله الذي جعلك^(٤) أهلاً لما أتاك من العلم ، وإياه أسألُ» الزيادة لك من الحُسْنَ . وشكر له ، وأعلمته موقعه منه . ثم سأله أن يعهد إلى ابنه عهد الجناد^(٥) ويكون داعياً له إلى مصلحته ويكون عزاء الملك على فراق الدنيا . فأجابه إلى ذلك وبدأ بأن قال : « ليس الأمر بالخير بأسعد به من المطيع له ، ولا المتعلِّم بأبعد من المعلم » .

* * *

(١) غ : ماما بذلك (!) م ، لـ : فاما بذلك .

(٢) لـ ، م ، غ : البالغ .

(٣) غ : دعاء .

(٤) لـ ، م ، غ : جعل .

(٥) لـ : الجنادية يكون . م : عهداً يجذبه .

وَقَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكِتَبِ أَنَّ الْاسْكَنْدَرَ كَانَ أَزْرَقَ الْعَيْنِ ، أَشْقَرَ ، أَبْرَشَ ، وَطُولُه ثَلَاثُ أَذْرَعٍ . وَكَانَ فِي الْمَكْتَبِ مَعَ إِخْرَوْهُ لَهُ . فَقَالَ أَرْسَطُوطِيلِيسُ يَوْمًا لِلْأَكْبَرِ سَنًّا^(١) : إِذَا أَفْضَى إِلَيْكَ الْمُلْكُ بَعْدَ أَبِيكَ ، مَا أَنْتَ صَانِعٌ بِي؟ فَقَالَ : أَفْوَضُ إِلَيْكَ أَمْرِي . وَقَالَ^(٢) لِلآخر - وَيُقَالُ لَهُ فَالْيَقْلَا - وَأَنْتَ؟ قَالَ : أَتَخْذِكَ وَزِيرًا وَمُشِيرًا . وَقَالَ لِلآخر^(٣) وَكَانَ يُقَالُ لَهُ : اقْرِيْطَنْ ، فَقَالَ : أَشْرِكَكَ فِي أَمْرِي . وَقَالَ لِلْاسْكَنْدَرَ : وَأَنْتَ ، مَا تَقُولُ؟ قَالَ : « أَيْهَا الْمَعْلُومُ ! لَا تَرْتَهِنِي الْيَوْمَ لِغَدِّ ، وَلَا تَسْأَلِنِي عَمَّا أَنَا فَاعِلٌ » فِيمَا بَعْدِ . فَأَمْهَلَنِي فَإِنِّي إِذَا صَرَّتُ إِلَى مَا ذَكَرْتُ ، أَفْعَلُ لَكَ الَّذِي أَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ فِي تَلْكَ الْحَالِ لِمُثْلِكَ ». فَقَالَ أَرْسَطُوطِيلِيسُ : أَصَبْتَ ! أَقُولُ حَقًا إِنَّكَ لِتَحْيِلَ^(٤) بِمُلْكِ عَظِيمٍ ، وَعَلَى ذَلِكَ يَدْلِ طَبَاعُكَ ، وَبِذَلِكَ تَحدَّثُ الْفَرَاسَةَ عَنْكَ ». .

وَفِي رَوَايَةِ أُخْرَى أَنَّ أَرْسَطُوطِيلِيسَ لَمَّا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، وَكَانَتِ الْعَبَارَةُ عَنْهُ بِأَنَّهُ قَالَ : إِنَّ أَفْضَى إِلَيْكَ هَذَا الْأَمْرِ يَوْمًا مَا ، فَأَيْنَ تَضَعِينِي مِنْهُ؟ فَقَالَ^(٥) : أَتَرِيدُ جَوَابًا عَلَى الْحَقِيقَةِ ، أَمْ عَلَى التَّعْلِقِ؟ قَالَ^(٦) : بَلْ جَوَابًا عَلَى الْحَقِيقَةِ .

قَالَ : بِحِيثِ تَضَعِكَ طَاعْتُكَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ .

فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ : الْآنَ وَثَقْتُ بِبِلوْغِكَ إِيَاهُ .

وَكَانَ^(٧) يَعْظِمُ مَعْلَمَهُ . فَقَيْلَ لَهُ : إِنَّكَ تَعْظِمُ مَعَامَكَ ، أَكْثَرُ مِنْ

(١) غ : سنوان (!) - وَلَعْلَهُ اسْمُ هَذَا الْأَخْ الأَكْبَرِ . لَكَ : سَرَانْ .

(٢) غ : الْآخِرُ يُقَالُ مَ ، لَكَ : لِلآخر يُقَالُ .

(٣) لَكَ ، مَ ، غ : لِلآخر كَانَ .

(٤) لَكَ ، مَ ، غ : لِتَحْيِلِ (بِالْحَالِ الْمَهْمَلَةِ) .

(٥) أَيِّ الْاسْكَنْدَرِ .

تعظيمك والدك .

فقال : لأن أبي كان سبب حياني^(١) الفانية ، ومؤديّ هو سبب حياني الباقيه .
وفي رواية قال : لأن أبي كان سبب حياني^(٢) ، ومؤديّ سبب تجويذ حياني .
وفي رواية أخرى : لأنّ أبي سبب كوني ، ومعلمي سبب نطقني .
قال أبو زكريا الصميري^(٣) : لو قيل لي هذا لقلتُ : لأن أبي كان
قضى وطراً بالطبيعة فعَرَضْتُ ، ومعلمي يفجّر^(٤) من أجلِي أو طاراً فكملت
به .

وقال أبو سليمان : لو^(٤) قيل لي (هذا) قلت : لأنّ أبي أفادني الطبيعة
التي انطلقت على^٥ بالكون والفساد ، ومؤديّ أفادني العقل الذي به انطلقت
إلى ما ليس فيه كون ولا فساد .

وقال النوشجاني : لو قلت أنا لقلت : لأنّ أبي كونني بالعرض ،
ومعلمي زيني في كوني بالعرض .

وقال الاندلسي : لو قلت أنا لقلتُ : لأن أبي قيدني فأوثق ، ومعلمي
حلّ قيدي وأطلق .

* * *

وقال له قواده : قد بسط الله ملكتك ، وأظهر قدرتك ، فأكثر من
الطروقة يكثر ولدك ، ويبعُدُ صيتك ، وينشر ذكرك بعده .

فقال : أيها القوم ! إنما الذكر والصيت في السنّة الصالحة والسير

(١) ... (١) ما بين الرقمين ناقص في ك ، موجود في غ ، م .

(٢) ك ، غ : الصميري . م : الصميري .

(٣) ك ، غ : ومعلمي بفخري احلى ...

(٤) م ، ك : لو قلت أنا لقلت .

الحسنة والآثار الغريبة والأفعال العالية . فليس يَحْسُنُ أَنْ يَغْلِبَ النساء ، مع ضعفهنّ ، على مَنْ غَلَبَ الرجال على قوتهم .

ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ فِي لِفْوَسِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ وَنَقْلٌ جَدًا ، فَقَالَ لِهِ أَرْسَطُوطِيلِيسُ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ ! قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ مِنْ حُسْنِ الذِّكْرِ وَجَمِيلِ الصَّوْتِ مَا تَسْتَحِقُ بِهِ (مِنْ) ^(١) الْكَرَامَةَ مَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهَا — وَهَذَا سَبِيلُ الْأَبْرَارِ وَالْمُتَأْلِهِينَ » .

فَلَمَّا فَرَغَ أَرْسَطُوطِيلِيسُ مِنْ كَلَامِهِ قَضَى الْمَلِكُ نَحْبَهُ . وَأَفْضَى الْمَلِكُ إِلَى الْإِسْكَنْدَرَ فَسَاسَ النَّاسَ سِيَاسَةً حَسَنَةً ، وَفُتُحَتْ عَلَيْهِ فَتوْحٌ عَظِيمَةٌ . وَكَانَ لَا يُخْلِي مَعْلَمَهُ مِنْ بَرَّهُ وَمَشْوَرَتِهِ ، حَتَّىٰ ماتَ بِبَابِلَ بَعْدَ أَنْ دَانَتْ لَهُ الْأَرْضُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً . وَتَفَرَّقَ الْمَلِكُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي فَارِسٍ وَمُلُوكَ الْأَطْرَافِ وَالرُّومِ وَنَفَضَتِ الْأَمْوَارُ .

وَلَمَّا مَلَكَ (٥٥) نَدَبَ أَصْحَابَ أَيْهَهُ لِلْحَرْكَةِ مَعَهُ . فَاسْتَعْفَوْهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالُوا لَهُ : قَدْ كَبَرْنَا وَضَعَفْنَا عَنْ ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُمْ : إِنَّهُ لِيْسَ الَّذِي يَحْتَاجُ فِي الْحَرْبِ : الْبَطْشُ وَالْحَلَدُ فَقَطُّ ، بَلْ يَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى الرَّأْيِ وَالتجَارِبِ . وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تَكُونُوا فِيمَنْ يَشْخُصُ مَعِي لِيَجْتَمِعُ لِي جَلَدُ الشَّيَابِ وَرَأْيُ الشَّيْوخِ .

وَكَانَ قَدْ اسْتَعْدَدَ لِقَصْدِ مَدِينَةِ (٢) قِيلِيقِيَّةَ فَبَلَغَهُ أَنَّهُ قَدْ أَصَابَ أَهْلَهَا قَحْطٌ وَجَوْعٌ وَضُرُّ . فَأَمْرَ بِحَمْلِ الْمَسِيرَةِ إِلَيْهِمْ مِنْ مَاقِيدُونِيَّةَ . فَقَالَ لَهُ لَوْانَطِيفُونَا (٣) : أَيْهَا الْمَلِكُ أَتَأْمَرُ بِحَمْلِ الْمَسِيرَةِ إِلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ غَزَوْهُمْ وَمُحَارِبَتِهِمْ ؟ ! فَقَالَ الْإِسْكَنْدَرُ : إِنَّهُ لِيْسَ دَهْرِيًّا (٤) فِيهِمْ أَنْ يَمْوِتُوا جَوْعًا . إِنَّمَا أَرِيدُ أَنْ أَغْزِوَهُمْ فَأَرْجِعَ بِالظَّفَرِ وَالْغَلْبَةِ .

(١) م ، لَك ، غ : كَرَامَتَهُ مَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ .

(٢) لَك ، غ : فَاسِفَهُ . م : مُلْسِفَهُ .

(٣) كَذَا فِي النُّسُخِ كُلُّهَا

(٤) كَذَا فِي الْمُخْطُوطَاتِ كُلُّهَا .

ولإنما قدّمناه في ذكر أصحاب أرسسطو طليس على غيره بخصال : منها تقدمه عليهم بالملك وبسيرته الحسنة وآثاره العظيمة ؛ ومنها اختلاط أكثر ما نحكيه في الفضل عنهم بعضه بعض . وإنما نأتي في هذا الموضوع من أخباره بما يشاكل ما تقدم القول فيه من التوارد الحكيمية والنكت العلمية ، سوى أقصاص سيرته وفتوحه وغزواته . وبالله التوفيق .

(آداب الاسكندر)

قال له بعض الحكماء : أخلاقك تجعل العدو صديقا ، وأحكامك تجعل الصديق عدوآ ، ويشهد لك عَدَمُ مِثْلِك فيما كان يعدم مثلك فيما يكون .

وقال له بعض الملوك : بم بلغت ما بلغت ؟ قال : بحسن سياسي ، ومعرفتي (بما) تحب خاصتي وعامتي ، وقلة غفلتي عما يقدح بافسادِ في مملكتي .

وعزى الإسكندر ثاوفرسطس على ولده فقال له : أيها الملك^(١) ! قد علمت أن الذي ولدت سيصير إلى الموت .

وجلس يوما فلم يسأله أحد حاجة . فقال لأصحابه : والله ما أعد هذا اليوم من أيام عمري في مملكتي ، اللهم إلا أن يكون العدل قد شملهم ، والغنى قد أزال الحاجة عنهم فيكثر بذلك سروري وابتهاجي .

وكان ينادي على باب داره في كل يوم ثلاثة أصوات : يا معشر

(١). لا بد أن هنا تحريفا ، إن كان المقصود ثاوفرسطس تلميذ أرسسطو وابن أخيه . اللهم إلا أن يكون الكلام هنا لثاوفرسطس ردا على تعزية الإسكندر له . لكن ما الداعي إذن إلى إيراده هنا والحديث عن آداب الإسكندر ! لكن الإسكندر لم يكن له ولد توفى في حياته . أو لعل ثاوفرسطس هذا كان ملكاً وشخصاً آخر غير ثاوفرسطس الفيلسوف ؟

الناس ! التمسك (٥٦) بطاعة الله أحسن من الوقوف على المعصية وأسلم ، فاحدروا فإن الطاعة تورث فرحاً وتُجْدِي ، والمعصية تُعَقِّب نَدَماً وتردِي . والسلطان قيس الله المستوقي ما يجب له في الظاهر إن عبتم أو ثاقلم .

وكتب إلية أمّه : « احذر طيبك أن لا يسقيك سُمّاً ! » .

فدعى بطيبيه وقال له : أثني بشربة دواء . فتناولها من يده بيده اليمنى ، ودفع إلية الكتاب بيده اليمينى ، وقال له : اقرأه لتعرف كيف ثقتي بك . فقال الطبيب : ما قالت إلا ما يقال مثله بفرط الشفقة . ولقد فعلت ما لا يفعل مثله إلا بالتكرم . ولقد اعتبدتني اليوم بما لا يفكّي منه شيء ، وكنت قبل عبداً على غير ذلك .

وسعى إلية ساعٍ برجل من أصحابه ، فقال له : يجب أن نقبل قوله فيه قوله فيك . قال : لا ! قال : فكُفْ عن الشر لـيـكـ الشر عنك .

وفي رواية أخرى : دنا رجل منه ، فجعل يثبت صاحباً له ويتهكم ويشهر به . فأصغى إليه للاستماع منه بأذن واحدة . فقيل له : « أيها الملك ! تسمع بإذن واحدة ؟ » فقال : « تركت الأخرى لأسمع من خصميه » . فعلم الساعي ان خصميه إن جاء سمع منه ؛ فكفَ .

وأهدى (١) له فخار ، فأعجب به وأجاز عليه جائزة حسنة . ثم أمر بها فكسرت كلها . فقيل له في ذلك ، فقال إنها كانت تنكسر على أيدي الخدام واحداً واحداً فلا يزال ذلك يُحدث فينا غمّاً ، فكسرتها جملةً وأرحت نفسي منها .

وذُكر له سوء حال رؤساء أثينية بما كان فيلوفوس أبوه حازه من أموالهم

(١) هذه الحكاية شبيهة بحكاية الامبراطور نيرون Néron مع القبة التي أهديت له . راجعها في كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » للبيروني .

فقال : « قد يجب ^(١) للآباء على الأبناء إزالة الذم عنهم ولابقاء المحامد لهم . وأمر برد أموالهم عليهم والإحسان إليهم .

وسُئِلَ عن أللذ ما يوجد في هذا العالم ، فقال : بر الوالدين في حياتهما . و كان يقول : إن من آين ^(٢) المَلِك أن يقبل الهدايا القليلة والأشياء الصغار ، ويَجْبُرُ بالكثير ، ويعطي الرغائب مسروراً بذلك .

وقيل له : فلان ^{يُبغضك} ويُثْبِلُك ؟ فلو عاقبته ؟ قال : هو عند ذلك العقاب ^{أعْذَرُ} في بُغضي وثبي .

وأسأله بعض الملوك عن علامة ثبات ^(٥٧) المُلْك ، فقال : الجد في الأمور .

قال : وما علامة زواله ؟ فقال : الم Hazel فيها .

قيل (له) : فما سرور الدنيا ؟ فقال : الرضا بما رُزِّقتَ .

قيل ^(٣) (له) : فما غمها ؟

قال : الحرص على ما لعل لا يناله .

ودخل إليه رجل ^{يُ}في جملة أصحاب الحوائج ، فتكلم بين يديه بكلام استحسنـه ؛ وكان رث الكُسْوَة ، فقال : « أيها الملك ! أما الكلام فإني أقدر عليه ؛ وأما الكُسْوَة فأنت أقدر عليها ». فتبسم وأمر له بجائزـة سنـية . وقال : جودوا على أقربائكم ، وأكرموا إخوانكم ، واحسـنوا إلى المنقطـعين إليـكم .

(١) غ : الآباء .

(٢) الآين : المراسـم والعادـات والتـقالـيد .

(٣) ك ، م ، غ : قال .

وقال : صحة المحبة ^(١) أن لا تميل إلى نفع ، ولا ^(٢) يقصد بها منع .

وقال : ليس الموت بالـ ^{الم} للنفس ، بل للجسد .

وقال : من ^(٣) يريد أن ينظر إلى أفاعيل الله مجردة ، فليعرف عن الشهوات .

وقال : إن الحكمة شبيهة بـ ^{يا}كليل ذهب مزيّن بـ ^يجوهر فاتق الشرف والبهاء ، لتزينها الأ نفس بالأدب والمدن بالسنة الصالحة .

وقال : العقل لا يأْلم في طلب معرفة الأشياء ، بل الجسد الحامل ['] له ؛ كما أن البياض ليس هو الذي يتغير إلى السواد ، بل الجسد الحامل للبياض .

وقال : النفس تحتاج إلى ثلاثة أشياء إليها ترق ، ونحوها تنزع ، وبها يتم اعتدالها وحسن حالتها وهي : الغذاء الخفيف ، والشراب الطيب ^(٤) اللطيف ؛ والثاني : إدخال السرور إليها من المسموعات الطيبة والعلوم البرهانية ؛ والثالث : الحركة التي يقوى بها البدن ، وتحلل بها فضول ['] الغذاء المتقدم .

وأخذ يوماً تفاحة ، فقال : ما ألطف قبول هذه الحيوان الشخصية لصورتها ، وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الأصباغ الروحانية : من تركيب بسيط ، وبسط مركب ، حسب تمثيل النفس لها ! كل ذلك دليل على إبداع مبدع الكل ، وإله الكل .

وقال : سلطان ['] العقل على باطن العاقل أشد تحكماً من سلطان السيف على ظاهر الأحمق .

وقال : لو لا القلم ما قامت الدنيا ، ولا استقامت المملكة . وكل شيء

(١) ك ، م ، غ : التي .

(٢) غ : يقصر .

(٣) م ، ك : الذي .

(٤) الطيب : ناقصة في ك ، م

تحت القلم والعقل واللسان * * يريكمها شايلن ويحصرها صورتين .

وقال : السعيد * (٥٨) مَنْ لا يعرفنا ولا نعرفه ، لأنّا إذا عرفناه أكلنا يومه وأطرونا نومه .

وقال في رجلين رآهما يختصمان ويتناحشان ، فقال : لن تقع بين عاقلين خصومة ، ولا بين عاقل وأحمق . وإنما تقع الخصومة بين أحمقين بجهلهمما بقدر الحلم ، وشرف رتبته وحسن زيته .

وسأل بعض بطارقته : مَنْ أَنْجَدُ النَّاسَ ؟ فقال : من يسأل الاسم ، ولا يسأل القَسَمَ .

ورفع إليه أن رجلين من أصحابه ، وكانا أخوين ، أبليا في الحرب وأغانيا واستبسلا ^(١) في وجوه الأعداء ، وأثروا أن أحدهما قال لصاحبه : أترى الملك يعرف لنا وقوتنا ^(٢) وهو غائب عنّا ؟ فأجابه أخوه : إن غاب الملك عمّا يجب لنا ^(٣) ، فإنّا لانغيب عما يجب له . فأعجب بحوارهما وتقديرهما ^(٤) واصطفاهم ، وقال : لو علمت أن في عسكري مثل هؤلاء عشرة لأنكرت نفسى زهوا .

وسعى إنسان عنده بآخر ، فقال له : مُذْ كم عرفت هذا الرجل ؟ فقال : منذ عشر سنين . قال : انصرِفْ ، فإني أَقْوَمُ معرفة به منك .

ولما فرغ الإسكندر من جميع مغازييه ، أقبل إلى بابل ليجعلها دار المملكة .

(**) تحت اللسان والعقل والقلم يريكمها : م ، ك .

(*) من هنا يعود الترتيب الصحيح في ترقيم المخطوط غ .

(١) ك ، غ ، م : فضلنا .

(٢) م ، ك : وقعنا .

(٣) ك ، م ، غ : له .

(٤) أي لمنهما عطا وجزاء . م : بحباهمـا .

في بينما هو في الطريق إذ وجد فتوراً في بدنـه . وتأذى بحرارة الشمس . فترـل عن دابته . وظلـله أصحابـه فوقـه بـأثرـسـهم ، وـكانت مـوهـة بالـذهب ، فـلم يـجـد خـفـةً . وـقـرـبـ ذـهـابـ الشـمـسـ فأـمـرـهـمـ أـنـ يـعـدـلـواـ بـهـ إـلـىـ أـقـرـبـ القرـيـةـ . وـبـاتـ بـهـاـ مـقـيـماًـ ، وـأـصـبـحـ وـقـدـ اـشـتـدـتـ بـهـ الشـكـاـيـةـ ؛ـ فـسـأـلـ عـنـ اـسـمـ القرـيـةـ ،ـ فـأـخـبـرـوـهـ بـأـنـهـ تـسـمـيـ روـمـيـةـ المـدـائـنـ .ـ فـانـقـطـعـ عـنـ ذـلـكـ رـجـاؤـهـ ،ـ إـذـ كانـ قدـ عـرـفـ بـعـضـ الإـنـذـارـاتـ وـفـنـونـ تـقـدـمـةـ الـعـرـفـةـ انـ مـوـتـهـ يـكـوـنـ فـيـ بـيـتـ منـ ذـهـبـ بـرـوـمـيـةـ .ـ فـلـمـ أـيـقـنـ بـذـلـكـ بـدـأـ بـالـكـلـامـ وـالـوـصـيـةـ ،ـ وـلـمـ يـكـنـ لـهـ وـارـثـ .ـ وـصـيـرـ وـصـيـتـهـ إـلـىـ سـلـيـقوـسـ^(١)ـ خـلـيفـتـهـ ،ـ وـاسـتـخـلـفـهـ عـلـىـ بـاـبـلـ .ـ وـأـدـرـ كـهـ أـجـلـهـ .ـ وـكـتـبـ إـلـىـ أـمـهـ :

(كتاب الاسكندر إلى أمه)

« من عبد الله ، الاسكندر ، المستولي على أقطار الأرض بالأمس ، وهو اليوم — هنـيـها — إـلـىـ اوـلـمـفـيـاـسـ^(٢)ـ الرـحـيمـةـ الحـبـيـةـ ،ـ الـتـيـ لمـ يـتـمـعـ بـالـقـرـبـ مـنـهـ .ـ السـلـامـ عـلـيـكـ الطـيـبـ الزـاكـيـ .ـ

إن سـبـيلـ يـاـ أـمـاهـ^(٣)ـ سـبـيلـ(٥٩)ـ مـنـ قـدـمـىـ مـنـ الـأـوـلـينـ ،ـ وـأـنـتـ وـمـنـ .ـ يـتـخـلـفـ بـعـدـيـ بـالـأـثـرـ .ـ وـإـنـمـاـ مـثـلـنـاـ فـيـ هـذـهـ الدـنـيـاـ كـاـلـيـوـمـ الذـيـ يـتـبعـ مـاـ تـقـدـمـهـ .ـ فـلـاـ تـأـسـفـيـ عـلـىـ الدـنـيـاـ فـإـنـهـ غـارـةـ لـأـهـلـهـ .ـ وـالـعـبـرـةـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ قـدـ عـرـفـتـ فـيـ الـمـلـكـ فـلـيـفـوـسـ ،ـ حـيـثـ لـمـ يـجـدـ سـبـيلـاًـ إـلـىـ الـمـقـامـ مـعـكـ ،ـ وـلـاـ التـخـلـفـ عـلـيـهـ .ـ فـتـذـرـعـيـ بـالـصـبـرـ ،ـ وـأـنـفـيـ الـحـزـعـ مـنـ قـلـبـكـ .ـ وـنـادـيـ بـأـنـ لـاـ يـدـخـلـ عـلـيـكـ الـأـ

(١) غـ :ـ سـيـفـلوـسـ .ـ وـهـوـ Seleucusـ كـبـيرـ قـوـادـهـ ،ـ وـلـقـبـهـ نـيـقـاتـورـ Nicatorـ وـقـتـلـ سـنـةـ ٢٨١ـ.

(٢) كـ ،ـ غـ ،ـ مـ :ـ اـرـفـيـهـ أـمـهـ .ـ وـامـ الـاسـكـنـدـرـ كـانـ اـسـمـهـ اوـلـمـبـيـاـسـ Olumpiasـ .

(٣) غـ :ـ بـالـهـ (!)ـ مـ :ـ يـاـ أـمـهـ .

من لم تُصِبْه مصيبة^(١) ، لتعرف ما في ذلك و تستعيني على أمرك إلى أن تمضي لشأنك ، فإن الذي تصيرين^(٢) إليه خير ما كنت فيه وأرْوَح . فاحسني إلى وإلى نفسك بقبول العزاء » .

وأمر بختم الكتاب وإنفاذه إلى أمّه سرّاً .

وتقديم إلى سليقوس^(٣) وزيره أن يستر موته ، وأن يُجْدِ السير إلى الإسكندرية . ثم جعل يقول وهو يجود بنفسه : « ربّ أَنِلَّتِي رضاك ! فكُلّ مُلْكَ باطلٌ سواك » – حتى مضى . فأودع في تابوت من ذهب إجلالاً له وإعظاماً ، ثلاثة يمس بدنه التراب . وستر الوزير موته . وقاد الجيوش والخزائن ، حتى انتهى بها إلى الإسكندرية ، المدينة التي بنيت له . وأخرج التابوت فوضعه في البلاط لي تمام اثنين وثلاثين سنة عاشها في الدنيا ، مُلْكٌ فيها اثنتي عشرة سنة .

ويقال إن بعض عبيده سمه في مرضه فقتله .

وأظهر للوجوه والحكماء موته ؟ فبكوا عليه وندبوه . وامر الوزير أن يقول كل أمرىء منهم عليه ندبة ، تكون للخاص تعزية ، وللعام موعدة بليمجاز . فقال نليموس الحكيم : « هذا يوم عظيم ، أقبل من شره ما كان مدبراً ، وأدبر من خيره ما كان مقبلاً . فمن كان باكيًا على من قد زال ملكه ، فلَيَبْكِه ! » .

وقال ميلاطوس الحكيم : « خرجنا إلى الدنيا جاهلين ، وأقمنا فيها غافلين ، وفارقنا منها كارهين » .

(١) م ، لك ، غ : تصير .

(٢) لك : فاروح وأحسن .

(٣) غ : ميللوس – وهو Seleucus م ، لك : سيقلوس .

وقال زينون الحكيم : « يا عظيم السلطان ! ما كنت إلا ظل سحاب
اضمحل لما أظل ، فما نحس لملك أثرا ، ولا نعرف منك ^(١) خبرا ». .
وقال زينون الأصغر : « إن الأمر في الذهب قد ساوي ^(٢) صمتنا .
فهل نرجو أن ينفذ بعد أمرك أمر !؟ » .

وقال ذولس الحكيم : « يا من ضاقت عليه البلاد طولاً وعرضها !
ليت شعري كيف حالك فيما احتوى عليك (٦٠) منها ! ». .

تمت ^(٣) قصة الإسكندر ^(٣) .

(١) م ، لك : لك .

(٢) م ، لك ، غ : الذهب قد سدوا صمتنا .

(٣) لم يرد في ذلك ، م .

ذيو جانس الكلبي

كان ذيو جانس هذا حكيمًا فاضلاً ، وقد أخذ^(١) نفسه بالتقشف ، لا يقتني شيئاً بنته ، ولا يأوى إلى منزل . ولم يكن في ملنه شيء غير ما يوارى عورته ، ويستر بدنها . يأكل قوت يوم يوم . وكان إذا جاء أكل الخبز أين وجلده ، ليلاً كان أو نهاراً ، عند مملكته كان أو عند سوقه . لا يختشم أحداً . وقيل إنه مر بخباز يخبز . فأخذ من خبزه ، وأكل . ثم مر به في الغد ، فوجده يخبز ، فتناول من خبزه ليأكل . فقال له الخباز : قد أكلت أمس . فقال له : وأكل اليوم أيضاً لأنك تخبز في كل يوم ، وأنا أجوع في كل يوم :

وهو صاحب الشيخ اليوناني ومعلميه^(٢) . والشيخ اليوناني^(٣) هو صاحب الحكمة التي ظهرت منه في كتبه المعروفة به ، وليس لها هنا موضع ذكرها . فمن أحب أن يطالعها ، فليقرأها من تلك الكتب ، فإنها موجودة فيها .

ولما سُمِّي ذيو جانس وأصحابه « الكلبيين » لأنهم كانوا يَرَوْن اطراح الرسوم والأسباب المفترضة على الناس ، مثل التزويع والبناء والتجارة والاقتناء .

(١) غ : يأخذ نفسه بالقشف . م ، لـ : بالقشف .

(٢) غ : ويعلمه .

(٣) الشيخ اليوناني = أفلوطين Plotinus . راجع كتابنا : « أفلوطين عند العرب » ، ط ٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٦ .

وكانوا يحبون أقاربهم وإنوادهم فقط ، أو منْ ذهب مذهبهم وأحسن إليهم ، ويبغضون سائر الناس . وهذه أخلاق تخص الكلاب .

وقيل له الكلب ^(١) للعجبَ الذي فيه ، والتحكُمُ الذي به .

وسئل : لم سميت كلباً ^(٢) ، فقال : لأنِّي أَجْبَهُ أهل الشرّ والباطل بالحق ، وأصدقهم في أنفسهم ، وأتبصّر للأخبار ، وأهْرُنُ في وجوه الأشرار .

وقيل له : لم لا تتخذ لنفسك بيتاً ؟ فقال : « لو علمت بيتي وكبره لأيقنُم أن بيتكم وبيوت العالم لا تسعه » ، يعني أن الأرض كلها بيته ، وأن السماء سقفه .

وقيل له : أَتَشَرِّب ؟ فقال : ما أَرْضَى ^(٣) عقلي مجتمعاً ، فكيف إذا تفرق ؟ !

وكان الإسكندر يُقرّبه ويأنس بكلامه . وقال يوماً للاسكندر : أَهَا الملك ! قد أَمِنْتَ الفقرَ ، فليكن غناك اقتناء الحمد وابتلاء المجد .

وسئل عن الملاحة ، فقال : مجاورة الموت .

وقال : الأمان مع الفقر خيرٌ من الغنى مع الخوف .

وسُئِلَ : أي العلوم أَنْفع ؟ فقال : ما عَمِيلَ به .

وقيل له : ادخل ^(٤) البستان لتأكل الفاكهة . فقال : إذا حضرت الفاكهة أكلتُ .

ومَرِضَ فعاده تلامذته ، فقالوا : كيف نجدك أيّها المعلم ؟ فقال : أجدهني

(١) م ، غ : الكلب والحمى (١) . والجبه : المجايبة)

(٢) غ : كلبا... احسه (١٠) .

(٣) م ، ك : والله ما أرضى .

أقربكم من الله ، وأبعدني منكم .

وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ! اجْتَمِعُوا ! » فَبَادَرَ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَقَالَ : « إِنَّا أَدْعُو النَّاسَ ، لَا أَنْتُمْ ». .

وكان يقول للامذته : دَعُوْا أَخْلَاقَ الْبَهَائِمِ وَالتَّشْبِهِ بِأَهْلِهَا . وَاعْمَرُوا الْحَفَةَ بِالْوَقَارِ ، وَأَطْفَلُوكُمْ نَارَ الْغَضَبِ بِالْكَظْمِ ، وَاغْلِبُوكُمْ الْإِسَاعَةَ بِالْإِحْسَانِ ، وَاسْتِبْدُلُوكُمْ بِطْلَبِ الثَّأْرِ الْعَفْوَ إِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ اسْتِكْمَالَ الْحَكْمَةَ بِالْأَسْمَاءِ وَالْفَعْلِ .

وَمِرْ بِعْشَارٍ . فَقَالَ لِهِ الْعَشَّارُ : « أَمَعَكَ شَيْءٌ مِّنَ الْمَالِ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ! وَوَضَعَ مَخْلَاتَهُ فَقَتَشَهَا الْعَشَّارُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئًا ، فَقَالَ : « أَينَ مَا قُلْتَ ؟ » فَقَتَشَ فِي صِدْرِهِ وَقَالَ : « هَا هُنَا حِيثُ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا تَرَاهُ ». .

حضر هو وقورقس **المُضْحِك** مجلس الاسكندر . فَقَالَ الإسكندر : « أَيُّهَا الْكَلْبُ ! كَيْفَ الَّذِي بَيْنِكَ وَبَيْنِ قَوْرَقْسِ (١) ؟ » فَقَالَ : « أَيُّهَا الْمَلَكُ ! إِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنِهِ مُخْتَلِفٌ بَعِيدٌ جَدًّا . قَالَ : « وَكَيْفَ ذَاكُ؟ » فَضَحَّكَ وَقَالَ : « لَأْنِي بِحُكْمِي أَدْعَى الْحَمْقَ ، وَصَرَّتُ مَهْزُوِّيَّ بِي . وَقَوْرَقْسُ (٢) الْمُضْحِكُ بِحُمْقِهِ صَارَ كَلِيمًا . فَأَنَا لَسْتُ أَنْتَفُعُ بِحُكْمِيِّ كَمَا يَنْتَفُعُ هُوَ بِحُمْقِهِ ». . فَضَحَّكَ الإسكندر مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ قَالَ لِقَوْرَقْسِ (٣) : « كَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ فِيمَا يَدْعِيهِ الْكَلْبُ ؟ » قَالَ : « أَيُّهَا الْمَلَكُ ! قَدْ أَدْرَكْتُ بِحُمْقِي مَا ضَيَّعَ الْكَلْبَ بِحُكْمِتِهِ . وَحُمْقُ (٤) يُجْدِي عَلَيَّ وَيَكْفِيَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ كَلْمَةٍ تَحْرُمُنِي وَتَبَاعِدُنِي وَتَنْفِرُنِي حَظِّي ». .

وَقَيلَ لِهِ : بَلَغْنَا (٥) أَنْكَ تَبْغِضُ النَّاسَ أَجْمَعِينَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! أَبْغِضُ

(١) ك ، غ ، م : فورفس (بالفائزين) .

(٢) غ : وحمقى .

(٣) غ : بلغت .

أشرارهم لسيرهم الحبانية ، وأبغض أخيارهم لأنهم لا يعظون أشرارهم .
وعيب بالفقر ، فقال : لم أر أحداً عذّب على الفقر ، ولكن الذين
يُعذّبون على الغنى كثيرون .

وسئل : ما الفصل بينك وبين الملك ؟ فقال : الملك عبد الشهوات ، وأنا
مولاه .

وسئل عن الغني ، فقال : الرضا بالكافاف ، والكف عن الشهوات .
وقيل له : بلغنا أن بليون ^(١) يريد أن يقتلك . فقال : إن فعل ذلك كان
عليه أضرًّا .

وسأل الإسكندر جلساًه من фلاسفة عن الشرف والغني ^(٢) فقال
ذيوجانس : أيها الملك ! ليس المال الكبير من الشرف والغني في شيء . إنما
الشريف من تجنب ^(٣) الرذائل ، والغني غبي النفس .
قال (له) الإسكندر : أردتُ أيها ^(٤) المعلم أن أكون مثلك !

الشيخ اليوناني ^(٤)

ولما ذكرنا في ابتداء هذا الفصل من اختصاص الشيخ اليوناني بذيوجانس
وكونه من تلامذته ، أتبَعْنَا ذكره بفصلٍ يشتمل على نُبَيْدٍ من كلامه ، حسبما
وُجِدَ وظُفِرَ به .

(١) لم يرد في غ تكملة هذه الجملة بل توقفت عند هذه الكلمة .

(٢) ل ، غ : الشريف من تجنب الرداء !

(٣) أيها : مكررة في غ .

(٤) هو أفلوطين Plotinus . راجع كتابنا : « أفلوطين عند العرب » ، المقدمة . القاهرة ط ٢
سنة ١٩٦٦ .

قيل له : ما بلغت ^(١) محبتك للعلم ؟ فقال : إذا اغتممتُ فهو سلوتي ، وإذا ارتحتُ فهو لذتي ، وإذا فترتُ فهو هزتي ، وإذا نشطتُ فهو عدتي ، وإذا أظلم على ^أ فهو ضيائي ونوري ، وإذا تجلّى على ^أ فهو نزهتي وسروري .

وقال : النفس جوهر ^أ كريم شريف ^أ ، يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لا بعدها ، ومركزها هو العقل . وكذلك العقل هو دائرة استدارت على مركزها ، وهو الخير الأول المحسن . غير أنه ، وإن كان العقل والنفس دائرتين ، لكن ^أ دائرة العقل لا تتحرك أبداً ، بل هي ساكنة ^(٢) ذاتية شبيهة بمركزها . وأما دائرة النفس فإنها تتحرك على مركزها ، وهو العقل ، غير أن دائرة العقل ، وإن كانت شبيهة بجوهرها لكنها تتحرك حركة الاشتياق ، لأنها تشناق إلى مركزها وهو الخير الأول . وأما ^(٣) دائرة النفس فإنها تتحرك حركة الاشتياق أيضاً ، إلا أن في حركتها ميلاً ، لأنها تشناق إلى العقل والخير الأول والأأن ^(٤) الذي هو فوق كل أن .

وأما دائرة هذا العالم فإنها دائرة ^أ تدور حول النفس ، وإليها تشناق . وإنما يتحرك هذا الحركة الدائمة شوقاً إلى النفس كشوق النفس إلى العقل ، وشوق العقل إلى الخير المحسن الأول ، لأن دائرة هذا العالم إنما هي جرم ^أ ؛ والجسم يشناق إلى الشيء الخارج منه ، ويحرص على أن يصير إليها طبعاً ^(٥) فيعانقه . فلذلك يتحرك الجسم الأقصى الشريف حركة مستديرة ، ولأنه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح إليها ويسكن عندها .

(١) غ : بلغ - ك ، م : ما بلغ من

(٢) غ : دائمة .

(٣) ك ، م ، غ : وله .

(٤) لأن (بضم الألف). تعریف الكلمة اليونانية لأن = الوجود ، الموجود .

(٥) طبعاً : ناقصة في ك ، م .

وقال : ليس للمبدع الأول – جل وعلا ! – صورة ولا حِلْيَةَ مثل صور الأشياء العالمية ولا مثل الصور التي في العالم السفلي ، ولا قوة مثل قواها ، لكنه فوق كل صورة وكل حِلْيَةَ وكل قوة ، لأنَّه مُبْدِعَ كل حِلْيَةَ وصورة حسنة بتوسط العقل ، وذلك أنَّ الشيءَ المكوَّن إذا كان مكوَّناً فإنَّه من الواجب أن يكون شيئاً ما ، وأن تكون له حِلْيَةٌ ما ، وصورة ما . وأما المبدع الأول – جل وعلا ! – الذي لم يكوِّنه أحد ، ولم يدعه أحد ، فلا حِلْيَةَ ولا صورة له ، لأنَّه هو المصورُ الحقُّ ومبدعُ المويَّاتِ كلها .

وقال : المبدع الأول الحقُّ ليسَ بشيءَ من الأشياء ، وهو جميع الأشياء ، وليس الأشياء كلها ، لأنَّ الأشياء منه .

وقال : ما غيظي على الذين كذبوا على الأشخاص السماوية ذات الزينة والحركات الموزونة والآثار الغريبة والأخبار العجيبة ؛ ولكن غيظي على الذين كذبوا على نظمها ومصرفها وناضدها ، فإنَّهم افتروا عليه ، ونسبوا الباطل إليه ، وادعوا أنَّهم أبناؤه وأخياره وأحباؤه ، فأتوا نكراً ، وكلَّفوا عباد الله عُسْرَاً ، وكانت عاقبة أمرهم خسراً .

وقال : قد صَدَقَ أفالِيلُّونَ في قولهِ في مالِكِ الأشياء إنَّه الأشياء كلها ، لأنَّه هو علةٌ كونها بأنَّه فقط وعلةٌ شوقها إليه . وهو خلاف الأشياء كلها ، وليس فيه شيءٌ مما أبدعه^(١) آنِيه ؛ وذلك أنَّه لو كان فيه شيءٌ ، لما كان هو علةُ الأشياء كلها . فإنَّ كان هذا هكذا ، وكان العقلُ الأولُ واحداً من الأشياء ، فليس فيه إذن عقل .

وقال أيضاً : الله أبدع الأشياء بأنَّه فقط وبأنَّه يعلمها ويحفظها ويدبرها ، لا بصفةٍ من الصفات . وإذا وصفناه بالفضائل والحسنات كلها^(٢) فإنَّما نعني

(١) غ : أبدعها . ك : أبدعها .

(٢) غ : وإنما .

بذلك أنه علة الحسنات والفضائل وأنه إنما جعلها في الصور ، وهو مبدعها .
وقال : إن الفاعل الأول – جلّ وعلا – أبدع الأشياء كلها بغاية الحكمة .
لا يقدر أحدٌ أن ينال علة كونها ، ولمْ كانت على الحال التي (هي) الآن
عليها ، ولا أن يعْرِفَها كُنْهَ معرفتها ولمْ (٦٤) صارت الأرض في الوسط ،
ولمْ كانت مستديرة ولمْ تكن مستطيلة ولا منحرفة ، فإنك (١) لا تقدر أن تقول
 شيئاً إلا أن تقول : كذلك كان ينبغي أن تكون الأرض مستديرة موضوعة
في الوسط ، وأن الباري – عزّ وعلا (٢) ! – صيرها وسَطًا وكذلك (٣) كان
ينبغي لها أن تكون مستديرة موضوعة في الوسط (٤) لأن الوسط هو
موضوعها الذي لا يمكن أن تكون إلا فيه . ولو فكرتَ دَهْرَك ، ورويت في
شكل الأرض وسائر الاسطقطاسات ومواضعها وفي سائر الأشياء الجزئية ولمْ
كانت على الحال التي (هي) الآن عليها ولمْ تكن على خلافها – لم تقدر على ذلك
إلا بالتخمين والحدَر . فأمّا العلة القصوى التي من أجلها كانت الأشياء على
ما هي عليه الآن فلن تناهها ولن يعْرِفَها أحد لأنها كانت بغاية الحكمة الواسعة
لكل حكمة : وذلك أن كل فاعل يفعل برويَّة وفكِّر فإنه يفعل فعله لا بآنيته
لكن بفضلِ فيه (٤) . فلذلك لا يكون فعله غَايَةً في التقانة والإحكام . وكل
فاعل يفعل بلا روبيَّة ولا فكر ، فإنّما يفعل بذاته فقط ، لا بفضل فيه ،
فلذلك يكون فعله فعلاً محكمًا غَايَةً في الاتقان والحسُن . – فإن كان هذا
هكذا ، قلنا إن الفاعل الأول – جلّ وعزّ – لا يحتاج في إبداع الأشياء إلى
روبيَّة وفكِّر . وذلك أنه ينال العللَ بلا قياس . ولذلك لا يروي في إبداع الأشياء
ولا يفكِّر في نيل عِلَّتها ومعرفتها ، بل يبدع الأشياء ويَعْلَم عللها قبل أن
يروَى فيها ويفكر ، وذلك أن الروبيَّة وال فكرة والعِلَّل والعلم والبرهان والقنوع

(١) ك : لن .

(٢) ك : جل وعز .

(٣) ... ما بين الرقين ناقص في غ . م ، ك. : في الوسط وهو موضوعها ...

(٤) ك : بفضل . غ : بقصد .

(٥) غ. : فإنه .

وسائل ما يشبه هذه الأشياء ، إنما كانت أجزاءً وهو الذي أبدعها . وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد ؟ ! هذا حال غير ممكن ، والله تعالى أعلم بالصواب * .

ثاوفرسوس

كان من أصحاب الحكم أرسطوطاليس وتلامذته ، واستخلفه على كرسى حكمته بعد وفاته فأعانه على تعليم الفلسفة ^(١) للمبتدئين والقيام بما فوَّضَ إلَيْهِ أوديموس واسخنولوس ^(٢) (٦٥) — وكانوا أيضاً من تلامذة أرسطوطاليس الكبار فيهم ^(٣) .

وله الكتب الكثيرة والتصانيف الجليلة والشروح الكثيرة ككتب أرسطوطاليس الأصول .

وما يؤثر عنه من اللائق بهذا الموضع قوله : « الآلة ^(٤) لا تتحرك ». ومنْ تأملَ اللفظة وتفكرَ في قلة لفظتها مع غزارة معناها وكثرة ريعها ^(٥) ، استدلَ بها على علمه وبُعدَ غوره وجلالة قدره من العلم .

وقوله : ^(٦) لما قيل له إن ضبط الغضب عَسِيرٌ — فقال : وضبط الشهوة

(*) نشرنا هذا الفصل الخاص بالشيخ اليوناني قبل هذا في كتابنا « أفلوطين عند العرب » ، الطبعة الأولى ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ، والثانية سنة ١٩٦٦ .

(١) م ، ك : المتنفسة والمبتدئين .

(٢) م ، ك : واسحولوس .

(٣) م ، ك : منهم .

(٤) م ، ك : الإلهية .

(٥) وكثرة ريعها : ناقصة في غ .

(٦) م ، ك : محله .

(٧) غ : ما .

أيضاً عَسِيرٌ ، وذلك أنه ليس شيء من الحيرات بسهل .

وقوله : النفس تقدر على الطيران والحلول على جميع ما تريده بالأجنحة الخفية التي لها ^(١) ، وهي تنظر إلى ما تربد ولا ينظر إليها ، شبيهة بالنحلة التي تطير وتسقط على الشجرة الممتلئة من عَسَل الشمار فتأخذ حاجتها منها ، وتجوز ما خلاً من ذلك ، وتترك نفس العقاقير فقيرة من الحلاوة التي كانت فيها وتكتب هي منها أطایب ^(٢) ذلك .

وقال : متى طرحت النفس [ُ] عنها التقل من فِكْرَ العالم التي تعوقها عن حر كاتها إلى الشيء الفاضل ، باشرت الحكمة بأيسر كُلْفَة وأهون سَعْيٍ ، وصارت كالسراج الذي هو يضيء لنفسه ويضيئ لغيره . فابحاهل إذا لزمهها صار عالماً ، والفقير إذا تبعها صار غنياً ، وكلما عَلَتْ ^(٣) أكثر ، ازدادت في العلم فتصادف من الغنى يساراً .

وكان يقول : إن السماء فيها مسكن جميع الكواكب . وأما الأرض ففيها مسكن جميع الناس ، لأنهم شبّه [ُ] ومَثَل [ُ] لهم فهم الآباء ^(٤) وهم مدبرونا ، وذلك أن لها أنفساً وعقولاً مميزة وليس لها نفس نباتية ، لأنها لا تقبل الزيادة والنقصان .

وقال : ليس الغنى حسناً ، ولكن كيف الغنى هو الحسن .

ورأى مصارعاً لا يصرع أحداً فترك الصراع وصار طيباً – فقال له :
الآن تصرع من شئت .

وسأله الاسكندر : بماذا يصلح الملوك ؟ فقال : إذا أطاعت الرعية ملوكها ،

(١) م ، ك : هي لها .

(٢) غ : أطاليب .

(٣) غ ، م ، ك : اعلت .

(٤) غ : فهم الآباء هم الآباء وهم ... م : لهم هم الآباء .

وَعَمِيلَ الْمَلِكُ بِالسُّنَّةِ وَالْعَدْلِ .

ونظر إلى معلم رديء الكتابة يُعلّم الكتابة ، فقال له : لِمَ لَا تُعلّمَ
(٦٦) الصراع ؟ قال : لأنّي لا أحسّنه . فقال : هؤذَا أنت تُعلّمَ الكتابة ولستَ
تحسّنها !

وقيل له : مَنْ أَصْدَقَأْتُكَ ؟ فقال : « وما علمي ! فإني مoser » – أي إذا
مكثُر من المال فلا صديق لي .

وقال : لو كان للاستماع درجة فضيلة ، كانت الأيات (١) قد أخذت
بحظّها منها (٢) ، إذ هي تحبّ أصوات الملاهي كثيراً .

وسُئِلَ : أيّها أُولَئِي : طَلَبُ الغِنَى ، أم طَلَبُ الْحَكْمَةِ ؟ فقال :
الْحَكْمَةُ غَنِيَ النَّفْسُ ، وَالْمَالُ غَنِيُّ الْبَدْنُ . وَطَلَبُ غَنِيَ النَّفْسِ أُولَئِي ، لِأَنَّهَا
إِذَا غُنِيتَ بقيت ؛ وَغَنِيَ النَّفْسُ مَمْدُودٌ ، وَغَنِيُّ الْبَدْنُ مَحْلُودٌ .

ولما حضرته الوفاة أقبل على لوم الطبيعة فقال : كيف فعلتِ ؟ إنك بنيتِ
الكراكي والغرابيب (٣) والن سور بنيّة تقبل حياة كثيرة ، وبنيتِ الإِنْسَانَ بنيّة
تقبل حياة قليلة ، فصار الذي يحتاج إلى الحياة يدثر سريعاً ، والذي لا يحتاج إلى
حياة يبقى كثيراً .

أوْذِيُوس

كان أيضاً من تلامذة الحكيم أرسسطوطاليس والمدرسین لعلمه وحكمته ،
والمصنفين للكتب على قوة كلامه (٤) ونمط تأليفه ونسبتها إليه .

(١) جمع أَيْلَ.

(٢) م ، غ ، ك : منه – إذا المقصود : من الفضيلة .

(٣) تختها في مخطوط غ : جمع غراب .

(٤) أي كلام أرسسطو .

وَقَيْلَ لِهِ : لَمْ تَنْعِ مَنْ يُسَأَّلُ ؟ فَقَالَ : لَثَلَّةً أَسَأْلُ . مَنْ يَمْنَعُنِي .

وقال : يمنع الجاهمَ من أن يجد ألم الحمق السريع في قلبه ما يمنع السكرانَ منه أن يجد سن الشوكة الداخلية في يده .

وقال : الفظة هيولى ، والمعنى صورة ، والنظر منظر ، والبلاغة جمال المنظر .

وقيل له : أين بلغت فكرتك ؟ فقال : بلغت الدرجة التي تحيط بـمبالغ فكر أهل دهري . فمـن تصفحت مـبلغ فـكرة مـفكـرـاً ، أحـاطـتـ بـمـبلغـهاـ عـلـماـ وـلمـ أـقـصـرـ عـنـ مـعـرـفـتهاـ ، وـعـلـمـتـ أـنـيـ تـجـاـوزـهاـ . وإنـماـ يـكـوـنـ المـرـءـ عـالـمـاـ ، أـكـثـرـ عـلـمـاـ مـنـ غـيرـهـ ، إـذـ أـحـاطـ عـلـمـاـ بـمـقـدـارـ فـكـرـتهـ ، أـعـنـيـ إـلـىـ أـيـ مـبـلـغـ اـنـتـهـتـ فـكـرـتـهـ وـمـاـ مـقـدـارـ مـاـ عـرـفـتـ مـنـ الـمـسـالـكـ وـتـوـجـهـتـ إـلـيـهـ . فـعـلـىـ حـسـبـ الـدـرـجـةـ الـتـيـ اـنـتـهـتـ إـلـيـهـ مـنـ طـرـيقـةـ السـلـوكـ الصـحـيـحةـ ، يـرـوضـ فـكـرـتـهـ ، كـأـنـ "ـ فـيـ كـلـ مـاـ تـصـرـفـ فـيـهـ فـكـرـتـهـ مـقـصـرـاـً . وـإـذـ أـعـلـمـ المـرـءـ طـرـيقـةـ السـلـوكـ أـمـيـنـ عـلـيـهـ الزـيفـ وـالـزـلـلـ .

وقال : اللحن الصحيح المقصح هو المستوى لهمة النفس . وأيّما صانع^(١)
أظهر الصورة التي في النفس (٦٧) حتى تخرج^(٢) إلى أن يقع عليها الإحساس
على أقصى ما يمكن إظهارها - فهو حكيم .

وقال : أخربت السباع امرأة الأب . فقيل له : أيّما^(٣) يسلب من السباع ؟
قال : لا أعرف من السباع سبعاً أخربت من امرأة الأب .

وقيل له: مات فلان "عدوك". فقال: وددت أنكم قلتم إنه متزوج.

(١) غ، ك : الصانع .

٢) غ : أن تخرج .

(۳) م، ک. : اُنما.

ونظر إلى ميت فقال ^(١) هذا نذيرٌ يُنادي الغافلين بلا صوت ، ويُحرّك الناظرين إليه بلا حركة ، وينبهه الحواسَ ولا حسَّ له .

وقيل له : هل يوجد في الدنيا من لا عيب له ^(٢) ؟ فقال : لا ، لأن من لا عيب فيه لا يموت .

وسُئِل عن قدر انتفاع الإنسان بالحكمة ، فقال : إذا حوى الحكمة كلها والتحف بها واشتمل عليها كانَ مثَلَ الإنسان الذي بلغ بسيره ^(٣) في البحر إلى مقصد़ه في سفره ، فهو ينظر ^(٤) وراءه إلى غيره مكروراً بالأمواج المحدقة ؛ والرياح المجرفة عليه .

وقال : مِنْ حُسْنِ جَدَّ الإِنْسَانِ أَنْ تفوته شهوته ، ومن حُسْنِ جَدَّه أن يضطر إلى خدمة الحكمة وأهلها .

وقال أيضاً : اقنع بالكافاف ، فإنَّ ما فوقه عاقبته وخيمة ، والتبعية فيه عظيمة .

وقال : وإياك والمراءَ فإنه يربّي الشرَّ ، كما يُرَبِّي المطرُ الحَبَّ .

وقال : الدهر يستخدم الزمان ، والحدثان يستخدم أصحاب الأكونان .

وقال : لسانٌ يَذَكُّرُ المبدعَ الأول لا ينبغي أن يجري بالرفث .

وقال : أبصر الناس بعوار الناس المُعْنَوِرُ يعيّب نفسه .

وقال : إن الله تعالى تفرد بالكمال ، ولم يُعرَّ أحداً مِنْ خلقه من القصان .

(١) فقال : ناقصة في م .

(٢) ك ، م : فيه .

(٣) م : سيره .

(٤) وراءه : ناقصة في م .

وقال : حظ المزوق بالعقل حظٌ روحاني ، وحظ المزوق بالجهل قدرٌ جرى به .

وقال : الظفر بالحرص ، والحرص بإجالة الرأي ، وإجالة الرأي بتحصين الأسرار .

وقيل له : متى تحمد الغباوة ؟ فقال : إذا اتصلت بكرم . قيل : فمتى ندمت الفطنة ؟ قال : إذا افترست بلؤم .

وقال : لا شيء أنفس من الحياة ، ولا غبَّنَّ أعظم من إنفاذها لغير حياة أبدٍ .

وسئل عن المحال فقال : ما لا صورة له في النفس .

اسخولوس *

كان أيضاً من كبار (١٨) أصحاب الحكم أرسسطو طيس ، وجارياً مجرى ثاوفرسطس وأوزيموس فيما ذكرناه من شأنهما . وكان الإسكندر يعظمه ويعرفه على نظرائه .

وكان يقول : أربع يفنين العمر قبل فنائه : قلة ذات اليد ، وسوء خلق المرأة ، وفساد الولد ، وافتقاد الإخوان .

وقيل له : (١) هلاً اتخذت أهلاً ولداً ؟ فقال : أنا في السعي في إصلاح نفسي هذه والحقيقة في مصالح جسمي هذا – في مؤانِ وجهد وهموم وغموم لا قوام لي بها ، فكيف أضم إليها وأقرنُ بها مثلها ؟ !

(*) غ : ايبيجيولوس ك ، م : اسخيلوس .

(١) غ : لم . ك : لو .

وقيل له : مالك تُدْمِن القراءة والكتابة ؟ فقال : لأعلم أني جاهل
محتاج إلى العلم .

وقال : المُلْحِف على عقله كالعنيف بدبّته^(١) يَدْعُ بها أحوج ما يكون
إليها .

وقال في الإسكندر : كان جامعاً للشدة والحكمة ، وكان سلاحه في محاربة
أعدائه : الحكمة .

وسُئِل عن الحُسْن فقال : ما تضمن استحسان الأوهام المتفاوتة من
الخاص والعام .

وقال : أُبَيْع عمل المقتدرين : الانتقام ؛ وما استنبط الصوابَ مثلُ
المشاورة ؛ ولا حُصِّنَت النعم بمثل^(٢) المواساة ، ولا اكتسبت الفضائل بمثل
البذل ، ولا البغضاء^(٣) بمثل الكبر .

وقال : إياك والحسد ، فإنه مس^(٤) فيك ، ولا يمس^(٥) على عدوك .

وقال : التجني وافية الصرم ، والتمني قائد الحزم^(٦) ، والتظني رائد
الغم .

وقال — وقد رأى طوقاً من شوك فوقه حيّة يجري به الماء — : ما أشبه
الملاح بالسفن !

وقال — وقد أسمعني بعض السفهاء فلم يعبأ به ، فقيل له في ذلك : — ليس
يخلو من أن يكون صادقاً ، فما غضي ! أو كاذباً فأحرى أن لا أغضب ، إذ
ليس الأمر على ما قال .

(١) غ : فدع (!) . م : فدع به اخرج .. لـ : فدع .

(٢) غ : مثل .

(٣) كذا في النسخ كلها بدون نقط ...

(٤) م : الجرم .

وغضب عليه الاسكندر ، فأمر بحبسه ، فلما أدخل السجن أتاه السجان يُفتش ما معه من المال ، فقال : ما رأيتُ أجهل مِنْكَ ! ما جئتُ هاهنا للتجارة ولا للهو ولا حاجة .^(١) أتراني يلغ من جهلي ما بلغ من جهلك أن أحمل معي مالاً تأخذه . قال : اجلس لا خَلَصَكَ الله ! فبلغ قوله الاسكندر فضحك وأمر بتخليه سبيلاً .

وقال في كلام له ملغوز^(٢) به : لا يَشْرِبَنَ الشَّرَابَ الْمُسْكَرَ إِلَّا مَلِكٌ . قال المفسر : عني بذلك مَنْ مَلِكَ نَفْسَهُ فلم يشرب (٦٩) منه إِلَّا بقدر طاقته ، فإن الملك ها هنا بالحقيقة مَنْ مَلِكَ نَفْسَهُ وَلِسَانَهُ وَجُوارِهِ . قال : وهو حرامٌ على العبيد والعوام . قال المفسر : عني بالعبيد من لم يملك شهوته في وقت صَحْوَهُ ، فالحرمي أنه إذا شرب أن يصير متعرِّياً من كل خير ، مُمْلَكاً بالحقيقة كالمعتوه الذي لا تمييز له والبهيمة التي لا فكر لها .

وقيل له : متى يحمد الكذب ؟

قال : إذا وَصَلَ بين المقاطعين . قيل : فمتى يذم^(٣) الصدق ؟ قال : إذا كان عِيَّاً . قيل : فمتى يكون قليل البَذْلِ خيراً من كثريه ؟ قال : إذا كان قليلاً في الحقوق ، وكثيره في الشرف . قيل : فمتى يحمد الحزع ؟ قال : عند مصيبة أخيك . قيل^(٤) : فمتى يكون الصمت^(٥) خيراً من النطق ؟ قال : عند الرأي .

وسائل عن حبه للمال وجمعه له^(٦) على الكبير ، فقال : لأنَّ أمور

(١) م ، ك ، غ : فتراني .

(٢) به : ناقصة في م .

(٣) غ : ذم .

(٤) غ : قال .

(٥) له ، م : الصدق .

(٦) م ، غ : لها . ك : لذلك .

وأَخْلَفَ مَالِي لِعَدُوِّي أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ أَحْتَاجَ فِي حَيَايِي إِلَى أَصْدِقَائِي .
وَقَالَ : الْمَلاحةُ حَرْكَةٌ لَطِيفَةٌ مِنْ حَرْكَةٍ مُشْتَعِلَةٍ .

هرمس الحكيم

ذَكَرَ أَبُو مَعْشَرُ فِي أَخْبَارِ الْأَمْمِ السَّالِفَةِ مِنَ الْمَغْرِبِيِّينَ أَنَّ هَرْمَسَ الْأَوَّلَ الَّذِي
يَدَّعِي الْحَرَنَانِيَّةَ نَبُوَّتَهُ ، وَيُسَمِّيهُ الْفَرَسُ : ابْنَجَهَدَ^(١) وَتَفْسِيرُهُ : ذُو الْعُقْلَ^(٢) .
كَانَ قَبْلَ الطَّوْفَانِ . وَكَانَ الْأَلْفَ كِتَابًا كَثِيرًا بِأَشْعَارٍ مَوْزُونَةٍ ، بِلْغَةِ أَهْلِ زَمَانَهِ فِي
مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ الْعُلُوِّيَّةِ وَالسُّفْلَيَّةِ الْطَّبِيعِيَّةِ عَلَى طَرِيقَةِ الْفَلَسْفَةِ . وَإِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ آفَةَ
سَمَاوِيَّةَ تُصَبِّبُ بَعْدَ وَفَاتِهِ سَكَانَ الْأَرْضِ : مِنَ الْغَرَقِ بِالْمَاءِ وَالْاحْرَاقِ بِالنَّيْرَانِ
وَالْحَرَارَاتِ . فَبَنَى هُوَ وَأَهْلُ زَمَانَهِ فِي النَّاحِيَةِ الَّتِي يَسْكُنُهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فِي الْأَرْضِ
الْمَعْرُوفَةِ بِبَيْوَنَانَ فِيمَا بَيْنَ صَعِيدِ مَصْرِ وَالْمُتَصَلِّ بِبَلَادِ السُّودَانِ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ
وَأَسْفَلَ إِهْرَاماً كَبِيرَةَ^(٣) مِنْ حَجَرَةِ عَلَى رَعْوَسِ الْجَبَالِ وَالْمَوَاضِعِ الْمُرْتَفَعَةِ ارْتِفَاعَ
كُلِّ هَرْمٍ مِنْهَا بَيْنَ الْثَّلَاثَيْنِ ذَرَاعًا إِلَى الْخَمْسَيْنِ ذَرَاعًا عَرِيَّصَةَ الرَّعْوَسِ ، وَجَعَلُوا
مِنْ بَنَائِهَا بَيْنَهَا^(٤) هَرْمَيْنِ أَرْفَعَ سَمْكًا .

وَمِنْ كَلَامِهِ : أَنْفَعُ الْأَمْرَوْرُ لِلنَّاسِ وَأَقْرَبُهُ لِلْعَيْوَنِ الْقَنَاعَةُ وَالرَّضَا ؟ وَأَنْسَرُهُ
وَأَشْنَعُهُ عَلَيْهِمُ الشَّرَّ وَالسُّخْطُ . وَذَلِكَ (٧٠) أَنَّ أَفْضَلَ مَا فِي الدُّنْيَا السُّرُورُ
الَّذِي هُوَ ثُمَرَةُ كُلِّ خَةٍ يَصِيبُهُمْ . وَأَشَدَّ مَا يَصِيبُهُمُ الْحَزَنُ الَّذِي هُوَ ثُمَرَةُ كُلِّ
شَرٍّ يَصِلُّ إِلَيْهِمْ . وَإِنَّمَا يَكُونُ جُلُّ السُّرُورِ بِالْقَنَاعَةِ وَالرَّضَا ، وَيَكُونُ جُلُّ
الْحَزَنِ بِالشَّرِّ وَالسُّخْطِ . وَلَنْ تَجْتَمِعَ الْقَنَاعَةُ وَالسُّخْطُ ، وَلَا السُّرُورُ وَالْحَزَنُ .

(١) م ، غ ، ل : ابْنَجَهَدَ .

(٢) كَذَا فِي غ . وَفِي ل ، ل : ذُو الْعُقْلَ .

(٣) غ : كَبِيرَةُ الْحَجَرَةِ .

(٤) غ : مِنْ بَنَائِهَا .

وقال : إنما تجري الأمور بمشيئة الله - عز وجل ! - إذا كان الفيلسوف ملكاً ، أو يملك متكلسفاً .

وقال : كل شيء يُطاق تغييره غيرَ الطياع . وكل شيء يُقدّر على إصلاحه غيرَ الخلق السوء . وكل شيء يستطيع دفعه غيرَ القضاء .

وقال : إن الموت موتنان : موت ارادي ، وموت طبيعي . فمن أمات نفسه موتاً إرادياً فإن موته الطبيعي له حياة .

وكان إذا جلس للشرب ^(١) قال للموسيقار : أطلق النفسَ من عقدها .

وقال ل תלמיד له وعنده موسيقار : فهمت عنه ؟ فقال : نعم . فقال هرمس ؛ ما أرى آثار الفهم فيك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك لَوْ فَهِمْتَ ، سُرِّرتَ ؛ وما أراك مسروراً .

وسئل : أي العلوم يجب أن يتعلّمها الصبيان ؟ فقال : العلم الذي إذا شاخوا سُمِّح بهم ألا يحسنوه .

ورأى فتى على شاطئ البحر مخزوناً متأسفاً على ما فاته من عَرَض الدنيا - فقال : يا فتى ! ما تلهّفك على الدنيا ؟ قُلْ لي : لو كنت في غاية العناء وأنت راكبٌ لحنة قد أشرفت على الغرق ، وأنت تملك من المال ما لا يخصيه الحَسَبة - أفلأ تكون غاية أمنيتك النجاة بنفسك ؟ قال : نعم . قال : فكذلك لو كنت ملكاً وقد أناخ بفنائك وأحاط بك مَنْ هو أقوى منك وأكثر جنوداً يريد قتلك وسلب مالك ^(٢) ؟ قال : نعم ! . قال : فأنت الغني ، وأنت الملك ، إلا أنك نجوت بنفسك ، فاقنع بما أنت فيه ، واغتنم ما ربحت من

(١) غ : الشرب قال الموسيقار .

(٢) م ، لك : ملك .

الأمن . — فتعزّى الفقى بما سمع منه ، واتَّعظ بما وعظه به .

وقال : إن الذي لا يعلم ولا يعمل فذلك يوم موتة واحدة . والذى يعلم ولا يعمل فذلك يضاعف له ^(١) ضعفين من العذاب . والذى يعلم ويعلم فذلك الذى يدخل ^(٢) في ملکوت السماء .

وقال : إذا أنكرت على غيرك شيئاً ، فاحذر مِثْلَه في نفسك فإنه لا شيء أبشع من عار يرجع على ^(٢) المعتبر به .

وقال : الفهم في الأمور والفحص عن الأسباب وطلب غُورها ولطف النظر فيها يحدث للإنسان الحكمة والأدب ، وينفعه الإساءة والجحود ، والجد والاجتهاد والرغبة في الحكمة والأدب تزيد من كان منه ذلك في كل يوم حِلْمًا إلى حلمه وعلماً إلى علمه ومروءة إلى مروءته .

وقال : لا ينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه إياها ورغبتها فيها لثواب عليها وثمن لها ، ولكنه ينبغي له أن يكون ذلك منه رغبة فيها لفضلها في نفسها على كل شيء سواها .

وقال : إن أفضل الناس من عَظُم شأنه وتواضع في نفسه . وأجلهم الناس من صغر شأنه ويعظم في نفسه . والمتزللة الوسطى أن يعظم شأنه ويعظم في نفسه ، أو يصغر في نفسه ليصغر شأنه .

وقال : خير الملوك من بَدَّل السُّنَّة السيئة في مملكته بالسُّنَّة الصالحة ؛ وشرّهم من بَدَّل الحسنة بالسيئة .

وقال : يدل على غريزة الجحود : السماحة عند العُسْرَة ، وعلى غريزة الورع : الصدق عند السخط ، وعلى غريزة الحلم : العفو عند الغضب .

(١) ك ، م : العذاب ضعفين .

(٢) بـ. غ : إلى .

وقال : سبعة أشياء تَجْمِلُ بسبعة نفر : السلطان بولاة الصدق ، والتدبر بالعلماء ، والغنى بالسمحاء ، والتوفيق بطلاب ^(١) الخير ، والقوة بالعائد بها على الضعفاء ، والأدب بأهل البذل له ، والمدح بأفواه النصاراء بقول البلغاء فيه .

وقال : مَنْ سَرَه مودَّةُ النَّاسِ لَه وَمَعْوِنَتِهِ إِيَاهُ وَحُسْنُ القولِ مِنْهُمْ (فهو) حقيقة بأن يكون على مثل ذلك لهم .

وقال : مَنْ فَضَّلَ الْعُلَمَاءَ عَلَى غَيْرِهِمْ ، وَقَصَدَ الْعَدْلَ وَاسْتَفَادَ الْعَمَلَ الصالح ، واجتهد في طلب الحكمة والأدب – أصاب ما يرغبه فيه من خير الدنيا والآخرة .

وقال : صحة الأرواح في الحكماء الصالحين خاصة . وأمّا ^(٢) صحة الأجساد فلست أبالي بها من الجھتان والأشرار .

وقال : المرء حقيق "أن يطلب الحكمة ويثبتها في نفسه ، وأن ^(٣) (٧٢) لا يجزع من المصائب التي تعمّ الأخيار ، ولا يأخذه الكبر فيما ^(٤) يبلغه من الشرف ، ولا يعيّر أحداً بما هو فيه ، ولا يغيّره الغنى والسلطان ، وأن يعدل ^(٥) مرتبته حتى لا يتفاوت ذلك منه البتة ، وتكون سُنته ما لا عيب فيه ، ودينه ما لا يختلف فيه ، وحجته ما لا ينتقض .

وقال : ثمرة الشهوة الھلاك ، وثمرة المھوى التدامة ، وثمرة الفخر المقت ، وثمرة الحرث الفقر والفاقة .

وقال : أَنَا ^(٦) أُشَبَّهُ النَّفْسَ بِضَارِبِ الْعَدْدِ ، فَإِنَّهَا فِي اسْكَارِهَا وَتَدْبِيرِهَا

(١) م : بطلاب .

(٢) غ : ولها .

(٣) غ : او لان لا يخرج لك ، م : او لا أن لا يخرج .

(٤) غ : يبلغه .

(٥) لك ، م : بين نوبته .

(٦) أنا : ناقصة .

كالعاذف ينقر الأوتار ويقلب الأصابع عليها وفوقها على ما يريد إظهاره من اللحون حتى يفهم عنه .

وقال : ما أقل كثرة ..^(١) المعرفة مع غلبة الشهوة ! وما أكثر قليل المعرفة مع ميلك النفس !

وقال : الخير والشر واصلان إلى أهلهما لا محالة^(٢) : فالطبوى والويل لمن جرى وصوّلهم ، إلى من وصلـا إليه ، على يديه .

وقال : أحـمـدـ الأشـيـاءـ عـنـدـ أـهـلـ السـمـاءـ وـأـهـلـ الـأـرـضـ لـسـانـ "ـصـادـقـ نـاطـقـ"ـ بالـعـدـلـ وـالـحـكـمـةـ^(٣)ـ وـالـحـقـ فيـ الـجـمـاعـةـ .

وقال : المظلوم والمخدوع والمُعذَب والمُبْتَلِي في جنب الظالم والحادع والمُعذَب والمُبْتَلِي سعداء ، فإنه حق^٤ على الله أن يعقب المظلومين روحـاً ، والظالمين بلاـءـ .

وقال : الخير الذي لا شرـ معـهـ : الشـكـرـ عـنـدـ النـعـمـةـ ، وـالـصـبـرـ عـنـدـ النـازـلـةـ .

وقال : اعتياد الخير أيسـرـ منـ قـطـعـ عـادـةـ الشـرـ .

وقال : أول ما يجب على المرء الفاضل بطبعـهـ ، المـحـمـودـ بـسـيـنـخـهـ المـرـضـيـ فيـ عـادـتـهـ ، المـرـجـوـ فيـ عـاقـبـتـهـ تـعـظـيمـ اللـهـ وـشـكـرـهـ عـلـىـ مـعـرـفـتـهـ . وـبـعـدـ هـذـاـ فـلـلـسـلـطـانـ عـلـيـهـ قـوـةـ الطـاعـةـ وـالـمـناـصـحةـ ،^(٤) وـلـلـنـامـوسـ عـلـيـهـ التـظـاهـرـ بـهـ وـالـعـنـاـيـةـ ، وـلـنـفـسـهـ عـلـيـهـ الـاجـتـهـادـ وـالـدـأـبـ فـيـماـ فـتـحـ بـابـ السـعـادـةـ وـصـارـ أـمـانـةـ لـلـكـرـامـةـ المـطلـوبـةـ . فـأـمـاـ حقـ خـلـصـائـهـ عـلـيـهـ فـأـنـ يـتـحـلـ لـهـ بـالـلـوـدـ ، وـيـسـارـعـ لـإـلـيـهـ بـالـبـذـلـ ؟ـ فـإـذـاـ أـحـكـمـ

(١) غـ : المـعـرـفـةـ .

(٢) لـاـ مـحـالـةـ : نـاقـصـةـ فـيـ غـ .

(٣) غـ : وـالـحـكـمـةـ وـبـالـعـدـلـ وـالـحـقـ ...

فيـ جـنـبـ ...ـ المـبـتـلـ : نـاقـصـ فـيـ غـ .

(٤) بـدـوـنـ «ـ وـاـوـ »ـ فـيـ مـ .

هذه الأسس ، لم يبق عليه إلا " كَفُّ الأذى عن العامة وحسن المعاشرة بسهولة الخلق .

وقال : البهتان والحمق في النفس بعترة الجوع والعطش في البدن ، لأنّ هذين جلاء للنفس ، وهذين ^(١) جلاء للبدن .

وقال : من أَنْفعِ الأَشْيَاء لطبع الناس الاقتصاد في (٧٣) المطاعم ، فإن الإكثار من الأطعمة والأشربة عذابٌ على الجسد ومضرّة له ، ولا سيما الحمر ، فإن الإكثار منها ينزل الجسد ، ويُكدر الحسّ ، ويوهن قوى النفس : من العلم والحاجة والمعرفة بالخير والشرّ ، والحسن والقبح ^(٢) وما ينبغي مما لا ينبغي . فهي المهلكة للحسنات ، والعدو للطبيعة ، والموهنة للحزن والأناة ، والماحقة للشرف ، والملحقة للخزية ، والسبب للذنوب ، والعلة للغضب والمُبُعدة عن كل خير .

وقال : النار يطفئها الماء ، والسم يدفعه الترافق ، والحزن يكفيه ^(٣) الصبر ، والعشق يسليه طول الغربة ، والحدق شرّ لا دواء له .

وقال : يا أهل العافية ! لا تشتلوا شيئاً من العمر ، وإن قصرّ ، مع العافية .

وقال : لا يكون المرء فاضلاً وبالحكمة عاملاً وبين أهلها داخلاً حتى لا يبالي في يد مَنْ كانت الدنيا ولمن ساعدته الشهوات . ولن يتم له هذا حتى يصرف ماله عن الاهتمام بسوء التدبير فيها إلى غيره .

(١) م ، ك : وبهذين .

(٢) ك ، م : والقبيح .

(٣) م ، غ ، ك : يكفيه .

كان جَدًّا أَفلاطون مِنْ قِبَلْ أُمَّهُ ، وهو الذي وضع نواميس أهل بيونان وستتهم وأحكامهم .

وَسْئِلَ : لَمْ لَمْ يفرض على مَنْ قُتِلَ أَبَاهُ ما يجنيه^(١) عليه ؟ فقال : لأنّي لم أعلم أن أحداً يقدم على ذلك .

وَسُئِلَ - وقد كان أتت عليه سنون كثيرة - عن عمره ، فقال : الوقت الذي أنا فيه . وفي رواية أنه قال : ليلة واحدة .

وَكَانَ مِنْ سُنْنَتِهِ أَنْ لَا تبادر أَجْسَادُ الْأَحْرَارِ أَجْسَادَ الْإِمَاءِ مُخَافَةً أَنْ يَكُونَ أُولَادُ هُجُنَاءَ .

وَمِنْ نَامُوسِهِ أَنْ لَا يَسْكُرَ مِنْ يَشْرُبُ مِنَ الشَّرَابِ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ ، لِتَبْقَى الْعَفَةُ فِيهِمْ . وَإِذَا ماتَ الْمَلَكُ أَنْ لَا يَخْرُجُوا إِلَى الْأَسْوَاقِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلِيَالِيهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَإِذَا تَوَجَّ الْمَلَكُ لَمْ يَخْرُجُوا ثَلَاثَةِ أَيْضًا ، وَيَقْبَلُونَ عَلَى لِذَاهِمِهِ لِيُظَهِّرَ السُّرُورَ بِالْمَلَكِ فِي الْمَدِينَةِ .

وَمِنْ سُنْنَتِهِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ الْفَارِسُ فِي الْحَرْبِ مِنْ لَدُنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَى سَتِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَسْتَعْمِلُونَهُ بَعْدَ السَّتِينَ فِي الْحَدَسِ . وَأَنْ يَنَادِي الْمَنَادِي كُلَّ يَوْمٍ . لَا تُنْكِحُوا كَثِيرًا فَتَنَهَّدُ أَبْدَانَكُمْ وَتَقْصُرُ أَعْمَارُكُمْ . وَإِذَا أَذْنَبَ الرَّجُلُ أَنْ يَرْفَعَ إِلَى السُّلْطَانِ فِي ثَبَتِ ذُنُوبِهِ (٧٤) وَالشَّهْرِ وَاليَوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي يَذْنَبُ فِيهَا . ثُمَّ إِذَا رَفَعَ عَلَيْهِ شَيْءٌ بَعْدَ ذَلِكَ نُظِيرٌ فِي ذُنُوبِهِ وَمَنَاقِبِهِ ؛ فَإِنْ فَضَلَّتْ مَنَاقِبُهُ عَلَى ذُنُوبِهِ خُلُّتِي عَنْهُ ، وَإِنْ نَقَصَتْ عَنْهَا قُتُلَّ .

وَقَالَ : لَيْسَتْ فَضْيَلَةً الرَّجُلُ مَا ادْعَاهُ فِي نَفْسِهِ ، وَلَكِنْ مَا نَسْبَهُ النَّاسُ

(*) لَكَ ، مَ : سولون .

(۱) مَ ، لَكَ : بِجَبَهٍ .

إليه بما يظهر لهم من كرَم طبعه .

وسُئِلَ : بماذا نختن أنفسنا على الصبر ؟ فقال لهم : بأن ^(١) تصبروا على مقارنة المرأة المهدّارة .

وسُئِلَ : ما أصعبُ الأشياء على الإنسان ؟ فقال : أن يعرف نفسه ، ويكتم السرّ ، ويمسك عمّا لا ينبغي أن يتكلم به .

وسُئِلَ : أي شيء في غاية المفسدة للإنسان ؟ فقال ^(٢) : حب المال .

وقال : إذا أردت أن تعرف كيفالجزاء فاعرفه من يطيعك ويعصيك .

وقال : إن الذي يطلب شيئاً ليست له نهاية : جاهل ، واليسار هو شيء ليست له نهاية .

وأسأله رجل : كيف لي بأن يقول خطأي ؟ – فقال : لا تتعرض لعداوة الأشرار .

وقال : ليكن صديفك من خالفك على الهوى وأعانك على الرأي .

وسُئِلَ عن الجحود فقال : منْ جاد بالمال ^(٣) ، وصان نفسه عن المطامع ، وكفَّ يده عن مال غيره .

وقال : منْ فعل خيراً فليتجنب ^(٤) ما خالفه ، وإلا دُعِي شريراً ، لأن الخير والشرّ لا يخالطان ، بل يتحابطان ^(٥) . ومحق الشر للخير أقرب من محق الخير للشر لأنهما في غاية التعاند والتبااعد : تعاند^٦ بشهادة العقل ، وتبااعد^٧ بتعذر الجمع .

(١) م ، بـغ ، كـ : ان .

(٢) كـ ، غ ، م : قال .

(٣) م ، كـ : بماله .

(٤) م ، كـ : فليتجنب .

(٥) أي يحيط كل واحد منها الآخر ويبطله . كـ ، م : يتحابطان .

وقال : إن أمور الدنيا حقٌّ وقضاء . فمن أسلف فيلقضِ ، ومن قضى فقد وَفَى .

وقال : إذا همت بالحسن فبادر به قبل فوت القدرة . وإذا همت بالقبح فبادر بمعابة النفس عليه .

وقال : فعل الباحل في خطأه أن يذم غيره ، وفعل طالب الأدب أن يذم نفسه ، وفعل الأديب أن لا يذم نفسه ولا غيره ، بل لا يركب ما يذم عليه .

وقال لتلامذته : إذا نصب الدُّهْن والزيت والشراب ، وانكسر الإناء فلا تعم ، بل قل : كما أن الأرباح لا تكون إلا فيما يباع ويشتري ، كذلك مصيبة الفقدان لا تكون إلا في الموجودات . فهذا ثمن الغم والخسارة عندك ، لأن لكل شيء (٧٥) ثمناً وليس شيء بالمجان (١) .

وسئل : ما الشيء الذي هو أحدٌ من السيف ؟ — (٢) فقال : لسان الرجل الرديء إذا كان فصيحاً .

أوميروس (٣) الشاعر

هو من القدماء الكبار الذي يُجزِّرُهم أفلاطون وأرسسطو طيس ، ومن يَجْرِي مجراهما في أعلى المراتب . وكان أرسسطو طيس لا يفارق متکاه (٤) ديوان شعر أوميروس (٣) . ويستدل هو ومن تقلعه وتتأخر عنه أبداً بشعره ، لما كان يجمعه مع الحدق في قول الشعر من اتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي .

(١) غ : بمحاجن .

(٢) ك ، غ ، م : قال .

(٣) أو민وس . ك ، م : أوميروس .

(٤) م ، ك : تکاته .

فمن ذلك الاستدلال بقوله في عدة موضع : « لا خير في كثرة الرؤساء »^(١) – وفي هذا كفاية لمن تأمل ربع هذه الكلمة واحتواها على معانٍ جليلة جعلها كلٌ من تكلم في شيء من التوحيد – من الفلاسفة والمتكلمين بعده – قدوةً وعمدة فيما أثبتوه من ذلك .

وسئل ذيوجانس : منْ هو أكبر الشعْر اليونانيين ؟ فقال : كلُّ أحدٍ عند نفسه ؛ وعنده الجماعة : أوميروس^(٢) .

وقد نقل أسطلفن^(٣) شيئاً من أشعاره من اللغة اليونانية إلى العربية . ومعلوم أن أكثر رونق الشعر وماهه يذهب عنه (في)^(٤) النقل ، وجُلَّ معانيه يتداخله الخلل عند تغيير ديباجته . لكنني مع ذلك أتيت بعضها لافصاحها – مع ما تقدم وصفه – عن كل معنىً دقيق وعلم غزير . وقدّمت على ذلك شيئاً من متشرّك لامه على مجرى العادة في باب غيره من الحكماء . وضمنت هذا الفصلَ المشتملَ على ذكره بما أثبتته من بعض أشعاره .

١ – متشرّك (كلامه)

قال : إني لأعجب من الناس إذا كان يمكنهم الاقتداء بالله – عز وجل ! – فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم ! فقال له تلميذه : لعل هذا إنما يكون لأنهم قدّروا أن يموتونا^(٥) كما تموت البهائم . قال : فبهذا السبب يكثر تعجبي منهم ، من قبل أنهم يحسبون أنهم لا يحسنون بدننا ميتاً ، ولا يحسّون أن في ذلك البدن نفساً غير ميتة .

(١) استشهد أسطلفن بقول هوميروس هذا في آخر الفصل العاشر من مقالة اللام من كتاب « مابعد الطبيعة » ص . وقول هوميروس موجود في « الالياذة »

(٢) أي أسطلفن بن بسيط المترجم الكبير . وهذا خبر مهم جداً .

(٣) النقل : ناقصة في غ .

(٤) م ، ك : أنهم يموتون .

وقال : من يعلم أن الحياة لنا مستعِبة ، والموت معتِق مُطلِق !

وقال : الدنيا دار تجارة ، فالويل لمن تزود منها بالخسارة .

(٢) - بعض مقطوعات من شعره)

وهذه بعض مقطوعات (٧٦) من أشعار أوميروس ^(١) التي تسمى « يامبو » ^(٢) ، فيها معانٍ حسنة وترتيبها على ترتيب حروف اليونانية — نقلها اصطافن إلى العربية :

قال : ينبغي للإنسان أن يفهم أمور الإنسانية (و) أن الأدب للإنسان ذُخر لا يُسلَب .

ارفعْ من عمرك ما يخزنك
إن الأحرار يكتفون بأن يسمعوا الشيء مرةً واحدة
من لم يهم بمعاشه لم تحسن أخلاقه
إن العقل أبداً كنزٌ خيرٌ عظيم
من احتمل المصائب احتمالاً شديداً فهو رجل
إن الله متّقم من الأشرار
لا تدعَ الأشياء الظاهرة وتطلب ما ليس بظاهر
إن الرجل الشرير شقيٌ وإن ظُنِّ به أنه سعيد
إن كنت إنساناً فافهم كيف تضبط غضبك
إن الغضب أوضاعُ جميع الأشياء
لا تفعل فعلًاً قبيحاً ألبته ولا تتعلّمه
إن الأدب يؤنس كل شيء

(١) غ : أومينوس . م : أوميوس .

(٢) لـ ، م ، غ : يامبو — أي المنشومة في بحر اليامبو vers iambiques

اهرب من مشورة الرجل الشرير
 اكتب أيمان الرجل الكذابة على الماء
 إذا نالتك مضرّة فاعلم أنك كنت أهلكها
 قد يعلم مذهب الرجل من كلامه
 إن محبّي المال ليست لهم حرية
 إن الرجل الشقي يعيش بالمعنى
 إن القول الحسن هو دواء الغضب
 إن الرجل يسلم الرجل ، والمدينة تسلم المدينة
 لا تتّخذنْ صديقاً الرجلَ الذي ليس عنده شكر
 إن الإنسان الشرير لا ترقّ أحشاؤه على أحد
 الرجل إذا ساعت حالي هرّاب أصدقاؤه منه
 ليس شيءٌ من العمر الفاني ثبات
 اسلُكْ^(١) الطريق المستقيم لتكون خيراً
 كلنا نريد الغنى ، * لكنّا لا نقدر عليه
 إن العمر هو الذي يعمّر صاحبه بالفرح
 إن العمر سُمي عمرًا لأنّه يكتسب بمشقة
 من استعمل العدل في عمره تكون آخره صالحة
 كُنْ رزيناً واتّخذ الأصدقاء بالرزانة
 ليس شيءٌ أصلحٌ من الرأي الصحيح
 إن الموت واجبٌ على جميع الناس كلّهم
 مَرَضُ الجسد أصلحٌ من مَرَضِ النفس
 إن المرأة تقصر عمر الرجال
 إن لم تكن لك امرأة عيشتَ عمرًا صالحاً

(١) غ ، م ، ك : اسالك الطريق .

(*) وقع من هنا خلط في ترتيب أوراق ك ، والتلاوة في اللوحة ٥٠ .

زينة كل امرأة سكوتها ^(١)
 إن المرأة الصالحة تسلم المترجل
 إن الضحك في غير وقتِه هو ابن عم البكاء
 الشيخ الفاسق هو في غاية رداءة (٧٧) البعث
 من تزوج فإنه سيندم
 إن المرأة العادلة هي سلامة العمر
 وجود المرأة الخيرية ليس بسهل
 تدفن المرأة أصلح من أن تزوج بها
 إن المرأة على كل حال هي مطبوعة على الإفراط في النفقة
 تزوج بالمرأة ، لا يجهازها
 إن المرأة الصالحة ركن لبيتها
 إن الناس يتزوجون بالجهاز ، لا بالنساء
 إن الطبيعة لا تطلق الرئاسة للنساء
 إن المرأة سلامة بيتها وسبب عطبه
 إذا أردت التزويج فانظر إلى الحيران
 اللسان الرديء يكتسب لصاحبها غرامة
 إن المرأة لا تشير بشيء أبلته فيه صلاح
 إن المرأة لا تعلم شيئاً إلا ما تريده
 إن رأي المشايخ أفضل من رأي الشبان
 إن المرأة تتملقك لتأخذ منك شيئاً
 عند حُسْن الحال يجب ذكر الله وحده
 إن المرأة مَوْلَةٌ من تزوج بها
 اهرب من الرجل العاشق في جميع عمرك

(١) ك ، م : سكونها .

إن الجوع والفقر يقطعان العشق
 إن العشق مع الشبع لا مع الجوع
 قلما تجد الأمانة في النساء
 إن في الأسرار شيئاً من اللذة
 إذا لم تصدق الأعداء لم تنلُكَ مضرّة
 إن الله سميعٌ لدعاء الحق
 إن كانت لنا أموالٌ صارت لنا أصدقاء
 ليس عند الرجل العدوُّ شيءٌ من المنفعة
 صير مذهبك مذهب الأحرار
 إذا تزوجت فاطلب المرأة التي تُعينك على الأمور
 إن الحياة اللذيدة لا تهياً للفاجر الشرِّ
 ما كان ينبغي أن تعيش المرأة لأسباب كثيرة
 إذا أقبل الكبُرُ جلَّبَ كلَّ علة
 إن سرعة الغضب في الناس شُرٌّ عظيمٌ على من يستعمله
 الأب المحتمل المداري لولده أحمَدُ من يتجمنَّ عليه ويغضب
 إن الأخلاق الرديئة تغيِّر الطبيعة المحمودة
 إن حبَّة الأموال شيءٌ لذيدٌ
 إما أن لا تزوج بنتهُ ، أو تزوج ^(١) متصوًناً
 إن الوطن محظوظ عند الناس
 إن اللذة المفرطة تورث مضرّة
 إن النظر إلى حُسْن حال الرجل العادل – لذيد
 إما أن لا تعمل شيئاً تخفيه ، ^(٢) أو إذا عملت تفردت به
 باللسان يفتح السرور

(١) غ : فيصرنا (!)

(٢) م ، لك ، غ : وإذا .

إما أن لا تلعب بالنار ، أو تحتمل ما يأتي به الโชค
 إذا كنت ميتاً (٧٨) فلا تشمت بمن مات
 إن الطبيعة كونت^(١) جميع الأشياء بإراده الرب
 نريد بأجمعنا الحياة الصالحة ، كأننا لا نقدر على ذلك
 إن المادة هي كثر العمر
 إن الشكر موهبة من الله للعبد
 إن أردت أن تحيا حياة صالحة ، فلا تعمل أعمال الرداءة
 قَدَّمْ كرامة الله أولاً ، ثُمَّ كرامة الوالدين ثانياً
 إن الله إذا أعان سهَّلْ جميع الأمور
 أعظم القربان إلى الله حُسْنُ الإيمان
 إن خلق المرأة (الرديةة^(٢)) أرداً من أخلاق جميع السباع
 ثلاثة أشياء رديةة : البحر ، والنار ، والمرأة السوء
 من عاشر الأردياء صار رديةة أيضاً
 إن الأدب قنية للناس حسنة
 إن الزمان يميّز الأصدقاء ، كما تميّز النار الذهب
 إن الرغبة شَرٌّ عظيمٌ في الناس
 عاقِبُ الشرير إن قدرت على ذلك
 ترك الإساءة بالأصدقاء أحسن
 ليس شيء أشقى من العجب
 إن السكوت خيرٌ من الكلام الرديء
 إن الأرباح الرديئة تجلب الخسران
 إن عاقبة مُحِبِّي الزنا رديةة
 إن الصناعة للناس معاش واسع

(١) غ : تكونت .

(٢) الرديئة : ناقصة في م ، ك - موجودة في غ وحدها .

إن الأحزان تولّد الأمراض

إن الحياة الصالحة مع قلة الشيء خيرٌ من الحياة الرديئة مع كثرة الشيء
إن الشكر بالكلام هي مكافأة الإحسان

كما أن الفرصة هي موضع سلامه النفس ، كذلك سلامه العمر عدم الحزن
إن المرأة السوء حزن "لازم" أبداً

لا تصدق كلام العدو وإن ظنت أنه يَنْصَحُكَ
العيش مع السبع ^(١) أصلحٌ من العيش مع امرأة سبعة الخلق

من أراد السعادة في ينبغي أن يجتهد في طلبها
أحد الفضائل هو الهرب من الأشياء الرديئة

لا تهرب من صاحبِ لك قد وقعَ في بلية

إن السعادة هي تربية الوالد الحسن المذهب لولده

إن القول الجميل ^(٢) يُذْهِب الغضب

إذا كنت غنياً فاحرص أن تنفع المساكين

إن في العمر الطويل تكون آفاتٌ كثيرةٌ

لا تستشير امرأةً في وقت من الأوقات

لا تفتقر على امرأة ، ولا تتعظُّها

إذا كنت شاباً فأطسع المشايخ

(٧٩) إن جميع الأشياء تكون بالسنة وبها تميز

ينبغي للعقل اتباع السنن في جميع الأشياء

اقهر الغضب بالفكرة الحسنة

إذا أنت تزوجت ، فاعلم أنك قد صررتَ ملوكاً عمرتك

إذا كنت غريباً فسِرْ بسيرة سنن البلد

إذا رأيت مسكيناً غريباً ، فلا تختدعيه

(١) م ، لك : الأسد .

(٢) م : الحميد . وما ثبّتنا في لك ، غ .

إن الغُرْبَة صُعْبَة لوجوه كثيرة
 إن أحسنت إلى الغرباء فاعلم أنك تُكَافِأ في بعض الأوقات
 إِعْنَـ بِصِيَانَةِ الْغَرْبَاء ، وَلَا تَقْصُـرُ فِي ذَلِك
 كُـنْ صَدِيقاً صَالِحًا لِلْغَرْبَاء الصَّلِحَاء
 إِذَا أَمْكَنْتَ الزَّمَانَ فَلَا تَظْلِمَ الْغَرِيبَ^(١) أَلْبَتَه
 إِنَـ الْعَفَةَ صَالِحة ، وَهِيَ لِلْغَرْبَاء نَافِعَة جَدًا
 إِذَا كُـنْتَ غَرِيباً فَقَلَّ مِنَ الْفَضْول ، فَإِنَـ ذَلِك خَيْرٌ لَك
 إِنَـ^(٢) مِنَ النَّاسِ مَنْ شَأْنَهُمُ الْإِحْسَانَ إِلَى الْغَرْبَاء
 إِنَـ السُّكُوتُ أَصْلَحَ لِلْغَرِيبِ مِنَ الْكَلَامِ
 إِذَا كُـنْتَ غَرِيباً فَأَكْرِيمٌ مِنْ يَضْيِيفَكِ
 أَنْصِفَ الْغَرْبَاء فَلَعْلَكَ تَكُونُ غَرِيباً يَوْمًا مَا
 مِنَ لَمْ يَتَزَوَّجْ مِنَ النَّاسِ لَمْ يُصِبِّهِ بُؤْسٌ
 لَا يَكُونَ بُؤْسٌ أَشَدٌ مِنَ الْفَقْرِ
 اهْرَبْ مِنَ الْيَمِينِ وَإِنْ كُـنْتَ تَحْلِفُ صَادِقًا
 إِنَـ الْغَلَامُ الْمُحِبُّ لِلْعِلْمِ يَصِيرُ رَجُلًا عَالِمًا عَظِيمًا
 حِبَّتِ النِّسَاء يُمْكِنُ كُـلُّ شَرٍّ
 لِيُسْ يَحْبُـ أَحَدٌ فِي دَهْرَنَا جَارِيَةً لِيُسْ لَهَا مَالٌ
 أَمَانَةَ الرَّجُلِ أَكْرَمَ مِنَ الْقَوْلِ
 كَثِيرٌ مِنْ هُوَ صَدِيقُ الْطَّعَامِ ، لَا لِلْمُوَدَّةِ
 يَنْبَغِي لِلسَّعِيدِ أَنْ يَحْفَظَ وَصَائِيَا الْآبَاء
 كَثِيرٌ مَنْ شَقِيقِيَّ بِسَبَبِ النِّسَاء
 كَثِيرٌ مَنْ لَهُ بُخْتٌ وَلَا عَقْلٌ لَهُ
 إِنَـ الْكَسْلُ هُوَ فَسَادُ الْعُمَرِ كُـلُّهُ

(١) غ : على الغريب : لك ، م : غريباً .

(٢) غ : غير واضح .

خلّص نفسك من كل مذهب رديء
 مَنْ صَحَّ بِذَنْه طَابَ عِيشَه
 إِنَّ الْمَرْأَةَ كَثِيرَةُ الدَّغْلِ وَالدَّنَسِ
 يَسْهُلُ عَلَيْكَ الْمَعَاشَ إِذَا (١) اجتَبَتِ النِّسَاءَ
 كَنْ مُشِيرًا بِالْخَيْرِ لَا بِالشَّرِّ
 خُذْ نَفْسَكَ بِمَذْهَبِ (٢) الْأَحْرَارِ
 مَنْ كَثُرَتْ عَرَاتُه (٣) فَهُوَ غَيْرُ حَكِيمٍ
 إِنَّ الَّذِي أَصَابَ الْقَوْلَ الْحَسَنَ لَقَدْ كَانَ رَجُلًا حَكِيمًا
 إِنَّ الْحَكْمَةَ أَكْرَمُ مِنَ الْقِنَى بِأَضْعَافِ كَثِيرَةٍ
 احْرِصْ أَنْ تَكُونَ صَدَاقَتُكَ أَبْدًا مَعَ السَّعَادَةِ (٤)
 نَادِمُ الْأَخْيَارِ ، لَا الْأَشْرَارِ
 يَنْبَغِي أَنْ تَتَعَلَّمَ مِنَ الرَّجُلِ الْحَكِيمِ عَلَمًا حَكِيمًا
 إِنَّ أَرْكَانَ الْبَيْتِ هُمُ الْأَوْلَادُ الْمَذَكُورَةُ
 يَحْبُّ عَلَى الْإِنْسَانِ (٨٠) الشَّرِيفُ أَنْ يَحْتَمِلَ الْمَصَابَ
 لَا يَكُونُ الرَّجُلُ الشَّقِيقُ صَدِيقًا أَلْبَتَهُ
 إِنَّ عَدَمَ الْمَالِ يَعْرِضُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
 إِنَّ كَثْرَةَ الْفَضْولِ تُذَمِّنُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
 إِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ يَلْتَذَّوْنَ بِالنَّظَرِ إِلَى الْغَنِّيِّ
 الْأَرْضُ كُلُّهَا مَوْطِينٌ لِمَنْ يَفْعَلُ فَعْلًا حَسَنًا
 إِنْ مَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ (٥) نَافِعَةٌ لَهُ (٦) فِي كُلِّ شَيْءٍ

(١) م ، ك : ان .

(٢) م : بِنَاهِب .

(٣) ك ، م : كَانَ .

(٤) م ، ك : احْرِصْ أَنْ تَكُونَ سَعادَتَكَ أَبْدًا مَعَ الْاِصْلَاقَ .

(٥) غ : نَفْسَهُ .

(٦) م : وَفِي .

إن خزانة الفضيلة هي العفة
 من مدح رجال^(١) وذمه لم يكن رجالاً حكيمًا
 إن السُّكُن يذهب سريعاً من جميع الناس
 إن الحياة بعد حُزْنٍ لعمرٍ لذيد
 إن كثرة الأعمال تجلب أحزاناً كثيرة
 يجب على ذوي السعادة منفعة الأصدقاء
 إن جميع الناس يستهون الكرامة
 مَنْ نظر إلى مَنْ كَانْ أَخْسَى مِنْهُ لم يغنم
 لا تغلب اللذة على العاقل
 لا تُكْثِر من مدح نفسك
 إن الصحة والعقل لأمرتين فاضلين في العمر
 إن النوم يشبه الموت ، والنوم أيضًا سبب صحة كل عمر
 إن المرأة الجميلة معجبة بنفسها
 إن المال يورث الشّم أو اللّؤم
 آذُّهِب عن مذهبك الأمور القبيحة
 ينبغي أن تفهم المرأة والصديق
 لا تطرح صديقك في بليّة إذا أنت غضبت
 إن النوم سلامة الجسد ، والنوم أيضًا يكسر الجوع الشديد
 إن الصديق إذا سعى لصديقه فإنه إنما يسعى لنفسه
 إن اتخاذ الأولاد ارتباط محنّة عظيمة
 إذا كان لك أصدقاء ، فاعلم أن لك كنوزاً
 إن الأشياء كلها تكون وتُمرُّ بالزمان
 إن المرأة في البيت مؤذية كأذى الشتاء
 اذا احسين إليك في الداء وقت حاجتك فكافيء عليه في الوقت الذي ينبغي

(١) م : رجل او ذمه .

اربط لسانك وافهم ما تتكلّم به
 إن الزمان يفني كل شيء ويُنسِي كلَّ أمر
 إن اليد تغسل اليد ، والاصبعُ الاصبعَ
 لا يخفى كذب الكاذب زماناً طويلاً
 عوْد نفسك الأمورَ الصالحة ، فإنه ليس بشيء أكرم من النفس
 لا يكون للكلذب عاقبةٌ صالحةٌ —
 إن العقل بحاجةٍ عظيمٍ لأنفس الناس
 إن طبيب النفس المريضية هو الكلام الحَسَن الصالح
 كل حكيم وكل رجل (٨١) صالح يُبغض الكلذب
 من عاش نمائماً كثُر غمة
 إن المدح والذم أمران متضادان
 إن التزويج غاية حدود الشقاء
 ما أصلح للأحرار؟ الأفعال الصالحة !
 ما أذن ذكر المصائب عند منْ سَلِيم منها !
 إن العقل مع الذهن الحَسَن مغبوطٌ
 إن الحياة الصالحة مع المذاهب الرديئة لا تتفق
 ما أذن الجماع وأكثر أحزانه !

ذيعراطيس

كان هو وبقراط ، الطبيب الفاضل ، في زمن واحد أيام بهمن بن
 اسفنديار بن كشتاسب . وله مقالات وآراء قد ذكرها الحكماء والعلماء عنه في
 الكتب . وهو من قدماء الفلاسفة .

ومن ^(١) كلماته : لا تتكلّم بين يدي أحدٍ من الناس دون أن تسمع كلامه وتقيس ما في نفسك من العلم إلى ما في نفسه من العلم : فإن وجدت ما في نفسك أكثر ^(٢) ، فحيثـذ ينبغي لك أن تروم زيادةً في الشيء الذي تفضل على ما عنده به . وإن وجدت ما في نفسه أكثر فأمسـك وحـصل ^(٢) في نفسك الشيء الذي به يفضل عليك مما استفادته منه .

وقال : الناس بالاجتهاد في طلب الأدب أحق منهم بالاجتهاد فيما سواه من عمارة الأرض وتشمير المال ، فإنهـم إنما يفـوزون من ثمرة المال بـخصب المعيشة ، وأما ثمرة الأدب فإنهـم يـنالون بها – مع خصب المعيشة – الشرف في الدنيا ^(٣) والنجاة في الآخرة .

وقال : عالم ["] معانـد خـير ["] من منـصف جـاهـل . فقال تلميـذه : الـجـاهـل لا يـكون مـنصـيفـاً ، وـالـعـالـم لا يـكون مـعـانـدـاً .

وقال : العلم روح ، والعمل بدن . والعلم أصل ، والعمل فرع . ولو كان العلم لمكان العمل ولم يكن العمل لمكان العلم – لكان السبب الجالب خيراً من المجلوب .

وقال : مثل العلم مع من لا يعمل ^(٤) شيئاً مثل سقـيم يـحمل دـوـاءـه ولا يـنـداـوى بـهـ .

وقال لـتلميـذه لهـ : إنـك لا تـصلـح لـكـلـ شـيـءـ . فقالـ : « لم ؟ » – وـاغـمـ . فقالـ : لأنـكـ تـصلـح لـكـلـ شـيـءـ .

وقيلـ لهـ : « لا تـنـظـر ! » فـغمـضـ عـيـنـيهـ . قـيلـ لهـ : « لا تـسـمع ! » –

(١) كـ ، مـ : وـكـانـ يـقـولـ : لا تـتكلـمـ ...

(٢) غـ : مـاـ فيـ .

(٣) غـ ، مـ ، كـ : التـجـارـةـ .

(٤) مـ ، كـ : يـقـبـلـ .

فسد أذنيه — قيل له : « لا تتكلّم ! » — فوضع يده على شفتيه . قيل له : « لا تتعلّم ! » قال : لا أقدر عليه .
 (١) تمت كلماته والحمد لله ^{١)} .

(٨٢) طيماناوس

كان يقول : إنَّ مَنْ تولَى أَمْرًا من أمور الناس فقد يحب عليه أن يكون ذا كراً ثلاثة أشياء : أن يده — وهي واحدة — مطلقة على قوم كثرين ؛ والثاني أن الذين يدُه مطلقة عليهم هم ^(٢) أحرار لا عبيد ؛ والثالث أن سلطانه يلبت مدة يسيرة .

وقال : إنَّ مَنْ تشاغل بالأدب فأقلُّ ما يربع منه أن لا يتفرغ في الخطأ .

وقال : إنه ليس ينبغي للمرء أن يبلغ من مرارة النفس إلى حد يظن به معه أنه مَلَّاقٌ ^(٣) .

ماليسس ^(٤)

قال : إنه ليس بالموسر مَنْ كان يساره إنما يبقى زماناً يسيراً ، ويبقى بعده زماناً يسيراً ، ويمكن غيره أن يأخذه منه ، لكن اليسار هو الباقى ^(٥) أبداً

(١) ... ١) لم ترد في م ، لك .

(٢) م ، لك : فيهم .

(٣) كذا في غ ، م ، لك .

(٤) *Melissos* عاش بين سنة ٤٤٠ و ٤٤١ / سنة ٤٨١ و ٤٨٠ ق . م . راجع عنه « ذيوجانس ال拉ئرسى : « حياة الفلسفه » المقالة التاسعة ، ٢٤ ؛ وفلوطرخس : « الترجم المتوازية » ٢٦

(٥) ع : ان يبقى .

عندما كان ولا يمكن أن يؤخذ منه ويقى له بعد موته . وإنما يوجد على هذه الصفة الحكمة فقط ، وذلك أنها — دون سائر الأموال — إن أخذها إنسان آخر بقيت عند مالكها ، من غير نقصان ، وهي باقية له بعد موته .

وقال : الحكمة كالطبيب : يقوى بها المرضى ويلتذّ بها الأصحاء .

وقال : مَنْ استخفَ بالموت لم يذلّ نفسه .

كسانوفون^(١)

كان يقول : كما أن الإناء ما كان بالمقدار الذي يسعه ويجعل فيه وسعة ، وما كان أكثر منه فجعل فيه يتبدّد ولعله يختـر أيضاً فيخرج معه شيئاً مما يسعه ذلك الإناء — كذلك الذهن ما كان يمكنه ضبطه فإنه يضبوـه . فإن طلب ضبط شيء أكثر من مقدار ما يمكنه ضبطه فإنه يختار ولعل ذلك يُضيـع شيئاً أيضاً مما كان الذهن ضابـطـه .

وأسأله بعض الملوك : ما الذي ينبغي للملك أن يلزمـه نفسه ؟ فقال : مشـاورـة النـصـحـاء ، ويفـكـرـ لـيهـ فيماـ فـيـهـ مـصـلـحةـ الرـعـيـةـ ، وـيـنـفـذـ ذـلـكـ فـيـ نـهـارـهـ .

أوقيليدس^(٢)

قال : الخـطـ هـنـدـسـةـ روـحـانـيـةـ وإن ظـهـرـ (٣) بـآلـةـ جـسـدـانـيـةـ . والـخـطـ فـيـ صـنـاعـةـ الـهـنـدـسـةـ طـولـ بلا عـرـضـ . والنـقطـةـ هيـ الـيـ لاـ جـزـءـ لهاـ . وـطـرـفـاـ الخـطـ نقطـانـ . وقد زـعـمـ مـنـ لاـ عـلـمـ لـهـ بـالـرـياـضـيـاتـ ، وـلـمـ يـتـخـرـجـ فـيـ صـنـاعـةـ الـهـنـدـسـةـ عـلـىـ .

(١) Xenophanes = = ٤٧٥ - ٥٧٠ ق . م) . راجع عنه كتابنا « ربـيعـ الفـكـرـ اليـونـانـيـ » .

(٢) Euclides =

(٣) غـ ، مـ ، لـكـ : ظـهـرـتـ .

ترتيب مقدماتها—مثل^(١) (٨٣) أن الجُرم، الذي هو الطويل العريض العميق، يركب^(٢) على السطح الذي هو طول بلا عَرْض — أن^(٣) الخط يركب على النقطة التي لا جزء لها.

وقال : إذا كان الموسيقي بطئ الحركة ، كان بارد المبدأ . وإذا كان كذلك ، لم يُطرُب . والحقيقة في هذا^(٤) أن يُسقى الشراب لتتبَع منه الحركة.

وقال : حاجة النفس إلى الترجيع لقضاء أَرَبَا من تلك النغمة التي فيها الترجيع . وإنما رجع في الصوت ليقل في وجوهه الثلاثة .

وقال : كل أمر صدّقنا فيه نحن ، وكانت النفس الناطقة هي المقدّرة له ، فهو داخل^(٥) في الأفعال النفسانية ؛ وما لم تقدّره النفس^(٦) الناطقة فهو بِيَمِيَّ .

بِقِرَاط

الطَّبِيبُ الْفَاضِلُ الْكَامِلُ

ظهر هو وديمِقراطيس في زمن بهمن بن اسفنديار . وشُهُير هو بالطبع ، بلغ خبره بهمن فكتب إلى فيلاطس ملك قو^(٧) وهي بلاد بِقِرَاط — يأمره بتوجيهه بِقِرَاط إلينه ، وأمر له بمائة قنطار من الذهب الإبريز الحالص . والقنطار عند اليونانيين مائة وعشرون رطلاً . والرطل تسعون مثقالاً . وكانت اليونانيون إذ ذاك ملوكهم ملوك طوائف ولم يكن يجمعهم مَلِكٌ واحد . وكان كل واحدٍ منهم يخضع لملك الفرس ويطيعه ويؤدي إليه أَنَاوَة عين أرضه . فأمر فيلاطوس ملك قو^(٨) بِقِرَاط أن يتوجه إلى ملك الفرس^(٩) . فأبى ذلك بِقِرَاط وتلكَ عن

(١) مثل : ناقصة في م ، ك .

(٢) ك ، م : يركب .

(٣) غ ، م ، ك : وأن

(٤) م ، ك : لهذا .

(٥) م : قوة

(٦) غ : فرس .

الخروج ضنناً بوطنه وقومه . فأعلمـه فيلاطوس^(١) أنه إن لم يفعل – وقد بعث في طلبه – لم يأْمَن^(٢) منه أن يكون ذلك سبباً هلاكه وهلاك أهل مملكته ، وأنه لا طاقة لهم بمقاومة ملك الفرس ، وهو ملك ملوك الأرض . فعزم بقراط ، لما حذرـه فيلاطوس^(٣) ، على التوجه إلى بهمن . فاشتـد ذلك عليه وعلى أهل مملكته ، وضنـوا بـقراط أن يخرج عن بلادـهم ويـصـير إلى بلادـالفرس . فأـجـمـعوا إـجـمـاعـاً رـجـلـاً واحدـاً وـقـالـوا : نـقـتـلـ عنـ آخرـنا ، ولا يـخـرـجـ بـقـراـطـ عنـ بلـادـنا .

فـكـتبـ رسـولـ بهـمـنـ إـلـىـ بهـمـنـ بـمـاـ عـاـيـنـ وـشـرـحـهـ لـهـ . فـرـقـ عـلـيـهـمـ وـأـقـرـهـ فـيـ بـلـادـهـ وـلـمـ يـلـيـحـ فـيـ طـلـبـهـ وـأـخـذـهـ مـنـهـمـ وـأـمـرـ بـتـخـلـيـةـ(٤)ـ القـنـاطـيرـ المـائـةـ عـنـهـ .

وـكـانـ قـبـلـ أـشـتـغـلـ بـالـطـبـ مـلـكـاً فـرـاهـدـ(٥)ـ فـيـ الـمـلـكـ وـلـبـسـ السـوـادـ . وـكـانـ لـاـ يـأـخـذـ مـنـ يـعـالـجـهـ إـلـاـ تـلـاثـةـ أـشـيـاءـ : طـوـقاً ، أوـ إـكـلـيلـاً ، أوـ سـوـارـاًـ منـ ذـهـبـ . فـقـيـلـ لـهـ : يـاـ مـعـلـمـ ! لـمـ لـبـسـ السـوـادـ ، وـلـمـ تـعـدـ مـنـ أـجـرـةـ الطـبـ إـلـاـ إـلـىـ أـخـذـ هـذـهـ تـلـاثـةـ أـشـيـاءـ ؟ فـقـالـ : جـعـلـتـ السـوـادـ عـلـمـ الطـبـ ، وـجـعـلـتـ أـجـرـةـ الطـبـ هـذـهـ تـلـاثـةـ أـشـيـاءـ لـأـنـهـ لـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـاـ اوـسـاطـ النـاسـ وـلـاـ الـفـقـراءـ ، فـلـاـ أـخـذـ أـجـرـةـ إـلـاـ مـنـ غـنـيـيـ أوـ مـوـسـيـ ، وـأـنـقـ علىـ الـأـوـسـاطـ وـالـفـقـراءـ مـنـهـمـ .

وـكـانـ يـقـولـ لـتـلـامـذـتـهـ : وـسـائـلـكـمـ إـلـىـ النـاسـ مـحـبـتـكـمـ لـهـ ، وـالتـفـقـدـ لـأـمـورـهـ ، وـمـعـرـفـةـ حـالـهـ ، وـاصـطـنـاعـ المـعـرـفـ إـلـيـهـمـ . فـإـنـ الإـحـسـانـ إـلـىـ المـضـطـرـ الـمـهـوـفـ أـفـضـلـ مـنـ الإـحـسـانـ إـلـىـ الـوـاجـدـ وـغـيـرـ المـضـطـرـ ، وـإـنـ كـانـ كـلـ الإـحـسـانـ حـسـنـاًـ .

وـقـالـ اـسـتـهـيـنـواـ بـالـمـوـتـ(٦)ـ ، فـإـنـ مـرـارـتـهـ فـيـ خـوـفـهـ .

(١) مـ : فيـلاـطـسـ

(٢) مـ : نـاقـصـةـ فـيـ مـ ، لـكـ .

(٣) مـ ، غـ ، لـكـ : تـزـهـدـ .

(٤) غـ : المـوـتـ . وـنـاقـصـ فـيـ مـ .

وقال : الحيطان والبروج لا تحفظ المُدْنَ ، لكن يحفظها آراء^(١) الرجال .
وتدبر^٢ الحكماء .

وقال : تداوي كلّ عليلٍ بعاقير أرضه : فإن الطبيعة تتطلع إلى هواها
وتتنزع إلى غذائها . وهكذا هو ، لأنّ الحائط المبني بالطين الحرّ لا يلائمه إذا
انهدم^(٣) أن يعاد بالرمل .

وقال لما حضرته الوفاة : خذوا جامع العلم مِنِّي : من كثُر نومه ولانت
طبيعته ونديت جلدته — طال عمره .

وقال : الإقلال من الفصار^(٤) خيرٌ من الإكثار من النافع .

وقال : لو خلق الإنسان من طبيعة واحدة لما مرض ، لأنّه لم يكن هناك
شيء يضادها فيمرض .

وقال : أما العقلاء فينبغي أن يُسْقُوا الحمر ، وأما الجُهَّال فالخِرْبَق
وسئل : ما بال الإنسان أثور ما يكون بدنـه إذا شرب الدواء ؟ فقال : مثلـ ذلك
مشـلـ البيت : أكثر ما يكون غباراً إذا كُنـسـ .

ودخل على عليل فقال له : أنا والعلة وأنت ثلاثة . فإن أعنـتـنيـ عليهاـ
بالقبول لما تسمعـ مِنِّيـ صـرـناـ اثنـيـنـ ، وانـفردـتـ العـلـةـ ، فـقـوـيـنـاـ عـلـيـهاـ . والـاثـنـانـ
إذا اجـتمـعاـ عـلـىـ واحـدـ غـلـبـاـ .

وعـشـقـ ابنـ الـمـلـكـ الـذـيـ كانـ فـيـ زـمـانـهـ حـظـيـةـ لـأـيـهـ ، فـنـهـلـ بـدـنـهـ ،
وـاشـتـدـتـ عـلـيـتـهـ . (٨٥) فأـحـسـ بـقـرـاطـ ، وجـسـ نـبـضـهـ ، وـنـظـرـ إـلـىـ تـفـسـرـيـهـ^(٤)

(١) آراء : ناقص في غـ .

(٢) غـ ، مـ ، كـ : استهـمـ .

(٣) غـ : الصـدـ .

(٤) كـذاـ فـيـ النـسـخـ وـلـمـ نـسـطـعـ قـرـاءـتـهـ !

فلم ير فيهما أثراً علةً في البدن . فجلس عنده ساعة طويلة . ثم ذاكره حديث الهوى والعشق . فرأاه يهشَّ لذلك ويطرُب . فعلم أنه محبٌّ عاشق . فدعاه بخاسته^(١) والقيم عليه ومن رُبِّي في حجره ولم يفارقه في وقت من الأوقات - فسأله : هل خرج هذا الفتى وقتاً إلى موضعٍ فعاين امرأة حُرّةَ أو جارية مملوكة؟ فقال : ما خرج من دار الملك قط .

فحضر عند الملك وقال : مُرْ رئيس الخصيان بطاعتي فيما أمره به^(٢) . فأمره الملك بذلك . فقال بقراط للخادم : ادخلني مع ابن الملك دار النساء ، وأخرجهن مُنْفَصلات^(٣) . فخرجن ، وبقراط واسعٌ إصبعه على عرق الفتى . فلم يبض له عرق . فقال للخادم : هل في الدار إنسان؟ فقال الخادم : لم يبق إلا حظية الملك . فقال : لا بد من خروجها . فأخرجت . فلما نظر إليها الفتى اضطرب عرقه وتشوش واختلف^(٤) وطار قلبه . فعلم سقراط أنه يهواها . وصار إلى الملك وذكر أن علة ابنه صعبة لا سبيل إلى مداواتها . فقال : ما عملته؟ فقال : إنه عاشق لمنْ الوصول إليها صعب . قال : ومن تلك؟ فتابَّى عليه ساعةً ، ثم قال : أَيْها الملك ! إنه يحب امرأة . فسأله الملك أن ينزل لها عنها . فتحازن بقراط ثم واجم ثم قال : هل رأيت أحداً كلف أحداً طلاق امرأته - ولا سيما الملك في عدله وإنصافه وحسن سيرته؟ قال الملك : إنني أوثر ولدي عليك وأعوّضك وأحكّمك فيمن أعرض عليك من النساء أو الجواري في هذه المدينة . قال : لا أريد . فضجر الملك وقال : خلّها لأبني وإلا قتلك .

فلم رأى بقراط الجدّ منه ، قال : إن الملك لا يسمى عَدْلًا حتى يُنصِّف من نفسه . وأرأيت لو كانت امرأة الملك وحظيتها - أيُّنزل له

(١) م : بخاسته .

(٢) غ : فيما أمرته .

(٣) م : متفضلات

(٤) واختلف : ناقصة في م ، ك .

عنها ؟ قال : إِنَّمَا وَأَفْدِيهُ أَمْثَالًا . فقال : هُوَ مُحَبٌ لِّحَظَيْهِ الْمَلَكُ فَلَانَةٌ بِعِينَهَا . فقال : يَا بَقْرَاطٌ : عَقْلُكَ أَتَمُّ مِنْ مَعْرِفَتِكَ . وَنَزَلَ لَابْنِهِ عَنْهَا . وَبِرَءَةُ الْفَتِيْحِ .

وقال : اعلم إنك تأكل ما تستمرئه و (ما) لا تستمرئه فهو يأكلك .

وقال : كُلْ بَدْنَ لَا يَدْخُلُهُ الشَّرَابُ أَسْرَعُ إِلَيْهِ الْخَرَابُ ، لَأَنَّ الشَّرَابَ يُنْقِيُ الْأَوْصَابَ (مِنَ الْأَعْصَابِ) ^(١) وَيُهَيِّجُ الْإِطْرَابَ وَيُؤْلِفُ بَيْنَ الْأَحَبَابِ .

وقيل له ^(٢) : لِمَ ثَقَلَ الْمَيِّتُ ؟ قال : لِأَنَّهُ كَانَ اثْنَيْنِ : أَحَدُهُمَا خَفِيفٌ رَافِعٌ ، وَالْآخَرُ ثَقِيلٌ . فَلَمَّا انْصَرَفَ الْقَيْلُ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَرْفَعِهِ الْآخَرُ ، ثَقَلَ . قال : وَالْهَوَاءُ خَفِيفٌ رَافِعٌ ، وَهُوَ أَخْفَى مِنَ الرِّزْقِ فَهُوَ يَرْفَعُ الرِّزْقَ .

وقال : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ تُورِثُ الْهُرْزَالَ : شُرْبُ المَاءِ عَلَى الرِّيقِ ، وَالنُّومُ عَلَى غَيْرِ وَطَاءٍ ، وَكُثْرَةُ الْكَلَامِ بِرْفَعِ الصَّوْتِ .

وقال : الْجَسَدُ يَعَالَجُ جَمْلَةً عَلَى خَمْسَةِ أَصْرَبٍ : مَا فِي الرَّأْسِ بِالْغَرْغَرَةِ ، وَمَا فِي الْمَعْدَةِ : بِالْقَيْءِ ، وَمَا فِي الْبَدْنِ : بِالْإِسْهَالِ ، وَمَا بَيْنَ الْجَلْدَيْنِ : بِالْعَرَقِ ، وَمَا فِي الْعُقْمِ وَدَاخِلِ الْعَرْوَقِ : بِإِرْسَالِ الدَّمِ .

وقال : إِنَّ الْأَبْدَانَ ^(٣) الَّتِي لَيْسَتْ نَقِيَّةً كُلُّمَا غَذَوْتَهَا ازْدَادَتْ رَدَاءَهُ . وَكَذَلِكَ النَّفْسُ الْعَلِيَّةُ الْزَّرِيرَةُ ^(٤) بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَغْذِيَتْهَا الَّتِي هِيَ الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ .

وقال : أَرْبَعَةُ أَشْيَاءٍ تَهْدِمُ الْبَدْنَ : دُخُولُ الْحَمَامَ عَلَى الْبِطْنَةِ ، وَالْجِمَاعُ عَلَى الشَّبَّيْعِ ، وَأَكْلُ الْقَدِيدِ الْجَافِ ، وَشُرْبُ المَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الرِّيقِ .

وقال : الْمِرَّةُ الصَّفَرَاءُ سُلْطَانُهَا فِي الْكَبِيدِ ، وَالْبَلْغُمُ بَيْتُهُ الْمَعْدَةُ وَسُلْطَانُهُ فِي

(١) مِنَ الْأَعْصَابِ : فِي غَوْنَدِهَا وَنَرِي حَذْفَهَا .

(٢) لَكَ ، مَ : وَقِيلُ لِبَقْرَاطِ .

(٣) لَكَ ، مَ : مَنِي لَمْ تَكُنْ نَقِيَّةً وَكُلُّمَا تَغْذَوْهَا .

(٤) بِالْإِضَافَةِ إِلَى : بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ ، فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ .

الصدر ، والسوداء بيتها الطحال وسلطانها في القلب ، والدم بيته القلب وسلطانه في الرأس . فمثل الصفراء مثل الصبي الذي يبكي من غير شيء حتى يتناول أدنى لطف فيسكت . والبلغم مثل العدو الفاجر الذي لا يقدر على عدوه جهراً فإذا أمكنته فرصة^(١) قُتِلَ إن لم تَقْتُلْه . ومثل السوداء مثل العدو العاقل الذي لا يرى دعوه بالمكر ويفتظر ويفكّر هل له مخرج ، ولا يأخذه إلا بعد غصب شديد . ومثَل الدم مثل الملك الذي يغضب فيسطو ، فلا يستطيع أحد أن يكلّمه حتى يرضي أو يقبل .

وقال : من لم ينظر إلى الغنى لم يستكره الفاقة ، ومن لم تهدأ المصائب لم يأمن الدواه ، ومن لم يأنس بالعافية فهو الكامل .

وقال الإنسان صورة ، واللسان عبارة ، والبيان دليل .

وقال : الملك مؤدب لا مؤدب له ، يحوطنا ويحفظ علينا مالنا ، ويقبض عن المساوي أيدينا .

« وقال^(٢) لתלמידه : ليكن أفضلي وسائلك إلى الناس محبتكم لهم والتفقد لأمورهم ومعرفة حاهم واصطناع المعروف إليهم .

وقال في المقالة الأولى من كتاب « الفصول » : خصب البدن المفترط لأصحاب الرياضة خطير ، إذا كانوا قد بلغوا منه الغاية القصوى . وذلك أنه لا يمكن أن يشتووا على حاهم تلك ولا يستقرّوا . ولما كانوا لا يستقرّون فليس يمكن أن يزدادوا صلاحاً ، وبقي أن يميلوا إلى حال أرداً . فلذلك لا ينبغي أن ننقص خصب البدن بلا تأخير كما يعود البدن فيبتدىء في قبول الغذاء ولا يبلغ من استفراجه الغاية القصوى ، فإن ذلك خطير ، لكن بمقدار احتمال الطبيعة البدن يقصد إلى استفراجه . وكذلك أيضاً كل استفراج يبلغ فيه (الغاية) القصوى فهو خطير .

(١) م : فرصة قال ان خليت قتاني فلا يفارق حتى يقتل .

(٢) النص التالى ورد في المخطوط م وحده ونظن انه مقدم على النص الاصلى .

وكل تغذية أيضاً هي عند الغاية القصوى فهي خطرة .
وقال في المقالة الثانية : إذا كان النوم في مرض من الأمراض يُحدّث
وجعاً فذلك من علامات الموت . ومتى سكّن النوم اختلاط الذهن فذلك علامة
صالحة .

وقال في المقالة الثالثة : إذا كانت أوقات السنة لازمة لنظامها ، وكان في
كل وقت منها ما ينبغي أن يكون فيه ، كان ما يحدث منها من الأمراض حسن
الثبات والنظام حسن البحaran . وإذا كانت أوقات السنة غير ملائمة لنظامها كان
ما يحدث من الأمراض غير منتظم ، سمج البحaran .

وقال في المقالة الخامسة : إذا أحببت أن تعلم هل المرأة حامل أم لا ؟
فاسْقُّها إذا أرادت النوم ماء العسل . فإن أصابها مغص في بطئها فهي حامل ؛
وإن لم يُصِبْها مغص فليست هي بحامل^(١) .

وهذه أبعانه وعهده :

« إني أقسم بالله ، رب الحياة والموت ، وواهب الصحة وأقسم باصدقبيوس
وبخالق الشفاء وكل^(٢) علاج ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً ،
وأشهدهم جميعاً : على أن أفي بهذه اليمين ، وهذا الشرط ؛ وأرى أن المعلم
لي في هذه الصناعة بمنزلة أبيائي ؛ وأواسيه في معاشي ؛ وإذا احتاج إلى مالٍ
واسيته ووصلته من مالي . وأمّا الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لإخوتي ،
وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلّمها بغير أجرة ولا شرط . وأشارك
أولادي أولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفو بالناموس
الطبيعي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة .

وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك . وأقصد في جميع التدبير – بقدر طاقتى
– إلى منفعة المرضى . وأمّا الأشياء التي تضرّهم وتدنى^(٢) منهم بالجور عليهم

(١) آخر النص الوارد في المخطوط م وحده ونظنه مصححاً .

(٢) غ : لا يدري منهم . له : ويدري منهم .

فأمتنع منها بحسب رأيي . ولا أعطي – إذا طُلِبَ مني – دواءً قاتلاً ، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة .

وكذلك أيضاً لا أرى أن أُدْنِي من النسوة فورجة^(١) تسقط الطفل إذا طُلِبَ مني .

احفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاء والطهارة . ولا أشُقْ^(٢) أيضاً على مَنْ في مثانته حجارة . لكن أترك فعل ذلك إلى مَنْ^(٣) كانت حرفة هذا العمل . وكل المنازل التي أدخلها إنما أدخل إليها لمنفعة^(٤) المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جَوْرٍ وظُلْمٍ وفساد^(٥) بيارادي مقصود إليه منه^(٦) في سائر الأشياء وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد .

وأما الأشياء التي أعاينها في وقت علاج المرضى وأسمعها ، أو في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينبغي أن ينطق بها خارجاً – فأمسِك عنها وأرى أن أمثالها لا يُنْطَقَ به .

فمن أكل هذه اليمين ولم يُفْسِدْ منها شيئاً ، كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها وأن يحمد من جمِيع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً . ومن تجاوز ذلك كان بضد ذلك » .

قبس السقراطي

كان من الحكماء المتقدمين . وهو من أصحاب أفلاطون . ولم نجد له ، إلى هذه الغاية ، كلاماً غير لُغْز^(٧) موضوع في أمر العالم وما يجري فيه (٨٨) من

(١) لَكْ ، م : بِرْزَجَة .

(٢) غ ، م ، لَكْ : بِنْفَعَة .

(٣) ... ناقص في غ .

(٤) راجع « لُغْز قابس » في كتاب « الحكمة الخالدة » (جاويدان خرد) لمسكويه ، الذي نشرناه في القاهرة سنة ١٩٥٢ . لَكْ ، م : قايس .

أمر البعث والحيث على ترك الإنسان ^(١) الدنيا ، وما يلزم الإنسان أخذ نفسه به من إسقاط الفكر في الشهوات عنها ، وطلب السعادة التامة والنجاة من الشرور التي في عالم الحِسَ .

باسليوس

قال : ينبغي لمن تَعَلَّمَ أنَّ البدن هو شيء جُعلَ تابعاً للنفس مثل الآلة للصانع – أن يطلب كل ما يصبِّرُ البدن أُوفقاً وأنفع بـأَنْواعَ النَّفْسِ الَّتِي فِيهِ ، ويُهربُ من كل ما صبَّرَ البدن غير موافق ولا نافع لاستعمال النفس له .

وقال أيضاً: إنَّه إنْ كَانَ البدن سِمْجاً مَتَلطخاً بـأَوْسَاخٍ وـأَقْدَارٍ قد غشَّته وركبتَه أَنْ يَكُونَ مَزِيَّناً مِنْ خَارِجٍ بـأَثْوَابٍ نَظِيفَةٍ تَغْطِيهِ – فأَقْبَحَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ النَّفْسُ دَنِيسَةً بـأَوْسَاخِ الْعِيُوبِ وأَوْضَارِهَا وَيَكُونُ البدن مِنْ خَارِجٍ مَزِيَّناً .

وقال : إنَّ كَنَا نَعْنَى بـجَمِيعِ أَعْصَاءِ الْبَدَنِ ، وَخَاصَّةً بـالْأَشْرَفِ مِنْهَا وَهُوَ الدَّمَاغُ – فَكُمْ بـالْحَرَيِّ أَنْ نَعْنَى بـجَمِيعِ أَعْصَاءِ النَّفْسِ ، وَخَاصَّةً بـالْأَشْرَفِ مِنْهَا وَهُوَ الْعَقْلُ .

وقال : يستقيم ^(٢) أَنْ نَكُونَ نَقْصَدْ بـأَكْلَنَا وَشَرَبَنَا إِلَى شَكْرِ اللهِ وَلَا نَقْصَدْ ^(٣) بـصَوْمَنَا وَصَلَاتَنَا إِلَى شَكْرِ اللهِ إِذَا كَانَ قَصْدَنَا بـفَعْلِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ نَعْيِشَ عِيشَةً جَيْداً عَقْلَياً وَفَعْلَ هَذَا لِيَحْمِدَنَا النَّاسُ . فَعَلَى هَذَا الْمَثَالِ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْتَبِرَ

(١) م : بـالْدُنْيَا .

(٢) غ : يَسْتَقِيم

(٣) وَلَا نَقْصَدْ : نَاقِصٌ فِي م .

الغرض فيه ، لا ما يظهر من الفعل .

وقال : من القبيح أن يكون الملاح لا يطلق سفيته مع كل ريح ، ونطلق نحن أنفسنا لنعلم كل علم من غير بحث ولا اختيار .

بطرميوس

قال :

الحكيم هو الذي إذا صدّق صبر ، لا الذي إذا قذف كظَّم

وقال ^(١) رجل له : ما أحسن بالانسان أن يصبر عما يشهي ! فقال : أحسن منه ألا يشهي إلا ما ينتهي ^(٢) وقال : لَمَنْ يعني الناس ويسأل أشهى بالملوك مِمْتَنْ يستغنى بغيره ويسأل .

وقال ^(٣) : لأن يستغنى الانسان عن الملك اكرم له من أن يستغنى به ^(٤) .

وقال : موقع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب والجواهر من ظهر الحمار الذي لا يفرق بينهما وبين اللبن والماء .

ودعا ما يندَرُوسَ إلى طعامه فاستعفى ، وقال له : يَعْرِضُ للملوك قريب ^(٥) مما يعرض للذين ينظرون إلى الصور : فإنهم إذا نظروا إليها من بعيد أعجبتهم ، وإذا رأوها من قريب لم يستحسنواها .

وسمع جماعةً من أصحابه وهم حول سُرّادقه يقعون فيه ويثلبونه وهم يظنون أنه لا يسمع ؛ فهُزِّ رحْماً كان بين يديه وأبداه لهم ليعلموا قُربَةَ منهم .
وقال : ألا تبعادوا عنا ^(٦) قيد رمح ثم تقولوا فينا ما أحبابكم ؟

(١) ... ١ ما بين الرقمين ناقص في غ .

(٢) ... ٢ ما بين الرقمين ناقص في غ .

(٣) غ : فقد رمح ثم نقول فينا .

وقال : العلم في موطنـه كالذهب في معدنه : لا يستنبـط إلا بالذوبـ والتعبـ والكـ والنـصبـ .

وقد ^(١) وجد بعد موت بطليموس وعاء له في صـحـيفـة (وـهـ) : « يـا عـيلـة العـلـلـ ، وـقـديـما لمـ يـزـلـ ، وـيـا مـنـ هوـ كـلـ الـكـلـ » .

وقـالـ بطـلـيمـيوـسـ : دـلـالـةـ الـقـمـرـ فـيـ الـأـيـامـ أـقـوىـ ، وـدـلـالـةـ الشـمـسـ وـالـزـهـرـةـ فـيـ الشـهـورـ ^(٢) أـقـوىـ ، وـدـلـالـةـ الـمـشـريـ وـزـحـلـ فـيـ السـنـينـ أـقـوىـ .

ارسطو

كان هذا رجلاً مشهوراً في بلده بالحكمة والفلسفة ، وهو مع ذلك في حُسْن حالٍ وخفـضـ من العـيشـ ، وكـثـرةـ منـ المـالـ . فـعـثـرـ بـهـ الـدـهـرـ ، وـغـدـرـتـ بـهـ الـأـيـامـ ، حـتـىـ تـغـيـرـتـ حـالـهـ وـتـشـتـتـ أـسـبـابـهـ . فـعـزـمـ عـلـىـ التـغـرـبـ عنـ بـلـدـهـ إـلـىـ حـيـثـ لـاـ يـعـرـفـ . فـرـكـبـ الـبـحـرـ ، فـبـيـنـاـ هوـ يـسـيرـ إـذـ كـسـرـ بـهـ الـمـركـبـ ، وـرـمـىـ بـهـ إـلـىـ الشـطـ . فـنـظـرـ ^(٣) فـيـ شـطـ الـبـحـرـ إـلـىـ شـكـلـ هـنـدـسـيـ مـرـسـومـ فـيـ بـنـاءـ هـنـاكـ ، فـقـوـيـتـ نـفـسـهـ بـذـلـكـ ، لـأـنـهـ فـهـمـ أـنـهـ وـقـعـ إـلـىـ قـوـمـ حـكـماءـ ، لـأـلـىـ أـغـنـامـ لـاـ عـقـولـ لـهـمـ . فـدـخـلـ الـمـدـيـنـةـ وـخـالـطـ أـهـلـهـ ، فـعـادـتـ حـالـهـ إـلـىـ أـحـسـنـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ ، لـأـنـهـمـ عـرـفـواـ مـاـ عـنـهـ مـاـ فـضـلـ وـمـعـرـفـةـ فـأـكـرـمـوـهـ وـأـجـلـوـهـ وـاـخـتـلـفـواـ إـلـيـهـ ، فـعـادـتـ فـيـ تـلـكـ الـبـلـادـ أـسـبـابـهـ إـلـىـ أـحـسـنـ ^(٤) مـاـ كـانـتـ فـيـ بـلـدـهـ . ثـمـ إـنـهـ رـأـيـ قـوـمـ يـوـيلـدونـ رـكـوبـ الـبـحـرـ إـلـىـ مـدـيـنـتـهـ . فـسـأـلـوـهـ أـنـ يـأـمـرـهـ بـشـيـءـ يـيـلـغـونـهـ أـهـلـ بـيـتهـ . فـقـالـ لـهـمـ قـوـلـواـ لـهـمـ هـذـاـ القـوـلـ : لـيـكـنـ مـاـ تـكـتـسـبـونـهـ وـتـقـنـنـوـهـ شـيـئـاـ إـذـ كـسـرـ بـكـمـ الـمـركـبـ وـغـرـقـمـ كـانـ يـسـبـحـ مـعـكـمـ .

(١) غـ ، مـ : وـقـالـ وـجـدـ . لـكـ : وـالـنـصبـ . وـوـجـدـ بـعـدـ مـوـتـ ...

(٢) لـكـ ، مـ : فـيـ الشـهـرـ .

(٣) غـ ، مـ ، لـكـ : إـلـىـ .

(٤) غـ ، مـ ، لـكـ : مـاـ -

قال : القلب أول شيء يخلق وآخر شيء يدثر ، لأنه فلكي الشكل .

وقال : شخص (٩٠) بغير أدب كجسد بغير روح ، وكلفظ بلا معنى .

وقال : الحكيم التام مَنْ يكون إتمامه لما وجب عليه من الحق في يومه على حالٍ إذا أدركه الموت فيه لم يبق ذلك العمل لغيره (٢) غير مفروغ منه .

وقال : تفرح النفس إذا أشرفت على زهرة العقل والعيون النابعة منه كما تفرح (٣) الغنم إذا أشرفت على الزرع والمياه .

داريوس

قال : لا يقدر الموسوس على أن لا يقبل سُوسيَّة ، كما أنه لا يقدر البصر على أن يقبل النور ، ولا يقدر (٤) النور على أن لا يقبل البصر . وأما ما خالف السُّوسَ فإنه لا يقبله ، كما لا يقبل النور العمى ، ولا العمى النور ولا يتصل به .

وقال : السوس إلى الاتصال بالضائع أسرع منه إلى غيرها ؛ وما يسمع من العلم أسرع إلى الاتصال بالأدب منه إلى ما سواه .

وقال : إن روح السوس أقوى من روح الأدب ، فإنه لا يقدر على أن يقبل السوس الصالحة إلى السوس السوء ، ولا إذا السوس السوء إلى الصلاح والخير ، ولا يقدر مع ذلك على ترك قبول سوسيه وإن هو علم الصدق والحكمة

(١) م ، ك : صولين .

(٢) م ، ك : لغده .

(٣) غ ، م ، ك : كتفرج .

(٤) غ ، م : يقبل .

أبداً . ولذلك إنما يكون ^(١) الملك من لم يلده العبد ، ويكون العبد من لم يلده الملك .

وقال : السعيد من كان سوسي وطباوه من الصحة والبراءة ما لم يُرَد ^(٢) معه شيء من العلم والحكمة والأدب إلا قدر منزلة وطلب أسبابه والنظر فيها والفحص عنه على ما يحرزه به .

وقال : مثل من أحسن إلى أهل الكفر بالمعروف كمثل زرع بذره في الأرض السبحة أو أشار على الجهل بنصيحة ^(٣) ، أو سار الأصم بحديثه .

وقال : لا عداوة أعدى من المرض ، ولا وجع أوجع من الجوع ، ولا ظلمة أظلم من الجهل ، ولا خوف أخوف من الموت .

وقال : كل شهوات الدنيا موجعة ^(٤) ، فحرى أن تُشبَّه بالماء المالح الذي لا يزداد صاحبه منه شرابة إلا ازداد عطشاً ، وتُشبَّه بما يُشرَب ^(٥) من الخمر في الحلم ، وتشبه في بقائهما بضوء البرق الذي من اتكَّل عليه مكث في الظلامة .

وقال : من لم يقدر على حل الحقد الذي فيه عنه فهو شبيه بالشيطان .

وقال : قرين الهم الموت ، وقرين ^(٦) الموت المرض .

وقال : يُدفع الحرص ^(٧) بالقناعة ، والغضب بالسلامة ، والجحود والحسد بالعدل والصدق .

(١) غ : ولذلك يكون إنما الملك .

(٢) غ ، م : يراد . لـ : يداو .

(٣) م ، لـ : أذ . م : نصيحته . لـ : بنصيحته .

(٤) لـ . م : موجع مجرى شبيه .

(٥) لـ : وشبيه بماء يشربه في الحلم

اثر و ذطيس^(١)

دخل عليه متطلب وهو عليل ، فجسّـ "جانبه الأيسر" ، فقال : في كبدك علّة . فاغتم . فقال له الطبيب : لا تغتم فإنها سليمة . فقال : الموت أهون عندي من أن أكون على خلاف ما عليه الناس ، وذلك أن يكون كبدي في الجانب الأيسر !

بليناس

وعظ ملكاً من الملوك^٢ فقال : أيها الملك ! إن الدنيا دار عمل ، والآخرة دار ثواب . ومن لم يقدم لم تجد نفسه فيها حلاوة عيشها يترك الإساءة إليها . وأعلم أن زمام العافية بيد البلاء ، وباب الأمان مستور بالخوف ، فلا تكن^(٣) في حالة منها غير متوقع لأصدادها ، ولا تجعل نفسك غرّضاً للسهام المهلكة ، فإنّـ الزمان عدوُـ ابن آدم واحترز من عدوّـك غاية الاحتراز^(٤) . وتأهّـ ليوم معادك . وإذا فكرت في نفسك وعدوّـها استغنىت عن الوعظ .

وقال : القلم الطلّـ سِمُـ الأكبر .

وقال له قائل : ما أحسن ما يعبر مانا فراتيس شعر سمخيلوس ! فقال : إن حفر بئر بالقرب من قناة يجري فيها الماء ليس بأمرٍ صعبٍ .

(١) ك : اثرو ريطس

(٢) ك ، م : تكونن .

(٣) ك ، م : بغاية الاستعداد .

بارقليس

صار إلـيـه رجلٌ فافترى علـيـه ، وشـتـمـه نـهـارـه أـجـمـعـه ، إـلـى أـنـ جـنـه اللـيلـ .
فـلـمـا أـرـادـ الـاـنـصـرـافـ مـنـ عـنـدـهـ أـخـذـ الـفـيـلـيـسـوـفـ سـرـاجـاـ وـمـرـ بـيـنـ يـدـيـهـ يـسـعـىـ إـلـىـ
أـنـ بـلـغـ مـنـزـلـهـ .

وـقـالـ : جـدـودـ النـاسـ مـثـلـ الـبـحـرـ يـكـوـنـ سـاـكـنـاـ إـذـاـ لـمـ تـمـوـجـهـ الـرـيـاحـ ، فـإـذـاـ
مـوـجـتـهـ الـرـيـاحـ اـضـطـرـبـ فـكـذـلـكـ الـجـدـ إـذـاـ كـانـ سـعـيـاـ فـدـهـرـ الـإـنـسـانـ سـاـكـنـ ؛
فـإـذـاـ شـقـيـ تـمـوـجـ دـهـرـهـ .

وـقـالـ : لـاـ تـمـلـكـنـ حـدـيـثـ السـيـنـ إـلـاـ أـنـ تـكـوـنـ الـحـكـمـةـ قـدـ سـاـكـنـتـهـ (١)ـ .

موريطس

قـيلـ لـمـورـيـطـسـ : مـاـ قـيـمـةـ الصـدـقـ ؟ـ قـالـ : الـخـلـدـ فـيـ الدـنـيـاـ .ـ قـيلـ : مـاـ قـيـمـةـ
الـكـذـبـ ؟ـ فـقـالـ : مـوـتـ عـاجـلـ .ـ قـيلـ : فـمـاـ قـيـمـةـ الـعـدـلـ ؟ـ قـالـ : مـلـكـ الـأـرـضـ .
قـيلـ : فـمـاـ قـيـمـةـ الـجـوـودـ ؟ـ قـالـ : الـحـيـاـةـ .

وـقـالـ : الـقـلـمـ قـيـمـ الـحـكـمـةـ .

(٩٢) أـرـسـطـوـفـانـسـ

قـالـ : أـمـاـ الغـلـبةـ بـالـكـلامـ بـلـ أـفـعـالـ فـلـيـسـتـ بـغـلـبةـ ،ـ بـلـ هـزـيـةـ .ـ وـأـمـاـ الغـلـبةـ
بـالـأـفـعـالـ –ـ وـإـنـ كـانـتـ بـلـ كـلـامـ –ـ فـهـيـ غـلـبةـ (٢)ـ .
وـسـأـلـهـ إـنـسـانـ عـنـ مـسـأـلـةـ قـبـيـحـةـ فـسـكـتـ عـنـهـ وـلـمـ يـُجـبـهـ .ـ فـقـالـ الرـجـلـ : مـالـكـ

(١) غـ : سـالـتـهـ .

(٢) مـ ،ـ لـكـ : الغـلـبةـ .

لا تجنيني ؟ فقال : إجابي سكتُ عما سألتني عنه .

فِيلِسُوس

قال : إن أمور الناس بالحَد تكون ، لا بالعقل ، حتى إنه قد يُظن بالغَيّ ، وإن لم تكن له كلمة ، أنه حكيمٌ لِجَدَه .

ونظر إليه رجل وهو يجامع ، فقال : أي شيء تعمل ؟ فقال : انساناً إن تَمَ .

وقال : اللذة التامة الفكر الفقيّ وكثُرته وحسن السعي ، وتمامه القدرة على البغية .

أورييفيدرس^(١)

قال : أما اللسان^(٢) فقد يخلف كاذباً ؛ وأما العقل فإنه لا يخلف كاذباً .
وقال : إن الحياة بغير الموسيقى وَحْشة .

ارشميدس

قال : الحاجة إلى العقل خيرٌ من الحاجة إلى المال .

وقال : المال الكثير لمن لا يستمتع به بمنزلة طعامٍ موضوع على قبر .

وقال : الغَيّ^(٣) البخيل بمنزلة الجمل الذي يحمل الذهب ويختلف بالتبين^(٤)

(١) غ : أورميدوس . لك : أوربيديس .

(٢) لك ، م : فإنه .

(٣) م : الفقي .

(٤) م ، لك : التبن .

وشكا إليه بعض البخلاء بخله ، فقال : يا هذا لستُ ببخيل . قال : وكيف ؟ قال : لأن البخيل هو الذي يعطي وينعن ، وأنت تريد أن تعطيه جملة .

مهراريس

قال : موضع الباطل في الأذنين ، وموضع الخطيبة في اللسان .

فيدياس

قال : ان الهموم أدواء النفوس ، كما أن الأقسام أدواء الأجسام .
وقال : الملك حارس الأنفس ، وصاحب المدينة حارس الأبدان .

ذيماس

قال : ينبغي للمرء أن يطيل فكره فيما يريد ، ويباشر العمل بما يجب ،
ويعطي من نفسه ^(١) الحق ويخضع للعدل ، ويكرم من يجب إكرامه ، ويقهر
شهوته ، ويعين إخوانه ، وينبع ^(٢) عن التحلف والعنف ، ويصون لسانه عن
القبح ^(٣) ، ويشتغل حياته بالأدب ، ويكتفي على الخير ، ويتحرج الصدق
في فعله وقوله لتسلمه له حياته (٩٣) ويكون حكيمًا بالفعل ، ويسعد بعد
مماته .

وقال : لا يزال الشيء يزداد حتى يعتدل . فإذا اعتدل نقص .

وقال : الخير من حيز المحبة ، والشرّ من حيز البغضة .

(١) م ، ك : التحلف .

(٢) م ، ك : القبيح .

(٣) م ، ك : على الخير وعلى كذبه (!)

فواطر خس

عَمِيلٌ ثُوراً مِنْ طِينٍ ، وَقَرْبَهُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ أَهْلُ بَلْدَهُ يَقْرَبُونَ إِلَى أَصْنَامِهِمْ . فَعَاتَبُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَالَ : قَبِحٌ "أَذْبَحَ الْحَيَّ الْمَتَنَفِسَ" الْحَسَاسُ لَا لِيْسَ بِحَيٍّ وَلَا مَتَنَفِسٌ وَلَا حَسَاسٌ .

برو طاغورس

قال : إن كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر في النفس ، فليس ينبغي أن نستعمله فيما لم يخطر فيها .

وقال : اللذة التامة هي استعمال النفس في الشهوات الطبيعية بلا مانع .

وقال : إذا اجتمع الرأي والأنفة في الموضع الضيق فاستعمل الرأي .

وقال : ضياء الشمس ضياء الحسن ، وضياء الحكمة ضياء القلوب .

وقال : الجواد هو الذي يطلق العقل ويحسن النطق ؛ والبعيل خلافه .

وقال : مناظرة الباحل بالعقل كمناظرة العاقل بالجهل .

غرغوريوس *

قال : أما الحمال الظاهر فإن المصورين يمكنهم أن يُشَبَّهُوا به بالإصباح وكثيراً ما يجعلونه أحسن . فأما الحمال الباطن فإليس يمكن أحداً أن يُشَبَّهُ به إلا من يقوله بالحقيقة .

وقال : الحلم هو الصبر على تَجْرِيع الغبيظ حتى لا يظهر شيء منه في

(*) م ، غ : غرغوريوس . وما أثبنا في ذلك .

العقل ولا في الحسّ ولا في الحركة ، ولا يصير ذلك حقداً.

وقال ^(١) : المتخاذل الحاقد تاجر ^(٢) ليثيم .

سيمونيدس

نظر إلى فتي سكّيت ، فقال : إن السكوت إنما هو للأصنام ؛ وأما الناس فليهم يخاطبون. ونظر إلى مصارع يفتخر بغلبته لمصروعه فقال له : أغلب منْ هو أقوى منك ، أو منْ هو مثلك ، أو منْ هو دونك ؟ فقال : منْ هو أقوى مِنِي . فقال : كذبت . قال : فمن هو مثلي . فقال كذبت ، لو كان مثلك لتساويتما . قال : فمن هو دوني . قال : كل إنسان يغلب من هو دونه .

وقال : لا ينبغي ^(٣) أن يقتصر الأصدقاء على حسن القول ، لكن على حُسْن الفعل . ^(٤) وعابه إنسان بالبَخْر ، فقال : لا تعجب من ذلك أبداً الرجل ، إذ كان هذا لأنَّه قد تعافت فيه أشياء لا يدرك ^(٥) إحصاؤها .

وسُئِل عن أحرص الناس فقال : منْ لا يطمع في أن ينجح أبداً.

ثيوديدوس ^(٦)

قال : إن كان الإنسان شائعاً نذلاً كالذي يتلقاه بالشّم ^(٧) ، كان أيضاً نذلاً ، لكن الكريّم هو الذي يتلقى الشّم بأأن يحمله .

(١) قال : ناقصة في م ، ك .

(٢) غ : فاجر .

(٣) غ ، م : ملن .

(٤) غ : يدركه .

(٥) م : ثورثندس . ك : نوثرديدس .

(٦) م ، ك : بالشم أيضاً نذل ، لكن ...

وقال : لا ينبغي أن تأخذ في تعلم العلوم قبل أن تنفي عن نفسك العيوب وتعودها الفضائل ، فإنك إن لم تفعل ذلك ^(١) لا يمكنك أن تتفع بشيء من العلم .

وقال : ليس حُسْنُ طلوع الشمس بنورها بعد الكسوف بأشحسنَ من طلوع رونق المطلق من معدن الحق .

بُنساليس ^(٢)

قال : إن الكسلان يختار ما يشبعه من الطعام على حكمة ^(٣) أفلاطون كلها ، ويختار ما يحبه من الشراب على شعر أوميروس كله ، ويرفض نواميس سولُنْ اذ كانت واضعة النواميس له : ذاته ، ويريد أن تتبعها النواميس وأصحابها .

اخليس ^(٤)

سئل عن شجاعة أصحابه فقال : ما رأيتم يسألونكم الأعداء ، ولكن يسألون ^(٥) : أين الأعداء ؟

سطراطونيقوس ^(٦)

قيل له : فلان يستمك بالغيب . فقال : لو ضربني بالسياط وأنا غائب لم أبال .

(١) م ، ك : لم .

(٢) ظ ، ك : بنسالس .

(٣) غ :رأى .

(٤) م : احسن . ك : احيس .

(٥) يسألون : ناقصة في م .

(٦) م ، ك : سطر طونيقوس .

ورأى إنساناً يُذْهَب به إلى الحبس في جنابه ، فقال : يا هذا ! ما يساوي سرورُك بما ارتكبتَ من اللذات هَمَّك بهذه الفضيحة .

ورأى طبيباً جاهلاً ، فقال : هذا مُسْتَحِثٌ للموت - أي يَعْجِلُ بِنَعْلَجِ الْمَوْتِ .

خاورس

قيل له : توفي مانيدس . فقال : الويل لي ! قد ضاع مسن عقلی .

وطارح تلميذاً له مسألةً ثم قال له : أفهمت ؟ قال : نعم ! قال : كذبتَ . قال : و بم عرفت أيها الحكمي ؟ فقال : لأن دليل الفهم السرور ، ولم آرك سررتَ .

وقيل له : فلان يثني عليك ويُحسن القولَ فيك . فقال : لا جَرَمَ ،
لأحقنَّ قوله .

وقال ^(١) : يجب أن نسمع من الحكمة أكبر ما [أن] نتكلم به منها ، ونختار ذلك على الكلام بها . فسئل ^(٩٥) عن معناه في ذلك ، فقال : إن الله تعالى خلق لساناً واحداً وأذنين لنسمع بهما من الحكمة أضعاف ما نتكلم به .

انقطيطوس ، غلام سقراط

افتخر عليه بعض أهل عصره بكثرة ماله ، فقال له : لا تَبْدَدْخُنْ بفضيحة غريبة منك كحُسْنٍ فرسك ، فإن ذلك محتمل للفرس أن لو قال : أنا حَسَنٌ . فأما لو قلت إن فَرَسِي حَسَنٌ لقلنا إن الحسن للفرس . فأنت منه معلوم ^(٢) أنك

(١) ل ، م : وكان يجب أن يسمع ...

(٢) غ : للفرس فمن أنت معلوم . م : معلوم .

تفخر بصورة . فإن كنت ت يريد أن تفخر بالصورة فاترك الصورة الخارجة عن طباعك ، وافخر بالصورة التي في طباعك ، فإنك تكون حينئذ تفخر بفضيلة هي لك .

ثارغافس

قال : لا تسأل الله تعالى شيئاً هو لك ، لأن الله تعالى يعطي كل إنسان ما يكفيه عن غير مسألة منه . ولكن اطلب ما ليس لك وهو أن يقنعك بما لك . ونظر إلى ميت يُحْفَر له فقال : انظروا إلى حبيب بنقله أحبابه إلى حبس الأبد .

وقال بعض من عزاه من الملوك : إن كنت ^(١) لنزول الموت بمن كنت له محبآ ، كارهاً – فلطالما نزل بمن كنت له مبغضاً قاليا .

وقال : ليس العلم بمنزلة الطعام الذي يشبع منه اثنان وثلاثة ، ويعجز عن الكثير ، بل كالنور الذي يضيء للعيون الكثيرة بحال واحدة .

فيذروس ^(٢)

قال : الموسيقى رياضة لأبناء الفلاسفة لأنها ^(٣) تدرجهم وتشوّقهم إلى سائر العلوم ، لأن باطنها لَهُوُ العقول ، وظاهرها لَهُوُ الحواس ^(٤) .

وقال : الهوى للطبيعة ، والرأي للنفس .

(١) غ ، م ، ك : لترحل الموت لمن ...

(٢) غ ، م ، ك : لأنه ... باطن ... ظاهره ...

(٣) م : فيذروس . ك : فيرس .

(٤) م : الحس .

وركب مع قومٍ سفينةً — وكان ينسب إلى مخالفة أهل زمانه في أمر الدين — فأشرفت السفينة على الغرق . فقال أهلها : ما أعظم كفرك يا فيندروس ! إذْ أصابنا هذا بسببك ، وما هو إلا للكفرك . فقال : ما أَهْوَنْكُمْ على الله (١) ، إن كان لا يُفْيِي على كثرةكم لکفري !

فيلاسطوس (٢)

رأَاه حَكِيمٌ سَكْرَانَ . فَأَقْبَلَ يَلْوِمُه وَيَعَاذُه وَيَقُولُ لَهُ : أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَسْكُرْ ؟
فَقَالَ لَهُ : أَمَا تَسْتَحِي أَنْ تَلُومَ سَكْرَانَ وَتَعْظِيْه ؟ !

وَقَالَ : إِذَا رَأَيْتَ كَلْبًا تَرَكَ صَاحِبَهُ وَتَبَعَّكَ ، فَارْجُمْهُ بِالْحَجَارَةِ ، فَإِنَّهُ تَارِكٌ كَمَا تَرَكَ صَاحِبَهُ .

نيفورس (٣)

كَانَ رَأَى رَجُلًا شَرَهَا حَرِيصًا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ (٩٦) فَقَالَ لَهُ : أَمَّا شَرَهُكَ فَشَرَهٌ مِنْ لَا يَنْقُضُهُ عُمْرٌ ؛ وَأَمَّا حَرِصُكَ فَحَرِصٌ مِنْ لَمْ يَنْقُضُهُ مِنْ عُمْرٍ شَيْءٌ .

وَقَالَ : يَجِبُ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَ مَعْرُوفًا إِلَى رَجُلٍ أَنْ يَنْسَاهُ مِنْ سَاعَتِهِ ، وَعَلَى مَنْ أَسْدِيَ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذِكْرَهُ نُصْبَ عَيْنِهِ .

وَقَالَ : الْحَسْدُ بِمَتْزَلَةِ الصَّدَأِ الَّذِي يَأْكُلُ الْحَدِيدَ حَتَّى يَفْنِيهِ ، كَذَلِكَ الْحَسْدُ يُمْرِضُ الْحَاسِدَ حَتَّى يَضْنِيهِ ، وَالْمَحْسُودُ قَارٌ نَائِمٌ .

(١) م ، ك : الله أيضًا .

(٢) م ، ك : فلاسطوس .

(٣) بالفاء في م ، وبالكاف في ك .

طيلاما خس

قال : ليس ينبغي أن تروم من وضع في نفسه أن لا يقبل شيئاً من الأدب القبول له ، وذلك أنه لا يقاد إلا للامتناع من الانقياد .

ورأى إنساناً يزعق ويصرخ من كربة كانت به ، فأجابه قائلاً له : (لو) ^(١) عنيت بأن تعلم كم كربة في هذا العالم إذن ^(٢) لأمسكت عمّا أنت عليه وسكتَ عن صراحتك هذا وشيئاً .

نسميون ^(٣)

قيل له : متى يكون اضطراب شديد في جميع الناس ؟ فقال : إذا خالف جميع الناس بعضهم بعضاً .

آروس

وليَ ولايةَ ، فقال له أصدقاؤه : الآن يظهر فضلك . فقال : ليست الولاية تُظْهِر فضلَ الرجل ، بل الرجل يُظْهِر فضلَ الولاية .

اسخينس

شتمه إنسان . فَحَلَّمَ عنه وقال : لا أدخل في حرب الغالبُ فيها شرُّ من المغلوب .

(١) لو : ناقصة في النحو كلها .

(٢) غ : إن . وفي م ، لك ناقصة .

(٣) م : بسمون . وبدون نقط في لك .

وَسُلْطَلِ : مَنْ أَحْسَنَ النَّاسَ صُورَةً؟ فَقَالَ : أَبْسَهُمْ لِلْفَضْيَلَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَقَيلَ : وَمَا الْفَضْيَلَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ؟ قَالَ : الْحِكْمَةُ، وَالْفَقْهُ، وَالنِّجَادَةُ، وَالْعَدْلُ فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ.

وَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُفْرِطَ فِي الظَّرَافَةِ^(١) وَحُسْنِ الْخَلْقِ وَالْمَلَقِ ، لَثْلَاثًا يُؤْكِلُ فِي سَمْتِهِ ، أَوْ يَجْتَرِيُ عَلَيْهِ كُلُّ إِنْسَانٍ ، وَيَأْنِسُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ . وَلَا يَتَجَاهِزُ الْحَدَّ وَالْمَقْدَارَ فِي الْكَزَازَةِ وَالْفَظَاظَةِ وَالصَّلْفِ فَيَعْدَ بَغِيَاضًا ، وَلَكِنْ لِيَكُنْ فِي الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا مُتَوْسِطًا .

انكسوس

قَالَ : يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ إِذَا نَظَرَ إِلَى سِمَاجَةِ مَا عَلَيْهِ السُّكَرَانَ أَنْ يَنْقُصِ السُّكَرَ ، فَإِنَّهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَقْدِرَ لِنَفْسِهِ الْمَقْدَارَ الْمُتوْسِطَ مِنَ الشَّرْبِ .

وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالضَّبْطِ (٩٧) لِنَفْسِهِ . وَمَنْ عَادَتْهُ إِذَا نَامَ أَنْ يَضْعِفَ يَدَهُ الْيَسْرَى عَلَى سُرْتَهُ ، وَالْيَمْنَى عَلَى فَيْهِ – وَيَدِلُ (بِذَلِكَ) أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَحْفَظَ فَرْجَهُ وَلِسَانَهُ .

انبريوس

قَالَ : إِذَا خَبَثَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضَرَّتِ ، وَنَفَقَتِ الرَّذَائِلُ وَنَفَعَتِ ، وَصَارَ خَوْفُ الْمُوْسِرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْفَقِيرِ .

(١) م ، ل : الظَّرْفُ .

اومنوس^(١)

قال : إذا اعتاد الضميرُ الفراغ جسا^(٢) عن الفكر .
وقال : تفكّر في الخير لتعمل به ، وتفكر في الشر لتهرب عنه .

سوفقليس

قال : كما أن الحكمة لذريدة عند من يفهم مِمَّن يسمعها ، وكلمة الجاهل
بشعة بغية — كذلك الفعل الجميل يحبه ذو الفهم ، والفعل الرديء يستسمجه
ويبغضه .

وقيل له : ما الفلسفه ؟ قال : هم الذين عند العقلاه كالآلهه ، وعند
الجهال كالناس .

اسونس

أُسِر ، فقال له رجل " أراد شراءه : أريد أن أشتريك . فقال : كيف
تشترني بعد أن اتخذتني وزيراً ؟ وقال له : أهرب مني وأنا أشتريك ؟ فقال :
إن أصبتك رجلاً صالحًا رحيمًا لم أهرب منه ؛ وإن أصبتك على خلاف ذلك
هربتُ من ساعتي .

بياور سطس الملك^(٣)

أَمَرَ بِصَلْبِ رَجُلٍ قَدْ كَانَ حَلٌّ عَلَيْهِ الصَّلْبَ . فَأَصْعَدُوهُ إِلَى التَّلِ الَّذِي

(١) م ، لك : او فيوس .

(٢) م : حبا . لك جبس .

(٣) م : بياهولتس . غ: ثيافرسطس .

كان في المدينة . فقال المصلوب ملن معه من الناس – وكان أحضر الناس نادرةً : يا هؤلاء ! ان هذا الذي أنا فيه من أعجب الأمور . قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : « الناس كاهم إذا ماتوا أحذروا في جوف الأرض ، وأنا وحدي ، لعظم بلائي وشقاوة جسدي ، يصعدون بي فوق الأرض إلى الموت ». فضحكوا من قوله . واتصل ذلك بالملك ، فعفا عنه ونقله إلى عنده . وقال له : كيف قُلت ؟ فأعاد عليه ذلك ، فخلّ سبيله .

ما سر جس

قال : من طلب العلم لرغبة أو منافسة أو رهبة أو شهوة ، كان حظه من الرغبة بمقدار الرغبة ، وحظه من الرهبة على مقدار حق الرهبة ؛ ومن طلبه ^(١) للمركمة ولفضل الاستبانة كان حظه بقدر كرمه ، والاستمتناع به على قدر استحقاقه في نفسه .

مورون السوفسطائي

قال : شيخوخة البدن هي متنهى النفس . فقيل له : النفس تأباه ، أم البدن يتنهي عنه ؟

قال : المعينان يعرضان معاً من غير تقديم ولا تأخير .

اير مسلدس

قال : إن النفس بَرَّةٌ رحيمة ، فمن أجل ذلك هبطت إلى الطبيعة وأعانتها

(١) م ، غ : طلب مكرمة .

وخلّصتها من دعوى هذا العالم ، كما قال فيثاغورس إن للطبيعة مولاً^(١) (هي) التي اعتقدتها ، يعني النفس .

فorus

سئل : أي شيء يسمى الدابة ؟ فقال : عين صاحبها .

وسئل عن أحسن شيء في العالم ، فقال : حُسْنُ الدَّكْرُ .

وسأله الإسكندر : أين ^(٢) الشعر من الحكمة ؟ فقال : إن أردت المَلَقَ وحلوة المنطق فالشعر ؛ وإن أردت صحة الكلام وصدق المنطق فالحكمة ، وذلك أن المَلَقَ حلوٌ ، والحق مرّ .

فلسطين

قال : العجب أن شرارة المرأة تدعوا أباها إلى الاحتيال لاخراجها من بيته وقد شقي بتزيينها وتجهيزها بماله ، التماساً للراحة منها . والذي تُنْقَلُ إليه يدخلها منزله وهو فرح بها .

وسُئِلَ عن أعم الشيء في العالم نفعاً ، فقال : فقدان الأشرار .

وسُئِلَ عن الدهر فقال : هو مدة الدنيا .

وقيل له : ما الخزم ؟ فقال : أن تخذل ما يمكن كونه قبل كونه .

قيل : فما العجز ؟ قال : أن تؤمن ما يمكن كونه .

(١) هي : ناقصة في غ ، م .

(٢) غ. : أي .

وهما اثنان : أكبر ، وأصغر . إلا أن تمييز كلاميهما متعدد .

نظر إلى إنسان قد صَرَفَ همته كلها إلى إصلاح ضياعه ، فقال له : إن لم تهلك هذه الضياعة ، أهلكتك .

وقال : الذين يستمدون نسائهم بالحلي والكسوة الحسنة إنما يعلمونهن محبة الأغنياء ، لا محبة الأزواج .

ونُعي إليه ابنه ولم يكن (له)^(١) غيره . فقال : لم يذهب ذلك على : إنما ولدت ولدًا يموت ، لا ولدًا لا يموت .

وقال : لا تخَفْ موت البدن ، ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس . (٩٩) فقيل له : لِمَ قلت : « خَفْ موت النفس » والنفس الناطقة عنده لا تموت ؟ فقال : إذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق إلى حد البهيمية – وإن كان جوهرها لا يبطل – فإنها قد ماتت من (حيث) العيش العقلي .

وقال : أعطِ الحق من نفسك ، فإنك إن لم تُعْطِه كان الحق خصمك .

وقال : محبة المال وتد الشر ، لأن سائر الآفات تتعلق بها . ومحبة السَّرَف^(٢) فيه وتد العيوب ، لأن سائر العيوب متعلقة بها .

وقال : أكثروا من الإخوان ، فإن الإخوان شفاء الأنفس ، كما ان الامراض سقام الأبدان .

وقال : كُنْ بما تأتي من الخير مسروراً ، ورمِّما تجنب من الشر محبوباً ، فإنَّ مَنْ فرح بشيء كَرِه مفارقه .

(١) له : ناقصة في غ ، م ، ك .

(٢) م ، ك : الشرف .

بلوطيس

قال : ينبغي لمن يعلم الأحداث (أن يعلمهم^(١)) التعاليم ليتعودوا أن يقيموا في أنفسهم ما لا جسم له .

وقال : العمى أصلح وأفعع للإنسان من الجهل ، لأن ما يضر العمى صاحبه أن يلقيه في بئر ، والجهل وترك الأدب يلقي صاحبه في سكرات الموت مستوحشاً من لقاء ربه في الآخرة .

اسقراطيس

صاحبَ رجلاً موسراً معروفاً بكثرة المال . فوقعوا في أيدي قطاع الطريق ، فقال الغني الموسر : الويل إن عرفوني . وقال اسقراطيس : الويل إن لم يعرفوني .

وقال : المالك للشيء هو المتسلط عليه بالحقيقة . فمن أحب أن يكون حُراً فلا يَهْمُو ما ليس له ، وإلا صار عبداً .

وقال لتلامذته : إن الدنيا غير باقية لأحد . مما كان فيها من خيرٍ فبادروا فيه وافترضوه ، وما كان فيها من شرٍ فاهربوه منه واجتنبوه واحذروه وادخرعوا من هذه الفانية ذكرأ حسناً باقياً .

وقال : اقنعوا بالقوت ، وانفروا عن أنفسكم الحاجة لتكون لكم قربة إلى الله تعالى ، لأن الله غير محتاج . وكلما احتجتم أكثر ، كنتم منه أبعد . واهربوا عن الشرور والآثم . واطلبوا من الخيرات الغايات .

وقال : ينبغي للمرء أن يكون في دنياه كالمدعوا إلى وليمة إذا أتاه مناولٌ

(١) غ ، م ، ك : الأحداث التعاليم .

بالكأس يتناولها (١٠٠) فإن جازت لم يقصد طلبها ، كذلك يفعل بالأهل (٢) والمال والولد .

وقال : السنة حسنة ، والحكمة أحسن منها (٣) ، لأنها تفهمنا - أعني السنة - على ترك المأثم ، والحكمة تفهمنا صواب ترك المأثم .

وقال : إن أحببت أن لا تفوتك شهوتك ، فاشتَهِ ما يليق بالحكيم من يشهيه .

وقيل له : لِمَ لا تسْنُّ السُّنْنَ والشَّرِائِعَ ؟ فقال : إنْ عَمِلَ النَّاسُ بِمَا عندهم مما تقدّم منها ، اكتفوا به .

وقال : الدنيا غير باقية على أحد . فإذا كان خيرًا فاصطفوه ، وإذا عدم ذلك فاجتهدوا أن تُبْقُوا من الذكر أحسنـه .

(+ وقد ذكر موسى عليه السلام عنده (٤) فقال : نحن معاشر اليونانيين أقوام مهذّبون ، لا حاجة بنا إلى تهذيب غيرنا (إيانا) +).

مسلو س

قال : ما أشدّ اغتمامي بالغنى الباطل الذي يتعب فيه الناس من السهر في الأسفار والطرق ، ومسيرهم في أمواج البحر ، ومخاطرتهم بأنفسهم ، وحملهم إياها على الموت ، وتغربهم وتباعدهم وجمعهم الأموال التي لا يعلمون من يرثها بعد وفاتهم ، وتركهم الغني فيما يكسبهم في الدنيا جميل

(١) غ ، م ، ك : لم ير صديقاً (!)

(٢) م ، ك : في .

(٣) ك ، م : أفضل .

(٤) غ : عنه .

(+) غير موجود في ك ؛ موجود في غ ، م .

الوصف ، وفي الآخرة اللحاق بطبقة الملائكة الذين لا يحزنون ولا يغبون^(١) ، ومع ذلك فإنهم يتركون اكتساب الكنوز المحمودة من الحكمة التي لا ينالها فقر . وإن أرادوا منافع أصدقائهم نفعهم بها . وإن ورثوهم إياها صارت معهم ولم تختلف عنهم . والعلماء شهود^(٢) على ذلك ، إذ يقولون إن فلاناً توفي وبقيت حكمته .

انطياخوس

قال : رأيت بهيكل ايضي^(٣) جارية حسنة الساعد ، فقلت لها : ما أحسن ساعدك يا جارية ! قالت : أجل ! ولكنّه لمن خُصّ به ، لا للعامة . فغضّن بصرَ جسمك عما ليس لك ، حتى ينفتح لك بصرُ عقلك فترى به ما لك ، وما ليس لك .

وقال السطس^(٤) : سمعت امرأة في هيكل ايضي^(٣) تقول بجارية لها : قد أغضبني^(٥) يا جارية ! ولو لا أن يستفزني الغضب لأوجعتك ضرباً . وقالت مارية^(٦) الحكيمية لإخواتها : ليكُنْ فرحاكم في الدنيا بما تدّخرون ، لا بما تبقونه لغيركم .

خادافرن

قيل له : لم صرّنا نُسرَ بالنظر إلى الإنسان الحَسَن ؟ قال : إن هذه مسألة الأعمى^(٧) .

(١) غ : يغبون .

(٢) م ، غ ، ك : شهودك .

(٣) غ : الثنبي . والمقصود الإلالة الثنبيه ، بلاس أثينيه إلهة الحكمة Pallas Athene

(٤) غ : السطس .

(٥) غ : المارية .

(٦) غ ، م : أعمى .

وقال له رجل : إنك وضيع الجنس : فقال : الورُدُ يَخْرُجُ من الشوك ،
ولا يضرُه ذلك .

فينوس

قيل له : بأي شيء صرت مقبول القول في قومك ، مُمْتَشِّلُ الأمر في
 أصحابك ؟ فقال : لأنهم رأوني أقصد العدل ، وأخلطه بالفضل ، وأبدِيه
بالإحسان ، وأعيده بالشكر .

نيفايون ^(١)

قيل له : من صديقك ؟ قال : الذي اذا صرت إليه في حاجتي وجده
أشد مسارةً إلى قضائهما مني إلى طلبها منه . قيل له : هذا عزيز ! فقال :
العزيز يطلب العزيز وإن لم يَجِدْ .

براطولس

قيل له : ما تقول في شرب الخمر ؟ فقال : قليلها دواء ، وكثيرها داء ،
وهي بالمشايخ ^(٢) أولى بها من الشباب .

نيفالوس

قيل له : ما الموت ؟ قال : نِعْمَ الوارد لولا فُرْقة الأحبة وما يتواعدنا به
الإله ^(٣) من العذاب .

(١) م : بقايون .

(٢) م ، ك : بالمشايخ أليق منها بالشبان .

(٣) م : الاهية .

قال : إن أكثر الآفات تعرض للحيوانات من قبل أنها لا يمكنها الكلام ، وأكثرها يعرض للإنسان من قبل الكلام .

وسئل : لم تزوجت امرأة قصيرة ؟ فقال : إذا كنت مضطراً إلى شيء الرديء ، فإنما ينبغي أن أختار من الرديء ما يصغر ، لا ما يكبر .

كسافر سطس^(١)

شهد مجلس الإسكندر . فسمع رجلاً يكثُر الكذب في أحاديثه ولا يختمه في مجلسه ، فقال للملك : أيديري الملك ما الذي يربح هذا من حديثه الكاذب ؟ يقول إذا حدثكم مرةً أخرى فكذّبني ، ولا تصدّقوني .

ونظر إلى مصارع يصارع آخر فلا يقدر أن يصرعه ألبته ، وهو مع ذلك مجاهد ، فقال : لو صرفت شدتك إلى أن تصارع بها هواث وتغالب (١٠٢) بها غضبك ، كنت شديداً^(٢) محموداً ومصارعاً فاضلاً .

وقيل له : ما بالك لم تغضب عند شتم فلان إلياك ؟ فقال : لأن فلاناً لم يشتم إلا نفسه^(٣) فإنه بذلك أظهر جهله ، وأنا مُظْهِر حلمي فلم تغضبني فضيلة ظهرت لي .

قيل له : فلم ضحك حيث بُصِقَ في وجهك ؟ قال : كما يحسن الشجر والزهر في الطل ، كذلك نَبَلْتُ وعظمت وجلت حكمتي عند بصق هذا الرجل (في) وجهي .

(١) م ، ك : كسافر سطس .

(٢) غ : شديداً .

(٣) م ، ك : فإن بذلك جهله ..

بندارس

قال : إنني لأعجب من الذين يرفضون القبيح قوله ، ويطلبونه فعلاً ، ويتشوقون الجميل قوله ويهربون منه فعلاً ، كما يهرب من القبيح .

اسانس

سأله رجل ، أراد شراءه ، عن جنسه ، فقال : لا تبحث عن جنسي ، وابحث عن عقلي .

وسئل : كم مقدار طعامك ^(١) في اليوم ؟ فقال : قدر ما يُصبح حواسِي للإدراك ، ونفسي للتفكير .

وسئل - وقد احتضر - : كم سنة عشت ؟ فقال : هذا الوقت الذي أجيكم فيه . فأما ما مضى فكان لم يكن .

ثانيدوس

قال : إن من أحسن بأنه يموت فليس له أن يفهم لأمرٍ صعب يعرض له ، لأنَّه لا يمكن أن يتوهَّم الحَيَّ ما هو ^(٢) أصعب من الموت .

وقال إنه يمكن أن يسكن في بيت واحدٍ مائةَ رجل ؛ فأمّا أمر أثاثِ بَكَدْ ^٣ يمكن أن تسكننا في بيت واحد .

وقال : إن بلغك عن أحدٍ أنه ^(٤) حكيم عَدْلٌ خير ، ثم بلغك بآخرة أنه

(١) م ، ك : طمك ..

(٢) غ : على ما ..

(٣) غ ، م ، ك : أن .

ذو امرأة ، فأنخرج مِنْ نفسك جميعَ ما سبق إليها منه .

ديمستانس

سئل عن الإنسان فقال : هبُّ نارٍ يحيط به الماءُ والريحُ من كل جانب .

وووجهه ^(١) الإسكندر راقداً في ظلّ شجرة قد أثقله النوم . فدنا منه ، وركله برجله . فوثب مذعوراً واستوى جالساً ونظر إلى الملك قائماً على رأسه فقال : لقد رَوَّعْتَني أيها الملك ! فمالي ومالك ؟ ! فقال له : قُمْ أيها الحكيم فقد فتحت مدینتك . فقال له : إن فتح المدن لا ينكر للملوك فإنه من عملهم ؛ فأما المراكلة فإنما هي من عمل الدواب . فعليك ، أيها الملك ، بطبعية الملوك ، ودع ^(٢) (١٠٣) عنك طبيعة الحمير . فضحك الإسكندر وقال : قد أسانا إليك ، فما الذي يرضيك عنا ؟ فقال له : الذي يرضيني عنك قلةُ رضاك عن نفسك في قولك ما الذي يرضيك عنا ؟ فقال له : ما أحسن قولك ! فقال : أيها الملك ! رُبٌ إساءةٌ كانت بسبب إحسان ؛ ورُبٌ إحسانٌ كان علةً إساءة ، ولأن العالم مختلطٌ ملتبس زاحم الخيرَ الشرُّ ، وداخلَ الحلوَ المرُّ ، وجرى مع النفع الضُّرُّ .

وسئل : ^(٢) كم مقدار ما تتغذى من الطعام في اليوم ؟ فقال : ما تتحمله عبني ، أي ما لا تُظلم به نفسك .

وسئل : بأيِّ الحيل أدركت من العلم ما قَصَرَ عنه غيرك ؟ قال : لأنني أنفقت في ثمن الزيت ما أنفقه غيري في ثمن الخمر .

وقال : لكل رجل منا مزودان ^(٣) : أحدهما بين يديه ، والآخر خلفه .

(١) هذه الحكاية تنسب فيسائر المصادر إلى ذيوجانس ، لا إلى ديمستانس هذا .

(٢) غ : وسئل له مقدار .

(٣) م : مزدان .

فالذى بين يديه مملوء من عيوب الناس ، والذى خلفه مملوء "عيوب" (١) نفسه .
فلذلك يرى عيوب الناس ، ولا يرى عيوب نفسه (٢) .

وسئل : أين مسكن الفضائل ؟ فقال : في أنفس الحكماء .

وقال : كما أن الذباب يدع (٣) صحيح الجسد ويقع على قرحة ، كذلك
الأشرار يدعون حasan الناس (٤) ويدركون مساوئهم .

ورأى شاباً جميلاً قليلاً الأدب ، فقال له : سلبت محسنـ جمالك (٥)
فضائل نفسك .

داو تاليون

قال : إن لم (٦) يتهيأ لك البلوغُ في العلم من ناقصه نفسك مبلغَ العلماء ،
فيينبغي لك أن تستغنى بعنانهم ، وذلك أنهم قد خلّفوا لك خزانَ العلم في
كتبهم فافتتحها وأغنِ نفسك بها ، ولا تكون كأعمى في يده جوهرة وهو لا
يعرف جنسها .

ذميقوس

سئل عن شيخ يتزوج ، فقال : من لا يقدر على السباحة في البحر – كيف
يحمل آخر في ظهره ؟ !

(١) م : عيوبه .

(٢) غ : نرى ... ولا نرى عيوب أنفسنا .

(٣) ع : يقع .

(٤) م ، لك : الانسان ... ماؤه .

(٥) م ، لك : وجهك .

(٦) لم : ناقصة في غ .

وسائل : ما المرأة الحسنة ؟ فقال : الخسارة الدائمة .

وسائل : ما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبوابهم ؟
قال : لمعرفة العلماء بفضل الغني ، وليجهل الأغنياء بفضل العلم .

وسائل : أيماً أمثل : طلب العلم ، أم طلب الغنى ؟ قال : أما^(١) لنعمة الدنيا فالغنى ، وأما للنفس فالحكمة . وقد نرى الحكماء يأتون أبواب الأغنياء ليجمعوا^(٢) الشيئين جميعاً .

لاقن^(٢)

ظلّمه إنسان وغضبه⁽⁺⁾ على حق كان في يده ، فشدّ عليه فعضه^(٣) . فقال له : فعلت كما تفعل النساء ! فقال : بل فعلت كما يفعل الأسد .

وكان أعرج . فصار مع قوم إلى الحرب . فقيل له : تصاف في الحرب وأنت أعرج ؟ ! فقال : هل يحتاج في الحرب إلى من يهرب ، أو من يثبت ؟ !

وبين ، فسأله المشتري : أي شيء تعلم ؟ قال : أعلم أنّي حُرّ .

أرون الملك

سؤال أرون الملك^{*} ثيافندوس^(٤) الفيلسوف : ما حقيقة الصدق ؟ قال :

(١) أما : ناقصة في م ، ك .

(٢) م : لاقن .

(+) ك : وغضبه .

(٣) م : بغضه .

(٤) م ، ك : ساميديس . - ولعله ساقنوس Secundus ، ويكون الملك حينئذ : ادريانوس .

إنسان هو أنت إلاّ أنه غيرك ؛ حيوان غير موجود ؛ اسمٌ على غير معنى .
وذكر أن رجلاً فاخر إسحقَ بن ابرهيم الموصلي ، وكان إسحق أصله من العجم ، فقال له : هاتِ للعجم اختصاراً لاسم الصديق + وتبينناً لحقيقة معناه ، كما قال حكيمنا وفيلسوفنا : « إنسان » هو أنت إلاّ أنه غيرك ». قال إسحق : هذا هو الثورية في طوها . بل سُمّي الصديق عند العجم : « دوست » أي هو واحد في الذات ، اثنان في الحقيقة والاسم ^(١) .

موسريوس

قال : فكّروا أن اللذة مشوبة بالقبح . ثم فكّروا في انقطاع اللذة وبقاء الذكر القبيح .

وشُتِّمْ وقدُفْ بكلامٍ قبيح سمج فسكت وحلم . فسئل عن ذلك ، فقال : ما أظنكم تَخْسِبُونْ أني سمعت قط من الجبل صوت الخطاف ، ولا صوت الطيطوي ؛ بل قد سمعت ذلك ، فلذلك صرْتُ لا أنكر ولا أضطرب إذا سمعتُ من كل جنسٍ ما يصوّت به بطبعه .

* افليمن

سئل عن العشق ، فقال : هوَ مرضٌ يحدث في الروح ، جالبه النظر ، ومسكه القلب ، ومهيجه الفكر .

(+) الصديق : ناقصة في غ .

(١) يتلاعب الموصلي هنا بكلمة « دوست » الفارسية ، في يريد أن يشتقها من « دو » = اثنين ، وست (= است) : يكون . ودوزت : الصديق ، الحبيب ؛ دوست داشن : يحب ؛ دوست شدن : يصادق ، يعقد أو أصر الصداقة مع ؛ دوستي : صداقة ، حب .

وقال : أَفْضَلُ الْمُلُوكِ مَنْ مَلَكَ شَهْوَتَهُ ، وَلَمْ يَسْتَعْبِدْهُ هُواهُ .

وقال : مَا أَقْلَى مَنْفَعَةِ كُثُرَةِ الْمَعْرِفَةِ مَعَ سَرَفِ الطَّبِيعَةِ وَغَلْبَةِ الشَّهْوَةِ ! وَمَا أَكْثَرُ قَلَةِ الْمَعْرِفَةِ مَعَ اعْتِدَالِ الطَّبِيعَةِ وَضَبْطِ^(١) الشَّهْوَةِ !

وقال لِأَصْحَابِهِ : عَامَلُوا الإِخْرَانَ بِمَحْضِ الْمُودَّةِ ، وَالرَّعْيَةِ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسَّفَلَةِ بِالْمُخَافَةِ وَالْإِسْتَخْفَافِ .

سافر سطس^(٢)

كَانَ لَا يَقْبِلُ هَدِيَةً (١٠٥) أَحَدٍ . فَقَالَتْ لَهُ أَمْرَأَةٌ : إِذَا كُنْتَ لَا تَقْبِلُ مِنْ يَعْطِيكَ ، فَبِالْحَرَيِّ إِذَا طَلَبْنَا لَمْ نَجِدْ مِنْ يَعْطِينَا . فَقَالَ لَهَا : إِذَا لَمْ نَأْخُذْ مِنْهُمْ عِنْدِ الْاسْتِغْنَاءِ ، فَبِالْحَرَيِّ أَنْ يَعْطُونَا عِنْدِ الْحَاجَةِ .

وقال : الْعِلْمُ جَهَنَّلُ الْجَاهِلِ ، وَالْجَهَنَّلُ عِلْمُ الْعَالَمِ .

وقال : الْوَاجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَدَارِيَ الْمُتَسْلِطِينَ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْلِمُ ، وَأَنْ يَدَارِيَ الْعَلِيلَ حَتَّى يَصْحَّ . وَيَدَارِيَ الْمَرْأَةَ لِيَنْعَمُ .

كسانو قراطيس

لما قرأ شعر أوميروس ورأه يذكر أن اقسطس^(٣) كان أعرج ، وأن البخت كان أحول – قال: إن كان البخت هو الذي ييرئنا ، فلیم لا يُبُرِّئُ نفسه ؟ !

(١) غ ، م ، ك : غلبة .

(٢) ك : سافر طس .

(٣) بالقاف في ك .

وسأله إنسان : كيف ينبغي أن يكون الرجل الفاضل ؟ فقال : أن يكون غير شبيهٍ بك .

انطليانس^(١)

مدحه رَجُلٌ شريرٌ ، فقال له : ما أحوجني أن أكون قد فعلت شرآً إذ كنت قد استحسنت مني شيئاً .

وسأله تلميذ له : بماذا أعلم أنني قد صرت حكيمًا ؟ قال له : إذا أحسست في نفسك أنك لا تفرح بعذاب الناس إليك ، وأنك لا تغمض بدمتهم لك – فقد صرت في طريق الحكماء .

وسُئِل عن أهون الأشياء عليه ، فقال : لائمة الجھاں .

أناخر سيس

قال : النفس تحتاج في احتمال الوجع والموت إلى قوة : وذلك أن كثيراً من الناس قد يعزّم على الصبر في الشدائـد ؛ فإذا وقع فيها جبـنـ وخار .

وقال : الكرمة تحمل ثلاثة عنايد : الأول عنقود لذة ، والثاني عنقود سکر ، والثالث عنقود سفة .

وقال : إنه من القبيح أن يتولى امتحان الصناع مـنْ ليس بصانع .

ويحكى عنه قوله في السفينة : ليس بيننا وبين الموت إلاّ أصبعان .

وقال لأصحابه : اعملوا فيما تقييمون به دينكم كالشيء الذي لا تجدونه .

(١) م : انطليانس . ك : انطananس .

وقال : من شرع له الخير فليعابجه ، فليس الغنى بمعذور ، ولا المسكين
يعلمون .

ولما قدم بلاد اليونانيين أتى متزل سولون ، فقال لغلامه : قُلْ مِوْلَاكْ :
على الباب رجل ي يريد أن يُضيّفك . فأبلغ الغلام سولون ذلك ، فقال : قل له
اذا يُضيّف ^(١) صاحب متزل الطارئين . فقال : فإذا قد حكمت بهذا الحكم
فاعمل به .

(١٠٦) طيّمطوس

خطب أهل آثينية ، فأرادوه أن يرفع صوته ، فقال : أيما ^(٢) أصلَبْ صوتاً :
النحاس ، أو الحديد ؟ قالوا : النحاس . قال : وال الحديد أقطع .
وسائل : أي شيء رأيته في مجتمع اليونانيين أَعْجَبْ ؟ فقال : العلماء
يتنازرون ^(٣) ، والجهال يَقْضُون .

أناخوس الصقلبي

حضر مجلساً للحكماء . فجرت بينهم مناظرة . فقال له بعض من حضر :
اسكت يا ابن الصقلبية ! فقال انوخس ^(٤) : أما أنا فعاري جنبي ، وأما أنت
فعار جِنْسِيك .

وسائل : ما الحفاظ ؟ فقال : أن يتحفظ الرجل في أمور من . كان له

(١) غ : نصيف صاحب متزل الطالبين (!)

(٢) أيما : ناقصة في م .

(٣) غ : ينظرون .

(٤) م ، لك : انوخوس .

صديقاً ، ولا يفتر في جليلها ، ولا يقصّر في صغيرها .

وقال : اعملوا فيما تقيمون به دنياكم كالشيء الذي لا تفارقونه ، وفيما تصلحون به معادكم كالشيء الذي لا بدّ من تزوده .

وسيُشَل عن الحياة والخوف ، فقال : الحياة تقية ، والخوف بغضة ؛ فليكثر حياؤكم ولقل خوفكم .

وقال : افعل من الخير ما أمكنك ، فإنه لشرفه يعز مطلبـه . وتنقـ الشـ^(١) فإنـك تقدر عليهـ في كلـ وقتـ مطلبـه .

أيسوريس

قال : يقال إن الإنسان خير في الطبقة الأولى إذا كان استخراجـه للأمور الجميلة بطبعـه ومن تلقاء نفسه . ويقال : إنه خير في الطبقة الثانية إذا كان قابلاً للأمور الجميلة^(٢) إذا عرفـها .

فرسـطرـ خـسـ

سئلـ : أيـ شيءـ أصعبـ علىـ الإنسانـ ؟ فقالـ : أنـ يـعـرـفـ عـيـبـ نـفـسـهـ ، وـأنـ يـمـسـكـ عـمـاـ لاـ يـبـغـيـ أنـ يـتـكـلـمـ بـهـ .

وقيلـ لهـ : كـيـفـ تـرـىـ ابنـكـ ؟ قالـ : إـذـاـ كانـ صـاحـيـاـ فـعـلـيـ ماـ أـحـبـ ، وإـذـاـ كانـ سـكـرـانـ فـعـلـيـ ماـ يـحـبـ النـيـذـ .

ونـظرـ إـلـىـ مـيـتـ يـنـقـلـ إـلـىـ قـبـرـهـ ، فقالـ : هـذـاـ رـبـ بـيـتـ قدـ نـقـلـهـ أـهـلـ بـيـتـهـ إـلـىـ حـبـسـ الأـبـدـ .

(١) مـ ، كـ : للـشـرـ .

(٢) غـ : أوـ عـرـفـهاـ .

طيفن (١)

فـيـل لـه : لـم صـرـت تـسـيء القـوـل فـيـ النـاس ؟ فـقـال : لأنـه لـيـس يـمـكـنـي أـنـ أـسـيـء إـلـيـهـ بـالـفـعـل .

وـقـال لـه جـاهـل ، كـانـ مـعـهـ فـيـ صـحـراءـ : أـمـاـ تـرـىـ مـاـ أـحـسـنـ هـذـاـ المـوـضـعـ وـأـنـزـهـهـ ؟ !

فـقـال لـه : ذـلـكـ لـوـ لمـ تـحـضـرـ .

فيـلـنـ

خـطـبـ إـلـيـهـ رـجـلـ (١٠٧) اـبـتـهـ . فـامـقـنـعـ عـنـهـ . فـسـئـلـ عـنـ ذـلـكـ ، فـقـالـ : لـسـتـ أـرـغـبـ فـيـ رـجـلـ كـسـبـتـهـ الـأـمـوـالـ ، وـإـنـماـ أـرـغـبـ فـيـ رـجـلـ يـكـنـتـسـبـ . وـرـأـيـ رـجـلـاـ مـعـروـفـاـ بـالـحـسـدـ مـغـمـومـاـ فـقـالـ : لـقـدـ وـقـعـ هـذـاـ فـيـ شـرـ إـذـاـ رـأـيـ غـيرـهـ نـالـ خـيـرـاـ .

وـقـيلـ لـهـ : لـمـ لـاـ تـحـبـ الـوـلـدـ ؟ فـقـالـ : لـشـدـةـ مـحبـتـيـ لـهـ .

وـقـيلـ لـهـ : بـأـيـ شـيـءـ حـظـيـتـ مـنـ الـحـكـمـ ؟ فـقـالـ : بـأـيـ أـفـعـلـ مـاـ يـحـبـ عـلـيـ اختـيـارـاـ لـهـ (٢) لـاـ باـضـطـرـارـ السـنـةـ .

فـقـراـطـيـسـ

سـأـلـهـ الإـسـكـنـدرـ فـقـالـ : أـيـهاـ الـحـكـيمـ ! بـمـنـ يـلـيقـ الـمـلـكـ ؟ فـقـالـ : بـحـكـيمـ يـمـلـكـ ، أـوـ بـمـلـكـ يـحـرـصـ عـلـيـ الـحـكـمـ وـيـقـتـنـيـهاـ .

(١) مـ ، لـكـ : طـيـمنـ .

(٢) غـ : الـآـلـهـ .

وقال : إن وجدت كنزًا بين يدي صنمٍ أو أصمَّ وأبكم ، فأعطيه حقَّه .

وأسأله الإسكندر : لم نهى الحكماءُ أن يُولتى الأحداثُ القضاةَ ؟ قال : لأن البرأة والحدة والسفه عليهم غوالب ، والكهل أركن وأرزن وأثبت وشيرته أخمد .

وقال : اقعموا بالقوت القليل ، وانفوا عن نفسكم الحاجةَ لتقرموا إلى الله ، لأن الله غير محتاج . وكلما احتجتم إلى غيره أكثر ، كنتم منه أبعد . واهربوا من الشرور والآثام . وتدعوا بطاقتكم إلى الغایات في الخيرات ، فهناك السعادات والزيادات .

فرسطس^(١) المشاء

رأى شاباً في مجلس طويلَ الصمت ، فقال له : إن كان سكونك لسوء أدبك فأنت عاقل ، وإنْ كان لعلمِ وأدبِ فقد أساءت إذْ سكتَ .

سقراطيس الشاعر

قال : الخطيب يغرس الكلام في القلب . وغارسه الفكر ، وقيمه العقل ، وجسمه الحركة ، وروحه المعنى وحليته التقويم ، وكماله الصواب ، وجانيه اللسان ، وحده البيان .

وسلم الإسكندر ابنًا له ليعلّمه جودة الشعر . فدعا به بعد زمانٍ لينشيد بين يديه شرّأ له . فأنشده الغلام . فلم يرضيه الإسكندر ، وقال له : لم يبلغ هذا الغلام ما كنتُ أريده من الشعر . فقال له : « أيها الملك : دفعت إليَّ مهرًا

(١) بالفاء في الك .

لا أستطيع أن أجعله قارحاً حتى يبلغ به (١٠٨) الزمان غايته ». — فاستحسن الإسكندر قوله .

وسئل : أي الناس أخطب ؟ فقال : من حبس عليه حسن منطقه الناس .

بلون

رأى رجلين من الأشرار يتناظران في الخير ، وقد وقع بينهما اختلاف .
قال لهما : وما المشاجرة فيما ليس من عملكم !

سلوس (١)

قال له بعض ندائه : إن نيقانون يسيء القول والثناء عليك . فقال : أنا أعلم أن نيقانون ليس هو بشرير . فينبغي أن ننظر هل ناله من ناحيتنا أمر دعاه إلى ذلك . فبحث عن حاله فوجدها قد رثت . فأمر له بصلة سنية . فبلغه بعد ذلك أنه بسط لسانه بالثناء عليه والدعاء له في المحافل ، فقال : أما ترون أن الأمر إلينا في أن يقال فينا خير أو شر ؟

وسئل : بماذا يكتسب المرء من الناس المحبة له وحسن الرأي منه ؟
قال : بالتواضع (٢) لهم والتشكر لهم وإجمال معاملتهم وحسن معاشرتهم .

وقال : لكل فعلٍ جزاءٌ من إساءة وإحسان ؛ فاجتهدوا أن تكافئوا على الإحسان .

وقال أيضاً في سفرة : الشراب يسكن ، والمال يُبْطِر ، والسلطنة مع الصبا عمایة .

(١) غ : بيلسوس . وبدون نقط في م . لـ : بيلسوس .

(٢) م ، لـ : التواضع .

أومانوس^(١)

قال لإخوانه : إن عاملتمني كما يُعامل الملك ، عاملتكم كما يُعامل الإخوة . وإن عاملتمني كما يُعامل الأخ عاملتكم كما يُعامل الملك .

وقال : الميل إلى الشهوات رأس الفضائح ؛ واليمين ، وإن كان صاحبها صادقاً ، ف فهي تَعْيِّه^(٢) .

وقال : الشتيمة من العيّ ، والغَضَب من ضيق الفكر ، والتندّم على مَا فات من الفشل .

وقال^(٣) العُجُّب قلادة الوسوسة .

anaxorus القاضي

كان حكيناً . فسُئِلَ بماذا يُشبَّه القاضي في مجلسه ؟ فقال : إذا كان على استقامة من قضائه : فبزهرة نصرة في رأس شجرة مثمرة . وإذا كان على غير استقامة في يومه ساقطة على حائط في^(٤) ناووس خرابٍ .

كورس

قال : ليس ينبغي أن يرأس من لم يكن أفضل مِمَّن رُئِّس عليه .

وسئل : متى يكون العلم أَحْمَد ؟ فقال : إذا كثُر^(٥) فنفضت إليه القرية .

(١) م : او ما س .. ك : او مال س .

(٢) غ : تدب .

(٣) وقال : ناقصة في م .

(٤) غ : من .

وَسْأَلَ : أَيْنَ أُمُوَالِكَ وَكَنُوزِكَ ؟ فَالْتَّفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ يُشَيرُ إِلَيْهِمْ : عَنْدَ هُؤُلَاءِ ادْخَارِي وَكَنُوزِي .

ريسموس

كَانَ مِنْ مُوسِرِي الْيُونَانِيِّينَ . وَكَانَ حَسْنُ القَوْلِ لِلشِّعْرِ . فَقَبِيلُهُ : كَيْفَ صَرَتْ تَعْلَمُ النَّاسَ شِعْرَكَ وَأَنْتَ لَا تَقْرَضُهُ ؟ قَالَ : مَثَلِي فِيهِ مَثَلٌ الْمِسْنَّ يُشَحِّذُ ، وَلَا يَقْطَعُ .

سَأَلَ رَجُلًا أَنْ يُقْرِضَهُ مَالًا ، فَرَدَهُ . فَعَيْرَهُ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ جَبَّاهَكَ بِالرَّدِّ . فَقَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ حَمَّرَ وَجْهِي بِالْحِجْلِ مَرَّةً . وَلَوْ أَقْرَضْتِي لِصَفَرَ وَجْهِي مَرَاتٌ كَثِيرَةٌ .

وَنَظَرَ إِلَى جَنَازَةِ رَجُلٍ مِّنَ الْأَغْنِيَاءِ كَانَ مُحِبًّا لِحَمْلِ الْمَالِ فَقَالَ : هَذَا لَمْ يَنْتَفِعَ بِعُمْرِهِ ، وَخَلَفَ عُمْرَهُ لِغَيْرِهِ ^(١) .

اسونس ^(٢)

سَأَلَ : أَيِّ الْحَيْوَانِ أَكْثَرُ حُبَّةً لِلصُّنْعَةِ ؟ فَقَالَ : أَمَا مَا يَنْتَفِعُ بِهِ فَالنَّحْلُ ، وَأَمَا مَا لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فَالْعَنْكَبُوتُ .

سمانيديس الموسيقار ^(٣)

أَجَازَ بِرِجْلٍ يَضْرِبُ لَبَنًا وَيَتَغَنَّى بِصَوْتِهِ وَيَخْطُئُ فِيهِ . فَحَمَلَ فَرْسَهُ

(١) غ : غير .

(٢) م : اسويس .

(٣) غ : الموسيقاري .

على لَبِّيْهِ فَكْسَرَهُ . فَقَالَ لِهِ الْلَّبَانُ : لِمَ أَفْسَدَتَ مَا عَمِلْتُ ؟ فَقَالَ : لَأْنَكَ أَفْسَدَتَ مَا عَمِلْتُ .

ثُمَانِيَّس

رأى رجلاً قد عمي ، فقال : لأنَّ تَعْثُرَ بِرِجْلِكَ خَيْرٌ منْ أَنْ تَعْثُرَ بِلِسَانِكَ .

وَافِيقِي طَبَطَس

قال : اعلم أنَّ ضماناً^(١) الشهوة أنَّ تصل^(٢) إلى ما تستهيه ، وضمان الهرب أن لا تقع فيما كرهت . فإنَّ الذي تفوته شهوته عَدَمَ الْبَخْتَ . ومن يقع فيما هرب منه شقيٌّ . فلا تعرض لهما بإطلاق النفس فيما تكسبهما .

نَفِي طَوَس^(٣)

قال : مدبر البدن النفسُ الساكنة التي تعطيه علوم الحكمة وتعمه بكنوز ذخائرها وتصبغه باللوان مجدها ورونقها ، وتكتسبه^(٤) الجد في تعرُّفها ، وتجعله شفيفاً في تلطفها . فإذا فارقته عند الموت وانتقلت عنه بقى فقيراً بطبعه ، واستكمنَّ فيها وأقام عندها . ولست بتاركةٍ فضائلها الشريفة وخواصّها الكريمة ، وذلك لأنَّ خزائنهما التي هي صائرةٌ إليها ومسكناً لها الذي هو محلُّها مع نظائرها

(١) غ ، م ، ك ، : ان دينا من الشهرة (!)

(٢) م : تتصل . ك : يتصل .

(٣) م ، ك : نفطروس .

(٤) غ : ويكتسبها .

فيه هي معها (١١٠) حالّة فيه غير مفارقة لها ؛ لكنها قد تسكن ويحمد شأنها وجودها وأفاعيلها .

بارقدس

قال : منْ أَحَبَّ أَنْ يُوسمَ بالحكمة ينْبَغِي أَنْ يُرْفَضَ مَنَافِعُ الْمَالِ الْمُضَرَّةِ وَلِيُصْفَّ ذَهْنَهُ وَلِيَنْفَعِنَفَ عنْ نَفْسِهِ الْأَفْكَارُ الرَّدِيَّةُ فِي حُبِّ النِّسَاءِ ، لَتَلَا يَفْوَتَهُ شَيْءٌ مِّنَ الْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهَا . فَإِنْ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى تَرْكِ النَّظَرِ إِلَيْهَا بَتَّةً فَلِيَفْعُلْ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ أَحَرِي أَنْ يَظْفَرَ بِطَلَبِتِهِ وَيَفْوَزَ بِيَغْيِتِهِ .

فلاسيلاوس

قيل له : ما بال (١) لا قادمونيا ليس عليها سور ؟ فأمر أهل المدينة فلبسووا السلاح ، وصفّهم فقال : هؤلاء سورها .

وسئل : أي الأشياء خاصة ينْبَغِي أَنْ يَتَعَلَّمُهَا الصَّبِيَّانُ ؟ فقال : الأشياء التي إذا صاروا رجالاً استعملوها .

اغنس

مرّ بمدينة بوئثيوس ، فتعجب من ارتفاع سورها واحكام بنائهما ، فقال : سكان هذه المدينة : رجال أم نساء ؟ !

(١) غ ، م : قادمونيا . - ولا قادمونيا هي اسبرطة .

موس

كان يقول : أكثر ما علمتُ مما يأتي (به) ^(١) الآتي إنما علمته من الرؤيا .

انكسوم

قال : ما أَنْفَعَ لَنَا الْأَمْوَارُ الْمَلَّارَةُ بِنَا مِنْ فَقْرٍ وَغَنَّى وَحِيَاةٍ وَمَوْتٍ إِنْ كُنَّا
نَلْحَظُهَا بِأَعْيُنِ الْعُقْلِ !

مانافيلس

صار إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَاقْتَرَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ سَاسَ نَفْسَهُ إِلَّا هُنَّا تَسْرِقُ
النُّفُوسَ الْفَعِيلَةَ وَالْقُوَّةَ بِهَا عَلَى الْقُوَّةِ .

فيلموس

وهو رجلٌ من مشهوري الفيثاغوريين . ادَّعَى إِنْسَانٌ عَلَيْهِ بِالظُّلْمِ ثَلَاثَةَ
قناطيرٍ مِنَ الْذَّهَبِ ، وَكَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَحْلِفَ لَهُ وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ ، فَاخْتَارَ أَنْ يَغْرِمَ مَا
ادْعَاهُ عَلَيْهِ بِالْيَمِينِ .

اوفورس

قال ^(٢) : الفكر من دمِ جامد ، والفهم يهيج الحرارة الغزيرية . فتلاك

(١) به : ناقصة في غ ، م ، ك .

(٢) قال : ناقصة في غ .

الحرارة تذيب جامد الدم . ولذلك تكره الحمى خوف العوارض المكروهة التي تسبح الحرارة وتحمي المزاج فتحلّ جامد الدم فينتقض التركيب .

موريق الملك

قال لأخوه : ليكن غيناكم بما يغنينكم في معادكم ، لا فيما تدخلونه من يخلفكم بعدكم .

اسانس

سئل : أي شيء أصعب على الناس ؟ (١١١) فقال : العافية على أكثرهم لأنها لا تسعهم .

فانيوروس^(١)

قال : من يخلف بالاحلام جرى في ميدان الجهل واسعاً .
وقال : التعب يعقب الصحة .

ذيموستانس

قال : أن يعقد المرء عقدته أفضل من المرأة الصالحة .
وقال : الفضائل في جوار المساوي .

(١) ك : فانيوروس .

جعل على نفسه أن لا يتكلم . فاتصل خبره بادريانوس (٢) الملك . فأمر بإحضاره وجَهَد به الجهد أن يتكلم (٣) فلم يفعل . فأمر بقتله . وتقديم إلى السيف في السرّ وقال له: إن تكلم هذا، إذا هزت عليه السيف ، فاقتله ؛ وإن ثبت على صمته فرُدَّه إلَيْهِ ولا تقتله . — فمضى به السيف وروّعه بسيفه وكسر ذلك عليه فلم ينطق بحرف . فرده إلى الملك ، فأكرمه وعظمته وسألته عن مسائل فأجابه عنها في كتاب ؛ وأقام على صمته .

ثامسطيوس

وقد فسر جميع كلام الحكم (٤) بأحسن ما يكون مع استقصائه شرحها :

وقال : عمر العاقل ساعته ، وساعة الباهل عمره .

وقال : الإنسان بلا أصدقاء كالشمال بلا عين .

وقيل له : فمَنْ يكون السرور ؟ فقال : في معنى صَحَّ بالقياس ، ولفظ وُضُحَّ (٥) بعد البيان ، وحق يعرف قدره بعد التماس .

وقال : الناس كالسيوف ، والأدب والعلم كالشحذ والجِلاء .

فرفوريوس

قال : المحرّك الأول من ذاته هو الذي لا يحركه شيء من خارجه ٦

(١) Secundus = الملقب بلقب « الفيلسوف الصامت ». — ك ، م ، غ سفيدياس

(٢) هو الاميراطور هادريان Hadrien غ : بدريانوس .

(٣) م : يكلمه .

(٤) الحكم = ارسليو .

(٥) في غ : باليان ، وفرقها : بعد (البيان)

وقال : الغضب هو غليان القوة الغضبية وشدة حركتها ، وليس هو غليان الدم كما قال أصحاب الطب . وقال أفلاطون : هو سُكْنُ العقل . وقال غيرهما : هو الشوق إلى الانتقام .

وقال : فكرة العاقل في الخطأ أعظم في القُبْح^(١) من فعل الجاهم الخطأ .

وقال : من لم يقهر جسده فإنما جسده^(٢) قبر نفسه .

قال : كما أن أولي الفخار تتحن بأصواتها فيعرف الصحيح منها والمنكسر – كذلك يتحن الإنسان بمنطقه فتعرف حاله وطريقته . وإنما صار المنطق شاهداً للإنسان على الإنسان لأنـه كـمل وـشرف وـفضل^(٣) ، وكانت قواه الباقيـة روافـد لها وـمـعـينـات في تحـصـيل الـخـصـوصـيـة الـتـي يـظـنـوـنـها . وبالـمـنـطـقـةـ كان إنسـانـاً ، وـيـحـسـنـ تـرـتـيـبـه^(٤) لـهـ كـانـ إـنـسـانـاً فـاضـلـاً ، وبـقـصـدـ العـنـيـةـ الـقـصـوـيـ فيـ التـأـنـيـ كانـ سـعـيدـاً .

وقال : حدُّ الفضيلة اعتيادُ فعلِ عدلٍ ممدوحٍ يُفتَّحَ به أثر سلف مَرْضِيٍّ ، وهي واسطة بين رذيلتين .

وقال : النفس إذا فارقت الجسد صارت خالصة خالدة ، لأنـها إذا فارقتـهـ لمـ تـأـلمـ .

وقال : احرِصْ على أن تكون هيئاتك حسنة في وقت عسارك ؛ فأمّا في يسارك فكلّ هيئة تنهيّأ بها فهي جائزة .

وقيل له : الحزن أشدُّ ، أمـ الحـوـفـ ؟ فقال : بلـ الحـوـفـ . وإنـماـ صـارـ الحـوـفـ مـكـروـهـاـ لـنـاـ لـمـ فـيـهـ مـنـ الحـزـنـ . وـكـماـ أـنـ السـرـورـ غـاـيـةـ كـلـ مـحـبـوبـ ، كـذـلـكـ الحـزـنـ غـاـيـةـ كـلـ مـكـروـهـ .

(١) غـ: القـبـحـ .

(٢) غـ : منهـ . مـ ، لـ : قـبـهـ (!) .

(٣) لـ : نـاقـصـةـ فـيـ مـ .

وقال : لا ينبغي أن تذكر الميت بسوء ، لثلاً تكون الأرض أكتم مينا .

وقال : ما أحدٌ أولى بالمرثية من عالمٍ يجوز عليه أمرُ جاهلٍ .

وقيل له : ما بال مَنْ ليس بحَكِيمٍ يقول الحَكْمَةَ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ ؟

فقال : هذا لأن النفس تعطي ما عندها ؛ وإن كانت فيمن لا يستحق فضيلتها .

الاسكتندر الاافروديسي

وهو من مدينة افروديسياس ^(١) . وقد فَسَرَ جميع كتب الحكم ^(٢) على
غاية ما أمكن .

قال : مَنْ عَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ الْكَذَبَ لَمْ يَصِدِّقْ الصَادِقَ .

وقال : عيب الفاضل في الفلسفة أنه في مسلك ^(٣) الناقص وجلباب
المتخلَّف . فإذا نُظِرَ إِلَيْهِ زُرِّيَ عَلَيْهِ . وإذا تحدث بحديثه أُنْفَ مِنْهُ .

وقال : إذا أردت أن تروز ^(٤) صاحبك وتقف على ما عنده فمن خلال
حديثك بالمحال : فإن أنكِره فهو عاقل ، وإن صدّقه فهو أحمق .

وقال : فتون الترجمة ^(٥) ثلاثة : الخلط ، واللفظ ، والشكل .

الينوس ^(٦)

قال : النيران أربع : نار تأكل وتشرب وهي نار المعدة ، ونار تأكل ولا

(١) = Aphrodisias غ : افروديسياس . م ، لك : افرود مايس .

(٢) = م أسطوطاليس .

(٣) كذا في النسخ كلها .

(٤) م ، لك ، غ : تبور .

(٥) الترجمة : التعبير .

(٦) م ، لك : اليнос .

شرب وهي نار الوقود ، ونار^١ تشرب ولا تأكل وهي نار الشجرة ، ونار^٢ لا تأكل ولا تشرب وهي نار الحَجَر .

وقيل له : لم تستدِيم الشك^٣ ؟ فقال : ذبّاً عن اليقين .

وقال : عجبت من سراجٍ ضعيف بين أربعة أرباح^(١) عواصف (١١٣) كيف تبقى !

وقال : إن أولادكم يحتاجون إلى الآباء ، وأحداشكم^(٢) يحتاجون إلى المشايخ ، ورجالكم يحتاجون إلى الرؤساء ، والرؤساء يحتاجون إلى السنّن ، والسنّن محتاجة إلى الفلاسفة ، وال فلاسفة لا تحتاج إلا^٤ إلى الله تعالى وحده .

أمينوس الحكم^(٥)

قيل له : ما بال البخل يغلب على أصحاب الحكمـة ؟ قال : لأنهم لا يكسبون بكل وجه ، ولا يبذلون أنفسهم لكل إنسان . فقصارا هم حفظ ما معهم .

فقيل له : أما يحسون بقبع البخل ؟

قال : بل ! ولكن يحتملونه لقبع المسألة .

فقيل له : أما لهم ثقة بالرازق ؟

قال : من ثقتهم بالرازق اقتصادهم في نفقتهم .

قيل له : الجحود غير هذا !

قال : صدقتم ! لو خلص من الشرف ، ولم يُبْتَلَ صاحبه في عاقبته بالشماتة .

(١) م ، ك : أرواح .

(٢) م ، غ ، ك : أجدادكم .

(٣) الحكم : ناقصة في م ، ك .

قيل له : هذا كله زوغان من الكرم !

قال : أصل الكرم التكرم عن الحاجة إلى أهل الكرم ، فضلاً عن غير هم .

وقال : الإنسان نفسٌ وبدن . فعين البدن البصر ، وعين النفس العقل . وثمرة العقل الفهم . وثمرة الفهم الفطنة . وثمرة الفطنة الرأي والخيالة . وكل ذلك كامن في الإنسان على ضربٍ من الاعتدال . فلو ازدادت حيلته لفاق الجنّ . ولو أربَّتْ فطنته لفاق الملك . ولو اتصل صفاوته ونقاوته لفاق الفلك . ولو كمل عقله وسلِّم من العوارض لغلط في نفسه عجباً ، ولعله كان يدعى الربوبية مرحًا وبغيًّا ، لأنَّه متصل بكل شيء ، ومنفصل عن كل شيء ، ومتصل بكل شيء ، ومتخلٌ عن كل شيء . وسره لطيف ، وجهُهُ ظريف . وهذا لقب بـ « العالم الصغير » ، كما قيل أيضاً للعالم : « إنسان كبير » .

وقال : إن الغضب إن كان عن سبب معروف ، كان الطريق إلى الرضا مختصرًا ؛ وإن كان غير معروف ، كان السلوك إلى الرضا صعباً .

وقيل له : ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً ؟ قال : مَدْحَرُ الرجلِ نفسه .

ارميديوس

قال : إن كان هذا الأمر حكمةً ، وله فضلٌ على كلام أهل الأرض ، ونورٌ وبرهانٌ — فإنه من السماء وعن الملايين الأعلى . فإن للعلوِ الفضل ، وللسامي التقدم . ألا ترى أن أعلى الأشياء أفضلي من أسفلها ، وأعلى الماء أصفاه ، وأعلى الإنسان رأسه ، وهو فيه (١١٤) معارفه وربوة مشاعره ؛ وكذلك أعلى

(١) م ، لك : ولأمر ما لقب العالم المنين (!) .

(٢) لك : ارميديوس .

الشجر ثُمرتَه^(١) وَمَا يَنْتَفِعُ بِهِ ! ثُمَّ انْظُرْ إِذَا رَفَعْتْ رَأْسَكَ وَسَرَّحْتْ طَرْفَكَ لِيَلَّا
وَنَهَارًّا مَاذَا تَرَى ، وَمَاذَا تَشَهَّدْ ؟ ثُمَّ إِذَا طَأْطَأَتْ رَأْسَكَ فَأَنْتَ تَجِدْ خَلَافَ ذَلِكَ .

جالينوس

كان رجلاً فاضلاً ، بعيد الهمة ، موسراً ، يوقرّه كُلُّ من ينظر إليه .
وكان مسكنه بمقدونية من مدن اليونانيين وهي أرض^(٢) مصر^(٣) . وكان الملك
في عصره بيغاس قد ملك أرض اليونانيين وعدل فيهم واحتضن جالينوس
وعرف فضله وقدّمه على نظرائه وأهل زمانه . وأظهر للناس فضله . وأطلق
جالينوس التودع^(٤) ، ووضع عنه ما ران من غيره من الأطباء وأهل المعرفة من
تعاهد الملوك وخدمتهم .

وكان ببلاد المغرب ملك جليل يسمى باز ، قد خضع له جميع ملوك أطرافه
وسلّموا إليه الرياسة ، وأذعنوا له بالسمع والطاعة . فبِرِصَ بعضُ نسائه ،
فاغتم له ، ولم يكن لأهل المغرب معرفة بالطب ولا بالطبيب . فشكّا باز إلى
بعض وزرائه ما لحق بعض نسائه من العلة .. وأظهر الجزع . فقيل له إن في
اليونانيين في مملكة مفاس مَنْ له معرفة بفنون العلل ومداواتها ، يقال لـه
جالينوس . فأمرَ أن يكتب إلى نيفاس الملك أن يُنْفَذْ إليه جالينوس ساعة
يردُ إليه كتابه ، وأنه متى أخَرَ ذلك خَرَبْ مملكته بجواهر خيله .

فلما ورد عليه كتابه أغم وقلق ، ودعا جالينوس ، وخلا به ، وأوقفه
على كتاب باز ، وأظهر جزعاً واكتئاباً لذلك ، وقال لجالينوس : إِمَّا أَنْ تَغِيبَ
عَنِّي فَلَا أَقْفَ على مَكَانِكَ في مَلَكِي ، أَوْ أَمْتَنُ عَلَيْهِ وَأَحَارِبَهُ ، وَفَعَلْتُ ذَلِكَ

(١) غ : ثُمرتَه مَا يَنْتَفِعُ بِهِ .

(٢) غ ، م ، ك : وهي أرض مصر (!) .

(٣) كما في كل النسخ .

وبذلت نفسي وملكتي دونك . فقال جالينوس : إن مخالفة باز الملك مما يدعوه إلى الفساد وإهراق الدماء وركوب الغرَّر ووراء ذلك مما لا يُحْمَد . وأنا أسرع الناس إلى إثبات هذا الملك الجبار ، فيزول عن الملك رَوْعٌ ما يتوقعه من وقوع خيله إلى إقليميه والخراب الذي يحلّ من أجله . فأجِبْ الملك باز أنك قد أنفذت بي إليه . ول يكن إحسانه إلى بحسب ما يستحقه . وعرَفْه متزلتي عندك . فكتب الملك نيفاس جواب الملك باز وكتب إليه : «إِنَّا (١١٥) معاشر ملوك اليونانيين ، وإن كنا سامعين مطاعين للملك باز ، فإنَّا عبيد الأطباء وتحت أمرهم ، وهم مالكو أبداننا ، وخدامو أرواحنا . وليس في إقليمينا ولا في العالم بأسره من يتقدم جالينوس في صناعة الطب . وليست له رغبة فيما نملكه معاشرَ ملوك الأرض ؟ فإن رأى الملك أن ينظر إلى جالينوس بعين ما يستحقه ؛ وإذا استغنى عنه ، لم يفعجي باعتقاله ، قبله ، بل يُطلق له الرجوع إلى وطنه ، فقد نشأ في هواء وغذاء متى حيل بينه وبين ذلك انتقض تركيب بدنـه — فَعَلَ (١) ». وختـم الكتاب .

فنهض جالينوس نحو باز الملك مكرما . فلما ورد وجده جباراً ، مفرطاً ، ذا نخوة وبطش ، قليل الرفق ، بعيداً من الإنسانية والأفعال الجميلة ؛ همه الأمر والنهي والسيف . فأنزل جالينوس في منزل بعض الصيادين مِمَّن يصيد الفيلة والكركدن . فبقي جالينوس بساحة الملك شهراً واحداً يروح ويغدو ، فلا يصل إلى الملك ؛ ويرجع إلى منزله فلا يجد ما يتغذى به إلا الذي يتغذى به الصيادون . فلما كان بعد شهرٍ ، دعاه الملك فحضر ووقف بين يديه وقيل له بالترجمان : ما صنعتك ؟ فقال جالينوس : حفظ الصحة ، ونفي العلة قبل استحكام المادة . قال الملك : فإن لنا عليلاً قد استحال لونه الأسود إلى البياض وساعنا ذلك . فهل أنت معيد لونه إلى السواد؟ فقال للترجمان : عَرَفْ الملك أن من العلل علاً تَرِدُ في مدة ، وتنتهي في مدة ، وتزول في مدة . فمذ كم حدثت

(١) فعل : جواب قوله : فإن رأى الملك ...

هذه العلة في عِلَّكُم؟ فقال الترجمان : ظهرت العلة في سنة ، واستحكمت في سنة أخرى بعد ظهورها ، وهذه السنة الثالثة .

قال جالينوس : قد كنت سمعت في مقامي بساحة الملك أن من سيرته أن من نظر إلى نسائه فُقِيَّتْ عينه . فشَدَّدَتْ عيني اليمنى بعصابة ، وأظهرت أنها معيوبة لا يبصر بها . فقلت للترجمان : ليعلم الملك أن الطبيب لا يصل إلى علاج العليل إلا بعَدَ النظر إليه . فلما أورد الترجمان ذلك عليه ، قَطَّب وجهه ، ثم قال للترجمان : قُلْ له إن سيرتنا فَقَأْ عينِ مَنْ ينظر إلى نسائنا ، فهل أنت راضٍ بذلك؟ (١١٦) فقلت للترجمان : أَعْلَمُ الْمَلِكَ أَنْ معي حيلة أنظر بها إلى العليل من حيث لا تقع عيني عليه . فأعجبه^(١) ذلك ، وقال : إن كنت فاعلاً ما تقوله فإنك فاضل . فأخذت معي مرآة كانت معي . وأقمت المرأة خلف ظهري من حيث أرى وجهها في المرأة وهي قاعدة مع الملك . فابصرت وجهها بصر آشافيًّا ، وقد كان بقي على حال وجهها نُقْطَ بيض " مختلطة بالسوداء والحرارية سوداء اللون حبشيَّة . فقلت للترجمان : ليعلم الملك أنني قد أبصرتها وأبصَرْتُ علتَها والعلامة التي في موضع كذا وكذا من وجهها . وأنا أعالِج وجهها بعلاج يزيل عنها ذلك ، ويعيد لونها إلى ما كان . فسُرَّ الملك بما سمع ، وما لِي ، وأمر لي كل يوم برغيف من مائدته . ففزت به . واتخذت طلاءً لصبغ البياض من البهق وطلَّيَتْ وجهها . فزال البياض وعاد إلى السوداء كما كان . فازداد الملك لي حُبَّاً وما لِي أَفْضَلَ مِيلَ ، وأمرني أن أحضر مائدته . فكنت أحضر وأرى في المائدة كل ضار يُسْقِمْ ، يضاد البدن . وقد نشأوا على ذلك وتغذوا به واعتادوه .

قال جالينوس : فكنت أجتنب أَكْلَ ما يكون على مائدته من ذلك ، فَيُقَالُ لي : ما لك لا تأكل؟ فأقول : هذا يجلب علة كذا ، وهذا يجلب علة كذا . وكنت في خلال ذلك أعرَفُ الملك ضرر ما يتناوله ، فيصعب عليه

(١) م ، لـ : قال فأعجبه .

ذلك ، ويقول لندمائه : إني قد قطعتُ هذا الرجلَ عن وطنه وأرضه . وقد ساءه ذلك ، وهو يكابدني بمعنى عن شهواني ، فلا كُلَّنَ جميعاً ما أشتتهي رغمماً له . فرد هذا الكلامَ بعضُ ندمائه على جالينوس ، على سبيل النصح والميل .

قال جالينوس : فاستشعرت الخوف منه واليأسَ من البقاء ، أحتمل الذلة وأقاسي الجهدَ ويفقيني ورمقي الرغيف الذي كان يحمل إليّ . وكان الملك مشغوفاً بالصيد ، يغيب الشهرين والشهرين ، فلا يسأل عنّي ولا يراني ولا أراه . فحضرت يوماً مائده ، وجعل يأكل شيئاً ضاراً . فمنعته عن ذلك . فقال لي : ما يجلب أكلُ هذا ؟ قلت : الجذام . فمدَّ^(١) يده عناها وشرها وحرصاً إليه واستوفى منه . ثم قال لي : على رغمك يا جالينوس^(٢) أكل هذا .

فقلت : أيها الملك ! حرقك واجبُ ، ومن وحوب حرقك أن (١٧) أو قفك على^(٣) علامات تظهر في بدن الإنسان قبل حلول العلة سنة أو بستين او بثلاث سنين . وإنني مثبت للملك دستوراً يكون في خزانته تذكرةً يذكرني به بعد موتي . فقد استيقنت أنني قليل الحياة بهذه الناحية إن بقيت بها .

فألفت مقالة في أسباب العلل الوافدة وأوقاتها وابتدائها واستحكامها ، والأوقات التي تهياً معالجتها فيها ، وتقديمة المعرفة بالعلل السليمة والمehlerكة والسريعة إلى الموت^(٤) والبطيئة منها . وخصصت علامات علَّ الجذام ، لأنني وجدت بدنها متاهياً لقبول الجذام مستعداً له . فعرفته في هذا الباب أن يكون بدنها مستعداً لقبول علة الجذام بأنه^(٥) شرحت نفسه إلى أكل اللحوم الغليظة ، والاتساع في ذلك ، وإدخال الطعام على الطعام . فإذا كان بعد سنة فترت

(١) غ : فمد به (!).

(٢) غ : ثم قلت .

(٣) غ : من .

(٤).ك ، غ : الموت .

(٥) بأنه : ناقص في م ، ك .

شهوته ، واعتراضه كسل " ونوم وثقل " يجده (١) في الأطراف . فإن استدرل بما ينفض بدنـه وبـما يلطف غذاؤه ، رجـي له الصـلاح . وإن غـفل عن ذلك وأـتـى عليه حـول آخر ، ابـتـدا شـعـرـه يـرقـ ويـتـناـثـرـ وـتـغـيـرـ حـمـالـيقـ عـيـنـيهـ وـتـقـلـصـتـ أـظـاـفـيرـهـ . فإن استدرـكـ أمرـهـ بالـعـلاـجـ تـهـيـأـ رـدـهـ إـلـىـ حـالـ الصـحـةـ . وإن غـفـلـ عنـ ذـلـكـ ، استـحـكـمـتـ عـلـيـهـ عـلـةـ الـجـذـامـ ، فـعـسـرـ عـنـدـ ذـلـكـ عـلاـجـهـ وـأـيـسـ مـنـهـ .

وأـودـعـ هـذـهـ المـقـاـلـةـ خـزانـةـ الـمـلـكـ .

واحتـالـ جـالـينـوسـ حـيـلـةـ تـنـجـيـهـ منـ تـلـكـ النـاحـيـةـ . فـصـبـعـ وجـهـهـ أـسـوـدـ . وـتـحـيلـ (٢)ـ لـخـرـوجـ رـفـقـةـ موـافـقـينـ لـهـ إـلـىـ (أـرـضـ)ـ الـيـونـانـيـنـ . وـأـبـقـ مـنـ حـضـرـةـ الـمـلـكـ باـزـ . وـلـمـ يـقـفـ عـلـىـ شـيـءـ مـنـ أـمـرـهـ إـلـاـ بـعـدـ مـدـةـ . وـلـمـ يـبـالـ بـغـيـتـهـ وـحـضـورـهـ استـهـانـةـ بـهـ وـكـراـهـيـةـ لـشـخـصـهـ . فـسـلـيمـ جـالـينـوسـ ، وـوـقـعـ إـلـىـ أـرـضـ الـيـونـانـيـنـ ، وـنـزـلـ مـدـيـنـةـ لـيـسـتـ مـنـ مـلـكـةـ نـيـفـاسـ . وـأـتـىـ عـلـىـ باـزـ الـمـلـكـ ، بـعـدـ مـفـارـقـةـ جـالـينـوسـ لـهـ ، سـتـانـ أوـ ثـلـاثـ ، فـوـجـدـ الـعـلـامـاتـ الـيـقـيـنـيـةـ كـتـبـهاـ جـالـينـوسـ لـهـ «ـ فـيـ عـلـةـ مـقـدـمـاتـ الـجـزـامـ »ـ فـيـ نـفـسـهـ ، وـكـتـمـهاـ إـلـىـ أـنـ تـنـاثـرـ شـعـرـ حـاجـبـيـهـ ، وـتـقـلـصـتـ أـظـاـفـيـرـهـ . فـقـامـ مـنـ سـرـيرـ مـلـكـهـ ، وـتـرـكـ مـلـكـهـ ، وـسـاحـ فـيـ الـأـرـضـ مـتـنـكـرـاـ يـطـلـبـ مـدـيـنـةـ الـيـونـانـيـنـ . فـوـافـيـ مـقـدـونـيـةـ مـتـنـكـرـاـ لـاـ يـعـرـفـ . فـسـأـلـ (١١٨ـ)ـ عـنـ جـالـينـوسـ ، فـقـيلـ لـهـ إـنـهـ قـدـ اـسـتـوـطـنـ مـدـيـنـةـ كـذـاـ مـنـ مـلـكـةـ فـلـانـ الـمـلـكـ . فـأـخـذـ باـزـ سـبـيـلـهـ إـلـىـ تـلـكـ الـمـدـيـنـةـ . فـوـجـدـ جـالـينـوسـ فـيـ مـرـتـبـةـ يـقـعـدـ لـلـنـاسـ ، فـيـجـتـمـعـ إـلـيـهـ عـالـمـ مـنـهـمـ . فـجـلـسـ الـمـلـكـ إـلـىـ أـنـ خـفـ عـنـ النـاسـ . ثـمـ دـنـاـ مـنـهـ وـقـالـ : «ـ لـيـ سـرـ لاـ تـجـوزـ إـذـاعـتـهـ . فـهـلـ أـنـتـ مـصـنـعـ إـلـيـ؟ـ »ـ فـخـلـيـ بـهـ جـالـينـوسـ . فـتـعـرـفـ إـلـيـهـ باـزـ الـمـلـكـ . وـعـرـفـهـ جـالـينـوسـ . فـرـدـهـ إـلـىـ مـنـزـلـهـ ، وـوـكـلـ بـهـ مـنـ يـتـفـقـدـهـ وـيـتـعـاهـدـهـ ، وـيـغـذـيـهـ بـالـغـذـاءـ الـمـوـافـقـ وـيـداـويـهـ . فـبـقـيـ سـنـةـ يـعـالـجـهـ حـتـىـ نـبـتـ شـعـرـهـ ، وـصـلـحـتـ حـالـهـ . ثـمـ عـالـجـهـ سـنـةـ أـخـرىـ وـحـمـاهـ عـنـ كـلـ شـيـءـ ضـارـ ، إـلـىـ أـنـ عـادـ صـحـيـحاـ

(١) مـ : بـحـمـدـهـ (١)ـ

(٢) مـ كـ : تـمـلـ .

سليناً . ثم سلمه إلى بعض تلامذته من وثق به . وحملَ الملكَ على مركوب ، وزوّده زاداً وغلاماً يَخْدُمُه ونفقةً . ورده إلى مملكته سرّاً ، من غير أن يوقف على مكانه . فلم يشعر أهلُ مملكته إلاّ وقد انهجم ^(١) عليه باز صحيحاً سليناً ، وقد طهرت أخلاقه وتآدب بأدب اليونانيين وتخلى بأخلاقهم .

وقد كان باز الملك خلّف في أهل مملكته ابنين له . فلما فارق ملكه وسريره قبض ابنُ الأكبر على مملكته ، إلى أن عاد باز إلى المملكة . فلما استقر باز في مملكته جهز هدايا ومراكب وعيدياً وجواهر ، وكتب إلى جالينوس كتاباً بالشكر له وبما أولاه ، وسأله قبول ما أتفقه إليه . وكتب إلى نيفاس الملك وكان نيفاس يتقيه ويحذره : « إن ملكتي لك وأنا أخوك وعَصَدَك ولا فرق بيني وبينك في الأُملاك إذا أسمحت جالينوس الجميل الفاضل الذي ليس له شبيه في الأنام . وحاجتي العظمى لدريك أن تحتملَ على نفسك المصير ^(٣) إلى مدينة كذا وقد كتبتُ إلى فلان الملك بها أن يسأل جالينوس ، المستأهل لكل فضيلة ، الرجوع إلى وطنه وهواء مدینته الذي نشأ فيه ، وتكلّم جواب كتابي هذا منها ، وقبول ما أتفقه إليه وأتحفته من عَرَض الدنيا مما لا قيمة له ولا عنه . فإنْ أبَى – والعياذ بالله ! – ولم يُجِبْك إلى الرجوع إلى وطنه ، أوجبتُ على نفسي المصير إليه في شرذمةٍ من أصحابي وخواصي وأتشفع بكلما إليه وبمعروفه الذي أسداه إلى في الرجوع ^(١٩) إلى وطنه إن شاء الله » .

وأنفذ إلى نيفاس أيضاً هدايا وجواهر من ناحيته ، وردّ التلميذ مكرماً ممولاً غنياً إلى جالينوس . فلما ورد كتاب باز على جالينوس ونيفاس ، استبشر نيفاس بذلك وخرج نحو ذلك الملك الذي جالينوس عنده . وتشفع بالملك إلى جالينوس . فأجابهما جالينوس إلى ما راما منه من الانصراف إلى وطنه ساعةً

(١) غ : هجوم عليه فمشى باز ...

(٢) غ : الملك ويحذرها .

(٣) م : المصير .

غانماً . ولم تزل المكاتبات تجري بين باز الملك ونيفاس وجالينوس بلطف وهدايا
 ورسُل . واعتل باز الملك واتصل الخبر بجالينوس فقال لنيفاس بأن قد عزمت
 على الشخصوص نحو باز الملك ، فإنه اتصل بي أنه عليل . وتجهز وساعدته نيفاس
 الملك . فطرياً المرافق إلى أن بلغا مملكته . فنزلوا من المدينة على متزل . فجاءهم
 صاحب المتزل يبحث عنهم . فقال له جالينوس : أنت صاحب المتزل ؟ قال :
 نعم ! قال : إني مُحَمَّلُك رسالة لتعجل بها إلى الملك باز ، تعرّفه بتزول
 جالينوس هذا المتزل . فقال له الرجل : تعني جالينوس سيد الملك ومولاه ؟
 فقال جالينوس له مبتسمًا : جالينوس ^(١) طبيب . فغاب الرجل عن حضرته
 وتباشر الناس بورود جالينوس . واتصل الخبر بالملك ، وقد كان أَبْلَه
 مِنْ عِلْتَه . فركب في خاصته ، وأمر الخيل أن تبعه . واستقبل جالينوس
 فرحاً مبتهجاً . فلما بصر بجالينوس لم يتمالك أن نزل ، ونزلت الخيل كلها .
 واستقبله جالينوس ونيفاس الملك ، واعتنقا ساعةً . ثم التفت فأبصر نيفاس ،
 فقال الملك لجالينوس : مَنْ هذا الذي شيَّعَك وساعدك إليها الفاضل ؟ فقال :
 المعْدُّ بك ، الطائر بمناحك ، الناشر لفضلك إليها الملك ، نيفاس الملك . فعانقه
 الملك ، واستبشر بقدومه ، ودخلوا المدينة في زينة وهيبة وجلالة . وأنزلهما
 الملك في دار مملكته ولم يفارقهما أسبوعاً . ثم أكرمهما وألطفهمَا . وتشفع نيفاس إلى
 جالينوس أن يقبل من الملك أحد ابنيه ليخدمه ويتعلمذ له ، وكان اسمه غلوقن .
 فأجاب جالينوس الملك إلى ذلك ، وقبله . وزوج نيفاس ابنة له من غلوقن
 هذا . وأقاما عند الملك شهرًا واحداً . فجدد الملك لهما الخلع والجوائز والألطاف
 كل يوم — ثم انصرفَا وشيعهم (١٢٠) الملك بنفسه وخاصته ^(٤) منازلَ مبتهجاً
 لهما . وسلام غلوقن إلى جالينوس بجماعة من الخدم والمماليك . وردَّ على نيفاس

(١) غ : طبيب الملك .

(٢) إليها الملك : ناقصة في غ .

(٣) غ ، م : تجدد .

(٤) منازل : أي : مراحل ؛ لبضعة مراحل .

الملك مدنًا كثيرة بالقرب من مدنته قد كان تغلب عليها ؛ وأمر أن لا يُرَدَّ أمر نيفاس في جميع ملكته وينفذ أمره كما ينفذ أمر باز الملك . فورد نيفاس آمناً مطمئنًا مسروراً مع غلوقن ، وجالينوس معهما ، وتقدم في بناء قصر لغلوقن وابنته . وجعل غلوقن ولِيَّ عهده . ولزم جالينوس غلوقن ، فخرجه حتى بَرَزَ في الطب في مدة يسيرة .

واعتُلَّ نيفاس الملك ^{عَلَةً حادَّةً} ، واشتعل قلب غلوقن وساء ظنه . واغتُمَّ الملك ، وقتل ، وحضر جالينوس ، واتفقا جميعاً أن تلك العلة قاتلة نيفاس الملك . فقال له جالينوس : أَوْصِ أَبِيهِ الْمَلَكَ بِمَا تشاء قَبْلَ الْفَوْتِ ! فقال نيفاس : من خلف مثل باز الملك وابناً مثل غلوقن وأخاً مثل يا جالينوس — فهو مستغنٍ عن الوصيَّةِ .

وقضى نيفاس ^{نَحْبَهُ} . وكتب غلوقن إلى أبيه بنعيه ، وعرَّفَهُ أنَّ له ابنًا راجحاً يصلح لسياسة الملك . وكتب إليه باز أن يُسلِّمَ المملكة لابن نيفاس . وزوج أختاً كانت لغلوقن من ابن نيفاس . وخرج هو بأهله نحو باز الملك . وأنفذ بابته إلى ابن نيفاس نحليها وحُلُّها وجهازها وخدمتها ، مع ثقافة من أهله . ولحق غلوقن بأبيه باز ، بعد أن فرغ جالينوس من تخريجه . وودعه وداع الوالد الولد . فسُرَّ به باز الملك وبما صادفه من تخريجه على جالينوس ، وابتھج بمکانه وبما وجده عليه من الفهم والمعرفة ، وجعله ولِيَّ عهده ^(١) .

* * *

وعاب جالينوس ^{رَجُلًا} بنسبه . فقال له : أما أنا فمبداً لنسُلٍ في شرف الجنس وكرم الحسب ؛ وجنسي ابتدأ يشرف بي ويرتفع . وأما أنت فبك اتضاع جنسك ، وعندك انقضى شرف جنسك .

وقال : ليس يخلو المرء من أن يكون شريفاً في نسبه ، أو لا قديم له . فإن

(١) يضيف م ، ك. : والله تعالى أعلم وأحكم للصواب ، وإليه المرجع والمتأب .

كان له شرفٌ ، ففضيلة الشرف ونقصته يتضاعف موقعها في القلوب ويبعد الصوت بهما لأن الشرف يكثرهما ويشهرهما ، ثم لا يستعظم الناس منه الفضيلة بحسب استقباحهم منه النقصة ، والخامل بضد ذلك نقصته (١) تخفى ولا ينكر إنكارها على الشريف وفضيلته تشرف وتستحسن منه ، والتوسط في الفضيلة (٢) والعلم عيبٌ على ولد الشريف ، وفخرٌ لولد الخامل . فيجب على الشريف أن يزيد اجتهاده في العلم أكثر من اجتهاد غيره ، وخاصة إن كان بالعلم شرف سلفه ، ولا عذر لمن لم يتقدم له شرفٌ في أن يقصّر ، ثلاً يجتمع عليه النقص في حَسَبِه ونفسه (٣) .

وكان جالينوس يقول : العلم لا يمنع الرزق ، والأدب لا يردُّ الحظَّ ؛ وهو أولى أن يكونا سبباً للرزق ، وطريقاً إلى الكسب ، وعوناً على المروءة أقرب .

وقال : أما الفضيلة فكلُّ الناس بالطبع يشترط إليها . وأما الطريق المؤدية إليها فشاقة ، قليلٌ من يصبر عليها .

وكان يقول : يتزوج العليل بنسيم أرضه ، كما تنبت الحبة بقطر الطل .
وسئل عن العشق ، فقال : هو مَرَض روحاني . والأمراض كلها بدؤها من البدن ثم تصيب الروح ، ما خلا العشق فإنه يصيب الروح ، ثم يعمّ البدن لمجاورتها له .

وقال : جَهْلُ الجهل جَهْلٌ مركب . وسئل عن ذلك فقال : الجهل جهلان : بسيط ومركب . والبسيط أن يجهل المرءُ الشيءَ ويعلم أنه يجهله : فاما (٤) يسعى في طلبه ، وإنما يسلمه غير معاندٍ لأهله . — والجهل المركب أن

(١) والعلم : ناقصة في غ .

(٢) غ : ونسبة .

(٣) م ، لك : ينتهي ... سمه .

يجهل المرءُ الشيءَ ، ويجهل أنه يجهله ، فيتشبه بأهله^(١) وليس بذاته منه ، وقد غنى عن نفسه عن تعلمه^(٢) ، وليس يرى تسليمه لأهله . فجهله هذا جهلٌ مركبٌ .

وقال : العجز عن إدراك كُنه المطلوب لا يُحدِّث للمطلوب إبطالاً .

وقال : الوجود وجوهان : خفيٌّ وظاهر . فالظاهر ما وُجِد حِسَّاً ، والخفيٌّ ما يتطرق^(٣) إليه بالمحسوس .

وسئل : متى يحسن بالإنسان أن يموت ؟ فقال : إذا جَهَلَ ما يضره مما ينفعه .

وقال : لا يجتمع الحَوْعُ والوجع ، ولا التخمة والصحّة .

وقال : الْهَمُ مَرَضٌ طبِيعي ، والمرَض هَمٌّ عَرَضي .

وقال : يوماً ناظرني رجل ، فقطعته حتى صار أخرسَ مِنْ سَمَّكَةٍ .

وقال : النفس إذا كانت طيبة زكية ، وقبلت بذور المنطق ، أنت أضعافاً من عندها .

وقال : صاحب (١٢٢) الجماع مقتبس من نار الحياة ؛ فإن شاء فليُقْتَلْ ، وإن شاء فليَكُثُر .

وقال : ما دخل الرُّمَان جوفاً فاسداً إلا أصلحه ؛ وما دخل التمر جوفاً صالحاً إلا أفسده .

وقال : الموت أربعةٌ أضرب : موت طبِيعي – وهو الذي يكون بالهرم ؛ وموت عَرَضي – من آفةٍ تصيب ؛ وموت برضأ وشهوة – مثل من يقتل

(١) أي بأهل العلم .

(٢) ك ، م : تعلمه .

(٣) م ، ك : يطرق .

نفسه ؛ وموت يكون فجاءة .

وقال : قياس النفس الغضبية عند النفس الناطقة قياس الكلب عند القناص ، وقياس الفرس عند الفارس : فإن الكلب يعين القناص على إرادته ، والفرس يعين الفارس أيضاً كذلك^(١) . وربما تحرّك الكلب في غير الوقت الذي يحتاج إليه (فيه) ، وعلى غير المقدار الذي ينبغي ؛ وكذلك الفرس . فتحديد أوقات حركات الكلب والفرس وتقديرهما فعل القناص والفارس . وانقياد الكلب والفرس لإرادة القناص والفارس فضيلة للكلب والفرس . فأمام القناص والفارس ففضيلتهما تكون من حذقهما بصناعة القنصل والغروسية وسهولة انقياد الكلب والفرس وصلاحهما يكون بطول تأديب القناص والفارس الحاذقين بهما . وليس كل كلب وفرس موافق للتأديب ، لأن فيما جموداً ممتنعاً . فإن اتفق أن يكون الفارس أو القناص غير حاذق في صناعته ، والفرس أو الكلب عسراً الانقياد ، كان ملك القناص والفارس لهما إلى المقدرة أقرب منه إلى المنفعة ، لأن الكلب ربما نبع وغضّ حيث لا ينبغي به والفرس ربما رمى نفسه مع راكبه في تهلكة^(٢) . فلذلك قال أفلاطون إن نيل اعتدال كل واحدٍ من أجزاء النفس – يعني هذه الأنفس الثلاث – ليس هو في طبيعة كل إنسان لأنه إن كانت النفس الناطقة بليدة قليلة الفهم والحفظ ، غير مشتاقة إلى الأفعال الجميلة ؛ وكانت النفسيان البهيمتان قويتين عسراً في الانقياد ، لم يمكن أن تعتدل . فقد يحتاج إذن أن تكون النفس الناطقة محبة للجميل ، مشتاقة إلى الحق ، عارفة باتفاق الأشياء واختلافها ، وأن تكون النفس الغضبية – وهي الحيوانية – قوية سلسة الانقياد ، وتكون النفس الشهوانية (١٢٣) – وهي النباتية – ضعيفة ، لأن هذه النفس غير منقادة للنفس الناطقة ، كما وصفها أفلاطون وشبّهها بسبع ضار . وقال إن الذي يحتاج إليه من النفس النباتية ضعفها ، لا أدبه ، لثلاً تمنع

(١) أيضاً كذلك : ناقص في م ، ك .

(٢) م ، ك : مهلكة .

النفس الناطقة في أفعالها . وكل شيء يتحرك بحركاتها ويفعل أفعالها التي هي فانية يَسْقُوَى ؛ وكل شيء يسكن فإنه يضعف . فلذلك تكون شهواتُ مَنْ عُودَ منذ صباح العُقُول والغُفَّة شهواتٌ مستذلة . فأمّا مَنْ اعتاد منذ صباح أن لا يمنع نفسه شهوتها ولا يَقْمعها ، فإنها تكون شرّه^(١) . وبهذا المعنى سَمِّي اليونانيون « الشّرّه » : لا مقوم . فالأدب يُكْسِب النفس الغضبية سلاسة القياد ، ويُكْسِب (النفس) النباتية الضعف . وهذا هو أدب النفس . وأما النفس الغضبية فليست تنتقص قوتُها بأدبهَا ، ولكن يُكْسِبها سلاسة القياد . وإن كان الإنسان شجاعاً بالطبع ، فإن الأدب يحفظ قوّة نفسه الغضبية . وقد مال^(٢) قومٌ أن يعلموا : هل يمكن أن يصير مَنْ هو في غاية الجبن شجاعاً^(٣) ، أم لا؟ فوجدوا أنه أن^(٤) لا يمكن أن يصير شجاعاً أقرب إلى الحق . وكذلك ظنّي بمن كان في غاية الشرّه بالطبع أنه لا يصير إلى حالات الغُفَّة . ولذلك كانت الفلاسفة القدماء يتقدّدون ويتعرّفون طبائع الصبيان وهم أطفال ، لأنّ مِن الأطفال مَنْ يرى شديد الشره والنهم لا يشبع ، وشديد القبح لا يستحي . ومنْ كان منهم شرّهاً نهماً ولم يكن وقاهاً ، فلا ينبغي أن نقطع الرجاءَ من فلاحه ، لأن الحياة إنما يكون من نفسِ بصيرة ترى الجميل وتقف عليه . فأمّا مَنْ لا يستحي فإن نفسه عمباء ، لا ترى جميلاً ولا يكون فيها خير . وقد يوجد الدليل الظاهر من المحجة على صحة ما قلت من أنه ينبغي أن يكون لاكتساب الفضائل بالأدب أساس من الطبيع ، وذلك أن قوماً لا يُحْصَّنُون كثرةً من أهل الفضائل أَلْزَمُوا أولادَهم أفضل الأدب من الصّبا إلى وقت الكبر واجتهدوا في أن يصيروهم أمثلهم فلم يقدورا على ذلك .

ورأى جالينوس جماعةً من الأطباء يركبون الدواب الفرّهة^(٥) فقال : إن كان لكرّة الركوب أَنْتُم أطباء^(٦) فالغرانقون أطيب منكم ؛ وإن كان لللازمـة

(١) م ، ك : فإنه يكون شرّهاً .

(٢) م ، ك : طلب .

(٣) ... ما بين الرقين ساقط في م ، ك .

(٤) الغرانقون = الغرنوق ، وهو الكركي .

أبواب الملوك . فالبوا بون أطيب منكم .

وقال : لكل شيء حميّ ، وحمى العين النظر إلى الثقليل .

وقال أبو^(١) النفيسي : كان جاليتوس أثخن .

بعض النحو الاسكندراني

هو أول^(٢) من روّي في ابتداء الإسلام في أيام عثمان وعاوية ، رضي الله عنهما .

اشتغل بكتب الأوائل وبحر في الفلسفة والطب . وقد طبّ لهما وخدمهما .
ومنه^(٣) — فيما أقدر^(٤) — قد أخذ خالد^(٥) بن يزيد بن معاویة القليل الذي كان له من مطالعة هذا الشأن .

وكان نصراً نصراً . فنقم عليه النصارى خوضه في شرح كتب الحكيم ارسسطو طليس ، المنطقية والطبيعة منها خصوصاً . وهمّوا في بابه بأنواع من الاضطهاد^(٦) له ، إلى أن أظهر لهم مخالفته في أصوله ، وتفادى منهم بعمل كتابه الذي يردّ فيه على الحكيم وينقض مذاهبه ، وبالكتاب الذي عمل في الرد على أبرقليس^(٧) .

وقد حكى في بعض الكتب أنه وصل إليه من جهتهم ، جزاءاً له على ما

(١) له ترجمة في منتخب صوان الحكمة مخطوط ك لوحة ١٢١ ب وما يليها وفيها أنه « كان أحفظ الناس لنواذر الفلسفة وفقرهم ولحمهم » .

(٢) من المعلوم أن يحيى النحوي توفي قبيل الإسلام .

(٣) نقص في غ .

(٤) غ ، م ، ك : الاضطرار به !

(٥) ك : كتابه الذي عمله في الرد على أبرقليس وبالكتاب الذي يرد فيه على الحكيم وينقض مذاهبه .

صنفه من هذين الكتابين ، ضعف عشرة آلاف دينار . والله أعلم ، مع أن ذلك لا يجب أن يُستبعد ويُستعظم ، إذ قد أعطى يحيى بن خالد البرمكي - رضي الله عنه ! - أبان اللاحقي على نقله كتاب « كلية ودمنة » إلى الشعر تفاريق^(١) ما يوازن هذا المقدار ، إلى غير ذلك من إعطات الحلفاء منبني العباس والمتصلين بهم للشعراء وغيرهم .

ولكونه في ذلك الوقت ، وقلة الرغبات من أهله في حفظ ما كان يأتي به من الضرب اللائق بهذا الكتاب ، قللت الرواية عنه ، ولم نودع هذا الفصل إلا^(٢) ما التقط من كتبه من فصول لانفقة به . وهذا الفصل : في أنه ليس في النفس الميتة قوة طبيعية للشر ، كما أن في الأبدان قوة طبيعية للمرضى . وإنما الميل إلى الأمر الأرداً من ضعف ميل القوة إلى ما هو أفضل خليق^(٣) أن يكون بأكمله^(٤) قول من قال إن في النفس^(٤) قوة الشر من الأشياء القبيحة جداً وخارجأ عن الآراء القبيحة العامة التي تعتقد في قوام الشر ، وذلك أنه (١٢٥) إن كان الشر من الأشياء الخارجة عن الطبيعة وليس ولا قوة واحدة طبيعية لما هو خارج عن الطبيعة . وذلك أنه يكون الخارج عن الطبيعة طبيعياً . فإن كان كل قوة طبيعية ، كان كل ما كان خارجاً عن الطبيعة فليس ب الطبيعي ، فيبين أنه ليس ولا قوة واحدة للشر . والقياس في ذلك يجري على هذا التحو : كل قوة وهي طبيعية ، وليس شيء من الأشياء الخارجية عن الطبيعة طبيعياً .

فليس إذن ولا قوة واحدة لما هو خارج عن الطبيعة .

فإن لم يكن ولا قوة واحدة لما هو خارج عن الطبيعة ، وكان الشر خارجاً عن الطبيعة ، فليس إذن ولا قوة واحدة للشر . - وذلك أن الميل إلى الأمر

(١) غ ، م ، ك : تفاريقاً .

(٢) غ : بما .

(٣) غ : بأكل قول

(٤) م ، ك : الأنفس .

الخارج عن الطبيعة آخرى بأن يكون ضعفَ طبيعة (من) ^(١) لأن يكون قوة طبيعية . وذلك أنه يقال إن فينا القوة على أن تكون أصحاء ، وعلى أن تكون مرضى . لكن أما في الصحة فإن القوة فيها تقال بالحقيقة . وذلك أن الطبيعة هي علة السلامة . وكذلك أيضاً كل قوة طبيعية . وأما قولنا ^(٢) بأن فينا قوة على أن نكون مرضى – فإن ذلك على الاستعارة . وذلك أنه في الطبيعة قوة ^(٣) تفعل المرض ، لكن إذا ضعفت القوة الطبيعية التي بها تكون سلامتها ، حينئذ يعرض في الميل بالمرض إلى الأمر الخارج عن الطبيعة . وكذلك النفس أيضاً إذا كانت قواها الناطقة صحيحة ، فعلت الخير الذي هو لها طبيعي . وإذا تكاملت بيلادتها واسترخت قوتها ، مالت إلى الشر الذي هو خارج عن الطبيعة . فلا ينبغي إذن ^(٤) لنا أن نعتقد في النفس أن لها قوة طبيعية للأفعال ^(٥) الرديئة . فقد يجب ضرورة لذلك أيضاً أن يُنبَذ الشر .

وقال في فصل آخر :

إنه وإن كان جميع الناس ينسبون المكان ، الذي هو أعلى الأماكن ، إلى العلة الإلهية ، ولهذا صاروا يرفعون أيديهم في وقت صلواتهم إلى السماء (دلالة على) أنَّ مستقر الله في ذلك الموضع – لكن ليس ذلك دليلاً على أن جميع الناس يرون أن السماء لا تفسد وأنها غير مكونة . وذلك أن الذين يصرّحون بأنهم يرون أن جميع العالم مكون ، من القدماء ومن أهل زماننا ، ونجدهم في أوقات ^(٦) صلواتهم يرفعون أيديهم إلى السماء ، ليس يرون أولئك . وأكثر اليونانيين والأغاجم يرون أن الهياكل والبيع مساكن للآلهة ؛ ويرون

(١) م ، ك : بأن .

(٢) ك : فإن .

(٣) م ، ك : المرضى .

(٤) إذن : ناقصة في ك ، غ .

(٥) ك : الأفعال .

أن التمايل والأصنام التي كانت تُهْيَّأ لآهتم على ما يريدون – وما أظن أن أحداً منهم – من لم يَفْسِدْ فكره الطبيعي – خَطَر بِياله أن الهياكل والأصنام لا تفسد ، وأنه لم يكن لكونها ابتداء . فلهذا ، وإن ظن كثيرٌ من الناس أن العلة الإلهية ساكنةٌ في السماء ، فليس ينبغي أن يظن أن ذلك دليلٌ على أنهم يرون أيضاً أن السماء لا تفسد وأنها غير مكوَنة ، بل ينبغي أن يروا أن هذا المكان أكثر استضاءة بنور الله من غيره ، كما يرون أن مكاناً أَخْصَ بالله من مكان غيره ، وكما يُعتقد منْ أن إنساناً أقربُ إلى الله من إنسانٍ غيره^(١) ، أو يَبْعُدُ منه ، على قدر ما يُسْطَع فيه من نور الله بحسُنِ السيرة والأفعال الحميدة ، إذا كانت جميع الأشياء مملوئة من الله . ولا يمكن أن يكون شيءٌ بِتَه خلُواً من الله ؛ وكان كل واحد من الأشياء يُسْطَع فيه مِنْ نور الله على حسب تدبيره في حياته أو على حسب طبيعته .

(١) ك : ويبعد منه .

حنين بن إسحاق (+)

و اسحق اپنے

وحكى أن اسحق بن حنين قال لأبيه : ما الذي تشير عليّ بأن أجعل
غرضي معرفته في سنّي هذه التي أنا فيها ، بحسب ما أعلم من عنايتك بي .
وما تعلم من تهیئ طبیعی لقبول العلم ، ومن قديم تجربتك لي ومن حرصي
على العلم ؟

قال حنين : ما لَسْتَ إِلَى شَيْءٍ أَشَدَّ ضُرورَةً مِنْكَ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ ذَاتُكَ
الخَاصِيَّةُ الَّتِي أَمْرَكَ الْحَكِيمَ الْأَوَّلَ بِتَعْرِفِهَا ، وَهِيَ أَنْتَ بِهَا^(١) مُشَارِكُ الْبَارِيِّ جَلِيلُ
ثَنَاؤِهِ - وَمُنْفَصِلٌ مِنَ الْبَهَائِمِ .

(+) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٩٤ - ٢٩٥ ، فلوجل ؛ القبطي ، تحت الاسم ؛ ابن أبي أصيبيعة جا ص ١٨٤ - ٢٠٦ ؛ ابن خلكان ، برقم ٢٠٨ ، ميخائيل السوري ٢٦٣ ، ابن العبري ، أخبار الكنيسة ٣ : ١٩٩ ، تاريخ مختصر الدول ٢٥٠ - ٢٥٣ ؛ فتنفيلياد ؛ « تاريخ الأطباء العرب » برقم ١ ؛ لوكلير : تاريخ الطب العربي » ج ١ ص ١٣٩ - ١٥٢ ؛ سوتير : « تاريخ الرياضيين العرب » ، ٤٤ ؛ بروكلمن ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٧ ، الملحق ١٢ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

(١) غ : نشارک .

قال إسحق : وما ذاك (١) ؟

قال حنين : الشيء الذي تعلم أن اليوناني يسميه «لوغس» (٢) ، وأن العرب تسميه في بعض الموضع : «نُطْفَةً» ، ولذلك يسمى الإنسان من النطق : «ناطقاً» ؛ ويسميه في بعض الموضع : «قولاً» ، وليس من عادته (٣) أن يشتق من القول اسماءاً للإنسان ، كما من عادة اليوناني أن يسميه : من لوغوس : «لوغتيس» (٤) ، ويُسمّى النظر في هذا الجزء من الإنسان الذي هو أشرف أجزاءه – وهو الذي يسميه العرب نظراً منطقياً : «نظراً لوغسيأً» ، مشتق من لوغس . أي القول .

قال إسحق : فإذا كانت الكتب التي في (٨٣ أو) هذا * الفن والواصفون لها كثرين فأرشدني إلى كتاب ومواضع منه يجب أن أبتدئ به أولاً .

قال حنين : من كتاب «قاطيغورياس» (٥) الذي للحكيم .

قال إسحق : ولم اخترت لي كتاب «قاطيغورياس» ، أولاً ، ولم جعلته للحكيم ؟

قال حنين : أما كتاب «قاطيغورياس» فلأنه ابتداء هذا العلم . وأما الذي للحكيم فلأنه ليس غيره موجوداً في هذا الوقت مما يعلم به هذا المعنى المقصود .

قال إسحق : إنها هنا كتاباً آخر لواضع آخر في هذا المعنى لو كان موجوداً لكُنتَ إلى اختياره أميل ؟

(١) غ : وما كان .

(٢) Logos =

(٣) أي العربي .

(٤) Logotes =

(٥) أي كتاب «المقولات» وهو أول كتب أرسطو المنطقية .

(*) سُقُنْ أرقام المصوّر من مخطوط كوبيريل .

قال : نعم : كتاب أرخوطس ^(١) في هذا المعنى .

قال إسحق : ومن أرخوطس ؟

قال حنين : إنسان ^{مِنْ} شيعة فيثاغورس .

قال إسحق : ومن فيثاغورس هذا ، ^(٢) ومتى كان ؟

قال حنين : رجل كان هو المبتدئ لأكثر حكمة اليونانية . وليس إنما هو في الزمان قبل الحكم ^(٣) ، لكن وقبل أفلاطون أيضاً ؛ وعنه أخذ هذا العلم ، وليس هذا الفن من النظر فقط ، بل جميع الفنون الباقية . وكذلك أوقلیدس وأبلينیوس ^(٤) وارشميدس وبطليموس وسائر المهندسين .

أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكوفي

هو أول من تخرج من المسلمين في الفلسفة وسائر أجزائها ، وفي الرياضيات وما يتعلق بها ، سوى تبحّره في علوم العرب ، وبراعته في الآداب بين النحو والشعر وأحكام النجوم والطب وضروب من الصناعات والمعارف التي قلما تجتمع معارفها في إنسان واحد .

وفهرست كتبه يزيد على دست كاغد مشتني .

(٨٣ ب) وكان أستاذأً أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُعْتَصِمُ ، وباسمه عمل أكثر كتبه ، وإليه كتب تحلّل رسائله وأجبوبة مسائله . وهو أول من أحدث هذه الطريقة التي احتذأها بعده مَنْ جاء من الإسلاميين . وإن كان قد تقدّمه مَنْ ارتفع

Archytas (١)

(٢) م ، لـ : مـ . غ : ناقص .

(٣) الحكم = أسطوطاليس .

(٤) غ : أيلوس . لـ ، م : أيلوس . ولعل المقصود أبلينيוס البرجاوي صاحب « المخروطات » .

اسمه وحَسْنَتْ حاله في أيام المؤمنون من الذين كانوا جُلُّهم نصارى . وتصانيفهم يجري الأمر فيها على الرسم القديم .

ولاشتهر كتبه ورسائله وتدالع الأيدي لها وسعة وجودها في كل موضع ، لم استقص بطلب النكت واستخراجها منها على العاشرة بأمثالها^(١) ، إلاّ اليسير الذي لم أجد بدآ من تزيين هذا الكتاب به :

فمن ذلك قوله : إذا كانت العلة الأولى – تعالى ! – متصلةً بنا لفيضه علينا ، وكُنّا غير متصلين به إلاّ من جهة فيضه ، فقد يمكن فيما ملاحظته على قدر ما يمكن المفاضل عليه أن يلحظ الفائض . فيجب ألا نسب قدر إihatته بنا إلى قدر ملاحظتنا له لأنّها أعز وأوفر وأشدّ استغراقاً لنا . – فإذا كان هذا هكذا ، فقد يَعُدُ عن الحق بعُدداً كثيراً من ظنّ أن العلة الأولى لا تعلم الجزئيات .

وقال : أحسن الكلام ما كان صفو العقل من ناحية المعنى ، وعفو الطبع من جهة التأليف ، فيجتمع فيه صواب المراد وحلوة الإبراد .

وقال : النظر في كتب الحكمة أعياد النفوس الناطقة .

وقال : إنّ أفلاطون قاس الشهوة التي للإنسان بالختزير ، والقوة الغضبية الكلب ، والقوة العقلية بالملك . قال : فمنْ غلبت عليه (٤٨) الشهوة فهو ختزير ، ومنْ غلبت عليه الغضبية فهو كلب ، ومنْ غلب عليه العقل فهو ملك . وإذا كان ملكاً ، كان قريب الشبه من الله ، لأنّ الأشياء التي يوصف بها الباري وتضاف إليه هي : الحكمة والقدرة والعَدْلُ والخير والجميل والذكر والكرم والإحسان والتفضل والإنعم . قال : والإنسان لا يكون ذا فضل إلاّ بأن

(١) م ، ك : في أمثالها .

ن تكون هذه الفضائل قُنْيَةً له ، و حَلْيَاً فيه ، و حاصلَةً لدِيه ، و غالَةً عليه . فقد بان من هذه الجملة أن عاقب الناس إلى هذه المصحوبة بين الكون والفساد ، المستصحبة إلى هناك أعني^(١) على طريق الزاد^(٢) والعتاد . قال : وبهذا التثليث قال بعض القائلين بالتناسخ : الأنفُس ثلاثة : نفسٌ مالكة ، ونفسٌ سالكة ، ونفسٌ هالكة . قال : المالكة الناجية ، والصالحة الراجحة ، والهالكة التي لا حال فيها فتذكّر . ثم قال : فأما أفلاطون فإنه قال إن مسكن الأنفُس العقلية ، إذا تجبرت كما قالت الفلسفه القدماء ، خلفَ الفلك في عالم الربوبية ، حيث نور الباري . وليس كل نفسٍ تفارق البدن تصير مِنْ ساعتها إلى ذلك محلَّ ، لأنَّ في الأنفُس ما يفارق البدن وفيها دَنَسٌ وأشياءٌ خسيسةٌ : فمنها ما يصير إلى فلك عطارد ، فيقيم هناك مدة من الزمان ، فإذا تهدَّت ونُقِيت ارتفت إلى فلك كوكب فتقيم مدةً . فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ونقيت غاية النقاء ، وزالت أدناس الحسن وخبائثه منها (٨٤ ب) ارتفت منها حيث تذر إلى عالم العقل وجازت الظلَّ وصارت في أجلِّ محلٍ وأشرفه وصارت حيث لا تخفي عليها خافية . وواصلت نور الباري ، وصارت تفكّر في الأشياء : قليلها وكثيرها ، كعلم الإنسان باصبعه الواحدة ؛ وصارت الأشياء كلها له مكشوفة بارزة . ففوض الباري إليها من سياسة العالم أشياءً تلتذَّ بفعلها والتدبير لها .

وقال : لو أن رجلاً أفسد بيده و اختياره أحسنَّ أعضائه ، لكان مذموماً ، ومن العقل بعيداً . فكيف بمن أفسد أشرفها ، وهي التي تظهر منه القوى الحساسة والأفعال السائمة لبدنه أجمع - أعني : الدماغ ! فإنَّ الحيَ يُحدَّدُ بأنَّه حَسَّاسٌ متتحرك حركة إرادية . والحسن ، في البدن أجمع ، انباتٌ من الدماغ ، وكذا جميع القوى النسانية من الروية المولدة للإرادات والتفكير . قال : ومستعملو السُّكُر مدخلو الفساد على أدمغتهم . ومتى توالي السكر على بدنِ

(١) ك ، غ : اعن (!) .

(٢) ك ، م ، غ : الراد والعتاد (بالراء المهملة في الأولى ، والنون في الثانية ،) .

مَرِض دماغه و اشتد ضعفه و بَعْد عن القوة المظيرة للأفعال الإرادية حتى يبطل عنها . فمَنْ أَعْدَمْ لنفسه مِنْ كأن سبباً لتلف حياته ! والعجب أن يكون ذلك منهم وهم حُرّصاء على طول الحياة . فإذا كانت إرادتهم نفس الحياة ، فكأنهم ي يريدون ما لا يريدون .

وقال له رجل - وكان جَدُّه أميراً على الكوفة - : ما أشدَّ توانيك في طلب المعاش ! فقال : لو عرفت المعاش لنسبتي إلى شدة الحرث عليه . قال : ما نراك تحضر مواضع الطلب من أبواب السلطان و مجتمع التجار (١٨٥) مواضع الحرث (١) ؟ فقال : تلك مواضع يغلبني عليها أنت ونظراؤك على المطلوب . فأماماً مواضع طلبي فحيث أغلب عليه المتغلبين على مطلوبني . قال : ومن يغلب المتغلبين ؟ قال : ولا تصل أيدي المتغلبين إلى الاستيلاء عليه واستلابه قتيته ويقدر خَوَلُه وأتباعه على استلابه المتغلبين قُتُّيَّتهم . قال : فَأَيْنَ الْخَوَلُ والأتباع ؟ نراهم ولا يراهم غيرنا . قال : ما أكثر ما يشاهدونك وهم في تقنص وأسر وإيثاق وقتل للناس والحيوان ! وإنك لستَكُلَّم الآن وأنت في ربة أحد هـ !

وظهرت من السائل عند قوله : « وأنت الآن في ربة أحد هـ » . غضبة فقال (٢) : ما أشبه هذا القول بالهدىان !

فتَبَسَّمَ الكندي وقال : ليس بمستنكر أن يقع القول الصحيح - عند من اشتدَّ مرضه وغلب على عقله - موقع الهدىان ، وأن يتناول الطبيب ، المشفق عليه الحريص على انقاذه من مرضه ، بالشتم واللطم وغير ذلك من الأذى . ولا يمنع ذلك الطبيب الفاضل من رحمته والتغطف عليه ومناولته الدواء النشع ، فإذا كانوا (٣) يرجون صلاحه به ، وإن زاد ذلك بغياً على أذاه . أما إلى هذه

(١) تختها في ك : الحدث .

(٢) ك : قال . م : وال .

(٣) ك : اذا كان يرجون - والمقصود الأطباء الفاضلون ...

الغاية ، وقد كانت الربيقة في عنقك مستوره عن أكثر من حضر ؛ وأما الآن فقد أظهرت لآخر منهم غلاً وثيقاً قد ضم يدك إلى عنقك لبغضهم ،مستوراً عن أكثر من حضر ، مما يقدر لذلك أن يدنسه عن نفسه .

فقال رجل من تلامذته للسائل : كُنْتَ ، يا فلان ، أَسِيرَ شهوةٍ خفية على من حضرك ، هي دعتك إلى تطويل السؤال والحدث على اكتساب (٨٥ ب) المال . فاستلبك من فَيَضِّها غضب عراك من ملابسك التي سرت ربيقة الشهوة . فقال الرجل : ما تكشف لي معنى قوله (١) إلا الآن . ثم قال معتذرًا إلى الكندي : لعمري لقد قلت ما لا ينبغي ، وأنت أولى بالصفح والاحتمال . فقال الكندي : ليس بالصحيح حاجة إلى الدواء ، ولكن احتفظ بهذا الدواء ، فإنك إن احتفظت به نفعك ، وإن عتن .

وقال أحمد بن الطيب : كان الكندي يقول : يا بُنْيَ انسخ كلَّ ما تجده مكتوبًا إذا اتسعت لك الحِدَة ، وامتد بك الزمان . فإن مكان ما تكتب به أسود من دفترك خيرٌ منه أبيض .

وقال : مَنْ صان لسانه أَكْثَرَ أَعوانه ، وجعل جميع الناس إخوانه .

قال : المسترسل مُوْقَى ، والمحترس مُلَقَّى .

وقال أيضًا : العبد حرٌّ ما قنع ، والحر عبد ما طمع .

وقال : مَنْ مَلَكَ نفْسَه مَلَكَ الْمُلْكَةَ الْعَظِيمَ ، واستغنى عن المؤن . ومنْ مَلَكَ الْمُلْكَةَ الْعَظِيمَ أَمِنَّ الْأَمْنَ الْأَعْظَمَ واستغنى عن المؤن . ومنْ أَمِنَ الْأَمْنَ الْأَعْظَمَ واستغنى عن المؤن في ملكه ، ارتفع عنه الذم والهرم . ومنْ ارتفع عنه الذم والهرم ، حَمِدَه كُلُّ أَحَدٍ وطَابَ عِيشَه إِلَى الأَبَدِ . فينبغي أَلَا تَقْصُّرَ فِي الْحَقِّ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ ، وَتَطْلُبَ (٢) عِيشَ الْأَبَدِ ، إِذَا لَيْسَ

(١) ك ، م : إلى .

(٢) ك ، م : طيب .

نفسٌ منها مطلباً .

وقال : منْ اتبع شيئاً اضطراراً فهو متبعٌ له . ومنْ تبعَ لشيءٍ فهو عبدٌ له .

وقال : غَرَّض الشهوة اقتناه مشتهاها . وغَرَّض المُهرب أن لا يُوقع فيما يُهرب منه : والذي لا ينطلي غرض شهوته محظوظ . والذي لا يقع فيما يُهرب منه سعيد .

وقال : مع كل مصيبة ألم ، ومع كل حسرة ندم .

وقال (٨٦ أ) : « منْ لم يكن حكيمًا ، لم يزل سقيماً . منْ جهل ، ذَلَّ . العلم غابر ، والجهل دائم . منْ أكثر المناجح لم يسلم من الفضائح . من استشعر^(١) حلة العدل ، استكمل زينة الفضل .

وسمعت من الإمام الأجل الكامل ، بهاء الدين ، قدوة الأفاضل ، محمد الطبرى قال : أعطاني هذه الرسالة : ابن الهُبَيْل البغدادي ، تلميذ أبي البركات أصحاب كتاب « المعتر » . وحكي عن أبي البركات أن الرسالة بخط أبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي - قدس الله روحه . وكان عند ابن الهُبَيْل جزء بخط أبي البركات في صحيحته . والرسالة هذه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَسْالَةُ الْكَنْدِيِّ إِلَى بَعْضِ أَخْوَانِهِ
فِي الْأَمْرَاضِ الْبَلْغَمِيَّةِ الْعَظَامِ

حاطئَ اللَّهَ بِالسَّلَامَةِ ؛ وَوَفِقْكَ لِسَلْلَاهَا ، وَأَعَانَكَ عَلَى دَرْكِ الْحَقِّ وَالْإِنْفَاعِ
بِشَّارَه !

(١) أي جعلها شعاراً يلبسه .

سألت - أرشدك الله إلى كل نافعه - أن أرسم لك علة المرض المسمى بالصرع . والعلة العظمى فيه عامة للعلل غير واحدة ، تنفصل بالمواضع والقوه والضعف . وقد رسمت لك من ذلك حسب ما رأيته كافياً ، بحسب موضعك من النظر .

وبالله توفيقنا ، وعليه توكلنا ، وهو حسبينا .

إن البلغم إذا انماع واستحال إلى كيفية رديئة لذاعه ، سار وعلا إلى الدماغ من أحد الأطراف ، ثم احاط في الأوردة نحو القلب ، وأفسد بلوغه موضع الحسن والفك والحفظ من الدماغ ، وسلك في الأوردة نحو القلب . فإن قويت الحرارة الغريزية ، التي منشؤها القلب ، على تحليله حللت ، وكان الذي يعرض منه الصرع . فإن أعضاء الدماغ التي ذكرنا إذا ألمت غلبت وسكنت ، وكان الأضطراب الذي (٨٦ ب) يجد في بدن مجاهدة الغريزة للعرض . فإذا قويت عليه قدفت به وحللت ، وهو ما يرى من الزبد الظاهر على فمه .. وإذا عرّض ذلك تلته الإفaque . فإن غلبت الفضلة غلبة شديدة وضعفت الغريزة حتى خالط بطん القلب ، اطفئت الغريزة وأحمدت رطوبة القلب دمها لإماتتها بالبرد . فمات الحيوان من ساعته . وهذا العرّض هو المسمى الموت السريع الذي تسميه العامة : الفجأة .

وإن قاومت الغريزة العرّض قبل أن يصل إلى القلب وجاهده و لم تقوى على حل الفضلة ، لم يمكن أن يبقى على مجاهدته أكثر من الثنتين وسبعين ساعه ، التي هي عدد ثلاثة أيام بلياليها ، لأن الغريزة تضعف لانقطاع المادة هذه المدّة ضعفاً شديداً ، وتفيق قوة (١) الغريزة فتغلب وتنهي (٢) المادة إلى القلب فتطفئ حرارته وتجمد رطوبته فيموت الحيوان . وهذا العرّض هو المسمى : السكتة . ونهاية بقاء صاحبها قدر هذه الأدوار الثلاثة ، حتى يموت .

(١) م : القوة الغريزية .

(٢) ك : إلى المادة .

وإن قويت الغريزة على دفع الفضلة عن القلب ، وضعفت الغريزة التي في أعضاء البدن عن دفعها ، مالت إلى الجهة من البدن التي ضعفت عن دفعها . فإن صارت في أحد شِقَيِّ البدن أفسدته وأفسدت أفعاله . وهو هو العرض المسمى : الفالج .

فإن ضعفت الغريزة كلها عن دفعه إلا ما كان منها في القلب ، أفسد أفعال البدن كله ، وسلم الحي من الموت . وهذا العرض يسمى بخلع الأعضاء .

وإن مال إلى عضوٍ واحدٍ أو عضوين – كيدٍ أو رِجْلٍ أو الرجلين من سفل البدن ، أو اليدين من علوه – أبطل أفعالهما . فاما ما كان في الرجلين فيسمى إيقاعاداً . وما كان في اليدين يسمى : عسماً . وكذلك إن مال إلى لسان^(٣) أو عضلَ من عضل البدن فأفسد فعلها ، كالذى يعرض في العين فيسمى : شترًا ، وكذلك يعرض في الشدق على العين فيسمى : لقوة قامة ، وكذلك يعرض في اللسان فيسمى : خرَساً . وما كان كذلك ، فاما فصل ما بين الشتر في العين واللقوة فإن الشتر يكون إذا مال إلى العضلات التي في الجفن الأسفل فأرخاها . وأما اللقوة فإذا مال إلى عضلات الجفون جمِيعاً السفليًّا والعلويًّا وعصب العين المحرك لها ، وذلك وعضل الشدق ، فإن هذا العنصر عنصر ومادة هذه الأعراف جميعاً ، والغريزة في البدن ، كَحَفَظِهِ الحصن إذا أحاط به العدو ، وحارب كل واحدٍ عن موضعه فأيّهم ضعف عن محاربة عدوه غلبه العدو على موضعه . فإذا انحنت الفضلة جاهدتها الغريزة التي في كل عضوٍ من عضوها . فإذا ضعفت عن مجاهدة الفضلة ، دخلت الفضلة موضعه ، وغلبت عليه وأفسدته . إن كل حامٍ من الغريزة ذابٌ عن عضوه الذي هو فيه غير ذلك الضعيف المحلول محله المغلوب على حوزته . فالمادة واحدة ، والأمراض

(١) ك : يسان .

مختلفة باختلاف مواضعها وقوة الفضلة وضعفها . وعمل الاختلاف تضعف الغريزة في بعض الأعضاء دون بعضٍ .

تمت الرسالة ، وله الحمد .

* * *

وقال في فصل يبطل به رأي من يرى عَوْدَ النفس إلى هذا العالم من أصحاب التناسخ ؛ وإذا بطل دعوى من يدعى عَوْدَ النفس ، يبطل عود ذي النفس . قال : هذا بمنزلة من يقولون إن رجلاً كان (٨٧ ب) يشترق إلى اللذات التي من ناحية الشهوات ، كالأكل والشرب ، وكان يعدمها ، فلما وجدها عطف على علف الحمار ونور الجَمَل من التبن والخشيش والقث وما أشبهه . وهو على ذاك لا يلتذر بها . فعلى هذا ، كيف تشترق النفس الناطقة — في حال تدبيرها للبدن ومعاناتها لأعباء الطبيعة — إلى المعرف والخبرات ، فلما تخلت من البدن ومن الطبيعة عادت إلى أحوالٍ كانت لا تشترق إليها ولا تتزع نحوها ، ولا كانت من سجيتها ؟ !

وقيل للكندي : فلان " غنِيٌّ " . فقال : أعلم أن له مالاً ، ولكني لا أعلمه غنياً ، أم لا ، لأنني لا أدرِي كيف يعمل في ماله .

وقال : الحكمة إن كانت معطية كل شيء حقاً ، فهي حق ؛ وهي أنفَسُ الحق . فمن أعطته ذاتها ، فقد أعطته أنفس الحق .

وقال : ليس كل مطلوب خارجٍ عنا بموجودٍ كلما طلب ، ولا موجود منه عَقِيبٌ شيءٌ متنٌ فُقدِ .

وقال : رحمة العلماء إنما تكون من الشرّ ، وضحك الجهال بالذل . وهاتان رذيلتان لأن الشرّ خاصة لكل رذيلة ، والذل لاحقة كل رذيلة .

وقال : أكمل الحساسة قلة الاستحياء من النفس . ومن فاته الاستحياء من نفسه لم تَفْتُه الرذائل . ومن عدم الاستحياء من نفسه ، لم يعدم استحياء

الناس من أخلاقه . ومن لم يصاحب الاستحياء من نفسه ، صحبته الآفات . ومنْ لزم الاستحياء من نفسه ، لزمته السلامة . ومنْ لم يفته الاستحياء من نفسه ، لم يلتحقه الذم ، لأن مع ركوب ما يستحينا منه الملامة^١ والذم لكل من وجبت عليه الملامة . فمَنْ لم تلزمْه الملامة ، لم يلتحقه ذم .

وقال : العدل الموجود في كلية^(١) الأشياء هو خاصّة الطبع (٨٨) الحقيّ ، لأن الأعراض إنما هي الخروج عن العدل الحقيّ في الأطراف ، أعني الزيادة والنقص . والعدل في القوة المميزة لا تقصير عن الحق الأنفع ، ولا تتجاوز إلى الباطل ، أعني المكر والخييل وغيرهما . والعدل في الشهوة ألا يُقصر عن تناول ما به يبقى الإنسان ، وأن لا يقدر ذلك إلى ما به أقسام بدنه ونفسه ومنها عن أفعالها الشريفة . والعدل في الغضب ألا يُقصر عن النجدة ، أعني الاستهانة بالمؤذيات البدنية والخد في ذب المكاره عن ذاته ، وأن لا يعود ذلك إلى تناول ما ليس له ، والغضب والغشم والغيظ .

فالشيء الطبيعي إذن للذواتنا : الحكمة ، والعدل ، والعفة ، والنجدة . وأضداد هذه ، وإن كانت في ذواتنا ، فهي عَرَضٌ غير طبيعية لنا . فبحث إذن يجب أن يكون سعينا واجتهاهنا في استحقاق هذا الشرف الذي قدّمنا ذكره .

وقال : الرياضيات أعياد النفس ، لأن فيها ومنها وبها تظهر للنفس العجائب الموفقة لها ، والدين^(٢) المنشورة عندها وتتناول اللذات الخفية لديها والتمتع بالراحة الحقيقة الصادقة فيها .

* * *

وهذه أقاويل موجزة مختصرة مبسوطة مكشّفة عن الآفات المعارضه في سبل الفضائل المانعة من الانتهاء إليها ، والأزواد والآلات المعينة على الانتهاء إليها :

(١) ك ، م : كله .

(٢) كذا في النسخ ، ولم نفهمه .

أَنْمِنَ السُّلْعَ الْفَضْيَلَةَ . وَلَا حَرْبٌ أَجْحَفَ مِنَ الرَّذِيلَةِ .
مِنْ أَتَعْبِهِ الْهَرْبُ مِنَ السَّيَّئَاتِ زَمَانًا ، أَلْبَسَهُ دَوَامُ الرَّاحَةِ فِي ظَلَالِ الْحَسَنَاتِ
أَمَانًا .

وَمِنْ هَرْبٍ مِنْ تَعْبِ الْبَدْنِ الزَّائِلِ ، لَمْ يَنْجُ مِنْ تَعْبِ النَّفْسِ الْلَّازِمِ
الْقَاتِلِ .

مِنْ اتَّخَذَ الْعَدْلَ سُنَّةً ، كَانَ لَهُ أَحْصَنُ جُنَاحَةَ .
(٨٨ بـ) مِنْ اتَّخَذَ الْحِكْمَةَ بَحَامًا ، اتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا .
الْعَارُ عَدْمُ الْعِفَةِ ، وَالشَّرَّهُ أَدْنَى حِرْفَةَ
مَنْ صَبَّا إِلَى الشَّهْوَاتِ ، أَعْقَبَهُ الْبَلِيَّاتِ
مِنْ ظَهَرِ زَهْدِهِ ، اشْتَدَّ أَيْدِيهِ ، وَلَمْ يَعُصِّهِ عَبْدُهُ ، وَسَعِدَ جَدُّهُ
الْزَاهِدُ هُوَ الْوَاحِدُ
مِنْ زَهْدِهِ فِي الدُّنْيَا ، مُلْكُهَا ؛ وَمِنْ حَرْصِ (١) عَلَيْهَا أَهْلُكَهَا .
مِنْ زَهْدِهِ فِي الدُّنْيَا لَمْ تَفْتَهْ ؛ وَمَنْ حَرْصَ عَلَيْهَا أَتَعْبَتْهُ .
مِنْ اتَّخَذَ الْحِرْصَ شَعَارًا ، جَرَّعَهُ (٢) الْفَوْتَ مَرَارًا .
مِنْ حَسْنُ قَنْوَعَهُ ، دَامَ رَبِيعَهُ
الْقَنْوَعُ خَيْرٌ مِنَ الْخَضْوعِ
مِنْ باعَ الطَّمْعَ بِالْيَأسِ ، لَمْ يَسْتَطِلِّ عَلَيْهِ النَّاسُ
مَنْ لَزَمَ الطَّمْعَ ، لَزَمَهُ الْجَزْعُ
مِنْ لَمْ يَزَلَ الطَّمْعَ لَهُ رَاكِبًا ، لَمْ يَزَلَ الْفَقْرَ لَهُ صَاحِبًا
مِنْ تَوْلِيجَ ضَيقِ مَسَلَكِ الْحَلْمِ ، أَفْضَى بِهِ إِلَى سَعَةِ أَوْطَانِ الْأَمْنِ
مِنْ كَانَ الْحَلْمَ لَهُ وَطَنًا ، كَانَ لَهُ العَزُّ مَعْقَلًا
مِنْ سَكْنٍ عِنْدَ الغَضْبِ لَمْ يَتَحرَّكْ لَهُ الْعَطْبُ

(١) كـ ، مـ : احْرَصَ .

(٢) كـ ، مـ : جَرَعَتْهُ .

من أطاع الغضب عصته السلامة ؛ ومن عصى الحلم أطاع الذل .
 من فحش غضبه ، هدم حسبي . ومن تفحم الغضب ، اقتحم عليه النم
 خوف ما لا نفع له مِنْ أخلاقٍ من لا^(١) عقل له .
 شُرُبُ السَّمَّ أهون مِنْ تضمُّنِ الهم
 من اتبع الصبر ، اتبعه النصر
 مَنْ حَسُنَ خلقه ، طاب رزقه ؛ وَمَنْ ساء خلقه قل رزقه
 مَنْ حَسُنَ رفقه ، عظم حقه
 من رفق رتق ، وَمَنْ خرق حمق
 الْخُرُقُ فِي الأَعْمَالِ أَدْعَى إِلَى الإِقْلَالِ
 الفخر أصغر للقدر
 من فخر فجر
 مَنْ رضي بمحظوظ الناس ، لم يبنله اليأس
 مَنْ رضي بحظ غيره لم ير النقص في خيره
 الحسد غاية الكمد . حزن الحاسد أبداً غير خامد . غيظ (٨٩) الحاسد
 إلى الأبد . والحسد غير واجد ؛ فالحسد أبداً فاقد .
 الجود مورود غير موجود
 ما أبشع البخل بكل ذي عقل
 البخيل أبداً ذليل . البخيل غير أصيل . من أشدت بخله ، قل "أكله
 الأمانة ثوب الصيانة .
 خيانة الناس أبشع افلاماً . مَنْ لزم الوفاء لزم الرضا . مَنْ أطاع الوفاء ،
 لم يتعصّب الاخاء . مَنْ ساس نفسه بالصدق ، لم يجد لشيء فقداً .
 مَنْ صدق لهجته ، ظهرت محججته
 من صدق نفسه ، دام آنسه
 من كذب ذهب .

(١).ك : أخلاق ما عقل له . م : من أخلاق ما لا عقل له .

من استطال على الإخوان ، لم يصحبه إنسان
مَنْ عَدِمَ الْأَخْوَانَ ، أَكْثَرُ ذَمَّ الزَّمَانَ ، لَمْ يَعْدِمْ
الْأَحْزَانَ . وَمَنْ كَثُرَ مِنَ الْأَحْزَانِ لَمْ يُعْتَبِهِ^(١) الزَّمَانَ . وَمَنْ لَمْ يُعْتَبِهِ الزَّمَانَ ،
لَزَمَهُ الْهُوَانَ .

وَمَنْ حُسْنَ اُنْسَهُ ، كَثُرَ جَنْسَهُ . وَأَخْصَّ الْأَجْنَاسَ جَنْسَ الْأَيْنَاسَ . وَمَنْ
فَلَّلَ جَنْسَهُ أَهَانَ نَفْسَهُ .

الصَّلَفُ أَنْتَنَ منَ الْجَيْفَ . مَنْ ظَهَرَ صَلَفَهُ ، بَطَلَّ أَنْفَهُ .

مَنْ جَارَ عَنِ الْقَصْدِ ، تَاهَ فِي الْجَهَدِ

السَّرْفُ طَمَى ، وَالْعُجْبُ عَمِى

مَنْ أَعْجَبَ نَفْسَهُ ، فَقَدْ فَسَدَ حَسْنَهُ . وَمَنْ دَخَلَهُ الْعُجْبُ فَقَدْ لَبَسَهُ
الْكَذَبَ . الْمَعْجَبُ أَكْذَبُ ، وَمَعْرِفَةُ النَّفْسِ أَصْوَبُ . مَنْ لَمْ يَعْجَبْ بِنَفْسِهِ
نَصَحَّهَا ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِهَا فَضَحَّهَا . خَلَقَ الْمَعْجَبُ عَنْهُ أَنْفُسَ أَخْلَاقِهِ ،
وَأَحْسَنَ مَا يَرَى فِيهِ فَقَدْ أَخْلَاقَهُ . الْمَعْجَبُ أَبْدَأَ مُغْضَبَ .

مَنْ اقْتَحَمَ الْهَزْلَ ، ارْتَطَمَ فِي الْجَهَلِ .

مَنْ هَذَى يَ ، أَذَى .

السَّعَايَةُ خَرَايَةٌ .

مَنْ سَعَى فَقَدْ هُوَ .

الشَّاعِلُ بِالْمَلِىٰ^(١) مِنْ أَفْعَالِ الصَّبَّىِ .

مَنْ كَسَلَ ، هَزَلَ .

وَقَالَ لَهُ قَائِلٌ يَوْمًا : سَمِعْتُ فَلَانًا يَتَقْصِيكَ ، فَغَمْتَنِي ذَلِكُ وَعْرَفْتَهُ نَفْسَهُ .
فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي أَنْ تَغْمِّ إِذَا أَنَا تَنْقَصْتُ نَفْسِي وَتَعْرَفَنِي عَنْدَ (٨٩ بـ) ذَلِكَ
نَفْسِي ، فَإِنِّي أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْكَ لِقَدِيمِ الْمَوْدَةِ .

(١) أَعْتَبَهُ : أَرْضَاهُ .

(٢) فِي هَامِشِكَ : بِي (!)

وقال له قائل يوماً : إن فلاناً يتناولك بلسانه . فقال له : إن لم يتناولني طبعي ويجرني إلى لسانه ، لم يكن في طبع لسانه أن يتناولني كما تناوله طبعه ، وأعفاني ^(١) لساني من تكفل تناوله .

وقال له قائل يوماً : ما سمعت فلاناً يفخر بكندا وكذا ؟ فقال له : من لم يكن الفاخر له فعله ، لم يتزبن له أهله .

وقال له قائل : إن فلاناً يزعم أنك إنما تُمسِّك عنه خوفاً له ؟ فقال : لو خاف ما أخافي منه كان نجداً حُرّاً . فقال له الرجل : وكيف ذلك ؟ فقال : لأن العجد لا يستأنس لأعدائه فلا يكون مرقوماً .

وقال له الرجل : مَنْ هؤلاء الأعداء الذين أستأنس لهم ؟ فقال : الخوار وجميع أتباعه . فقال له الرجل : ومنْ أتباعه ؟ فقال له : الجهل والنفاق والسفه والتهور والجبن والحرص والحسد والشر والخلاعة الموجبة لمن كان في نفسها رحمة العقلاء وإصحابه ^(٢) الحمقى . فقال له الرجل : هو عند نفسه النجد البطل . فقال له : هو إذاً القويُّ على نفسه ، الذي لا يصرفه عن فعل ما يوجه الحق خوفُ الموت .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أقوى الناس ؟ فقال : أقواهم على نفسه . فقال له : ومنْ أشدّهم قوَّةً عليها ؟ فقال : مَنْ أمات شهوته ، وذلل غضبه حتى يصير له مركباً سلس القياد ، ينال به الحق ويدفع به الباطل ، غير مكترث في ذلك بالموت . فقال : فمن أحكم الناس ؟ فقال له : أعرفهم بنفسه ، وأشدّهم احتمالاً للأدوية البشعة في رفع انتقامتها . فقال له : ومنْ أعدل الناس ؟ فقال : مَنْ لزم الحق فلم يخرج عنه وعن العمل (٩٠) بما يوجه الحق . فقال له : ومنْ أعْفَ الناس ؟ فقال : من عَدَل في شهواته فلم يتزاول منها شيئاً خارجاً عن مأبه الضرورة إلى تناوله في إقامة صورة الشخصية وإنما

(١) ك ، م : واعفني .

(٢) غير واضح في المخطوطات .

مثلنا على شريطة ناموس العقل وناموس الوضع .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أَشْقَى النَّاسَ فِي دُنْيَاكُمْ ؟ فقال : مَنْ كَانَ إِرَادَاتُ نَفْسِهِ اقْتِنَاءُ الْخَارِجَاتِ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ فِي كُلِّ حَالٍ يَفْوَتُهُ بِمَطْلُوبٍ ، وَيَعْوِزُهُ بِمَحْبُوبٍ . وَمَعَ كُلِّ فَائِتٍ حَسْرَةٍ ، وَمَعَ كُلِّ مَفْقُودٍ مَصْبِيَّةٍ . وَهَذَا يُولَدَانٌ^(١) الْحُزْنُ وَالْأَسْفُ الَّذِينَ هُمَّا ضِدُّ الْفَرَحِ وَالْأَغْبَاطِ . وَالْأَضْدَادُ لَا تَوَاقِفُ فِي شَيْءٍ : فَمَنْ كَانَ إِنْسَانٌ حَزِينًا أَسْفًا ، بَطَلَ فَرَحَهُ وَاغْبَاطَهُ . وَمَنْ كَانَ حَزِينًا أَسْفًا ، فَهُوَ نَكِدُ الْحَيَاةِ . وَمَنْ نَكَدَتْ حَيَاةَ ، فَهُوَ شَقِيقُ الْحَيَاةِ . فقال له : مَنْ الشَّقِيقُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ؟ فقال : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ خَالِقَهُ وَمَا يَقْرَبُ مِنْهُ لَمْ يَعْمَلْ بِذَلِكَ .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أَحْسَنَ النَّاسَ صُورَةً ؟

قال له : أَلْبَسُهُمُ الْفَضْيَلَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ . فقال له : وَمَا الْفَضْيَلَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ ؟ فقال له : الْحِكْمَةُ وَالْعَدْلُ وَالْعَفْفُ وَالنِّجَدةُ فِي كُلِّ .

وقال له قائل يوماً : مَنْ أَبْخَلَ النَّاسَ ؟ فقال : مَنْ بَخْلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ جُودُهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ ، وَلَا يُخْرِجُهُ عَنْ مُلْكِهِ . فقال له : وَمَا الَّذِي لَا يُخْرِجُهُ مِنْ مُلْكِهِ وَلَا يَنْقُصُهُ جُودُهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ ؟ فقال له : الْعِلْمُ ، فَإِنَّ الْجَوْدَ بِهِ غَيْرُ نَاقِصٍ مِنْهُ ، وَلَا يُخْرِجُهُ مِنْ مُلْكِهِ^(٢) ، بَلْ يَكْثُرُ بِهِ أَثْمَارُهُ ، وَتَبْقَى آثَارُهُ بِمَا لَنَا فِي ذَلِكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ . فَإِنَّ مِنْ ثُمَرِ الْخَيْرِ خَيْرًا ، وَ(٩٠ بـ) الْخَيْرُ مُحَمَّدٌ الْمُنْقَلِبُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ . وَمَنْ حَسِنَتْ آثَارُهُ فِي دُنْيَاكُمْ . وَالْمُحَمَّدُ مُشَرَّفُ الذِّكْرِ . فَثُمَرَةُ الْجَوْدِ بِالْعِلْمِ شَرْفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنَّ حَمْدَ الْمُنْقَلِبِ أَيْضًا مُشَرِّفٌ فِي الْمُنْقَلِبِ .

(١) ك : ولدان الحزن . م : ولدا الحزن .

(٢) ك ، م : مكاننا .

فقال له : منْ أَجُود النَّاسِ ؟ قال : مَنْ جَاءَ بِمَا فِيهِ التَّحْصُنُ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْتَّرْقِيِّ إِلَى غَايَةِ شَرْفِ الْفَضْلِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ . فَقَالَ لَهُ : وَمَا ذَلِكُ ؟ فَقَالَ : الْعِلْمُ الَّذِي بِهِ الْأَحْتَرَاسُ مِنْ آفَاتِ الْأَنْفُسِ وَالْأَجْسَادِ الَّتِي لِلْإِنْسَانِ الْأَحْتَرَاسُ مِنْهَا ، وَاقْتِنَاءُ الْفَضَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي كُلُّ خَيْرٍ فِيهَا .

وَقِيلَ لَهُ : مَنْ أَجْهَلَ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : مَنْ جَهَلَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ ، لَأَنَّ جَهَلَهُ مَرْكَبٌ . فَأَمَّا الَّذِي يَجْهَلُ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ يَجْهَلُ فَجَهَلُهُ بَسِطٌ غَيْرُ مَرْكَبٍ .

وَقِيلَ لَهُ : مَا أَحْقَ الأَشْيَاءِ بِالْحَمْدِ عِنْ دَوْيِ الْعُقُولِ ؟ فَقَالَ : مُبْدِعُ الْكُلِّ - جَلْ ثَنَاؤُهُ - وَجَعَلَهُ سَبِيلًا لِثَبَاتِ خَلْقِهِ ، وَوَجَدَانَهُ ، جَلْ ثَنَاؤُهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا سَبِيلُ ثَبَاتِ خَلْقِهِ ؟ قَالَ : الْعَدْلُ ، لَأَنَّ الْمُعْتَدِلَ ثَابِتٌ ، وَالْخَرْوَجُ عَنِ الْأَعْتَدَالِ زَائِلٌ فَاسِدٌ . وَالَّذِي بِهِ وَجَدَانَهُ - جَلْ ثَنَاؤُهُ ! - الْعَقْلُ ، فَإِنَّهُ بِهِ وَجَدَنَا أَنَا مُبْدِعَوْنَ فَتَوَجَّبُ وَجْدَوْنَ مُبْدِعَ(١) .

أَحْمَدُ بْنُ الطَّيِّبِ السَّرْخِسِيِّ (٢)

كان من تلامذة الحكيم أبي يوسف يعقوب بن إسحق والمختصين (به) .
وكان يقول : الأفعال التمييزية واقعة بإرادة المختار ، والأفعال الطبيعية
سواء في ذي التمييز والبهيمة . والعادة أرذل من الطبيعة . فالعادة إذاً من الأفعال
البهمية . فقبح من له الفضل النطقي أن تكون عادته أغلب عليه من التمييز .

(١) لم يورد عمر بن سهلان الساوي في اختصاره لصوان الحكمة بعنوان : « مختصر صوان الحكمة » (مخطوط فاتح بالمكتبة السليمانية باسطنبول رقم ٣٢٢٢) من كل هذا الفصل الخاص بالكتاب
غير ٣٧ سطراً فقط .

(٢) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٦١ - ٢٦٢ ، نشرة فلوجل ، وأ ابن القفعي ص
٧٧ وأ ابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٢١٤ - ٢١٥ ؛ فستنفلد : « تاريخ الأطباء العرب »
برقم ٨٠ ؛ لوكليير ٢٩٤ ؛ سوتير ، ٦٣ ؛ ياقوت : « ارشاد الأديب » ج ١ ص ١٥٨ -
١٦٠ . وقد توفي في سجنه في شهر صفر سنة ٢٨٦ هـ / فبراير - مارس سنة ١٩٩٠ م .

الحسن بن اسحق بن محارب القُمِيّ^(١)

(٩١) ذكروا أن الرئيس أبا الفضل ابن العميد يفتخر بابن محارب ويقول : لو لم يخرج من بلدنا ، يعني : قُمَّا ، سواه لكان كافياً . وقال : العشق هو الشوق إلى الاتحاد بالعشوق .

وقال : قال بعض الأوائل : مَنْ شَكَّ فِي غَلَبةِ الطَّبَاعِ فَلِينظُرْ إِلَى وَلَدِ الْحَيْوَانِ كَيْفَ يَهْتَدِي إِلَى الْمَصْرِ وَالرَّضَاعِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمٍ .

وقال : من كلام الأولين : لا شيء أنفس من الحياة ، ولا غبن أعظم من إنفاذها لغير حياة أبدية .

وقال : الرغبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : إما أن تكون في دنياه محبةً ، وإما في آخرته محبة ، وإما فيما معًا . وكذلك الرهبة : إما أن تكون من أمور دنيا محبة ، وإما في آخرة محبة ، وإما منها معًا . والسبيل إلى نيل تلك الرغبة ، والسلامة من تلك الرهبة متفاوتة كثيرة . وقد يعرض في الرغبة التي في دنيا محبة أن يتسلق إلى المطلوب منها إظهار الرغبة في الآخرة . وقد يجمع الرغبة والرهبة " أمر واحد" هو حب الحياة والبقاء . وأنواع ذلك كثيرة ، ومراتبه لا تُحصى . غير أنه ينقسم ذلك لنفسياني وطبيعي . أما النفسياني فكمحبتنا للترأس . وأما الطبيعي فكمحبتنا للأموال التي هي علة الغذاء ، والغذاء الذي به يكون بقاء الصورة . فالترأس ينقسم لأمور كثيرة متفاوتة ، كالخلافة والإمارة . وكذلك الغذاء متفاوت الأسباب والأحوال . قد يتنافس الناس في منازل ذلك حتى يولـدـ فعلـهـمـ لهـ العـداـوـاتـ وـالـمـاشـاجـرـاتـ وـالـمـاشـاجـبـاتـ وـالـفـخـرـ وـالـافـتـخارـ . فإن قد حصلنا (هذا) ، فلنكتـفـ بهـ .

(١) أسقط الساوي في مختصره كل هذا الفصل .

أبو الحسن ثابت بن قرفة المحراني (١)

كان من الصائبة . وله سوى (٩١ ب) براعته في علوم الأولئ رأس مالٍ كثیر ورياسة عظيمة في الصائبة . وقد رأیت له عدة كتب مصنفة في مذاهبهم هي عمدتهم الآن . وقد بلغ من جلالة قدره وعظم محله في العلم أن جعل کالمتوسط بين يحيى التحوي وبين برقلس . وله عليهما کلام طويل تشتمل عليه دسوت كاغد .

وذكر أبو سليمان السجزي قال : اجتمعنا ليلةً عند الملك أبي جعفر بن بابويه بسجستان . فجرى حديث فلسفه الإسلام ، فقال الملك : ما وجدنا فيهم ، على كثريهم ، منْ يقوم في أنفسنا مقام سocrates ، أو أفلاطون ، أو أرسطوطاليس .

فقيل له : ولا الكندي ؟

قال : « ولا الكندي ! إن الكندي على غزارته وجودة استنباطه رديء اللفظ ، قليل الحلاوة ، متوسط السيرة ، كثير الغارة على حكمة الفلسفه . و ثابت بن قرة ألزم للقطب وأشد اعتناقاً لهذا الفن . ثم جميع الناس يتقاربرن بعدهما ، وهما السبق . على أن الدين مكسرة لغرب هذا الشأن » . وذكر أشياء من هذا الضرب تركناها (٢) كراهة للاطالة .

(١) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٧٢ ، ٣٠٢ ، فلوجل . وقد ورد فيه أن مولده سنة ٢١٥، ووفاته سنة ٢٨٨ هـ وله سبع وسبعون سنة شمسية ؛ راجع كذلك ابن خلkan ، برقم ١٢٧. وابن العربي تاريخ مختصر الدول ص ٢٨١ ؛ وأبو المحاسن ج ٢ ص ١٣٠ ؛ وابن القفعي ص ١٣٢ وما يليها وابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٢٢ وفتنفلد : « تاريخ الأطباء العرب » ص ٣٤. برقم ٨١ ؛ وشولسون : « الصائبة » ج ١ ص ٤٦ وما يتلوها ، وج ٢ ص ١٠ وما يتلوها ؛ والمجلة الآسيوية اغسطس - سبتمبر سنة ١٨٥٤ ، ص ١٩٤ ؛ لوكليير : « الطب العربي » ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) ك ، م : تركنا .

وحكى سنان بن ثابت عن والده قال : كان أبي ^(١) قرة يعتقد أن المنامات كلها أضغاث أحلام لا يصح منها شيء ، ولا تدل على شيء . وكان أبو الحسن ثابت يرى أن بعضها يصح وبعضها لا يصح . وكان جميماً بسُرّ من رأى . وقد خلف أبو الحسن زوجته بحران وهي حامل . قال : فأتيت أبو قرة ليلة من الليالي فقال لابنه الحسن : يا بُنَيَّ ! رأيتُ الساعة رؤيا هي مهنة ما بيني وبينك في أمر المنامات . فإن صحت استأمنت إليك ، وإن (٩٢ أ) بطلت يجب أن تستأمن إلى . فقال : ما هي ؟ قال : رأيت كأنه ورد علي كتاب بأنك قد رزقت ولدًا ذكرًا في هذه الليالي وأن الطالع سبع درج من السرطان . قال : وأثبتت الرؤيا وتاريخها . فلما كان بعد بضعة عشر يوماً ، وردد كتاب بالتهنئة بمولود . فرجعنا إلى ما أثبتناه من تاريخ الرؤيا ، فكانت تلك الليلة بعينها . ولما كان بعد أيام ورد كتاب وفيه نسخة المولد . فوجدنا الطالع سبع درجات من السرطان كما رأى في منامه . فاعتقد قرة بعد ذلك مثل اعتقاد ابنه .

وحكى عن أبي اسحق الصابي الكاتب ، قال : رأيت ثابت بن قرة الحراني في المنام قاعداً على سرير في وسط دجلتنا هذه ، وحوله ناس كثير كان كل واحد منهم من قطر ، وهم على خلق مختلفة ، وهو يعظهم ^(٢) ويتبسم إلى في خلال وعظه وكلامه . وحصلت عنه نكتة شريفة ذهبت عن في اليقظة وساعني ذلك جداً . وكنت أسرح فكري كثيراً في الظفر بها ^(٣) والوقوع عليها ^(٤) فلا يعود بطائل . فلما كان بعد دهر وبعد اختلاف أحوال ، ذكرت أنه قال لي : خذ يا ابرهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات التي هي خير لك مِنْ أهلك وولدك ومالك ورتبك :

(١) ك ، م : ابو قرة . - والمقصود أبوه ، أعني والد أبي الحسن ثابت بن قرة ..

(٢) ك : يعظهم .

(٣) ك ، م : به ... عليه .

اعلم أن اليقظة التي لنا بالحسّ هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل هو اليقظة . ولغلبة الحسّ علينا قد اتفقا أن الأمر بخلاف هذا . وإنما فَغَلَبَ العقلَ مَكَانَ الحسّ ، ينْصِدِّعُ لِكَ الْحَقُّ فِي هَذَا الْحَكْمِ . فإذا وُضِحَّ هَذَا ، فِي الْوَاجِبِ يَنْبَغِي أَنْ نَتَفَصَّى^(١) مِنَ الْحَسّ وَإِنْ ظَنَّا أَنَّ الْيَقِظَةَ مِنْ نَاحِيَتِهِ وَتَنَبَّسَ بِالْعَقْلِ (٩٢ ب) وَإِنْ ظَنَّا أَنَّ الْحَلْمَ مِنْ نَاحِيَتِهِ .

وكان أبو اسحق^(٢) يقول : وهذه النكتة مفروشها واسع ، ولكن بقي أن نفهم متفعلاً بها ، وتنسخ على وجه التقبل لها ، لا على معنى الاعتراض عليها .

الفلسفة هي لطائف العقل . وكل من لَطُفَ وصل إليها . ولطف الإنسان في طلبها هو تأنيه عند التفهم ، وصبره عند الطلب ، وثباته على السيرة التي ندب إليها المشفقون الناصحون ، فإن النفس تزكي عنده ذلك ، والصدر يشرح ، والخاطر يتوالى فلا يبقى حينئذ باب إلا افتح ، ولا مشكل إلا ووضح .

وجري بحضور أبي الحسن ثابت بن قرة ذكر ما كان يحكى عن فيثاغورس وشيشه من تعظيمهم العدد وإيثارهم لإيهاد واستعمالهم له في كلامهم ، وإقامتهم البراهين على الأمور مع بعدها عنه ، وتفاوت ما بينها وبينه ، وما يرجس لذلك في النفس من أنه لا موقع له فيها . فسألناه عما عنده في ذلك ، وهل يجوزه من جهة من الجهات ؟ فذكر أن هذا الرجل وشيشه أعلم وأجل من أن يتهموا بتفصير أو خطأ في معرفة ، وأنه لا ينكر أن يكونوا قد وقفوا من طبيعة العدد وعلموا من أسرار أمره أشياء توجب ما يحكى عنهم لم تنته إلينا ولا إلى من هو أقدم من أهل دهرنا بمئين سنين ، فإن علومهم قد انقرضت ولم يصل إلينا منها حرف . ولا يبعد أن يكون للأعداد والأشكال موقع من الأشياء حتى يتصل به كثير من أحواها الطبيعية اتصالاً غير^(٣) ظاهر . قال : فقد وجدنا بعض الأشكال

(١) كـ: تفهي - وتفصي (بالصاد المهملة) : نفصل ونتجرد . - وفي م مهللة النقط .

(٢) كـ، م : وكان يقول أبو اسحق .

(٣) كـ، م : عن .

في أمرٍ من الأمور الطبيعية الحقيرة موقعاً ظريفاً دلتنا على أنه قد لحق (٩٣ أ) ذلك الأمر - مع صغر شأنه - من آثار القَصْد والعناية والحكمة ما لا غاية وراءه في الاتقان ، وهو الشكل المُسَدَّس . وذلك أننا تأملنا البيوت التي ينشئها النحل من الشمع فوجدناها كلها مسدسة . فلما تدبّرنا الأمر في ذلك وفکرنا في السبب فيه ^(١) وجدناه من أعجب الأمور وأدلّها على غاية العناية . وذلك أنه كان يحتاج في هذه البيوت إلى أن تكون متساوية وإلى أن تكون أوسع ما يمكن أن تكون عليها ، وإلى أن يكون شكلها شكلاً تشحّن به العرصة وتملأها ولا يُوقع فيما بينها فُرَجًا تذهب ضياعاً . فكانت الحاجة إلى السعة تدعو إلى أن تصير أشكال هذه البيوت مستديرة ، لأن الشكل المدور أوسع من كل شكل ذي زوايا لحيطه تساوي بساقين ^(٢) محيطه . إلا أنه لو جعلت أشكال هذه البيوت مستديرة لما ملأ العرصة ولا شحّتها ولضاع في خلال كل عدّة منها فُرَجٌ لا يتتفّع بها . فعُدِلَ لذلك عن الشكل المدور التماساً لما يملأ العرصة من الأشكال . ولما كانت النتيجة قد تهيأ بعدّة من أصناف الأشكال كالمثلث والمربع والمتسدس ، اختير المتسدس من بينها لأنّه يجتمع فيه - مع مشاركته لها استغراق العرصة واستيعابها - أنه أوسعها كلها ، وكان هذا الاختيار الذي قصد فيه بجمع المنافع على أكثر ما يمكن منها وأوقعه من أوضاع دليل على حكمة المختار وتعهده الصلاح . وكان العدول عن المدور وعن سائر الأشكال التي هي أوسع من المتسدس والمخمس يفصل ما بينها و (٩٣ ب) بيته في السعة للضرورة إلى النتيجة المتنعة في طبعه جميعاً . وهذا مِصادق ما قال أفلاطون من (أن) الأشياء متولدة فيما بين العناية والضرورة .

قال : فانظر إلى ما قد احتاج إليه الآن من جليل علم الهندسة في معرفة أمر بيوت النحل والمنفعة في شكلها الذي هي عليه مع صغر شأنها عندنا وقلّته ؛ وأنه قد احتاج إلى أن يُعلّم أن الأشكال ذات الأضلاع المتساوية التي

(١) ك ، م : فوجدناها .

(٢) ك : لساقين .

إحاطتها متساوية أكثرها أضلاعاً ، فتبعها . وهذا مما البرهان عليه بموضع من الصعوبة . فأما الذي ينكر على ما رأيت من موضع هذا الشكل في هذا الأمر الحقير من الأمور الطبيعية لأن يكون لغيره من الأشكال والأعداد موضع لطيفة لم يوقف عليها فيسائر الأمور الموجودة من الطبيعية وقانون الطبيعة^(١) .

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي^(٢)

هو من متقدمي الأفاضل ونقلة كتب الأوائل ، ومن له السبق في ذلك حنين وابنه وثابت بن قرة الحراني .

وقال : ترجمتُ مِنْ كلامِ فيلسوف : إذا طَرِّتَ وَقَعْتَ قَرِيباً . والتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماء ، كما أن المكان المتخفض أكثر البقاء ماءً .

وأيضاً : أَنْسٌ الأَنْسِ يُذْهِب بوحشة الوحدة ، ووحشة الوحدة تُذهب بأنس الجماعة .

وأيضاً : مَنْعُ الحافظ خيرٌ من عطاء المُضيّع .

وأيضاً : الرجال يفيدون المال ، والمال يفيد الرجال .

وأيضاً : إذا أبصَرَتِ العينُ الشهوةَ ، عمى القلب عن الاختيار .

وأيضاً : مَنْ نظر إلى الموت (٩٤) بعيداً ، ومن نظر إليه بعيد عقله وجده قريباً .

وأيضاً : لا تتلبّس بالسلطان في أوقات اضطراب الأمور عليه ، فإن البحر

(١) لم يورد إنساوي في مختصره من هذا الفصل غير ٦ أسطر .

(٢) عينه الوزير علي بن عيسى رئيساً للبيمارستانات في بغداد سنة ٣٠٢ هـ (سنة ٣١٤). راجع عنه ابن أبي أصيحة ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢٣٤ .

لا يكاد راكبه يتسلّم في حال سكونه ، فكيف مع رياحه واضطراب أمواجه !

وأيضاً : العقل صفاء النفس ، والجهل كدرها .

وأيضاً : إن الله أضاف إلى كل مخلوق ضده ليدلّ على الانفراد له وحده .

وأيضاً : كرم الله لا ينقض حكمه ؛ وهذا لم تقع الإجابة لكل دعوة .

وأيضاً : للطالب النجح لذة الإدراك ؛ وللطالب المحقق راحة اليأس .

وأيضاً : كما لا ينبع المطرُ الشديد في الصخر ، كذلك لا ينتفع البليد بكثرة التعليم .

وأيضاً : منْ صَاحِبَ السُّلْطَانَ فَلِيَصْبِرْ عَلَى قَسْوَتِهِ كَصْبَرِ الْمَلَاحِ عَلَى ملوحة البحر .

وأيضاً : العالم يعرف بالحاهل ، لأنّه كان مرّةً جاهلاً ؛ والحاهل لا يعرف العالم لأنّه لم يكن قط عالماً .

وهذه كلمات منتشرات من أمثال اليونانية

ترجمة أبي عثمان

قال : اعجل إلى الاستماع ، وترسل في الجواب .

اجتنب الشُّرُّاً رِيختُبُوك

الاستحياء قد يكتسب صاحبه الوزر أحياناً

كل شيء يألف جنسه ، والإنسان يألف شكله .

منْ منع نفسه فإنما يجمع لغيره

التمس الأنصار قبل الحرب ، والطبيب قبل المرض

لا تعطين سلاحك غيرك ، فيحاربك به

لا تجعل للماء سبيلاً إلينك ، فيغمرك ؛ ولا للمرأة دالة عليك ، فتركبك .

كل جرح ولا كجرح الفؤاد ؛ وكل شرّ (و) لا كشرّ المرأة
 ضربة العصا تجرح البدن ؛ وضربة اللسان تحطم العظام
 قتلى السلاح كثير ، ولا كقتل اللسان .
 زِنْ منطقك (٩٤ ب) كما تزن ذهبك
 سوء العيش النقلة من متزل إلى منزل
 مع الغربة الذلة
 لا غنى يعدل صحة البدن ؛ ولا سرور يعدل سعة الصدر
 المال للجاهل وبالٌ عليه
 لا تكون نهماً على طعامك ، فتمقت ؛ ولا جلداً على الشراب ، فتهلك
 من لم يجرِب قليلٍ ما عَلِم . ومنْ جرَب فقد استكثُر من العلم
 بشِن الصديقُ صديقٌ يحضرك عند السراء ، ويهجرك عند الضراء
 منْ ملَكَ لسانه نجا من الشر
 وقال أبو عثمان : يحتاج في كل شيء من الخير إلى خلتين (١) : التأني
 لا كسابه ، والصواب في استعماله .
 أظهر للناس حُجتك فيما تعمل به وإن لم يكن عليك رقيب .
 أخطر بيالك السوطَ للدواب وأشباءِ الدواب ، والكلامَ والمواعظَ للناس .
 تأميِل الناس خيرك خيرٌ لك من خوفهم نكاشك . شناعة العيب في الرجل
 النبيل كشناعة المحرق في الثوب الفاخر . .

محمد بن الجهم

قال : منْ أفني من العلوم نُتفها ، ومنِ الحِكَم طُرفها ، فقد أحرز
 عيونها وادخر مكنونها .

(١) ك : خلتين .

(*) لم يورد الساوي في مختصره لهذا الفصل غير ٢٥ سطراً ، وأسقط الفصلين التاليين : محمد بن الجهم ، وشهيد بن الحسين .

وقال : من العلم ألا تُحقر شيئاً من العلم ؟ ومن العلم تفضيل كل عالم .

وقال : صَفَ عَقْلَكَ بِالْمَنَاظِرَةِ ، وَاصْلِلْ صَدَأً ذَهْنَكَ بِالْمَذَاكِرَةِ .

وقال : علم عدم البرهان كلسان عدم البيان .

وقال : لا يكون المرء عالماً حتى يكون منه خمس خصال : غريزة محتملة للتعلم ، وعناية تامة ، وكفاية قائمة ، واستنباط لطيف ، ومعلم ناصح .

وقال : إذا غشيني النعاس في غير وقتِ نومٍ – وبئسَ الشيءُ : النومُ الفاضل عن الحاجة – تناولتُ كتاباً من كتب العلوم ، فأجد اهتزازي للفوائد منه (٩٥) كالأريحية التي تعرّيني عند الظفر ببعض الحاجة . والذي يغشى قلبي من سرور الاستيانة وأنس التبيّن أجده أشد إيقاظاً لي من نهيق الحمار وهذه الهدم وصوت الرعد .

شهيد بن الحسين (١)

قال في كتاب : « تفضيل لذات النفس – (التي) هي لذات بالحقيقة – على لذات البدن التي هي إذا حصلت آلام » – قال :

أحد الفضائل التي تفضل بها لذات الأنفس على لذات الأبدان : الدوام والاتصال . وذلك أن لذة النفس – بما تقتنيه من سرور بوجود مطلوبها من الحكمة والعلم ، وبيقين يفضلها على غيرها دائمة – متصلة لا نفاد لها ولا انقطاع . وأما لذة البدن بوجود القوة الحساسة محسوسها فمتقضية زائلة سريعة التبدل والاستحاللة .

(١) ذكره ابن النديم في « الفهرست » (ص. ٢٩٩ ، فلوجل) هكذا : « يكى أبا الحسن . يجري مجرى فلسفته (الضمير يعود إلى محمد بن زكريا الرازى). في العلم . ولكن لهذا الرجل كتب مصنفة » ، وبينه وبين الرازى مناظرات ، ولكل واحد منها نقوض على صاحبه » .

والثاني : الانتهاء ووجود الغاية : فإن النفس كلما تحركت في وجود مطلوب لها فأدركته مرةً انقضى تبعها وتمَّ فعلها وفرغت من شغلها . وأما البدن فكلما انقضى وطره من محسوس له يلتذَّ به تعلل بما نال من اللذة وعادت الحاجة إلى ما كانت . فالحركة دائمة ، وال الحاجة إلى أبد الأزمة . والانتهاء إلى غاية – تكفي وتُغْنِي عن ذلك الشيء بعينه – معدوم .

والثالث : القوة والازدياد ، فإن النفس كلما استفادت فضيلةً من فضائلها واقتفت لذةً من لذاتها ، قويت به على نيل مثلها والازدياد مما هو أفضل منها . فأمّا البدن فإنه كلما نال محسوسه الملتذَّ به أكثر ، كانت قوته على نيل مثله وما هو أفضل منه في جنسه أضعفَ .

والرابع : التمام ، فإن النفس كلما تزيدت (٩٥ ب) في فضائلها وقنيتها صارت إلى تمام طبع الإنسانية . فأمّا البدن فإنه كلما ازداد استهثاراً باللذات المحسوسة ، وانهماكاً فيها ، زادت لذته بالقوة البهيمية التي في الإنسان وبعده^(١) من تمام طبعه وشرائط إنسانيته .

أبو الحسن محمد بن يوسف العامري^(٢)

تفلسف بخراسان . وقدقرأ على أبي زيد أحمد بن سهل البلخي ، وسيأتي ذكره في « تتمة صوان الحكمة ». وقصد بغداد وتصدّر بها وإن لم يَرْضَ أخلاقَ أهلها . وعاد وهو فيلسوف تامٌ . وقد شرح كتب الحكميْم أرسطوطاليس وشاخ فيها .

(*) أورد الساوي في مختصره قبل الفصل الخاص بالعامري فصلاً عن أبي نصر الفارابي لم يوجد في سائر نسخ كتابنا هذا . وقد أثبتناه في المقدمة عند الكلام عن مختصر الساوي هذا .

(١) لك ، م : بعده .

(٢) توفي سنة ٢٨١ / ١٩٩١ م .

وهذا فصلٌ من كتابه الملقب بـ « الأَمَدُ عَلَى الْأَبَدِ » ، ذكر فيه تصانيفه ، فأتيت به على وجهه . قال :

« وبعد ! فإن الله تعالى لما وفّقني لتصنيف الكتب المفتنة في إيضاح المعاني العقلية ، قصدًا لمعونة ذوي الألباب على تعزيز المعلم النظريه ؛ ويَسِّر لي التأليف في « الإِبَانَةُ عَنْ عَلَلِ الدِّيَانَةِ » وفي « الإِعْلَامُ بِعِنَاقِبِ الْإِسْلَامِ »^(١) وفي « الإِرْشَادُ لِتَصْحِيحِ الاعْقَادِ » وفي « النُّسُكُ الْعُقْلِيُّ وَالْتَّصُوْفُ الْمُلِّيُّ » ، وفي « الإِنْتَامُ لِفَضَائِلِ الْأَنَامِ » ، وفي « التقرير لأوجه التقدير » وفي « إنقاذه البشر من ^(٢) الجبر والقدر » ، وفي « الفصول البرهانية للمباحث النفسانية » وفي « فصول التأدب وأصول التحبب » ، وفي « الأبسار والأسحار » وفي « الأفصاح والإِيْضَاح » ، وفي « العناية والدراءة » ، وفي « الأبحاث عن الأحداث » ، وفي « استفتاح النظر » ، وفي « الإِبْصَارُ ^(٣) وَالْمَبْصَرُ » ، وفي « تحصيل السعادة من الحصر والأسر » ، وفي « التبصير لأوجه التعبير » — وغيرها من المسائل الوجيزة (٩٦ أ) وأجوبة المسائل الدينية المتفرقة وشرح الأصول المنطقية وتفاصيل الصفات الطبيعية ، وما استتبّ لي تأليفها بأسمامي الأمراء والرؤساء بالفارسية — ووجدت هذه المؤلفات منتشرة في البلاد ، مقبولة عند أفالضل العباد . ثم علمت أن معرفة الإنسان بحاله بعد موته وعُقَيْب مفارقة روحه بحسده إلى أن يحشر في القيامة ، ويبعث في الشأة الأخيرة مما لا يعذر الغافل في جهله ،

(١) منه نسخة مخطوطة في المكتبة السليمانية باسطنبول في المجموعة رقم ١٧٩ ، ويقع في ٣٤ ورقة ؛ وقد ورد في آخر النسخة : « فرغ من تصنيفي بمخاري في شهور سنة خمس وسبعين وثلاثمائة » .

(٢) منه نسخة خطية في المجموع رقم ١٤٦٣ في مكتبة راغب باشا باسطنبول ، في ٢٨ ورقة (من ورقة ١ - ٢٨) ، وتاريخ نسخها في شهر المحرم سنة ٥٢٥ هـ .

(٣) منه نسخة خطية في مكتبة جامعة برسنستون برقم ٤ ، وفي ٥١ صفحة .

(٤) منه نسخة خطية في مكتبة جامعة برسنستون بالولايات المتحدة الأمريكية (فهرست فيليب حتى برقم ٢١٦٣) في ٢٥ صفحة ..

(٥) منه نسخة خطية في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم حكمة ٩٨ ، ويقع في ٢٤ صفحة .

ويستحب أن يوقف على كنهه . وليس يوجد لطبقات المصنّفين كتاب يتضمن تحقيق هذا الفن . وقد كثُرت فيه شبُّهات الملاحدين واعتراضات الطبيعيين وشكوك المتكلمين ومطاعن أعداء الدين – استخرت الله تعالى في تصنيف مجرد لغته مؤيد بالأدلة الواضحة الصادقة عليه . وسميت كتاب « الأمد على الأبد » . وتحريت فيه ثواب الأحد الصمد جلَّ وعلا . وجعلته مفصلاً ليقف الناظر بفهمه على تأمل كل فصلٍ منه على حدته ، ولا يتجاوزه إلى الذي يتلوه إلاً بعد الإحاطة بمضمونه » .

وقال في آخر الكتاب المسمى : « النسخ العقلي » :

« من الواجب أن يُعلَم أن غاية الأدب أن يستحيي الإنسان من نفسه . فإن كمال المروءة أن لا يكون في الإنسان خبيئة لو ظهرت استحيا منها » .

وقال أيضاً : « شاهد البهيمي الحسن ، وشاهد المنطق العقل » . ولن يستهان الفضيلة في حُسْن العيش ، بل في تدبير العيش . والانفصال من الشر بدءاً منفتح الخير . وما يفعله الباحث أخيراً يفعله العاقل أولاً . وحيث لا عفة ولا عقل (٩٦ ب) فهناك البهيمية المحضة . والعقل يضجر عند محاورة الباحث . وكفى للهوى ذلاً أن لا تساكه الحكمة . ومن استعمل الصلف والاغترار فقد فسد خلقه . الفطن من استفرغ أيامه لأداء ما خُلِق له . والمغبوط من كُفي الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق . والحكمة أن تدع أبداً في الشهوة بقية . ومن قلل الفنية قلت مصابيحه . والمؤيد لعقله يبادر إلى إصلاح ما يخاف التأنيب عليه . ولن يرفع الشريف درجةً في الظاهر عند الناس إلاً حط بقدره من نفسه في الباطن عند الله . ولا نصر في عمر لم يكن خالصاً لطاعة الله تعالى الذي له الخلق والأمر . مراتب التعرّف للذات بحسب المبدأ أربع مراتب : إن يعرف ما هو ، ومن جاء به ، ومن ماذا جيء به ، وكيف كان مجيئه . فاما تعرّف الذات بحسب الغرض إلى الغاية فهو أيضاً أربع مراتب : وهي أن يعرف لماذا هو ، وكيف السبيل إليه ، وما الذي يحتاج إليه في التوجّه نحوه ، وما الذي

يعوقه عن بلوغه . من سُوس العقل الصريح المعرفة بين الحسن والقبيح ، ثم السكون إلى الحَسَن والنفور عن القبيح . إلا أن الشيء متى كان مُفْرِطاً في الحُسْن فـإنه يبهر العقل الجزئي ، فلذلك يحتاج فيه إلى التدرج إليه ثم التمرير عليه . ليس ينتفع بسياسة الشيء إلى الكمال إذا لم يحفظ عليه . ولن ينتفع بالحفظ عليه إذا لم يصر ذاته بنفسه مستحفظاً لطبعه على أخلص كماله وما لم يصبرَ آمناً من طرآن الآفة المغيرة له منه . ولن ينتفع بالأمن منه إذا لم يكن الأمكن أبداً على الإطلاق .

وقيل (٩٧) له لما عاد من بغداد : كيف رأيت الناس بها ؟ قال : رأيت عندهم طُرقاً ظاهرة وشارقة معجبة ومرآة معشوقة . لكنني رأيت من وراء ذلك سخفاً غالباً ، ووداً فاسداً ، واستحقاراً لأهل خراسان وجميع البلدان . وأصلاح ما يتفق للإنسان أن تكون طبيته مشرقية ، وصورته عراقية ؛ فإنه بهذا يصير جاماً بين متانة خراسان وطرف العراق ، مفارقاً لبلاده خراسان ورعونة العراق .

وكان أبو الحسن قريح القلب من أخلاق العراقيين ، فإنه سلخوه وفسخوه وهجروا معه الإنفاق ، فضلاً عن الاسعاف .

وقال في بعض كتبه في صفة الباري : « ظهوره متنع من إدراكه ، لا خفاوه . انظر إلى الشمس هل متنعك من مقابلة قرصها إلا سلطان شعاعها وانتشار نورها ! »

(*) لم يورد الساوي من هذا الفصل غير ١٨ سطراً .

أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجزي^(١)

كان قديم الدرس للفقه أيام الشبيبة ، متمسكاً بطريقة العفاف والسداد . وكان يتناول من الشراب المُختلف فيه تناولاً على أنه حنيفي المذهب .

صاحب أبا جعفر بن بابويه ملك سجستان . وقال أبو حيان : رأيت أبا سليمان السجزي في المنام كأنه غائص في النور ، على غير ساحتاته التي كنت أراه في حياته عليها . فقلت : « يا سيد ! إذا كنت من الهيولي والصورة ، فكيف أصير مع إحداهما وأترك الأخرى ، وأنا بهما أنا ، ومنهما أنا ؟ » فقال لي : « كما تصير مع أبيك ، وتهرب من أمك ، لعلك بأن أباك أقوم بسياستك ، وأهدى إلى مصلحتك ، وأعرف بالعائدة عليك ، وأنظر لك في جميع أحوالك ». قلت : « صدقت يا سيد ! إلاّ أنني بالهيولي أكثر » . قال : « أنت بالهيولي أكثر (٩٧ ب) طيناً ، وبالصورة أكثر عقلاً . وقليل القوي أجدى من كثير الضعيف . فكيف كثير القوي مع قليل الضعيف ؟ ! »

وقال : حكى أيضاً مرة ببغداد سنة سبعين قال : رأيت يحيى بن عدي في المنام ، فقال لي : سعدت يا أبا سليمان ! إنني رأيت أرسسطو طاليس في المنام فقلت له : يا حكيم العالم ! بم سرت في حالك ؟ قال : بإرادة الخير في السر والعلانية ، للصالح والطالع ، في الغضب والرضا ، على السرمد . قال : فقلت : بِمَ نَلَتْ هَذَا ؟ قال : معرفة الإله الذي هو سبب كل خير . وكنت في العلة التي ذكرها أسمع أشياء في نعم الله عز وجل . وكانت تروقني ويشتد بها إعجابي . وكنت أرى أنني قد ثقفتها ووعيتها وحاولت مراراً أن

(١) راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٢٦٤ ، فلوجل ؛ وابن القفعطي ٢٨٢ - ٢٨٣ ؛ ابن أبي أصيبيعة ج ٢ ص ٢٢١ . ؛ البيهقي : « تتمة صوان الحكمة » ٧٤ - ٧٥ ؛ محمد خان قزويني : « أبو سليمان منطقى يحيى ، ما تم في القرن الرابع المجري » (بالفرنسية) مشورات الجمعية الأفريقية ، شالون على نهر السنون ، سنة ١٩٣٣ ؛ « مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق » ج ٢ ص ١٩٣ وما يتلوها ؛ Islamica ج ٤ ص ٥٣٤ - ٥٣٨ .

أكتب فأقول : كيف أكتب ويدني لا تطاوعني ضعفاً . وبعد ، فما الحاجة إلى كتابتها وقد عرفتها . وكانت أعنق ذلك بإعادتي في تلك الحال التي كانت تعاقب ذلك الذهول والفرق بشرارة العلة واحتدادها . ولما أُبْلِلتُ ، فقدت ذلك كله ، وبقي معي من عُرْض ذلك قول ، وهو أنه قيل لي أن تذوق أحد حلاوة الفلسفة الأولى وإن كان راضياً عن نفسه بفضله ، مرضيًّا عند إخوانه بأدبه ، حتى يسمع باللفظ ما له حد ، ويجد بالعقل ما لا حد له . وكانت أرى أن الذي سمعته كان أبسط من هذا وأشد تيقناً . إلاّ أنني حصلت ما كتبته لك . سمعت قائلًا يقول : طيب يا هذا بيتك الذي أنت ساكنه حتى تنعم ، ولا يحاورنك فيه من لا تأمن غاثلته . فزدت بعد ذلك حتى يسلم . وسمعت أيضًا : ما أسهاك عن مبدئك ، وأغفلك عن آخر حالك ، وما أجلبك للفساد ! (٩٨) بين هذا وذاك .

والحقيقة — حاطك الله — في هذا الباب بالسوانح والحواظر ليست بدون المنام ، إذا كانت نفسُ اليقظان يَقْنُطَى ، وكانت نزيةَ عن الخبر والقدي . ولكن المنام أعرف ، والإنسان عليه أحقرص ، لأنَّه كالميزان الذي نصبه . والحقيقة كالشيء المكسوب بالعناء . والولوع بالرؤيا على قدر ذلك .

ولما قدم الأستاذ ابن العميد بغداد سنة أربع وستين ، سأله عن أبي سليمان . ووجهه من يحرّكه إليه لزيارته وغشيان مجلسه ، فأبى وقال : إن فلسفاؤ من يونان دعاهم ملك من ملوكهم إلى مثل ذلك فاستغفى من الحضور . فقيل له : لم قلت ذلك ؟ فقال : إن الملوك يعرض لهم ما يعرض لمن بصر بصورة . فإنه ما دام يراها من بعده فهو يتعجب . فإذا دنا منها لم يرَ موضع تعجب . ثم قال : إن السامع لحدث من يذكر يقتني بسمعه صورة عقلية نقية شريفة بهية . فإذا ابتذل البصر ذلك المذكور حطه إلى الصورة الطبيعية . والصورة الطبيعية في المشائخ وأهل الفضل محظوظة عن الصورة العقلية . فيعرض للناظر إلى من يسمع به ما يحدث فيه زراعة ، إلاّ أن يكون هذا الجامع بين السمع والبصر

عارفاً بهذا السرّ ، مشرفاً على هذا الغيب فلا يكترث لما يحدث له البصر ولا يلتفت إليه ويثبت على الصورة الأولى التي استفادها بالسمع ويجعل وكده (١) البحث عَمَّا أبصره : هل هو في وزن ما سمع به ، أو هو دون ذلك ، أو فوق ذلك ؟ فإن هذا البحث يثمر له غايةً ما يحتاج إليه ونهايةً ما ينتفع به .

وخرج أبو سليمان يوماً ببغداد إلى الصحراء في بعض (٩٨ ب) زمان الربع قصداً للفرج والمؤانسة مع عدة من أصحابه ، وفي جملتهم صبيّ دون البالغ ، جَهْنَم الوجه ، بعيسى المحيّا ، شتيم المنطق ، لكنه مع هذه العورة يتزلم ترناً نديماً عن جرم ترف وصوت شَجَ ونسمة رخيصة وإطراف حلو . وكان معه جماعة من ظرائف المحلة وفتیان السُّكَّة ليس فيهم إلاً من تأدّب تأدباً يليق به ويغلب عليه فلما تنفس الوقت ، أخذ الصبي في فنه وبلغ أقصى ما عنده ، فترنح أصحابه وتهادوا وطربوا . — قال أبو زكرياء (٢) الصميري : قلتُ لصاحب لي ذكي : أما ترى ما يعمل به شجاً هذا الصوت ونديًّا هذا الحلق وطيب هذا اللحن وتفنن هذه النغم ؟ فقال لي : لو كان لهذا مَنْ يخرّجه ويعني به ويأخذنه بالطراشق المؤلفة والألحان المختلفة ، لكان يُظْهِر آيةً ، ويصير فتنة ، فإنه عجيب الطبع ، بديع الفن ، غالب الدَّنَف (٣) والترف . فقال أبو سليمان فلته : « حدثنى على ما كنتم فيه — عن الطبيعة لم احتاجت إلى الصناعة ، وقد علمنا أن الصناعة تحكى الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب منها على سقوطها دونها . وهذا رأي صحيح ، وقولٌ مشروح . وإنما حَكَتْهَا وتبعت رسماها وقصّت أثرها لانحطاط رتبتها عنها . وقد زعمت أن هذا الحدث لم تكُفِّه الطبيعة ولم تُغْنِيه ، وأنها قد احتاجت إلى الصناعة حتى يكون الكمال مستفاداً بها ومانعوذًا من جهتها والغاية مبلوغة بمعونتها وإمدادها ». فقلنا له : ما ندرى ! وإنها لمسألة .

(١) كـ ، م : ويعده البحث عن البصرة .

(٢) كـ : الصميري . م : الصميري .

(٣) كـ : الدَّنَف . وكلتا هما غير واضح .

قال : ففكروا . فعُدْنا له وقلنا : (٩٩ أ) إنا قد بَلَحْنَا (١) ، فلو مننت بالبيان
ونشطت لنشر الفائدة ، كان ذلك محسوباً في فيض أياديك وغيره فضائلك .

قال : إن الطبيعة إنما احتاجت إلى الصناعة في هذا المكان ، لأن الصناعة
ها هنا تستملي من النفس والعقل ، وتُتملي على الطبيعة . وقد صح أن الطبيعة
مرتبتها دون مرتبة النفس والعقل ، وأنها تعشق النفس وتقبل آثارها وتتمثل أمرها وتهتكف
بإكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب بإيمانها وترسم بألقابها . والموسيقى حاصل
النفس موجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف . فالموسيقار ، إذا صادف
طبيعة قابلة ومادة مستجيبة وقرحة مواتية وآلة منقادة — أفرغ عليها بتأييد العقل
والنفس لبوساً مونقاً وتأليفاً معجباً ، وأعطاهما صورة معشوقة وحلية مرمودة .
وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة . فمن هنا احتاجت الطبيعة إلى
الصناعة لأنها وصلت إلى إكمالها من جهة النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحاذقة
التي من شأنها استسلامها ليس لها وإملاء ما يحصل فيها ، استكمالاً بما يأخذ
وإكمالاً لما يعطي .

قال له البخاري — وكان من تلامذته — : ما أشكرنا لك على هذه الصلات
الستّنية ، وما أحمدنا الله على ما يهب لنا بك من هذه الفوائد الدائمة . قال هذا :
« بكم اقتبست ، وبمحجركم قدحت ، وإلى صوء ناركم عشوت . وإذا صفت
ضمير الصديق للصديق أضاء الحق بينهما واشتمل الخير عليهما (٩٦ ب) وصار
كل واحدٍ منها رِدْءاً لصاحبها ، وعوناً على قصده ، وسبباً قوياً في نيل إرادته
ودرك بغيته . ولا عجب من هذا ، فالنفوس تتقادح ، والعقول تتلاوح ،
والألسنة تتفاتح . وأسرار هذا الإنسان ، الذي هو العالم الصغير في هذا العالم
الكبير ، حجة واسعة منبئة . وإنما يحتاج الناظر في هذا النمط إلى عنایته بنفسه في
طلب سعادته ورعايته لحاله في السلوك إلى غايته ، غير عاجز على زهرة العين

(١) بلح الرجل بلوحاً (من باب فتح) : أعياناً وعجز . قال الأعشى : واشتكى الأوصال منه
وبلح .

ونصرة الحسن ولذة الوقت . فإنه بهذه المقدمات يصل إلى تلك الغايات ، ويجني تلك الثمرات ، ويجد تلك السكائن ^(١) مرتقاً عن هذه الأقداء والقاذورات . وأول هذا الأمر وآخره بالله ومن الله .

اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد ، وحبب إلى أنفسنا طرائق الرشاد ، وكُنْ لَنَا دليلاً ، وبنجاتنا كفيلاً — بمنك وجودك اللذين ما خلا منهما شيءٌ من خلقك العلوي والسفلوي ، ولا فاتا شيئاً من صنعتك الخفي والجلي ! يا من الكل به واحد ، وهو في الكل مُوحد » .

هذا ما خلص من هذا الاجتماع . وهو ظاهر الشرف ، أتيت ^(٢) به على لقنته فأشركتني في استحسانه وقوله ، وكُنْ معياناً لي على طلب نظيره . فالتعاون على الخير والتناصر على البر من سيرة الفاضلين ، وعادة أهل التقى والدين .

أبو جعفر بن بابويه

ملك سجستان

قال أبو سليمان السجزي : كان الملك أبو جعفر قوياً في علم السياسة ، لم يتصرف في غيرها ب بصيرة حسنة . وكان آخذاً نفسه بجموع السياسة ^(١) مع المروءة الظاهرة والعفاف الغالب وضبط النفس عند عارض الهوى . فكان ينشد كثيراً . يتبعن ويتعجب من صحتهما وجودتهما وحسن تحتمهما ^(٣) ويقول : لقد وفق هذا الشاعر ، ولا أقول إنه شاعر إلا من جهة النظم والوزن والقافية ،

(١) جمع : سكينة .

(٢) الكلام هنا - فيما يظهر . - مختصر كتاب « صوان الحكمة » ، والفصل الخاص بأبي سليمان السجزي كله له .

(٣) بدون نقط في ل . م : بحثهما ..

(*) لم يورد الساوي في الفصل الذي عده لأبي سليمان في « مختصر » غير ١٨ سطراً .

ولكن أقول : هذا الحكم :

فَتَلَمْ يَتَّبِعْ نَعْمَةً بَعْدَمَا مَضَتْ
بَنْ وَلَمْ يَمْطَلْ وَعِيدًا وَلَا وَعْدًا
هُوَاهُ لَهُ عَبْدٌ وَلَا يَكُمِلُ الْفَنِي

وَكَانَ يَحْفَظُ مِنْ كَلَامِ الْيُونَانِيِّينَ وَنَوَادِرِهِمْ وَسِيرِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ مَا لَمْ أَرَ
أَحَدًا عَلَيْهِ. وَكَانَ يَقُولُ : هَذِهِ قِرَاضَاتُ الْذَّهَبِ، وَكَالْتِبَرِ الَّذِي لَمْ يُسْبِكْ بَعْدُ.
وَكَانَتْ تَعْجِبُهُ نَوَادِرُ الْيُونَانِيِّينَ وَيَقُولُ : إِنْ قَوْمًا هَذِهِ فَكَاهَتْهُمْ وَمَؤَانِسَتُهُمْ
وَاسْتَرَاحَتْهُمْ – مَاذَا يَظْنُ بِهِمْ إِذَا أَخْذُنَا فِي الْجَدِّ ، وَاعْتَصَرُوا قَوْيِيْ غَرَائِزِهِمْ
بِالْفَصْدِ ؟ !

ثُمَّ قَالَ : إِنِّي لَأَسْتَحْسِنُ شَيْئًا حَكِيَّ عَنْ ذِيْمَقْرَاطِيسِ ، قَالَ : السَّابِعُ فِي
بَحْرِنَا لَا سَاحِلَ لَهُ إِلَّا هُوَ .

وَكَانَ يَحْفَظُ جَمِيعَ الْفَقْرِ الَّتِي لَأَرْسَطَ طَالِيسَ فِي السِّيَاسَةِ مَا كَتَبَ إِلَى
إِسْكَنْدَرَ وَمَا شَافَهَهُ بِهِ .

قَالَ * : وَكَانَ يَقُولُ : قَدْ انتَهَىَ الزَّمَانُ إِلَىْ أَمْرِ مَنْ خَارَجَ مِنْ جَمِيعِ مَا رَسَمَهُ
ذَلِكَ الْحَكِيمُ لِذَلِكَ الْمَلَكِ ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَلَعُوا رِبْقَةَ الدِّينِ الْجَامِعَ لِلْخِيَرَاتِ
(فِي) الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ ، وَنَبَنُوا عَهْدَ الْعُقْلِ النَّاظِمِ لِصَلَاحِ الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ ،
وَحَلَّوْا^(١) رِبَاطَ الْحَيَاءِ الَّذِي يَكُونُ بِهِ التَّمْنَعُ مِنَ الْغَيِّ وَالتَّسْرُعُ إِلَىِ الرَّشْدِ . وَإِنَّ
زَمَانًا يَنْسُلُخُ أَهْلَهُ مِنْ شَعَارِ الدِّينِ وَحَلْيَةِ الْعُقْلِ وَرِبَاطِ الْحَيَاءِ لِغَايَةِ^(٢) الْفَسَادِ ،
وَمَا (١٠٠ بـ) أَعْرَفُ دَوَاءً إِلَّا السَّيفُ الْمَاحِقُ .

قَالَ * : وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ زَيَادُ^(٢) – وَكَانَ مِنْ رِجَالَاتِ الْعَربِ : لَقَدْ

(١) كَ : جَعَلُوا .

(*) أَيْ أَبُو سَيْمَانَ فِيمَا يَرْوِيهِ مِنْ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ بَابُوِيْهِ .

(٢) أَيْ زَيَادُ بْنُ أَبِيِهِ .

فسد الناس فساداً لا يصلحهم إلا "سيف" قاطع وسوط واقع وسجن قامع .
قال ^(١) : وأنا أتفى قسمين من هذا الكلام ، فإن الشر قد غالب على كل من
أكل الطعام . والسلام .

وقال أبو سليمان : سأـلـ الملـكـ أـبـوـ جـعـفـرـ لـيـلـةـ جـمـاعـةـ عـنـهـ ، مـنـهـ
الـأـسـفـزـارـيـ وـابـنـ حـبـّـانـ وـطـلـحـةـ وـأـبـوـ تـمـامـ وـغـيـرـهـ : لـمـ يـقـالـ فـيـ شـائـعـ الـحـدـيـثـ
أـصـدـقـ الـحـدـيـثـ مـاـ عـطـسـ عـنـهـ ؟ فـسـكـتـواـ ، ثـمـ قـالـواـ : مـاـ عـنـدـنـاـ فـيـ شـيـءـ ، لـأـنـ
هـذـاـ مـنـ آـثـارـ الـطـبـيـعـةـ ، وـهـوـ تـابـعـ لـلـأـخـلـاطـ وـمـاـ يـزـيدـ مـنـهـ وـمـاـ يـنـقـصـ . وـمـثـلـ هـذـاـ
يـبـعـدـ عـنـ عـلـةـ تـامـةـ حـسـنـةـ . فـقـالـ : هـذـاـ كـلـهـ تـفـادـ وـهـرـبـ . إـنـ الـطـبـيـعـةـ لـهـ إـنـذـارـ
بـمـثـلـ هـذـاـ الـأـشـيـاءـ بـجـسـبـ اـطـلـاعـ النـفـسـ عـلـيـهـ وـتـلـوـيـحـهـ لـهـ وـسـرـيـانـ قـوـاـهـ مـنـهـ
وـإـلـقـائـهـ . وـيـمـرـ ذـلـكـ بـالـطـبـيـعـةـ فـتـقـضـيـ اـهـتـرـازـ لـهـ ، فـيـصـيرـ ذـلـكـ كـالـشـاهـدـ عـلـىـ
الـشـيـءـ الـمـزـعـ وـالـأـمـرـ الـمـقـبـلـ . فـإـنـ لـمـ يـكـنـ هـذـاـ عـلـىـ هـذـاـ ، فـمـاـ انـقـدـ وـهـمـ كـلـ
سـامـعـ لـلـعـطـسـ فـيـ عـرـضـ حـدـيـثـ إـلـاـ عـلـىـ هـذـاـ ؟ وـكـأـنـ النـفـسـ قـدـ أـوـمـاتـ الـاـتـفـاقـ
الـوـاقـعـ إـلـىـ هـذـاـ الـفـرـضـ . ثـمـ يـكـونـ حـقـ هـذـاـ فـيـ الثـانـيـ ، وـبـاطـلـهـ عـلـىـ الـزـيـادـةـ
وـالـنـفـصـانـ ، وـالـقـوـةـ وـالـضـعـفـ .

قال : وكان يكثر من هذا الضرب فيما هو قائم من العامة ومعهود من بعض
الخاصة .

وقال أفلاطون : الشرف ثلاثة : شرف النفس ، وشرف الحكمة ، وشرف
الآباء . وقال أبو سليمان : سمعت هذا من أبي جعفر الملك ، وقال معقباً لروايته:
أما شرف النفس فإنه يقضي إلى بقاءها ؛ وأما (١٠١) شرف الحكمة فإنه يوضح
السبيل إلى طلب هذا البقاء ؛ وأما شرف الآباء – وهو أحسنُ الثلاثة – فإنه
يزيد في قدر صاحبه زيادةً تفسده في باطن حاله بالكبـرـ ، وتصلـحـهـ فـيـ ظـاهـرـ
حالـهـ بـالـتـوـفـرـ . وهذا الشرف الأخير بالاصطلاح والعادة . وأما الشرف الأوسطـ
فـبـالـاجـهـادـ وـالـاـكتـسـابـ . وأما الشرف الأول فهو بالطبيعة ، أي بالواجب ، لأنـ

(٢) أي أبو جعفر بن بابويه .

شرف النفس لا يدخله الاصطلاح ولا يحدث بالاكتساب وإنما يظهر ما هو واجب بالاكتساب .

قال : فقلت له : يَهِنُكَ أَيْهَا الْمَلِك ، فَقَد جُمِعَ لَكَ هَذَا كُلُّه . فَأَنْتَ الْبَأْنُ بِالْفَضْل ، وَالْفَرْدُ فِي الْكَمَال ، وَالْمَشَار إِلَيْهِ فِي الْعَالَم .

قال : مَهْ يَا أَبَا سَلِيمَان ! فَإِنِّي لَا أُخَذِّلُكَ بِأَنْ تَغْلِطُ فِي وَصْفِك ، وَلَكِنْ أُخَذِّلُكَ بِأَنْ تَغْلِطُنِي فِي نَفْسِي بِوَصْفِك . وَيَكْفِي الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ مَغْرُورًا مِنْ نَفْسِه ، مَفْتُونًا بِفَضْلِه ، سَاهِيًّا عَنْ رِشْدِه . وَلَيْسَ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَكُونَ صَاحِبَه عَلَيْهِ ، بِجُمِيلِ الشَّنَاء ، خَادِعًا لَه بِزَخْرُفِ الْقَوْل .

قال أبو سليمان : فحضرَتْ عَنْدَ كَلَامِه هِيَةً لَه . فَانْتَدَبْ أَبُو تَمَامَ النِّيسَابُوري فَقَالَ : أَيْهَا الْمَلِك ! إِنَّا وَإِنْ انتَهَيْنَا عَمَّا تَهَانَاهَا عَنْهُ طَاعَةً لَكَ وَامْتِنَالًا لِرَسْمِكَ وَطَلْبًا لِلْمَكَانِ عَنْدَكَ ، فَإِنَّا نَنْطُويُّ مِنْ أَجْلِالِكَ وَتَعْظِيمِكَ وَمَعْرِفَةِ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَكَ وَلَا أُولَئِكَ وَرَعِيتُكَ بِكَ عَلَى مَا لَا يَفْسُرُهُ بَيَانٌ ، وَلَا يَشْرُحُهُ وَصْفٌ ، وَلَا يَضْمِرُهُ فَوَادٌ ، وَلَا يَلْمِمُ بَهُ وَهُمْ . وَلَوْ اسْتَعْمَلْنَا الْحَطَابَةَ فِي نَشْرِ فَضَائِلِكَ عَلَى مَا أَوْضَحَهُ أَرْسَطُو طَالِيْسُ فِي كِتَابِ «الْحَطَابَة» – لَكُنَّا (١٠١ ب) عَنْدَ بَلوغِ الْغَايَةِ وَالْوَقْفِ عَلَى النَّهَايَةِ أَغْبِيَاءُ بُكْنَمًا ، لَأَنْتَ لُكْنَتُنَا . وَلَيْسَ إِذَا عَجَزْنَا عَنْ هَذِهِ الْفَاقِهِيَّةِ حَسَنُّ بَنَا أَنْ نَسْكُتْ عَنْ تَلَكَ الدَّائِنَيَّةِ . دَعْنَا ، أَيْهَا الْمَلِك ، حَتَّى تَنْلَذْ بِوَصْفِكَ وَنَشْكُرْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْنَا بِكَ ، وَنَسْتَفِيدْ نَظَمَنَا وَنَثْرَنَا فِيْكَ . فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِلَا ضَدَّ مَطَاوِلِ ، وَلَا عَدُوًّا مَنْاضِلَ . وَأَوْضَحْتَ مَنَاهِجَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ دَرْوِسَهَا ، وَدَعَوْتَ النَّاسَ إِلَيْهَا بَعْدَ نَفْوِرَهُمْ مِنْهَا ، وَجَمِعْتَ حَوْلَكَ أَبْنَاءَهَا وَطَلَابَهَا . ثُمَّ غَمَرْتَهُمْ بِإِحْسَانِكَ وَطَوْلِكَ ، مَعِينًا عَلَى اقْتِبَاسِهَا وَالتَّمَاسِهَا . وَاللَّهُ مَا حَمَلَنِي وَأَبَا سَلِيمَانَ عَلَى مَا قَلَنَا مَلَقَّاً وَلَا خَدَاعَ ، لَأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ هَدِينَا وَسِيرَتِنَا . وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فِينَا وَعَنْدَنَا ، لَكَانَ عَلَمْنَا بِكَسَادِهِ عَلَيْكَ وَسَقْوَطِ مَتَعَاطِيهِ عَنْدَكَ – يَمْنَعُنَا مِنْ رَكْوبِ سَنَامِهِ وَامْتِنَاعِ ظَهَرِهِ .

قال الملك أبو جعفر : نَهَيْتُ أَبَا سَلِيمَانَ عَنْ شَيْءٍ قَلِيلٍ ، فَأَتَيْتَ بِهَا

أوف عليه . والله ما أردتُ بما قلت إلّا حسم ضراوة النفس على هذه الأشياء التي إذا وصلت إلى القلب عَشَّشتْ وفرختْ . وصارت بصاحبها^(١) إلى الفتنة ، لأن الإنسان عاشق نفسه . وكيف لا يكون عاشق نفسه وهو يجد بها كل لذة ، ويقضي بها كلّ وطر ، ويصل بها إلى كل هوى . وبهذا العشق واصلت النفس البدن ، وبه أطاع البدن النفس . ولو لا هذا العشق ما اختلفت المتعadiات فيه ، وما اصطلحـت المتناـفات له . وإن أمراً يورث في أصل الخلقة بالطينة والصورة والشكل والبنية ، ثم ينمي بالمشاكلـة والعادة والإلف والزيادة ثم (١٠٢) يستحـمـ باللهـيـ والمـيلـ والمـحبـةـ والـصـبـابـةـ - لراسـخـ الأـصـلـ ، مـمـتدـ الفـرعـ ، عـرـيـضـ الفـضـاءـ ، ظـلـيلـ الـظـلـ . وإنـماـ حـثـثـناـ عـلـىـ التـمـاسـ الـحـكـمـ ، وـاـكـرـهـناـ عـلـىـ أحـكـامـ الشـرـيعـةـ لـعـدـلـ أـنـفـسـنـاـ فـيـ هـذـاـ عـشـقـ الـمـورـوثـ ، وـنـسـلـكـ طـرـيقـ الـظـاهـرـ ، فـلاـ نـجـيـ عـلـىـ أـنـفـسـنـاـ بـالـغـلطـ فـيـهـ ، وـلـاـ نـمـكـنـ غـيرـنـاـ مـنـ الجـنـيـةـ عـلـيـهـاـ بـالـخـدـاعـ لـهـ .

ونعود إلى كلامنا الأول فنقول : منْ عَدِمْ شرف النفس لم ينفعه شرف الحكمة ، لأن الحكمة لا تقلب الحمار إنساناً ، ولا تجعل الشيطان ملكاً ؛ ولكنها قنية للنفس ، وأريحية للروح ، وطمأنينة للقلب ، وأنسٌ في الوحدة ، وطريق إلى الرشد ، وسدٌ بين الإنسان وبين الغيّ .

قال أبو سليمان : سمعت الملك يقول : كَتَبَ مَلَكٌ^{*} إلى ملك : إما فارسي إلى رومي ، أو رومي إلى فارسي : « بم انتظمت مملكتك ، واستقامت لك رعيتك ، وسلمت أطراها لله ، وثبتت مقابلتها في يديك ؟ » فقال في الجواب : « بشماني خصال : لَمْ أَهَزِلْ فِي أَمْرٍ وَلَا نَهَىٰ ؛ وَلَا أَخْلَفْتُ وَعْدًا وَلَا وَعَدْأً قَطْ ؛ وَعَاقَبْتُ لَاجِرًا لِلْحَقْدِ ؛ وَوَلَّيْتُ الْغَنَاءَ ، لَا لِلْهَوِيِّ ؛ وَاسْتَمْلَتْ قُلُوبُ الرَّعْيَةِ مِنْ غَيْرِ كَرْهٍ ؛ وَسَهَّلْتُ الْإِذْنَ مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ؛ وَعَمِّتْ بِالْقُوَّةِ ؛ وَحَسِّمَتِ الْفَضْلَوْلِ ». فلما قرأ المكتوب إليه هذا الكلام قال : هذا كلام ينبغي أن يكتب بماء الذهب .

(١) كـ : صاحبها .

قال أبو سليمان : لو فُرِشَ هذا الكلام بلواحقه ، نخرج منه كتابٌ في السياسة . أما الحد الذي في الأمر والنهي حتى يحرنا على بابه فهو الحد الذي منع من خلْف الوعد والوعيد (١٠٢ ب) حتى يتظمنا بما فيه . والحد الذي من أجله يقع العقاب لل مجرم ، لا للحقد ، فهو الحد الذي به تقع التولية للغناه والكافية ، لا للهوى والرغبة . وكذلك باقي هذه الحالات . فقد صار النظام مقطوراً على الحد في اللفظ والرأي والتنفيذ . وفي ايات الحد رفض الهوى ومحاباة الم Hazel وترك الهوينا .

وقال أبو سليمان : سمعت أبا جعفر يقول : جوامع الشريعة تنطوي على تنبئه نفسٍ فاضلة ، وزجر نفسٍ قابلة ، وتأديب نفسٍ جاهلة . ثم شرح أبو سليمان هذا فقال : الشريعة مصلحة بشرية بقوة إلهية . وقد تكون سياسة إنسانية بقوة عقلية . وما عدا هذين الرسمين فهو زورٌ . ثم تطيف بهذه الأمرين أشياء تقوى وتصلح وتنصر ، وأشياء في مقابلتها تضعف وتفسد وتجحد وتختلط . ولو لا هذه الأعراض التي تعترى ، والأحوال التي تتعرض - لكان النسخ لا يَرِد ، والتبدل لا يقع ، لأن الطراوة كانت لا تزول ، والبهجة لا تحول ، والخلوقة لا تصل ، والتهمة لا تسنح .

وقال : سمعته يقول في النفس : عَلَّهَا وَلَا تضاللها ، فإن تضليلها يحجب عنها ، وتعليلها يفتح عليها .

وقال : السماع بروز الوحدة إلى الحسن بوساطة التأليف في الصناعة .

وقال أبو جعفر الملك : يا عجباً من قيل فيه الخير ، وليس فيه ، كيف يفرح ! ويا عجباً من قيل فيه الشر ، وهو فيه ، كيف يغضب ! *

(*) لم يورد الساوي في « مختصره » عن أبي جعفر بن بایویه غير ٥٦ سطراً .

الاستاذ الرئيس أبو الفضل ابن العميد القمي

كان قد أُوتي من الفضائل (١٠٣ أ) والمحاسن ما بَهَرَ به أهل زمانه حتى أذعن له العدوّ وسلّم الحسود ، ولم يزاحمه أحدٌ قطُّ . زادت مشاهدته على الخبر عنه . فمن ذلك أنه أَكْتَبَ أَهْلَ عَصْرِهِ وأَجْمَعُهُمْ لِآلاتِ الْكِتَابَةِ : حفظاً لِلْغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ ، وَتَوْسِعَاً فِي النَّحْوِ وَالْعَرْوَضِ ، وَاهْتَدَاءً إِلَى الْأَشْتِقَاقِ وَالْأَسْتِعَارَاتِ ، وَحَفْظاً لِلدَّوَائِينِ مِنْ شِعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ .

ولقد حدثني الأستاذ أبو علي أحمد بن محمد مسكونيه ، قال : حدثنا الأستاذ أبو الحسن علي بن القاسم ، قال : كنت أروي ابني أبا القاسم القصائد العربية من دواوين القدماء ، لأن الأستاذ الرئيس كان يستنشده إذا رأه . فكان لا يخلو إذا أنسده من رد عليه في تصحيفٍ أو لحنٍ مما يذهب علينا .

قال : وكان يشق على ذلك ، وأحب أن تصح له قصيدة لا يعرفها الأستاذ الرئيس ، أو لا يريد عليه فيها شيئاً . فأعياني ذلك ، حتى وقع إلى ديوان الكميٰt وهو مُكثِّر جداً . فاخترت له ثلاثة قصائد غريبة ، ظنت أنها ما وقعت إلى الأستاذ الرئيس . وحفظته إليها ، وتوخيت الحضور معه . فلما وقع بصره عليه ، قال : « هات يا أبا القاسم أنسدني شيئاً مما حفظته بعدِي » . فابتداً ينشده . فلما استمر في قصيدة من هذه القصائد قال له : « قف ! فقد تركت من القصيدة عدة أبيات ! » ثم أنسده إليها . فخجلت خجلة لم أخجل مثلها . ثم استرداد ، فأنسد القصيدة الأخرى فأسقط فيها كما أسقط الأولى ، واستدركه عليه أيضاً .

قال : فعلمت أن الرجل بحر لا ينزع ، ولا يؤتي (١٠٣ ب) على ما عنده .
وكان أدبياً كاتباً .

قال الأستاذ أبو علي مسكونيه : فأمّا ما شهدته منه مدة صحبتي إياه - وكانت سبع سنين ، لازمته فيها ليلاً ونهاراً - فإنه ما أنسد قط شعرًا لم يحفظ

ديوان صاحبه ، ولا غَرَبٌ عليه أَحَدٌ بـشـعـر قـدـيم وـلـا حـدـيـث ، مـن يـسـتـحـقـ أـن يـحـفـظـ شـعـرـه . وـقـد سـمـعـتـه يـنـشـدـ دـوـاـءـينـ قـومـ مـجـهـولـينـ ، أـتـعـجـبـ مـنـ تـعـاطـيـهـ حـفـظـ مـثـلـهـ . حـتـىـ سـأـلـتـهـ يـوـمـاـ وـقـلـتـ : أـيـهـ الـأـسـتـاذـ ! كـيـفـ تـفـرـغـ زـمـانـكـ لـحـفـظـ شـعـرـ هـذـاـ الرـجـلـ ؟ فـقـالـ : « فـكـأـنـكـ تـنـظـنـ أـنـيـ أـتـكـلـفـ لـحـفـظـ مـثـلـ هـذـاـ ! إـنـماـ يـنـحـفـظـ لـيـ إـذـاـ مـرـ بـسـمـيـ مـرـةـ » . – وـقـد صـدـقـ . فـإـنـيـ كـنـتـ أـنـشـدـهـ لـنـفـسـيـ الـأـبـيـاتـ ؛ الـيـ تـبـلـغـ عـدـهـاـ أـرـبـعـينـ وـخـمـسـينـ ، فـيـعـيـدـهـاـ بـعـدـ ذـلـكـ مـسـتـحـسـنـاـ ، وـرـبـماـ سـأـلـنـيـ عـنـهـاـ وـيـسـتـشـدـنـيـ شـيـئـاـ مـنـهـاـ ، فـمـاـ أـقـوـمـ بـاعـادـةـ ثـلـاثـةـ أـبـيـاتـ مـنـظـمـةـ عـلـىـ نـسـقـ أـحـدـ حـتـىـ يـذـكـرـ مـنـهـاـ وـيـعـيـدـهـاـ . وـحـدـثـنـيـ غـيرـ مـرـةـ أـنـهـ كـانـ فـيـ حـدـاثـتـهـ يـخـاطـرـ رـفـقاءـهـ وـالـأـدـبـاءـ الـذـيـنـ كـانـوـاـ يـعاـشـوـنـهـ ، عـلـىـ حـفـظـ أـلـفـ بـيـتـ فـيـ يـوـمـ وـلـيلـةـ .

وـكـانـ رـحـمـهـ اللـهـ أـنـقـلـ وـزـنـاـ وـأـكـبـرـ قـدـرـاـ مـنـ أـنـ يـتـزـيدـ . فـقـلـتـ لـهـ : وـكـيـفـ كـانـ يـتـأـتـيـ لـكـ ذـلـكـ ؟ فـقـالـ : كـنـتـ بـشـرـيـطـ وـهـيـ أـنـ يـقـرـحـ عـلـيـ مـنـ شـعـرـ لـمـ أـسـمـعـ بـهـ أـلـفـ بـيـتـ يـكـتـبـ . وـأـحـفـظـ مـنـهـ عـشـرـينـ عـشـرـينـ ، وـثـلـاثـينـ ثـلـاثـينـ ، أـعـيـدـهـاـ وـأـبـرـأـ مـنـ عـهـدـهـاـ .

فـقـلـتـ : وـمـاـ مـعـنـيـ الـبـرـاءـةـ مـنـ عـهـدـهـاـ ؟

قـالـ : لـاـ أـكـلـفـ إـعـادـهـاـ بـعـدـ ذـلـكـ .

قـالـ : وـكـنـتـ أـنـشـدـهـاـ مـرـةـ وـمـرـتـينـ وـأـسـلـمـهـاـ . ثـمـ أـشـتـغلـ بـغـيـرـهـاـ (١٠٤) أـ . حـتـىـ أـفـرـغـ مـنـ الـجـمـيعـ فـيـ يـوـمـ الـوـاحـدـ .

وـأـمـاـ كـتـابـتـهـ فـمـعـرـوفـةـ مـنـ رـسـائـلـهـ الـمـدـوـنـةـ . وـمـنـ كـانـ مـتـرـسـلـاـ ، لـمـ يـخـفـ عـلـيـهـ عـلـوـ طـبـقـتـهـ فـيـهـاـ . وـكـذـلـكـ شـعـرـهـ الـذـيـ جـدـ فـيـهـ وـهـزـلـ ، فـإـنـهـ فـيـ أـعـلـىـ درـجـاتـ الـشـعـرـ وـأـرـفـعـ مـنـازـلـهـ . فـأـمـاـ تـأـوـيلـ الـقـرـآنـ وـحـفـظـ مشـكـلـهـ وـمـتـشـابـهـ وـالـعـرـفـةـ باـخـتـلـافـ (١) قـرـاءـ الـأـمـصـارـ فـكـانـ مـنـهـ فـيـ أـرـفـعـ درـجـةـ وـأـعـلـىـ مـرـتـبـةـ .

ثـمـ إـذـاـ تـرـكـ هـذـهـ الـعـلـومـ وـأـخـذـ فـيـ الـهـنـدـسـةـ وـالـتـعـالـيـمـ ، فـلـمـ يـكـنـ يـدـانـيـهـ فـيـهـاـ

(١) لـ ، مـ : باـخـتـلـافـهـ مـعـهـاـ الـأـمـصـارـ (!) .

أحد – والمنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات منها خاصة . فما جَسَرْ أحد في زمانه أن يدعها بحضوره إلا أن يكون مستفيداً أو قاصداً قصد التعلم ، دون المذاكرة .

وقد رأيت^(١) بخدمته أبا الحسن العامري ، وكان ورد من خراسان وقصد بغداد وعاد ، وعنه أنه فيلسوف تام . وقد شرح كتب أرسطوطاليس وشاخ فيها . فلما اطّلع على علوم الأستاذ الرئيس – رضي الله عنه ! – تجلى . وكان قليل الكلام نزير الحديث إلا إذا سئل ووجد من يفهم عنه ، فإنه حينئذ ينشط ، ويُسمع ما لا يوجد عند غيره مع عبارة فصيحة وألفاظ متاخرة ومعانٍ دقيقة ، لا يتحبس فيها ولا يتلعم .

ثم رأيت بحضوره جماعة من^(٢) يتسلل إليه بضرورب من الآداب والعلوم . فما أحدٌ منهم كان يمتنع من تعظيمه في ذلك الفن الذي قصده به وإطلاق القول بأنه لم ير مثله ولا ظن أنه يُخلق .

وكان رحمه الله لحسن عشرته وطهارة أخلاقه ونراهه نفسه إذا دخل إليه أديب أو عالم أو منفرد (١٠٤ ب) بفِنْ ، سكت له وأصغى إليه واستحسن كلَّ ما يسمعه منه ، استحياءً مَنْ لا يعرف منه إلا مقدار ما يفهم به ما يورد عليه . حتى إذا طاوله وأتت الشهور والسنون على محاضرته ، واتفق له أن يسأله عن شيء أو يجري بحضوره نُبَيَّذْ منه فرغب إليه في إتمامه – تدفق حينئذ بحره ، وجاش خاطره ، ويَهَبْ مَنْ كان عند نفسه بارعاً في ذلك المعنى . وما أكثر ما خجل عنده المعجبون بأنفسهم ! ولكن بعد أن يمدّ لهم في الميدان ، ويرضي من أعتبرتهم ، ويمسك عنهم مرةً ، حتى ينفذ ما عندهم ، ويجزل لهم العطاء منه .

فهذه كانت مرتبته في العلوم والآداب المعروفة .

(١) ك ، م : رأيته .

(٢) ك ، م : من .

ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي لا يدعيها أحد ، مثل علم الحِيَّل الذي يحتاج فيه إلى أواخر علوم الهندسة والطبيعة^(١) والحرّكات الغريبة وجر الثقيل ومعرفة مراكز الانتقال وإخراج كثيرٍ مما امتنع على القدماء ، من القوة إلى الفعل ، وعمل آلات غريبة لفتح القلاع ، والحييل على الحصون ، وحيل في الحروب مثل ذلك ، واتخاذ أسلحة عجيبة وسهام تندى أمداً بعيداً ، وتؤثر آثاراً عظيمة ، ومرايا^(٢) تحرق على مسافة بعيدة جداً ، ولطف كفٌ لم يسمع بمثله ، ومعرفة بدقائق علم^(٣) التصاوير وتعاطٍ له بعيد . ولقد رأيته يتناول^(٤) من مجلسه – الذي يخلو فيه بثقاته وأهل مؤانسته – التفاحه وما يحرّي معها – فيبعث بها ساعة ثم يدحرجها إلى أحد هم ، فإذا تأملها وجد عليها صورة وجه قد خطّها بظفره ، لو تعمّد لها غيره بالآلات العُدّة (١٠٥) وفي الأيام الكثيرة ما استوفى وثائقها ولا يأتِي مثلها .

فاما اضطلاعه بتدبير المالك ، وعمارة البلاد ، واستغزار الأموال – فقد دلت عليه رسائله ، ولا سيما رسالته إلى محمد بن هندو ، التي يخبر فيها باضطراب أمر فارس وسوء سياسة منْ تقدمه لها ، وما يجب لها ، وما يجب يتلافى بها ، حتى تعود إلى أحسن أحوالها . فإن هذه رسالة تعلم منها صناعة الوزارة ، وكيف تتفادى المالك بعد تناهى فسادها ، وما منعه من بسط العدل

١) ك : والطبيعة ..

٤٢) لـ ، مـ : مرآيـ . جـمـعـ المـرـآـةـ : مـرـاءـ وـمـرـاـيـاـ .

(٣) هذا خبر مهم فيما يتصل بتاريخ فن التصوير في الإسلام .

(٤) م : یتناولہ .

في مالكه وعمارة ما يدبّره منها . إلا أن صاحبه ، رَكْنَ الدُّوَلَةِ ، مع فضله على أقرانه من الدليل ، كان على طريقة الجند المتخليين يتغّم ما يتّجه له ولا يرى النظر في عواقب أمره وأمور رعيته . وكان يُفْسح بخنه وعساكره ، على طريق مداراتهم — ما لا يمكن أحداً تلافيه وردهم عنه — ولكنه — رحمة الله — لما حصل بفارس ، عَلَمَ عَصْدَ الدُّولَةِ وجوهَ التدابير السديدة وما تقوم به المالك وصناعة المالك التي هي صناعة الصناعات . ولقنه ذلك تلقينا . فصادف منه متّعلماً لقناً وتلميذاً فهماً حتى سمع من عصى الدولة مراراً كثيرة أن الأستاذ أبا الفضل ابن العميد كان أستاذنا ؟ وكان لا يذكره في حياته إلا بـ « الأستاذ (١٠٥ ب) الرئيس ». ولا يحفظ عليه أنه ذكره قط بعد موته إلا بـ « الأستاذ ». وكان يعتقد له بجمع ما تم من تدبيره وسياساته ، ويرى أن جميع ذلك مستفاد منه وملحوظ من رأيه وعلمه .

ولعلَّ مَنْ يطلع على هذا الفصل ، من لم يشاهد الأستاذ الرئيس ، يظن إنا أعرضنا شهادة وأدعينا له أكثر مِنْ قدر علمه (و) مبلغ فضله — لا والذى أنطقنا بالحق وأخذ علينا ألا نقول إلا به !

وقال بعضهم : سمعته يقول في مجلس حضرهُ الفقهاءُ والمتكلمون — وقد جرى حديث السلطان لابن شاذان ، وكان على قضاة الريّ^(١) : أتدرى ما قال الاسكندر الملك ؟ إنه كان من حكماء الملوك ومن ملوك الحكماء قال : « السعيد مَنْ لا يعرفنا ولا نعرفه ، لأنّا إذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه ». ثم قال : وأزيدك : قال المؤمنون — وهو من لا تقله عينك إجلالاً له ، ولا تستقلّه نفسك دُلالاً به — قال : لو كنت من العامة ما صحيحتُ السلطان » .

وجرى بحضوره الحكاية المنسوبة إلى بعض الأوائل : لكل امرئ مذودان : واحد بين يديه مملوءٌ عيوبَ الناس ، وواحدٌ خلفه مملوءٌ عيوبه ؛ فلذلك يرى عيوب الناس ولا يرى عيوب نفسه — فقال الأستاذ : لو قلت أنا لقلت : كل

(١) ك ، م : الذي (!) .

واحدٌ منا بين يديه لوح مكتوب من وجهيه : فهو يقرأ ما قبله من عيوب (١)
الناس لأنَّه يبصره ، وينرك ما دابرته من عيوب نفسه لأنَّه لا يبصره .

ونقلتُ من خطه هذه النكت : قال فيلسوف : مهما عرى الإنسان فإنه
لا يعرى من ثلاثة : من الحسد ، والطيرة ، والظن . فمخلصه من الحسد ما لم
يشعر باللسان (١٠٦ أ) ويبطش باليد . ومخلصه من الطيرة ما لم يرجع . ومخلصه
من الظن ما لم يُحْقِّق .

ومن خطه : قال بعض الحكماء : لا ينزلنَّ مسافر عن دابته ليلاً حافياً ؛
ولا يأكلن بقلاً غفلاً ؛ ولا يبولنَّ في نفق لا يرى قعره .

ومن خطه : قالت الفلسفه : كُنْ لأسرار الملوك أستَرْ منك لقبع الداء
في جسمك . فإنَّ اذاعة الداء عيبٌ في البدن ؛ وإذاعة السرّ من الملوك متَّلِفةٌ
للنفس .

ومن خطه : قيل لثراطوس : ما تقول في شرب الخمر ؟ قال : قليلها
دواء ، وكثيرها داء . وهي بالمشايخ أليق منها بالشباب .

وكان تحت الحكاية بخطه من كلامه : لما كان حد الشرب منها مجھولاً ،
وجب بالنظر العقلي والتدبیر الشرعي أن يمنع الناس منها ، لثلاً يتشارفوا فيها ولا
يتتجاوزوا الحد بها ، لأنَّ الخمر إكسير الشرّ ، وينبع الفجور ، وباب مفتوح
إلى كل بلاء . وعواقب الإفراط فيها ذميمة ، وجنيات السكر منها عظيمة .
والكامل من صبَّر نفسه عنها ، وفدى مضارها بمنافعها .

وذُكِرَ (٢) للأستاذ الرئيس يوماً بعضُ الناس وأنَّه وَصَمَّه بشر ، فقال :
«رمتني بدأها ، وانسلت ؛ وألقت ما فيها وتخلت» .

(١) من : ناقصة في لك . م : فهو يقرأها ما قبله عيوب الناس .

(٢) لك ، م : الأستاذ .

والكلمة الأولى مثَلُ سائر ، رواه أبو زيد ^(١) . ولكنه لحنة خاطره وصلها بأختها ^(٢) .

أبو زكريا يحيى بن عدّي ^(٣)

هو من العلماء الراسخين في الحكمة .

قال : قول القائل : « العلة قبل المعلول » لا يدخل الزمان فيه . وكذلك قول النحويين : الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان ، وكأنه جاري في فضاء الدهر . والفرق (١٠٦ ب) بين الزمان والدهر بيّن . ولعله سيمر في موضع من هذا الكتاب .

قال له البديهي : فقولنا الأب قبل الابن ، أين هو من الزمان ؟

قال : من جهة : لا مدخل للزمان بينهما ، وذلك أن الغرض فيهما أن هذا علة هذا . ومن جهة ، يدخل ، لأنه يصير مُؤَدِّنًا بأن هذا كائن في الزمان قبل هذا الزمان . وأما قول النحويين إن الاسم قبل الفعل فمعقوله أن ترتيبه مقدّم عليه . وإلا ، فمتى وُجد الاسم وُجد الفعل ؟ ومتي وجد الفعل ، وجد الحرف .

(١) راجعه في « الأمثال » للميداني

(٢) أسقط الساوي في مختصره الفصل الخاص بابن العميد ..

(٣) توفي في سنة ٣٦٤ هـ (= ٩٧٤ م) وهو في سن الشانين ؛ راجع عنه « الفهرست » لابن التديم ص ٢٦٤ ، فلوجل ؛ وابن الققطني ص ٣٦١ ، وابن أبي أصيبيعة ج ١ ص ٢٣٥ وابن البري . ، تاريخ مختصر الدول ص ٣٤٧ ؛ وفستانفلد : « تاريخ الأطباء العرب » ص ٥٦٠ برقم ١١٠ ؛ البيهقي : « تتمة صوان الحكمة » ، ٩٠ ، ج . جراف : « تاريخ الأدب العربي المسيحي » ٤٦ - ٥١ ؛ سوتر ، ٥٩ ؛ برييه : « يحيى به عدّي » ، باريس سنة ١٩٢٠ ؛ « رسائل صغيرة دينية ليحيى به عدّي » ، نشرها وترجمتها برييه ، باريس سنة ١٩٢٠ .

فمرتبة الوجود واحدة في الجميع . ومراتب الإيمان مختلفة في الجميع .

ثم قال : ينبغي أن نَصْفُوا لِلْحَظَ الذي تجَرَّد نحو الأشياء الْأُولَى التي هي كثيرة بالأسماء والتنوع عند الاستعمال ، وواحدة بالحقائق والذوات . فإن هذا النظر إذا صفا وتم ، كفى مَوْنَةً عظيمة ، وكان أمراً عزيزاً . *

الحسن بن مقداد

قال : لا بد من وضع الناموس الإلهي الذي يتلوخى به إفاضة الخير وبث المصلحة وترتيب السياسة وما يورث سكون البال ، ويحسم مواد الشر ، ويوطّد دعائم السنن ويبعث على تشريف النفوس وتزيين الأخلاق ، ويقرب الطريقة إلى السعادة المطلوبة ، ويوصل أسباب الحكمة ، ويُشوق الأرواح إلى طلب الحق وإثمار العفة ويقدم دواعي العقل والتصفّة والرحمة والمكرمة من الأخبار التي تقسم بين ما هو صِدْقٌ مُحض ، وبين ما هو صِدْقٌ ممزوج ؛ وتكون الألفاظ التي ندور بها واللغات التي نرجع إليها كثيرة الوجود سهلة سمححة عند التأويل . وإنما وجَب ذلك لأنَّ (١) الناس في أصل جبلتهم وبده خلقتهم وأول سِنَّتِهِم قد افترقوا مجتمعين ، واجتمعوا مفترقين ، واتختلفوا مؤتلفين واتختلفوا مختلفين ، وأحساسهم متقددة ، وظنونهم جوالة ، وعقولهم متفاوتة (٢) عاملة وأراءُهم سانحة . وكلٌّ منهم يتفرد بزاج وشكل وطبع وخلق ونظر وذكر وأصل وعرق واختيار وإلْفٍ وعادة وضراوة ونفرة واستحسان واستقباح وتنقّل ووقفة وإقدام وجسارة وشهادة وبهت ومكابرة . هذا سوى أعراض كثيرة مختلفة لا أسماء (٣) لها عندنا خالصة ولا صفات متميزة .

(١) لك ، م : وأدنىهم عاملة .

(٢) لك : مختلفة الأسماء لها عندنا .

(٣) لم يورد الساوي عن ابن عدي غير سطرين فقط .

وقال : مثلُ هذا مثلُ رجلٍ أصلاح طعاماً كثيراً واسعاً مختلفاً من كل لون وجنس ، ومذاق ورائحة ، ووضع ونضد ، وحرارة وبرودة ، وحلوة وحموضة ، ومرارة وحرافة . ونَصِبَه على مائدة عظيمة واسعة لجمع ذي عدد جم . فمتى لم تكن المائدة ذات ألوان مختلفة وأطعمة متباعدة في القلة والكثرة ، والملوحة والحرارة ، والغرفة والتقدمة لم يقبل كل إنسان على ما تنفق به شهوته الخاصة ، ولم تتمتد يده إليه باللون الذي تدعوه إليه العين ، لأن للعين نوعاً من الطلب ليس للضم ، وللنفس أيضاً مثل ذلك ، أعني النفس المعتذية . هذا غير ما هو مطلوب للنفس الناطقة من الترتيب والتكرمة والإيناس والمحادثة .

قال : فلما كان الناموس الإلهي نصيحة عامة للكافة ، وجب أن يستعان عليها بكل ما يكون رداءً لها ورفداً معها وفارشاً لما انطوى منها ، وموضاً لما خفي عنها ، وداعياً باللطف إليها (١٠٧ ب) وضامناً لحسن الجزاء عليها . وهذا قدر كمال الخلاصة مما وقع التفاوض به ، سُقْتُه على ما أمكن .

وقال أيضاً : لو انتهى غرض الباري تعالى في الإنسان ، مع هيئته المعروفة وحليته المألوفة ، إلى أن يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ولا معاد ولا مُنْقَلَب ، لما كان ذلك قادحاً في شيء من إلهيته ، ولا متحققاً لطرف من أطراف حكمته ، ولا معانداً لما يليق برivityته . فكيف وقد نصب العلامات ، وأحضر الشواهد والبيانات ، وأقام البراهين والآيات على تحقيق المعاد وحصول السعادة والشقاء بحسب الصور الموجودة لواحد واحد !

ثم قال : لو سألنا العقلاء بأسرهم ، أو سألنا أغفلهم فقلنا : ما تقول في بذلك إذا بطل بأسره ولم يَبْقَ منه شيء إلا العين التي من شأنها أن تبصر الأشياء ؟ فإن جوابه لا يعدو أن يكون : إذا لم يكن بُدُّ من فناء جميع البدن بأجزائه ، فلأن تبقى العين ، وهي أشرف ما فيه ، أو السمع وهو نظيرها في الشرف - خيراً من أن لا يبقى شيء ويُبَدَّ كُلُّه ويُضْمَحَلُ جميعه .

قال : فيقال له : فكذلك النفس في بقائها بعد أن تطرح عنها قشورها ،

وتفارق - مختارة - لبوسها .

قال : وإنما ضربت هذا المثل ، وعرفت بهذا التشبيه ، لأنه قال لي قائل : الإنسان لا يبقى . وإذا لم يُبْقَ الإنسان فأيّة فائدة فيما يبقى منه ، أو له ، أو به ؟

قال : وهكذا لو ضُرِب المثل بمن له ولد ، أعني لو قيل له : لا سبيل إلى بقائك بذاتك ، لأنك لا تتحمل ذلك بعنصرك ؛ ولكن يبقى بعده ولدك الذي هو بُضْعَةٌ منك وفاضلٌ عنك (١٠٨) - لآخر بقاء ولده من بعده اىشاراً حسناً ، طيبَ النفس به ، فإنه يرى أن ولده منه ، أو هو هو ، لأنه يراه مُصاصته وخلاصته ونضاضته وسلامته ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه إلا بالشخص فقط .

وقال : ينبغي للمعلم العاقل أن يُرْبِّي المتعلم بصغار العلوم قبل كبارها ، كما يربّي الوالدُ ولده برضاع الثَّبَن قبل الطعام . ومن أدَّب التعلم حسن الاستماع واستيعاب الفهم ، وأن يعود قلبه الفكرة ، ولسانه البلاغة ، وأوصاله المواتاة ، وميوله الانقياد . ويعلم أن قد شرع في صناعة خطيرة ، إن تحاذلت فيها قواه ، عابها كما يعيّب صناعة اليد خرق لصاحبها .

قال : لا يُنْتَفع بالعلم المكتوم ، كما لا يُنْتَفع بالذهب المكتون حتى يُنْفَق ، ولا بالماء الساكن في الأرض حتى ينبع ، ولا بالثُّلُوث في البحر ما لم يستخرج . وإنما تختبر العلم حين العمل به ، كما تختبر الذهب بالنار .

قال : عقل الإنسان بمنزلة عينه ، ودينه بمنزلة المرأة . فلا يقدر الإنسان على استبابة حالة إلا بعقله ودينه ، كما لا يقدر أن يستبين صورة وجهه بعينه دون المرأة .

العقل يَنْظِم من أنواع الحروف الكلام الموفق ، كما يصور المصوّر من أنواع الأصياغ الصورة الحسنة .

ينبغي للعقل أن ينقي نفسه من هموم السوء ، ثم يطلب الحكمة لتشتت فيها ، كما ينقى الزارعُ أرضه من الحشيش ثم يزرعها ليحصل ريعها .

يغوص العقل على كلام الحكمة فيستخرجه من مكنون الصدور ، كما يغوص الغائض على اللؤلؤ فيستخرجه من البحر .

أبو بكر الحسن بن كرده القومشي

هو من (١٠٨ ب) قرية قومشة ^(١) من ضياع القمدان ^(٢) من نواحي أصفهان .

وكان كبير الطبقة في الفلسفة . لزم يحيى بن عدي زماناً . وكتب لنصير الدولة . وكان حلو الكتابة ، مقبول الجملة ، متوجهاً في الآداب ومعرفة الشعر وسائر العلوم العربية . وله بعد بهذه الصبيحة أقارب وأولاد الإخوة ، يتميزون عن أصاربهم من أهل الرساتيق ، وإظهار الستمّ الحَسَنَ .

وقيل لأبي بكر : بأي معنى يكون هذا الزمان أشرف من هذا الزمان ، وهذا المكان أفضل من هذا المكان ، وهذا الإنسان أشرف من هذا الإنسان ؟

فقال : هذا يسوع بإضافة الزمان إلى سعادة شائعة وخير غامرٍ وبركة فائضة وخصب عام وشريعة مقبولة وخيرات معقولة ومكارم مؤثرة من جهة شكل الفلك بما يقتضيه بعض أدواره . وكذلك المكان إذا قابله أثرٌ من هذه الأجرام الشريفة والأعلام المنيفة . فاما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس

(١) في المخطوطات بالشين المعجمة ، وفي ياقوت بالسين المهملة ، وقال عنها : « بالضم ثم السكون ... قرية من نواحي أصفهان » (ج ٧ ص ١٨٦ ، طبع مصر سنة ١٩٠٦ م) .

(٢) م : القمدان . لـ : القمدان . وقد أثبتناها كما وردت في كتاب « محسن أصفهان » .

(*) لم يورد الساوي في مختصره عن الحسن بن مقداد غيره أسطر .

فيه جزء أشرف من جزء . وكذلك المكان ، لأنه رديف الزمان . ولا سبيل في مثل هذه المسائل إلى معرفة الحقائق إلاً بالإضافة ، التي هي للعالم غالبةٌ عليه من محيشه إلى مركزه . فأمّا الإنسان فلا شرف له أيضاً على إنسان آخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت ، لأن الحياة ^(١) في كل أحد واحدة ^(٢) . فإذاً لا شرف من هذا الوجه . وإن اعتبر بعد هذا فعل هذا وفعل ذاك لا من جهة الاختيار والإيثار ، والاكتساب والاحتلاب — فذلك يقف على الأشرف فالأشرف و ^(٣) أعلى فالأعلى بحسب ما يوجد منظوماً في نفسه ، نافعاً لغيره ، واقعاً موقعه الأحسن به .

عيسى بن علي بن عيسى ابن الجراح الوزير

كان .. هذا الشيخ كبيراً في علوم الأولئ ، جامعاً لفنون الفضائل . وكان مع توجّهه في هذه العلوم له رأسٌ مالٌ في علم الحديث وعلو الإسناد ، والمعرفة بالقراءات وسائل الآداب والمحاسن .

وكان ملازماً لبيته ، صائناً لنفسه — إلى أن مات مشتغلاً بالإفادة والتدرис على رثاثة حاله وكبر سنّه .

وقال : ترجمتُ من كلامهم — يعني الفلسفه — أشياءً ، منها قول بعضهم : لأن تستغنى عن الشيء وتكلفه ، خيرٌ من أن تحتاج إليه وتُعطيه . ومنها قول آخر : العاقل بخسونة العيش مع العُقل آنس منه بلين العيش مع السفهاء .

(١) م : لأن الحد .

(٢) ك : واحد .

(*) أسقط الساوي الفصل الخاص بأبي بيكر القومشى .

(**) لم يورد الساوي من هذا الفصل غيره أسطر .

ومنها : قال فيلسوف : كما لا تشفق على عضوٍ منك ، إذا وقع فيه سُمٌّ ، من القطع مخافة فشو ذلك — كذلك لا ينبغي أن تشفق من احتلال التعب والراحة في إصلاح النفس .

وقال أيضاً : إذا كان الصياد يحتال للطير حتى يستنزله من جو السماء ، والسمكة حتى يستخرجها من جوف الماء ، وللسباع والطير حتى تألفه — فلِمَ لا يحتال العاقل للإنسان حتى يؤاخذه ويصافيه ؟ !

أبو علي عيسى بن زُرْعة البغدادي *

هو آخر من يُرْتَضَى نقله لكتب الحكيم أرسطوطاليس البسائط والجواجم ^٥ وقد أثار الوهج فيما نقله من جوامع ^(١) نيقولاوس وكتاب جالينيوس في «منافع الأعضاء» وغيره من الكتب .

وما ترجمه من كلام أرسطو ، قوله : الإنسانية أفق ، والإنسان متحرك ^(٢) بـ(١٠٩ ب) إلى أفقه بالطبع ، ودائرة إلى مركزه ، إلا أن يكون مؤوفاً ^(٢) بطبيعته مخلوقاً بأخلاق بهيمية . ومن رفع عصاه عن نفسه وألقى حبله على غاربه ، وسيَّب

(١) ذكره ابن النديم («الفهرست» ص ٢٦٤ ، نشرة فلوجل) هكذا : «خمس مقالات من كتاب نيقولاوس في فلسفة أرسططاليس». أما كتاب «منافع الأعضاء» بـجالينيوس فقد ذكر ابن النديم ص ٢٩٠ س ١٦) أن مترجمه هو حبيش وباصلاح حنين بن اسحق . لكن في الفصل الخامس بـابن زرعة ذكر «الفهرست» ص ٢٦٤) له : «كتاب منافع أعضاء الحيوان بتفسير يحيى النحوي» — فلعله المقصود هنا . أي أن ابن زرعة أنها ترجم كتاب «منافع الأعضاء» بـجالينيوس بتفسير يحيى النحوي .

(٢) أي مصاباً بأفة .

(*) راجع عنه ابن النديم في «الفهرست» ص ٢٦٤ ، فلوجل ؛ وابن القططي ص ٠٢٤٥ ، وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٣٣٨ ، وتاريخه السرياني ص ٢١٥ ، وابن أبي أصيبيحة ج ١ ص ٢٣٥ ؛ وفتنفلد : «تاريخ الأطباء العرب» ص ٦١ ، برقم ١٢١ ؛ لوكليبر ج ١ ص ٣٧٤ ؛ البيهقي ، «تمة ...» ص ٦٦ - ٦٩ .

هواء في مرعاه ، ولم يضبط نفسه عما يدعوه إليه بطبعه ، وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة ، فقد خرج عن أفقه ، وصار أرذل من البهيمة بسوء لميثاره .

هذا آخر ما ترجمه من هذا الفصل . وهو كما ترى وعظٌ بحكمة ، وايقاظ برأفة ، وتعليم بنصيحة ، وإرشاد بيان . لورئي هذا للحسن البصري ومنصور بن عمار وضرر بائهما لما زاد على ذلك . وقد اتفقت الأفاضل والأوائل كلها على إصلاح السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعى فيما أثمر وأحدى ، والإعراض عن كل ما شغل البال وأثار الشهوة – لتبلغ النفس غايتها وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكسٌ في هذا العالم ، ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم . وقد قرأت لفيلسوف قبل سocrates قوله : ارتفاعُ موضع العقل على سائر الحسّيات التي هو المدبر لها كارتفاع موضع العينين على سائر الأوصال التي تستثير بهما وتهتدي بهدايتها .

وقال أبو علي : قال سocrates لتلميذه له : أَقْبِلْ على إصلاح ما فيك من الفساد بمعونة ما فيك من الصلاح .

قال أبو علي : هذا إيماء إلى تقسيم الإنسان بين الطبيعة والنفس : فما فيه من الصلاح فمن ناحية نفسه ، وما فيه من الفساد فمن ناحية طبيعته . فحثَ بكلامه هذا على الاستعانة بالنطق الذي للنفس على السفَّه الذي للطبيعة حتى يمحَّي وينتفي (١١٠) أثره ويكون كأنه لم يوجد ولم يُلْفَ . وكما قد تكون نفس الناس ، بغلبة العقل وأفعاله فيه ، كأنه بلا طبيعة ، والرياضية موضوعة لهذه الغاية ، والاجتهد واقع من هذه الآفة .

وحكمي أبو علي أيضاً : قال حنين وثبت بن قرة : النقطة والآن والوحدة بارزة من المقولات العشر . قال : وهذا هكذا ، لأن وجود هذه الأشياء في غاية اللطف والعلو والشرف والحلالة ، فلم تُحيط بها مقوله ، ولم يحددّها رسم .

قال له البخاري : فمن أي وجه شعرنا بها ؟

قال : أوما إليها العقل إيماء ، والآن هو نقطة ، ولكن في الزمان ، والوحدة هي نقطة ، ولكن في الخط . والنقطة هي ^(١) الآن ولكن لا في إماء مصنوع ، ولا تحت شيء معروف * .

ابن السوار

سئل ابن السوار : هل ما فيه النام من السيرة ، وما هم عليه من الاعتقاد حق كله ، أو أكثره حق ، أو كله باطل ، أو أكثره (باطل) ؟ فقال : المسألة هائلة ، والجواب هين . قيل : فأفدى ، أفادك الله ، فإن ركيبة ^(٢) العلم لا تنزع وإن اختلفت عليها الدلائ ، وكثير على حفافتها الوراد . فقال : صدقتم ! واعلموا أنه إذا لاحظ استيلاء الطبيعة عليهم وغلبة آثارها فيهم في الرأي المعتقد والسيرة المؤثرة ، فأكثر ذلك باطل ، لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريب ، والغريب ذليل . وإن لاحظ حكم العقل وما يجب له ويليق بجوهره ويحسن مضارعاً إليه فأكثر ذلك حق - (سواء) كان المحظوظ رأياً أو سيرة أو عادة أو خليقة . وعلى حسب هاتين الغلتين يكون القضاء ويقع الحكم . والحق لا يصير حقاً بكثرة معتقديه (١١٠ ب) ولا يستحيل باطلاً بقلة متنحليه . وكذلك الباطل . ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق إليه الاتفاق من جلة الناس وأفضلهم أنه أولى بالتقديم والإيثار ، وأحق بالتعظيم والاختيار لأنه يكون مقوماً بالبحث ، مخبراً بالفلق ، مصقولاً على الزمان ، تلمسه كل بد ، وتجتليه كُلُّ عين ، ويصير شأنه على صورة الواحدة دليلاً قوياً وشاهداً زكيماً على حقيقته ، لأنه

(١) ك : والنقطة والآن .

(*) أسقط الساوي في مختصره الفصل الخاص بابن زرعة .

(٢) الركيبة : (بتشديد الياء) : البئر . والدلاء ، جمع : دلو .

يبرأ حينئذ من هو صاحبه ويَعْرِى من تعصّب ناصره ، وتبقى صورته الخاصة ، ويجرّي مجرى السبيكة التي لا تحتاج إلى علاج المعالج وتمويه المموه وانتقاد المتقد وتنفيذ المنفق وحيلة المحتال .

أبو القاسم الأنطاكي المعروف بالمجتبى

كان يقول : الأسباب التي هي مادة الحياة هي في وزن الأسباب التي هي جالبة الموت .

قيل له : فلم كان الموت على هذا أولى بالإنسان من الحياة ؟

قال : لأن الموت طبيعي ، وكل طبيعي لا محيس عنه ، وإنما أطلقنا الكلام الأول لأنك ترى من نجا بالموت يشي به وقع غيره في الموت ، ونجد من لمن إلى الحياة يشي به تخلص غيره إلى الموت . فلو استطع حضر هذه الأبواب ، لوجد ما به يموت من يموت في عدد ما به يحيا من يحيى .

ثم قال : وهاهنا موتٌ طبيعيٌ معرف به ، وفي مقابلته حياة طبيعية . وهكذا أيضاً ها هنا موتٌ عَرَضيٌ ، وفي مواجهته حياة عَرَضية . فالموت الطبيعي قد قامت الشهادة (عليه) من الكافية . فأما الحياة الطبيعية فحياة العقل بالمعقول » . والموت العَرَضي الجهل الشائع في الإنسان (١١١) . فأما الحياة العَرَضية فحسن الإنسان وحركته بسلامة بدنها وسكون أخلاطه وقوه طبيعته وتصرف سائر ما هو مركب من جهته .

(*) أسقط الساوي في مختصره الفصل الخاص بـ«السوار» .

(*) ذكره ابن النديم في «الفهرست» (ص ٢٨٤ ، فلوجل) وقال إنه «مات قريباً من سنة ست وسبعين وثمانين» . وله من الكتب : كتاب التخت الكبير في الحساب الهندي ، كتاب في الحساب على التخت بلا محو . كتاب تفسير الأرثماطيقي . كتاب استخراج الترافق . كتاب تفسير أقليدس . كتاب في المكعبات» .

لِمْ قَالَ : وَمَنْ فَتَحَ اللَّهُ بَصَرَ عَقْلَهُ وَلَحَظَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ ، تَرَقَى فِي درجاتِ
الْعِلْمِ وَسَلَالِيمِ الْفَضَائِلِ ، وَانْتَهَى إِلَى أَفْقِ الرَّوْحِ وَالرَّاحَةِ ، وَنَجَا مِنْ هَذِهِ
الْمَعَادِنِ الَّتِي هِيَ مَعَادِنُ الْعَطَبِ وَالتَّلَفِ ، وَمَسَاكِنُ الْأَفَاتِ وَالْمَلَائِكَ .

وَتَفَجَّرَ فِي هَذَا الْفَصْلِ بِكُلِّ كَلَامِ شَرِيفٍ ، وَكُلِّ مَوْعِظَةٍ حَسَنَةٍ . وَكَانَ
مِنَ الْقَادِرِينَ عَلَى أَمْثَالِهِ ، وَمِنْ قَدْ أَكَدَهُ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ وَمَعْنَتِهِ .

أَبُو زَكْرِيَا الصَّمِيرِيُّ (١)

قَالَ : كُلُّ مَا لِلنَّفْسِ بِالْتَّعَامِ وَالْكَمَالِ وَالزَّيْنَةِ وَالْحَمَالِ هُوَ لِلطَّبِيعَةِ بِالْقُصْصِ
وَالْحِيفِ وَالْكَوْنِ وَالْفَسَادِ . أَلَا تَرَى إِلَى الْحِكْمَةِ ، وَهِيَ قِبَةُ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ ،
كَيْفَ تَنْمُو عَلَى الْبَثِّ وَالشَّرِّ وَالتَّفْرِقَةِ وَالتَّوزِيعِ ! وَانْظُرْ إِلَى قِنَيَةِ الْجَسْمِ مِنْ هَذِهِ
الْجُواهِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ وَالْبَنَاتِيَّةِ ، كَيْفَ تَقْلِيلٌ وَتَضْمِحَلٌ وَتَبْطِلُ وَتُسْلِبُ وَتُسْرِقَ
وَتُؤْخَذَ ! وَالْعَجْبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ، وَإِنْ كَانَ مَنْقُوصُ الْفَكْرَةِ مَتْلُوًّا بِالْعَادَةِ
الْسَّيِّئَةِ ، يَعْلَمُ هَذَا الْفَرْقَ وَيَحْسَسُ بِهَذَا النَّحْوِ . ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَغَالِطُ نَفْسَهُ وَيَغْاَبُ
عَقْلَهُ كَأَنَّهُ إِنَّمَا يَعْمَلُ بِهَذَا وَشَبِيهِ عَدُوَّهُ ، أَوْ مَنْ أَرْصَدَ سُؤَالَهُ .

قَالَ : إِنَّمَا اخْتَلَفَ الْحَكْمَانِ فِي هَاتِينِ الْقَنْيَتَيْنِ لَا خِتْلَافُهُمَا فِي أَعْيَانِهِمَا . أَلَا
تَرَى أَنَّ أَحَدَهُمَا نُورٌ يَسْتَضِيءُ بِهِ وَنُسِيمٌ يَسْتَرُوحُ إِلَيْهِ ، وَالآخَرُ كَاهُوَةٌ يَتَرَدَّى
فِيهَا ، وَظُلْمَاءُ الْيَوْمِ لَا يَتَخلَّصُ مِنْهَا .

وَقَالَ : رَضَا الْإِنْسَانُ عَنْ نَفْسِهِ مَقْرُونٌ بِسُخْطِ اللَّهِ تَعَالَى * .

(١) كَ : الصَّمِيرِيُّ (بِالضَّادِ فَالْمِيمِ فَالْيَاءِ فَالْأَيَاءِ فَالْأَيَاءِ) . وَالصَّمِيرِيُّ (بِالضَّادِ الْمُعْجَمَةِ) نَسْبَةُ إِلَيْهِ
(بْنِي) ضَمْرَةٍ .. ، أَوْ إِلَى ضَمِيرٍ وَهِيَ قَرِيَّةٌ وَحْصَنٌ فِي آخِرِ دَمْشَقٍ ؛ أَمَّا الصَّمِيرِيُّ (بِالْمَهْمَلَةِ)
فَنَسْبَةُ إِلَيْهِ الصَّمِيرِيُّ قَرْبُ الْبَصْرَةِ ، أَوْ صَمِيرَةُ بَلْدٍ فِي خُوزَسْتَانِ .

(*) أَسْقَطَ السَّاوِيُّ فِي مُخْتَصِرِهِ الْفَصُولِ الْخَاصَّةِ بِالصَّمِيرِيِّ ، وَطَلْحَةُ ، وَنَظِيفُ الرُّومِيُّ ، وَوَهْبُ
بْنُ يَعْيَشٍ ، وَغَلَامُ زَحْلٍ وَابْنِ بَيْلَسٍ ، وَأَبِي تَعَامِ النَّيْسَابُورِيِّ ، وَالْبَدِيَّهِيِّ ، وَالنَّوْشَجَانِيِّ .
وَأَبُو مُحَمَّدِ الْفَرَوْضِيِّ ، وَأَبِي اسْحَاقِ وَأَبِي الْخَطَابِ الصَّابِيَّيْنِ - وَانْتَقَلَ مُبَاشِرًا إِلَى مَسْكُوْبَيْهِ .

طلحة النسي

سؤاله (١١١ ب) أبو جعفر ملك سجستان : لِمَ لا تتناسل البغال كما تتناسل الخيل والحمير ؟

فقال : لأنها ليست بجوهرِ تامٍ خالص فتناسل كتناسل الأجناس الحالصة .
والبغل في الفشل كالسكنجيين الذي لا يعمل خلْهُ خلْيَةً تامةً ، ولا عَسَلَهُ عَسَلَيَّةً تامةً .

وسأله أيضاً : لم صار الإنسان إذا رأى في منامه أنه يأكل ويشرب انته له يصل إلى شَبَعٍ ورِيًّا ؛ وإذا رأى أنه يجماع ، استيقظ وقد أمنَّى .

فقال : لأن الجوع والعطش يُخَيِّلُ إلى النائم الأكل والشرب ، والشتَّق يُخَيِّلُ إليه الجماع . فإذا رأى الجائع أنه يأكل ، لم تقدر الطبيعة على أن تعطي (١) الإنسان طعاماً يشبع وشراباً يروي . وإذا رأى أنه يجماع لم يمنع الطبيعة من إخراج المني بالاحتلام ، لأن الاحتلام خروج الماء من الصُّلب ، فيخرج الماء . فإن النفس على استخراج ما يقرب منها بالتخيل أقدر منها على استعادة ما يبعد منها .

نظيف الرومي

قال : فيلسوف قال : لذات الدنيا ست : ثلاثة تملّ ، وثلاث لا تُتمَلّ .
فأمّا التي تُتمَلّ فالأكل ، والشرب ، والنكاح . وأما التي لا تُتمَلّ فالطيب ،
واللباس ، والسماع .

(١) غير واضح في كـ .

(٢) كـ : افراج .

وَهْبُ بْنُ يَعْيَشَ الرَّقَّيْ

قال : صَحَّ عِنْدَنَا أَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ ! - قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ إِنْسَانًا لِّفَنَاءٍ وَلَا لِبَقَاءٍ . وَلَكِنْ خَلْقَهُ وَخَلْقَ الْعُقْلِ لَهُ لِيُسْتَعْمَلُ فِي فَضَائِلِ النَّفْسِ ، أَوْ شَهْوَاتِ الْبَدْنِ . فَإِنْ اخْتَارَ شَهْوَاتِ الْبَدْنِ ، فَاللهُ تَغْيِيرُ الْبَدْنِ . وَإِنْ اخْتَارَ فَضَائِلَ النَّفْسِ ، نَالَ الْبَقَاءَ وَالْمُلْكَوْدَ .

قال وهب : وهذا ترجم لنا بعد صعوبة ، وعليه كلام^(١) (١١٢) لأنَّه فلسفة في معرض الناموس . وللظن فيه قدح ، وللرأي فيه سَبَّح . وما أتى في معارفهم إِلَّا من اختلاف التأويل واعتراض الحُسْبَانِ .

غَلامُ زُحَّلَ (١) وَابْنُ بَيْلِس

قال غلام زُحَّل : السَّمَاءُ هِيَ الْجَسْمُ الَّذِي فِيمَا بَيْنِ نَهَايَةِ كُرْبَةِ الْقَمَرِ الَّتِي تَلَيْنَا إِلَى نَهَايَةِ الْعَالَمِ . وَجَمِيعُ أَكْرَى السَّمَاءِ - عَلَى مَا صَحَّ عِنْدَنَا - تَسْعُ أَكْرَى أَقْرَبَهَا لَنَا كُرْبَةَ الْقَمَرِ .

وسمعت بعد هذا ابن بيلس كان يقول : دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر يقطعان الفلك في كل يومٍ وليلةٍ مرتين . وكان هذا من آرائه التي تفرد بها ، ولم أجده أحداً يوافقه على شيء منها . وهذا خاصة وأنه ليس لنا في هذه الصناعة كثير مدخل ولا منفذ ، لم نقصد لنقض ما قاله . ولكن عجبنا من مخالفته للأوائل الذين قد أقاموا البرهان على خلاف دعواه . والصناعة برهانية . فليت شعرى بأيٍّ برهان قام على هذه الدعوى . والبرهان

(١) هو أبو القاسم عبد الله بن الحسن . راجع عنه « الفهرست » لابن النديم ص ٨٤ ، نشرة فلوجل وقد ذكر له من الكتب : « كتاب التسييرات ، مقالة ؛ كتاب الشعارات ، مقالة ؛ كتاب أحكام النجوم ؛ كتاب التسييرات والشعارات ، كبير ؛ كتاب الجامع الكبير ؛ كتاب الأصول المجردة ؛ كتاب الاختيارات ؛ كتاب الانفصalam » .

المعروف ، وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا حائلة .

وله أيضاً أشياء أخرى أنشأها رأياً من تلقاء نفسه وانتحلها وأعجب بها لعجباباً شديداً ، ودعا إليها في الطبيعتيات والإلهيات . وقد ذكر أبو حيان هذه الآراء في رسالة له إلى بعض إخوانه ، وهي عندي ، لا عائدة في حكايتها هنا .

ومات هذا الرجل ، أعني أبو سعد صاحب هذه الأقوال ، لنسع خلون من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

أبو تمام النيسابوري

هو من فحول الحكماء والمبرزين في هذه الصناعة . ولهم تصانيف كثيرة ، منها رسالة (١٢ ب) في «الحدود» ما صنف مثلها (١) أحد .

ومن كلماته قوله : قال بعض الحكماء (٢) : الحركات الطبيعية ست : حرارة الكون ، وحرارة الفساد ، وحرارة الربو ، وحرارة الاصمحلال ، وحرارة الانتقال ، وحرارة الاستحاله . ولكل حرارة فعل خاص من الأفعال الطبيعية . كذلك لكل حد من الحدود الستة شرف وفضل وعلم وعمل يدل على قوتها وكماتها .

البلدي

صاحب يحيى بن عدي دهر آ طويلاً .

(١) كـ. : مثله .

(٢) هو أرسطوطاليس . راجع كتاب «الكون والفساد» .

قال : من البَيِّن أن المَوْجُود على ضَرْبِين : مَوْجُود بِالْحَسْنَ ، وَمَوْجُود
بِالْعَقْل . ولكل واحدٍ من هذين المَوْجُودِين وجودٌ بحسب ما هو به موجود :
إِمَّا حِسْتِي ، وإِمَّا عَقْلِي . فعلى هذا النَّفْسٍ لَهَا عَدْمٌ في أَحَد الْمَوْجُودِين ، وَهُوَ
الْحِسْتِي . ولها وجودٌ في القسم الآخر : فتستبِطْ وَتَعْقُل وَتَسْتَبِطْ وَتَنْظِيم
الْمَقْدَمَات ، وتَدْلُ على تَابِعِ الْمَعْلُومَات ، وَتَعْلُو إِلَى غَايَةِ الْغَایَاتِ . وَلَيْسَ لِلْحَسْنِ
مَعْهَا شَرْكَة ، وَلَا لَهُ عَنْهَا مَعْوِنَةٌ وَمَادَة . وَكَيْفَ لَا تَكُونُ النَّفْسُ ، الَّتِي هَذَا
عَنْوَانُ كَتَابَتْهَا وَصَرَيْحَ كَنَّايةَهَا وَفَاضِلَّ عَنْيَاتِهَا ، بَعْدَ مَفَارِقَةِ الْقُسْوَرِ وَالْحَوَاجِزِ
وَالْحَيْطَانِ وَالْحَوَاجِبِ ، وَالْغَواشِي وَالْمَلَابِسِ عَنِ الْحَسْنِ أَغْنَى ، وَبِجُوهرِهِ
أَعْلَى ، وَبِخَاصَّتِهِ أَسْنَى ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَنْهَا أَبْعَدَ ، وَعَنْ شَرْفِهَا أَهْبَطَ ! وَهُلْ
هَذِهِ الشَّهَادَةُ إِلَّا عَادَلَة ، وَهَذِهِ الْبَيِّنَةُ إِلَّا مَقْبُولَة ، وَهَذِهِ الْحُكْمُ إِلَّا مَرْضِيَّ ،
وَهَذِهِ الْمَثَالُ إِلَّا بَيِّنَ ؟

ثُمَّ قَالَ : وَلِطَائِفَ الْحُكْمَةِ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا الْحَسْنُ الْجَاهِي ، وَالْغَلِيلِيُّ الْجَاهِلُ ،
وَالْفَدْمُ الْعَبَامُ ، وَالْهَلْيَاجَةُ الْقَلِيلُفُوقُ . وَإِنَّمَا هِيَ بِعِرْضِ مَنْ صَحَ ذَهْنَهُ وَاتَّسَعَ
فَكْرُهُ وَدَقَّ بَحْثَهُ وَرَقَّ تَصْفِحَهُ (١١٣) أَوْ وَاسْتَقَامَتْ عَادَتْهُ ، وَاسْتَنَارَ عَقْلَهُ ،
وَحَسَنُ خَلْقَهُ وَعَلَّتْ هَمَّتْهُ وَخَمَدَ شَرَّهُ ، وَغَلَبَ خَيْرَهُ ، وَأَصْلَلَ رَأْيَهُ ،
وَجَادَ تَمِيزَهُ ، وَعَذَبَ بِيَانَهُ وَقَرَبَ اتِّقَانَهُ .
قَبِيلُ لَهُ : هَذَا عَزِيزٌ جَدًّا .

قَالَ : كَمَا أَنَّ الْمُتَشَبِّهَ بِهِ فِي هَذَا غَزِيرٌ جَدًا وَأَنْمَاعٌ فِي هَذَا الْفَنِّ وَتَعْطِي وَحَازَ
كُلَّ غَايَةٍ وَتَحْظَى . وَمَحْصُولِي مِنْ ذَلِكَ مَا سَمِعْتُهُ الْآنَ ، وَتَرَى . نَفَعْنَا اللَّهُ بِهِ
وَحَلَانَا بِأَزِيَّتِهِ (١) وَأَسْعَدَنَا بِقَبْوَلِهِ .

النوشجاني

قال يوماً ، وعنده جماعة من أصحابه : قد وضح بالعبرة الصحيحة ،

(١) أجمع : زَيْ .

والتصفع الشافي ، والنظر البليغ أن الفاعل الأول الذي هو علة كل ما يرى ويوجد ، ويعقل ويحسن ، لا قصد له في أفعاله ، ولا مزاولة ولا محاولة .

فقال له بعض الحاضرين : لو أيدت هذا القول ببرهان ساطع ، أو بدليل مقنع – كنت شيدت ما أستمدت ، وقويت ما أتيت .

فقال : لأن هذه كلّها دخلتْ أفعالنا وتخللتْ أحوالنا ، لعجزنا وفسولتنا وانحطاطنا وضياعنا وتهافتنا وتحولنا وتبدلنا وسائلنا وبطيلانا . فانجبرت مكاسرنا بها ، وتمت مناقصنا بمواصلتها ، وانسدت مفاقرنا باستعمالها . فأمّا الباري الحقُّ الذي هو واهب كلَّ كاملٍ كماله ، وجابرُ كلَّ ناقصٍ نقصه ، علىِ عن هذه الأعراض والعلل ، والمسالك والسبل .

فقال له السائل : فكيف اتفقنا على أنه منعوت بالحكمة ، وأفعاله على ما زعمت . وكيف يُبان هذا ويتحقق حتى نخلص من خوائن اللحظ من القلوب ، وشوائب اللفظ من الألسنة ؟

فقال : لعمري إنَّ في إيضاحه لصعوبةٍ وعراً ، وإن كان العقل قد (١١٣ ب) قضى بما قدمته ، وعلى صعوبة ذلك فإني أُولَئِك على التقرير قوله عسى أن يكون للسامع فيه مرضٌ ومَقْنَعٌ ، إن لم يكن له فيه مروي ومشيع . ثم ابتدأ في شرحه في رسالة طويلة لا تليق بهذا الموضوع .

أبو محمد العروضي

قال : سكون (العقل) في نوع الحركة ، وحركة الحسَّ في نوع السكون ، لأن حركة الحسَّ إلى الأضمحلال والنكول ، وسكون العقل إلى الكمال والمحصول .

أبو إسحق وأبو الخطاب الصابئان

قال أبو حيان : سمعت أبا إسحق الصابي الكاتب يقول لأبي الخطاب ،

ابن عمه : اعلم أن المذاهب والمقالات والنّحل والأراء وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه كدائره في العقل : فمعنى فرض فيها قول وجعل مبدئاً للأقوال انتهى منه إلى آخر ما يمكن أن يقال . فليس من قول إلا وقد قيل أو يقال . وليس من فعل إلا وقد فعل أو سيفعل ، وليس من شيء يُعلم إلا وقد عُلم أو يُعلم . وهكذا في الظن والرأي وغير ذلك .

ومثال هذا بين في كل ما أردته . وذلك أنك لا تشير إلى رأي أو نحْلة إلاًّ
أمكنك أن تظن به كل ما ظنُّ و يُظنَّ ، وتقول كلَّ ما قيل ويقال . وإنما
يضيف مجرمَ أحدهنا ، وينفسح مُنْسَرِب الآخر لأنَّ الخاطر يسع مرهَّ ولا
يسع مرهَّ ؛ والقلب يتسع مرهَّ ولا يتسع مرهَّ ؛ واللسان ينطق وقتاً ويمسك
وقتاً .

قال أبو الخطاب : هل للخواطر والألفاظ والأراء والمقالات نسبة إلى المزاج والطينة والهواء ، وإلى العناصر بالجملة ؟

فقال : إن لها نسبة قوية وعلاقة شديدة ورباطاً متبناً إلى هذه الأمور التي
في حالٍ من الأحوال ولا سبيل من السُّبْل . ولو أمكن ذلك . لوُجد . ألا ترى
أنه لا سبيل إلى أن يكون الناسُ كلهم طوال القدود ، أو قصارها ، وضخام
الروعوس أو صغارها ، أو فُصَحَاءُ الألسنة أو لُكْنَاهَا ، أو على مذهب واحد
ومقالة واحدة ؟ ! كيف يكون هذا أو يظن هذا ، والطبيعة إنما تعطي صورتها
لكل شيء بحسب قبوله وتهيئته ومواتاته . فلين الزُّبُد من عطية الطبيعة ،
ولكن على قدر قبوله . وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ، ولكن على قدره .
فاختلاف الصور إنما نشأ من جهة اختلاف المواد . وهذا أصل لا أصل له ،
وعلة لا علة لها ، لأنَّه لم يفعله فاعلٌ على ذلك ، بل الصورة من شأنها هذا ،
والمادة من شأنها ذلك . والأمر مستتبٌ على سُنَّتِ ما ترى . فعلى هذا كل أحد
يتخلل ما شاكه مزاجه ونبض إلَيْه عرْقُه ، ونزع إلَيْه شوقة ، وعجز به

طينه ، وجرى به بعد ذلك دأبه وديدنه .

وهذه عشرة فصول عملها أبو إسحق الصابي ، فيها للملوك آداب ، وأنباعهم آداب ؛ كتبها إلى عضد الدولة :

(أ*) إلى الملك الفاضل ، وإن استقل بشرف نفسه ، فله في المذاكرة بالفضائل فائدةان : إحداها أن يتبّه على شكر النعمة فيها ، والأخرى أن يحفظ من أن يشدّ عنه بعضها . فأخلق أن يحمد ذلك من فاعله ، لأنّه يخاطبه بما في كتابه الشوق إليه والتقبل له .

(ب) الملك القادر أولى بالتأني في حكماته والثبات في عرفاته ، لأنّه إن أنفذها على شبّهه وأمضاها على (١١٤ بـ) غير بيّنة ، لم يكن لها دوافع عنها ، ولم يَخلُّ أيضاً من مساعدٍ عليها . أما تعرّف الدافع فقلة المجرى عليه ؛ وأما تيسّر المساعدة فلكرةً متقرّباً إليه . ولا ينبغي أن تُقام الحجة عليه ، بل يلوح بها ، لأنّ في عادة ذوي القدرة أن يستوفوها إلى آخرها إذا كانت لهم ، وأن يقفوا عند أدناها إذا كانت عليهم . فمن اتفق أن يذعن لها من ذاته اغتنم ذلك وشكر عليه ، وإلاّ كان الأحزن في معاملته والأحسن في أدب محاورته أن يخلي له عن طريقها ولا يلتجأ إلى مضيقها إذا كان المجادل له يحمله على إحدى خطبيتين : إمّا كلفة المتابعة على ما يأبه ، وإمّا هجنة المخالف إلى ما يهواه .

(ج) الملك المُنْعِم إذا أفضى المكارم واغتفر الجرائم ارتبط بذلك خلوص نية منْ قرُب منه ، وهم الأقلّ ؟ – وانفساح الأمل منْ بَعْدِ عنه ، وهم الأكثرون . فيستخلاص حيئذ ضمائر الكل من حيث لا يصلح معروفة إلاّ إلى اليسير .

(د) الملك تلزمـه الحقوق بأيسر سعي الساعين لها ، وأقصر أمـد المـجرـين

(*) الأرقام – بالحرف الإبجديّة – الواردة هنا موجودة في الأصول المخطوطـة .

إليها ، لأنه إن انتظر بهم أن يعقدوا عليه النعم الضخمة لم يكن لهم بذلك طاقة ، ولَمْ يكن به إليهم فاقة ، لكن المحل^(١) الذي حلّه والمكان الذي تبوأه يوجبان عليه أن يكون على القليل من الندماء محافِظاً ، وبعین الرعاية لـه ملا حِظاً .

(ه) الملك إذا وعد وَفَى ؛ وإذا أُوغَد عفـا . ومن أفحـر مناقبـه أن يكون إذا أعطـى خدمـه ، في حال الاستخدام ، جانـباً من البسيـط والإـدانـاء ، لم يُعـقـبـه في حال الاستـغـنـاء بـجانـبـ من القـبـضـ (٢) والـاقـصـاء ، لأنـ قـضـيـاه مـتـقـدـة (١١٥) وـسـجـيـاه مـتـقـدـة . (و) من طـبـاعـ الناسـ أنـ يـحـرـصـوا علىـ القـلـيلـ منـ اـصـطـفـائـهـ أـضـعـافـ حـرـصـهـ عـلـىـ الـكـثـيرـ منـ أـمـوالـهـ ، وـأـنـ يـغـتـبـطـوا مـنـ بالـقـرـبةـ ، وـيـخـنـواـ عـنـدـ اـعـرـاضـ التـبـوـةـ . إـذـاـ حـفـظـهـ فـيـمـاـ يـسـتوـدـعـونـهـ مـنـ وـدـائـعـ الـحرـمـةـ ، حـفـظـ عـلـيـهـ ماـ يـرـقـيـهـ إـلـيـهـ مـنـ شـرـفـ الـحـظـوةـ ، وـاستـدـرـ بـذـلـكـ موـادـ الـمـصالـحـ ، وـاجـتـلـبـهاـ مـنـ كـلـ دـانـ وـنـازـحـ . وـانتـشـرـ ذـلـكـ عـنـهـ مـنـ حـيـثـ لـمـ يـأـلـ جـهـداـ فيـ طـلـبـ نـظـامـهـ ، وـالـسـعـيـ لـالـثـاتـامـهـ – فـوـاجـبـ عـلـيـهـ أـنـ يـحـمـدـهـ أـوـ لـاـ يـذـمـهـ ، فـإـنـهـ إـنـ ذـمـهـ قـبـصـهـ وـقـبـضـ نـظـارـهـ عـنـ الدـأـبـ فـيـ الـمـصالـحـ وـالـطـلـبـ لـلـمـنـاجـحـ ، وـلـقـهـمـ مـنـ قـصـورـ الـهـمـ وـنـقـصـانـ الـمـيـنـ مـاـ يـعـودـ وـهـنـهـ عـلـيـهـ وـيـتـعـلـقـ ضـعـفـهـ بـهـ ، لـأـنـهـ يـشـغـلـونـ عـنـ التـوـصـلـ إـلـىـ مـاـ يـنـفعـهـ بـالـتـحـرـزـ مـاـ يـضـرـهـمـ .

(ز) الملك يـتـنـصـلـ إـلـيـهـ كـلـ مـنـ سـخـطـ عـلـيـهـ . وـهـمـ طـبـقـاتـ ثـلـاثـ : فـمـنـهـ مـنـ ذـنـبـ مـقـرـونـ بـعـذـرـهـ ، قـدـ أـمـاطـ عـنـهـ وـأـخـرـجـهـ سـلـيـماـ مـنـهـ . وـرـبـماـ أـقـرـ بـالـذـنـبـ طـاعـةـ ، وـأـمـسـكـ عـنـ العـذـرـ رـهـبـةـ . وـلـاـ يـحـسـنـ أـنـ يـقـتـصـرـ لـمـ هـذـهـ حـالـهـ أـنـ تـسـقـطـ الـلـائـمـهـ عـنـهـ دـوـنـ أـنـ تـجـبـ عـلـيـهـ الـحـمـدـهـ لـهـ . وـمـنـهـ مـنـ عـذـرـهـ مـعـوـزـ ، وـذـنـبـ وـاضـعـ ، لـكـنهـ فـرـدـ لـأـخـ لـهـ ، وـلـاـ توـأـمـ مـعـهـ . فـالـأـوـلـيـ أـنـ يـنـالـ مـنـ الإـقالـةـ – إـذـاـ اـعـرـفـ بـالـحـوـبـةـ (٣) وـأـخـلـصـ فـيـ التـوـبـةـ . وـمـنـهـ المـتـرـدـدـ فـيـ هـفـوـاتـهـ ، المـتـكـرـرـ فـيـ

(١) الذي : ناقصة في كـ.

(٢) كـ : الاتصال .

(٣) الحوبة : الذنب .

عُرْاثَةُ ، الْجَارِيَّةُ عَادَتْهُ أَنْ يَكْسِرَ التَّوْبَةَ إِذَا تَابَ ، وَيَفْسُخَ عَقْدَ الْإِنْزَابَ إِذَا أَنْابَ . فَذَاكَ الَّذِي يَعَاقِبُ بِالْأَطْرَاحِ ، وَلَا يَطْمَعُ مِنْهُ فِي فَلَاحٍ .

(ح) الْمَلِكُ لَمْنَ غَلْطَ مِنْ (١١٥ بـ) أَتَبَاعَهُ فَاتَّعَظَ أَشَدَّ اِنْتِفَاعًا مِنْهُ بَنْ لَمْ يَغْلَطْ وَلَمْ يَتَعَظْ ، لَأَنَّ الْأَوَّلَ كَالْقَارِحِ الَّذِي أَدْبَثَهُ الْعُرْةَ وَأَصْلَحَتْهُ النَّدَامَةَ ، وَالثَّانِي كَالْجَدْعِ الَّذِي هُوَ رَاكِنٌ^(١) لِلْغَرَةِ وَسَاكِنٌ إِلَى السَّلَامَةِ . وَالْعَرَبُ تَزَعَّمُ أَنَّ الْعَظَمَ إِذَا جُبِّرَ مِنْ كَسْرِهِ عَادَ صَاحِبَهُ أَشَدَّ بَطْشًا وَأَقْوَى يَدًا .

(ط) الْمَلِكُ مُحْتَاجٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى كَثِيرٍ ، وَهُمْ مُحْتَاجُونَ مِنْهُ إِلَى وَاحِدٍ . وَمِنْ هَا هُنَا وَجَبَ أَنْ يَوَازِنَ حَلْمَهُ أَحْلَامَهُمْ ، وَيَوَازِنَ فَهْمَهُ أَفْهَامَهُمْ ، وَأَنْ يَعْمَلُهُمْ بِفَضْلِهِ ، وَيَغْمِرُهُمْ بِعَطْوَلِهِ وَيَكْتَفِيهِمْ كَنَافَةُ الْجَفَونِ لِنَصُولِهَا وَالْكَنَائِسِ لِسَهَامِهَا . وَإِنَّمَا مِثْلُ السُّلْطَانِ مِثْلُ الْحَالِسِ عَلَى الْعَرْشِ الَّذِي يَعْلُوْهُ بِلَحْمِلَتِهِ فِيهَابِ لَحْسِرَتِهِ .

(ي) الْمَلِكُ أَحَقُّ بِاِصْطِفَاءِ رِجَالِهِ مِنْهُ بِاِصْطِفَاءِ أَمْوَالِهِ ، لَأَنَّ كُلَّ دَرْهَمٍ يَسْدُدُ مَكَانَ أَخِيهِ ، وَمَا كُلَّ رَجُلٍ يَسْدُدُ مَكَانَ أَخِيهِ . وَفِي الْحِيطَةِ لِهِ أَنْ لَا يَضِيقَ مِنْهُمْ مَنْ فِي يَدِهِ لِأَنَّهُ مَعَ اِتْسَاعِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ الْقَدْرِ لَا يَكْتُفِي بِالْوَحْدَةِ ، وَلَا يَسْتَغْنِيُّ عَنِ الْكُثُرَةِ . وَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ مِثْلُ الْمَسَافِرِ فِي الطَّرِيقِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي تَخْفِي عَلَيْهِ : أَنْ تَكُونَ عَنْيَاتِهِ بِفَرْسِهِ الْمَجْنُوبِ مِثْلُ عَنْيَاتِهِ بِفَرْسِهِ الْمَرْكُوبِ .

تَمَّ الْفَصْوُلُ .

أَبُو عَلِيِّ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ مَسْكُوِيَّهُ *

هُوَ مِنْ أَعْيَانِ الزَّمَانِ . وَقَدْ صَحَبَ الْوَزِيرَ أَبَا مُحَمَّدِ الْمَهْلَبِيَّ فِي أَيَّامِ شَبَيْبِتِهِ .

(١) كـ : رَاكِبٌ .

(*) راجع عنه مقدمة نشرتنا لكتاب « المحكمة الخالدة » (جاويدان خرد) وفيها كل المراجع عنه .

وكان من خواصه ووجوه المختصين به . ثم اتصل من بعد ذلك بخدمة الملك عضد الدولة . وصار من جملة النذماء والرسل ، إلى أن فارق الملك الدنيا .

وأما تخرّمه بصحبة الأستاذ أبي الفضل ابن العميد وابنه : أبي الفتح ذي الكفائيين والملك صمّاصم الدولة ، ومن بعد ذلك كونه في الحضرة العالية بالريّ (١١٦ أ) وتخصّصه بسائر الأكابر إلى وقتنا هذا (١) – فمما لا يحتاج إلى شرح لاشتهره .

وله تصانيف كثيرة مثل « الفوزين : الكبير والصغير » في علم الأولئ . وكتاب « ترتيب السعادات »، و « منازل العلوم »، و « تهذيب الأخلاق »، ورسالة « المسعدة »، وتعاليق حواشى الكتب المنطقية ، وغير ذلك مما صنفه في جميع الرياضيات والطبيعيات والإلهيات والحساب والصنعة والطبيخ ، مما هو متداول في الأيدي ، يقرأ عليه في أيام مجالسه – إلى غير ذلك من مصنفاته في الأدب ، مثل كتابه « المستوفى في الشعر » المشتمل على حل المختار منه ؛ وكتابه المسمي « تجارب الأمم وعواقبهم » ، وجموعه الذي يسمى « أنس الفريد » ، وكتاب « جاويذان خرد » – وغير ذلك مما يطول شرحه . هذا مع البلاغة الجيدة ، والخط الحسن ، ولطف الصنعة .

ولإيّاه قصد أبو حيان التوحيدي بمسائله التي يسمّيها « الهاوامل » ، فأجابه عنها بالأجوبة التي سماها « الشوامل » .

فأمّا ما سمعت منه من مجري أحواله ، وشاهدته من سيره الحسنة وأخلاقه الطاهرة – فسأفرد فيه رسالة أقصرها على ذلك ، إذ ليس يحتمل هذا الموضوع أكثر مما ذكرته .

وهذه وصيّة له :

يا طالب الحكمة ! طهّرْ لها قلبك ، وفرّغ لها لُبّك ، واجمع إلى النظر

(١) هذا يدل على تاريخ تأليف هذا الكتاب ، « صوان الحكمة » .

فيها همتك . فإن الحكمة أعظم المواهب التي وهبها الله لعباده ، وأفضل الكرامة التي أكرم بها أولياءه . هي المال الذي منْ أحرزه استغنى به ، ومنْ عدِّمه لم يغنه شيءٌ سواه . والصاحب الذي من صحبها لم يستوحش معه (١١٦ ب) ومنْ فارقه لم يسكن إلى أحدٍ بعده . هي للقلوب كالقطرة للنبات ، ومن العقول بمنزلة الضياء من الأ بصار . بطنت الحكمة لكل شيء ، وظهرت عليه ، وعلَّت فوقه ، وأحاطت به . فلها بكل شيء خبر ، وعندما على كل شيء شهادة . ومنْ أعظم شأنها أنه ليس أحد إلا وهو منتظر اسمها ، ومزيّن بها ، ولا حاجة بها إلى انتقال شيءٍ غيرها ، ولا التزيين بغير زيتها :

فإن كُنْتَ من جملتها ففرّغ لها قلبك ، وارفع إلى النظر فيها فهمك ، فإنها أظهر من أن تجتمع دَنَسًا ، وأنزه من أن تخالط قدرًا . وقد رأينا من أراد الفرسَ في أرضه يبدأ فيقلع ما فيها من غرائب النبت ، ثم يأتي بكرائم الفرس فينصبها فيها . وكذلك من طلب الحكمة وهاجَ في اقتناها فهو حقيقٌ بأن يبدأ بما في قلبه من أصدادها فيتحققها ويظهره منها : مثل الهوى والشهوات المرُدِّية ، ومثل الحقد والحسد ، ومحبة الكرامة والتسرع إلى الغضب ، وأشباه هذه الأشياء . فإذا تطهر عنها ، استقبل الحكمة فأخذ منها ما استطاع .

فإذا أظفرك الله بالحكمة وزرع فيك بذرها ، فلا يكُون زارعًا أولى بالقيام على زرعه منك . ولا يمتنعك بعْدُ غورها وكثرة أشباهها منها ، فإنها من المعونة على نفسها مثل الذي بالشمس للإبصار على استثنائها والاستثنان لها . فمن صَحَّ بصر نفسه ثم وصل بما صَحَّ منه إلى ما يرد عليه من الحكمة أو رابه شيءٌ من الأمور ، لم يمنعه ما فاته منها أن يسمى حكيمًا ، ويُلْحِقَه ما ظفر به بالحكماء ، كما لا يمنع البصر ما فاته من المبصرات (١١٧ أ) من أن يُدعى بصيرًا وللحظه بالبصراء .

فإذا صَحَّ لك من عقلك ما تعرف به وجوه الحكمة وترغب به في الخير

وتحيّز بينه وبين الشرّ ، فليس بشهادة الناس ، ولا بما يسمونه حكمة تكون حكيمًا ، ولا بعقولهم تعدد من العقلاء ، ولا بسائر ما يشنون عليه من ودّهم ونصلحهم تكون فاضلاً . وإنما الناس رجالان : رجل لا خير فيه جاهل بحقيقة الحكمة فليس ملتفتاً إليه ، ورجل من أهل الحكمة لا يمنعك ما سهل الله له به سبيل الخير ، بل يبذل لك ، لأنّه ليس بيعاً بشمن ولا يمنع من طالب ولا يكتم كاكتتام الذنوب .

واعلم أن العقل متوجه أينما وجّه له ، وله غناه أينما صُرِف . وبعض مصارفه أفعى من بعض . فإذا صُرِف إلى الدين أحكمه وتفقهه فيه ، وإذا صُرِف إلى الدنيا أغنى بها واحتال فيها . فليس مستودعاً شيئاً إلا حفظه ، ولا مصبوغاً بصبغٍ إلا قبله ، ولا محملًا رشدًا ولا غيتاً إلا تحمله . فإنّك لست محكمًا به تعدل عن رشد ، أو تصرف إلى غيّ^(١) عامداً أو مخططاً ، فإنّك لست محكمًا به شيئاً من أمر دنياك إلا أضعت به أكثر منه من نافع الأدب . غير أنك مجمع إلى ضياع العناية بما لا ينفع استيğاب التبعية فيما أضعت . وليس شيء من أمر الدنيا صرفت إليه عقلك فأحكنته ، إلا سيعود حكمه عن وشيك ضائعاً وصالحة فاسداً ؛ لا يصحبك شيء منه في آخر تلك ، ولا يوثق ببقائه لك في دنياك . وإنما وهن أمر صاحب الدنيا وبطل سعيه لأنّه بنى في غير داره ، وغرس في غير أرضه ولم يكن له حين جاء من شخصه إلا أن يبغضه ويدعه لغيره . ومن أخطأه (١١٧ ب) الحق ، ظهر به الحمق والبله . ومنْ صَرَف عقله إلى غير الحق ظهر به الوهى ؛ وبعض الوهى أبلغ في الشرّ من كثير من الحمق . وإنما القصد في ذلك أن يصاب الحق ، ثم لا يصرف به عن جهته .

اعلم أنه من غابت الحكمة عن عقله ، عجز عن إنفاذ الأمور كما تعجز العين الصحيحة عن رؤية الأشياء عند فقد الضياء ؛ لا يُسلّم له حقّ ، وإن حسنت ولاتيه ، وذلك أنه إن كان جواداً أفسد جوده التبذير ، وسوءٌ موضع

(١) لـ : غير .

الصنيعة بصرف العطية إلى من لا حق له ، مع منع ذوي الحق . وإن كان بليغاً ، أفرط في القول وأخطأ البغية . وإن كان عالماً أفسد علمه الذل والمهانة . وإن كان صموماً ، أضر بصمته العي . وإن كان ليتنا ، بلغ لينه الضعف . فمن فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله . ومنْ فقدها من غيرهم هَلَكَ كلّ الملائكة . وأمّا أنت فلا تندن نفسك على صدق في غير دين ، ولا تكون غاية الصدق في نفسك أن تقول بما رأيت وسمعت ، فإن أكثر ما ترى غير نافع ، وجُلٌ ما تسمع كذب .

لا تكتفين مع ذلك من القول بالحق في الدين دون صدق النية وصواب الموضع . وأعني بصواب الموضع أن ترغب في الأجر وتحرص على الحظوة ، فتنطق في غير موضع النطق ، أو تعطى من ينبغي أن تحرمه . فإن إعطاء الفاجر نقوية له على الفجور ، والنطق عند الجاهل إغراء له بجهله ، وحمل له على عداوتك . وكذلك جميع الفضائل إذا لم تستعمل في مواضعها ضررت .

لا تُرضِّيك من نفسك براءتك من ذنوب تركتها عجزاً عنها أو حياءً منها أو رغبة عن أشباهها . ولا تعدن مع ذلك (١١٨) تركك لها على تلك الوجه تركاً ، ولا براءتك منه براءة ، فإنه ليس بينك وبين مفارقة ما تركت إلاّ أن يمكنك أو يخفي لك . واعلم أنه لا حمد لك في تركها إلاّ بعد القدرة عليها والاستمكان منها ، فإنه مَنْ كان من شأنه ترك الذنوب مع القدرة عليها ، حُمِيدٌ على البراءة منها . ومنْ لم يقدر عليها أو تركها لبعض ما ذكرناه من الحياء ، أو لتراهة ، وكان من نيته رکوبها إذا زالت تلك الأعراض ، لم يبرأ من مذمتها . وإن استطعت مع ذلك أن تكون فيما امتنع منك من عمل الخيرات على حال يعلم الله أنك قدرت عليه ، أمضي العمل به ، فاغفل . فإنك إذا كنت كذلك ثبت لك العذر بما تركت ، وحُقّ لك الأجر بما نويت . (و) إن عجزت عن إصلاح نفسك بجميع الوصايا الحكيمية ، فلا تدع أن تأمر به غيرك . فإن سرّه في الأجر من أطاعك . وإن عصيتك ، لم يحيطتك ثواب ما نويت . واعلم

أن نفس الإنسان قد وضعت حيث تكثر آفاته بين أعدائه . فإن هاج به المحرص أهلكه الطمع ؛ وإن هاج به الغضب ، أهلكه الغيظ . وإن عَرَض له المخوف ، شغله الجد . وإن أصابه نعيم ، دخلته العزمة . وإن كفى بالغنى ، أطغاه المال . وإن عُصّته الفاقة ، شغلته المهانة . وإن رزق الكفاية ، عَرَض له الكسل . وإن أجهده الجوع ، قعد به الضعف . وإن أفرط في الشبع ، كظمته البطنة . فكل إفراط مفسد ، وكل تقصير به مضر . فخير أحواله أن يقصر به عن الغنى ، وتُدفع عنه الفاقة ويُصرَف عنه الطمع ، ويبذل له الكفاف ، ويمنع من الكثرة ويقتصر به على القوت . (١١٨ ب) ولا يزال من أمره على قصد من الغلوّ والنقchan .

إن كنت عرفت الهدى وعداوته للعقل ، فقد علمت أنه بعد درك العلم والتعب بالأدب الصالح ، ثابي إلا ركوب ما تشتهي ، والشاقل عمّا لا تشتهي . فإذا رأيت منازعته إلى مضارك ، وثاقله عن منافعك — فقابلة بالورع فإن الورع من قِبَل النية الثابتة والتمسك بالدين القييم . ومنْ عَرَف نفسه بالنية السيئة ، فليس يأمن الانقياد للهوى . والانقياد للهوى استسلام . والاستسلام هلكة ، ولكن الرأي له إصلاح النية بالورع والدين ، وأن يجاهد بأحسن أخلاقه أسوأها ، جهاداً شديداً حتى يظفره الله بها ويتناشه منها ، إن شاء الله عز وجل .

من ضل قلبه مخافة خالقه لا يزال من أكثر خلائقه مرغوباً .

من كان ميله إلى غير رضا الله عز وجل ، فإن ذلك الشيء هو الذي بهلكه .

ينبغي للعامل أن يحفظ ما يحكم عليه عقله ويبتغيه حتى لا يتسلط عليه النسيان بأن يديم تعهده . وقد سمي قوم إدامة نظر العقل إلى ما حصله : ذهناً . وقال : إن الذهن لا ينام ، ولا يغفل ، ولا يسكن ، ولا يغيب عنه عقله ولا يحتاج إلى تذكير . وهي هذه الدرجة العليا التي بها يشبه من كانت فيه الملائكة والأرواح ،

لأن العقل للبشر ، والذهبن للملائكة . فلذلك لا يعقل الإنسانُ الشيءَ إلا بعد التفكير والتطلب والتمييز . وأما الملائكة فلنها تنظر بالذهبن ، كما نظر محن بالعين بلا حاجة إلى تفكير وتمييز وتطلب .

فصل آخر من كلامه

فاما الدعاء فإني أقول إنه تعرض الإجابة ، لا لأن الله عز وعلا (١١٩) يفعل عند الدعاء ما لا يفعله قبله ، ولا لأنه ينفعل ، أي يسمع بنحو الانفعال ، أو يرقّ أو يلتحقه شيء مما يلحقنا ، بل هو متزه عن جميع هذه الأصول . ولكن السبب في الإجابة ، أننا إذا دعوناه في خلوة وخلوص سريرة ، عطلنا حواسنا عن وجه الانفعالات ، فتوفّرنا على الانفعال الذي يختص بقبول أثر الباري عز وجل . فحيثند يأتي ذلك الأمر الذي استعدنا له ، وبهذا النحو من الفعل نستخرج المسائل العويصة ، ونقول الشعر ونتذكرة ونقططن ، وما أشبه ذلك . وإذا توجهنا بهذا الوجه نحو كوكب ، استعدنا وتهيأنا ، فقبلنا صورةً وأثراً ، كما قبله الكوكب بعيته . وذلك أن الكوكب قبل صورةً بخاصةً موضوعه المستعد لقبوها وإعطاء الباري ما أمكنه قوله ولم يدخل بشيء على شيء . — فهكذا يكون الدعاء والإجابة .

وقال أيضاً : قد تبيّن مما قدّمناه أن الذين يزعمون بقاء النفس بالشخص هم طبيعيون بـعْد وجسميون ، إلا أنهم ينافقون ويخلطون ، لذهب وهمهم إلى أن النفس تبقى عن الجسم ، وهي ذات تميّز من الذات الأخرى التي هي هي . وأظنهم يتوهّمون لها أمكنةً ويتصورونها كذلك ، وإن لم يطلقوه قولًا .
وقال : سبب الجزع هو كثرة نظرنا في الجزيئات والحسينيات . وذلك الجوهر الشريف الذي فينا لا ينظر^(١) فيها بالذات . فإذا توهّمنا فقدان الحسينيات

(١) لـ، م : نظر .

استغناه علينا ، يعرض^(١) لنا الجزع من الموت . وهذا نجد الفلاسفة يقولون : مُتْ بالإرادة ، لأن الموت الإرادي هو التدرب في هجر الحسّيات والملادة الحسّانية واطراح الشهوات (١١٩ ب) والتصرف مع العقل والعقليات . وإذا انصرف الإنسان بجميع قواه ، أو بأكثراها ، إلى هذا المعنى ، لم يلتفَ إلاّ بها ، ولم يشترق إلى الجزئيات والحسّيات ، فيكون كأنه مفارق لها وإن كان متصلًا بها وملابسًا لها ، ويكون حينئذ غير خائف من الموت ولا هائب له ، ويصير من اللامعين والفاتحين ، وفي جوار الله الذي ليس فيه خوف ولا أسف .

وقال في الخواطر أيضًا :

ليت شعري ما الذي يشككنا في دوام وجود الجوهر وأنه لا ضدّ له ، وما لا ضدّ له لا يفسد ، وأنه غير مكون من حيث هو جوهر ، وفي أن النفس جرهر^{*} بجهة ، وعرَض^{*} بجهة . فأمّا ذاته وأنيته فجوهر^{*} ، وأمّا كونه متممًا فعارض^{*} عرَض له . والعرض يفسد لا محالة . فأمّا الجوهر فلا سبيل أن يتوهّم له فساد . فمن أين تسلط الشك على من ظنَّ أن ذات النفس تتلاشى وتضمحل ؟ وهل يمكن أن تكون ذاته عرَضاً وهو معطي الحياة والمحرك من ذاته والعاقل فإن هذه الثلاث الخواص هي النفس بخاصة^(٢) * .

أبو الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام^(٣)

قيل لأبي الحسن : حَدَّثَنَا عن معرفة الله — تقدّس اسمه ! أضرورة^{*} هي

(١) ك ، م : فرض .

(٢) ك ، م : نحصه .

(*) لم يورد الساوي في مختصره من هذا الفصل الخاص بمسكتويه غير ١٤ سطراً فقط !

(٣) راجع عنه «الفهرست» لابن النديم ، طبعة فلوجل ، ابن أبي أصيبيعة ج ١ من ٢/٣٢٢ ؛ ابن القفعي ، ١١٥ ؛ البهيمي : «تنمية صوان الحكمة» ، ١٣ ؛ F. Rosenthal, in Orientalia, NS, VI, 39, n. 2. وقد ولد في ربيع الأول سنة ٣٢١ هـ (نوفمبر - ديسمبر سنة ٩٤٢ م) .

أم استدلال؟ فإن المتكلمين قد اختلفوا في هذا اختلافاً شديداً ، وتنابذوا عليه تنابذاً بعيداً . يجب أن نحصل لنا على جواب فلسيّ على حدّ الاختصار مع البيان .

قال : هي ضرورة من ناحية العقل ، واستدلال من ناحية الحسّ . ولما كان كل مطلوب من العلم إمّا أن يطلب بالعقل في المقول ، أو بالحسّ في المحسوس – قال : وهذا هو (١٢٠) الشاهد . والغائب : ساغ أن يظن تارة أن معرفة الله اكتساب واستدلال ، لأن الحسّ يتضمن ويستقرّ بموازاة العقل ومظاهره وتحصيله وتفضيله . وأن يظن تارة أخرى أنها ضرورة ، لأن العقل السليم من الآفة ، البريء من العادة ، يحثُّ على الاعتراف بالله تقدّس اسمه ، ويحظر على صاحبه جحده وإنكاره والتشكّك فيه . ولكن ضرورة لائقـة بالعقل ، لأن ضرورة العقل ليست كضرورة الحسّ . وذلك أن ضرورة الحسّ فيها جذب وإجبار ، وحمل وإكراه . فأمّا ضرورة العقل فهي لطيفةً جداً ، لأنـه يعظ ويلاطف وينصح ويخفف .

وكان بعض أصحابنا في الورآفين ببغداد يضرب في هذا مثلاً : زعم أن مثال الحسّ في هذا كأمّة حسناء متبرّجة ذات وقاحة وخلاعة ، قد جلست إلى شاب طرير له شطر من جمالها وعليه مسحة من حسنها ، يخدعه بحديثها ، وترواده عن نفسه لنفسها ، وتبدى له في محاسنها وتطمعه في الاستمـكان منها ، و تستعجلـه في حاجتها ، وتحثـه على قضاء اللذة منها . – فأمّا مثال العقل فـكأنـه شيخٌ هـم قاعد على بـعـد ، ليس به نـهـضة للزـحـوف إـلـيـه ، والـحـيلـولـة بـيـنـه وـبـيـنـه ما قد نـزـلـ بهـ منـ صـاحـبـتـهـ الـوـقـحـةـ الـفـاضـحةـ . إـلـاـ أنهـ معـ ذـلـكـ يـلـيـحـ بـثـوبـ وـيـنـادـيـ بـصـوـتـ وـيـحـرـكـ رـأـسـهـ وـيـبـسـطـ يـدـهـ وـيـعـظـ وـيـلـاطـفـ وـيـعـدـ وـيـخـوـنـ وـيـضـمـنـ وـيـرـقـ وـيـشـفـقـ وـيـحـنـوـ . فأـيـنـ (١) تـأـيـرـ هـذـاـ الشـيـخـ الـهـمـيـ الـمـحـطـمـ منـ تـأـيـرـ هـذـهـ الـحـالـةـ

(١) ك ، م : فإن .

الغالبة المحتالة المغتالة ! هذا مع قلة إصغاء الشاب إلى الشيخ (١٢٠ ب) وسيلانه مع هذه .

أراد بهذا المثل الفرق بين العقل فيما يدعوك إليه لتسعد ، وبين الحس فيما يحملك عليه ليشقى . هذا في جميع ما تزاوله وتحاوله وتُهْمَّ به وتتوجه نحوه .

فعل هذا ، فإن الله — تقدّس ! — معروف عند العقل بالاضطرار ، لا ريب عنده في وجوده ، ومستدل عليه عند الحس لأنه يستحيل كثيراً ولا يثبت أصلاً . فمن استدل ، ترقى من الجزئيات . ومن ادعى الاضطرار ، انحدر فكلاهما قد وضحا بهذا الاعتبار ، وكفيا مؤونة الخبط والإكثار . وهكذا كل شيء يطلب أصله وفصله بالنظر الفلسفـي والبحث المنطقي والاقتداء الإلهـي . فأما ما ينظر فيه بالخصومة والجدال ، فلا يرث الإنسان منه إلا الشك والمرـبة والحسـبـان والظلـة ، والاختلاف والفرـقة ، والحمـية والعصـبية . وهناك للهـوى ولادة وحضـانـة ، وللباطـل استـيلـاء وجـولة ، وللـحـيرة رـكود وإـقـامـة .

أخذ الله بأيديـنا ، وكفانا الهـوى الذي يـودـينا ، وصـنـعـ بالـذـيـ هوـ أولـيـ بهـ منـاـ السلام * !

أبو النفيس

كان أحـفـظـ الناسـ لنـوـادـرـ الـفـلـاسـفـةـ وـفـقـرـهـمـ وـلـمـحـهـمـ .

قيل له : كيف ترى الـدـهـرـ ؟ قال : وـهـوـبـاـ لـمـاـ سـلـبـ ، سـلـوـبـاـ لـمـاـ وـهـبـ ، كـالـصـبـيـ إـذـاـ لـعـبـ .

(٢) اقرى الأمر اقراء واستقراء استقراء : تتبعه .

(*) أسقط عمر بن سهلان الساوي في « مختصره لصوان الحكمة » كل الفصل الخاص بالحسن بن سوار .

وقال أبو النفيس : قال بعض الحكماء من اليونان : المال محظوظٌ من أجل البقاء في عالم البقاء والخلود . ومني ضعفت قوة النفس عن التمييز ، صار توهّمها للبقاء أبداً في عالم الفناء علة للاستكثار فيه .

وقال : العجلة مذهبة ، وفي اللجاج نقص ، والعجب حيرة ، وفي التوانى فوات .

وسُئِلَ عن قول أفلاطون : صحبة بليد نشأ مع الحكماء (١٢١) خيرٌ من صحبة ذكي نشأ مع السفهاء . قال أبو النفيس : لأن الإنسان بالمنشأ ، وأكثر منه بالولادة . وذلك أيضاً يخرجه مما به في القوة إلى الفعل واستنان عادته وثبات إلفه . ومن هذا الباب بان أن السجايا الحميدة في الأصل لا تنفع كل نفع حتى تطرد بها الرياضات الصالحة . وهذا هنا تفاوت منازل الناس في إرادة الخير وقصد الحق وتصفية الرأي وطلب الحِسْن ونيل السعادة .

وقال : بالحسن نجد الشيء ، وبالوهم ننقل الشيء ، وبالعقل نميز الشيء . فالإنسان ثلاثة أشياء ، إلا أنه واحد . وهو واحد ، إلا أنه ثلاثة أشياء . وإنما انقسم لتركبـه . ومني صحة معقوله ، صار واحداً على الحقيقة . ومني فسد معقوله وزور مفعوله صار أشياء أكثر من ذلك ، وكان ذلك سبب عيش الذي في منتقلـه .

وقال : ظهور الحكمة مِمَّن ليس بمحظوظ كظهور السفه مِمَّن هو حكيم ، لأن النفس هفوة ، وللطبيعة طفية ، وللجملة المركبة هيئه ليست لكل واحد منها بتفردها (١) .

وكان أبو النفيس يخطب بهذه الخطبة ويقول :

خبروني عن الروح ، وهل يجوز عليه ما يجوز على النفس ؟ وبأي شيء يأتلفان ، وبأي شيء يختلفان ؟ وما منشأ هذا ، وما مصير هذه ؟ وما حكم

(١) أي : بمفرده ، فرادى .

المنعوت بالنفس والروح ؟ وما خبر البدن الحامل للروح ؟ وما حديث الروح
 المحرّك للبدن ؟ وما حدّ كل واحدٍ من هذه الجملة ؟ وما هذه الوحدة المستكنته
 في هذه الكثرة ؟ وما هذه الكثرة المستعلية على هذه الوحدة ؟ وكيف تزايلاها بعد
 هذا الاختلاط ؟ وكيف حلّها بعد هذا الامتزاج ^(١) ؟ وكيف (١٢١ ب)
 استيحاش بعضها من بعض ، بعد هذا الاستثناس ؟ وكيف تباعدُ بعضها من
 بعض عند هذا الالتباس ؟ وأين مردّ النظام الذي كان يحفظ هذا الشرح ؟ وأين
 ذلك النور الذي كان يطلع من هذا الشخص البهيج ؟ وأين تلك اللطيفة التي كانت
 تنبت عن هذه الكوة ؟ وما صنع ذلك الشيء الذي كان ينطق بالأمر والنهي ،
 ويصرّح بالردّ والقبول ، ويجهّر بالحب والبغض ، ويتضاءل إذا احتاج ،
 ويتطاول إذا استغنى ، ويتشاجي إذا عشق ، ويزهي إذا شاء ، ويستكن إذا
 نكب ، ويستكبر إذا غضب ، ويجدّف عن الأول والآخر ، ويسلط على
 الباطن والظاهر ، ويتعارف أمر الغائب والحاضر ، ويرسم الماضي والمستقبل ،
 ويخترع النتيجة والمقدمة ، ويفرز النوع من الجنس ، ويلحظ البسيط في غور
 المركب ، ويعيّز الصافي من الكدر ، ويتصرّف بالزيادة والنحو ؟ وما خبر
 ذلك الشيء الذي كان يَظْنُنُّ ويُوْقِنُ ويُؤْمِنُ ، ويَعْلَمُ ويَجْهَلُ ، ويُخْبِرُ
 ويُخْبِرُ ، ويستوحش ويستأنس ، ويرجو ويقنط ، ويعلو ويحطّ ، ويتوسط
 المشابهات ^(٢) فيميز بعضها من بعض ، وينظر في المخالفات فيربط ^(٣) بعضها
 بعض ، ويشرف على الأضداد فيصفها بخواصها ؟ أَعْرَجَ إلى محيطه قالياً
 لمركزه ؟ أم دَرَجَ من محيطه مبتداقاً إلى مركزه ؟ أم تبدّد فيما بينهما غير مالك
 لنفسه ؟ أم ظفر منها إلى ما نبأ ^(٤) لنا عنه ؟ أم جرى عليه وله ما ليس عندنا
 (١١٢ أ) علمه ؟ أم توارى عن العين بقدر ما تراءى للعقل ؟ أم استتر منها
 كلّيهما ؟

(١) م ، ك : اختلاط . وفي ك وضع تحتها : الامتزاج .

(٢) ك ، م : المشاهدات .

(٣) ك ، م : غير بسط (!) .

(٤) نبأ : تجافي وتبعاد . نبأ بصري وسمعي عن كذا : إذا لم يوافقك ، وكرهته .

وبَعْدُ ! فمن حفظه عن هذه الناحية ؟ ومنْ شرد به عن هذه الساحة ؟
ومن غرّبه عن هذا الوطن ؟ ومنْ نقرّه عن هذا المأثور ؟ ومنْ بَغَضَ إِلَيْهِ
هذه البلدة ؟ ومنْ حَبَّبَ إِلَيْهِ تلك الغربة ؟ ومنْ آنَسَهُ بتلك الوحشة ؟
ومنْ حَلَّاهُ تلك الخلبة ؟ ومنْ جَلَّاهُ في تلك الخلوة ؟ ومنْ ضَيَّقَ عليه هذا
الفضاء مع انفتاقه ؟ ومنْ نَحَّاهُ عن هذه العرصة مع سعتها ؟

أُريد به خير ، أم شر ؟ أم أغفل إغفالاً ، وأهْمِل إهمالاً ؟ باختياره
ذهب ، أم بكره منه فقد ؟ أم غشته حال حجبته عن الاختيار والإكراه ؟ فما
ذلك الغاشي وما ذلك الحجاب ؟ وقد قال الأول :

لَا يَتَصْرُّرُ الْعَجْزُ ذَا الْجَدِّ وَلَا يَنْفَعُ الْمَحْرُومُ إِيْضَاعُ وَكَدَ
لَيْتَ شِعْرِي ، وَ « لَيْتَ » نَبْسُوَةٌ أَيْنَ صَارَ الرُّوحُ مُذْ بَانَ الْجَسْدُ ؟ !
وَمَا أَحْلَى قَوْلَهُ : « وَلَيْتَ نَبْوَةً »

وقال آخر :

لَيْتَ شِعْرِي ، وَأَيْنَ مَنِي « لَيْتَ »
إِنَّ لَيْتَأً « وَإِنَّ لَوَّاً » عَنْاءٍ
وَقَالَ آخَرَ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا يَرَادُ بِنَا
وَلَقَلْمَانِ تَجْدِي لَنَا « لَيْتَ »
وَقَالَ آخَرَ :

فَلَكَسْتُ بُمْدُرِكٍ مَا فَاتَ مَنِي
بِلَهْفٍ أَوْ بَلَيْتٍ أَوْ لَوْ اَنَّى (١)
وَقَالَ آخَرَ :

(١) ك ، م :
فليست تدرك ما فات مني بلهف ولا بليت ولا لوانى
وقد أصلحتنا بحسب ما في نسخة فاتح رقم ٣٢٤ ورقة ٦٠ .

إن في ذا الجسم مُعتبراً
لطلوب العلم مُلتَمساً
عرفه والصوت من نفَسَه
هيكل للروح ينطقه
وقال آخر :

في النفس والجسم ، إن فكرت ، معتبر
بل دون ذلك ضل الرأي والفكير

وحار كل لبيب في اتحادهما
و تلك عين ، وهذا حكمه الآخر

(١٢٢ ب) إذا نظرت رأيت العين واحدة
وثم صوت صفاء ضمه القدر

بذلك الفيض يربو العقل مخترقاً
أستار غيب تجافي دونه البصر

ويلاحظ المرء غيات الأمور به
من قبل مذهبة والغيب مستر

يا ليت شعري إذا الأبدان أضمرها
يد اللى وحواها التُّرب والمَدر

هل للنفوس التفات نحو عالمها
كما تلفت (١) نحو المركز الحجر

ليحصل الفوز في دار الخلود لها
وتنتهي دونها الآفات والغيَّر

أم تض محل كما قد بان هيكلها
ولا يحس لها وردي ولا صَدر

(١) ك : يتلفت .

تلوي الشفاه ^(١) بها حتى تُغَيِّبَها
حيث تبحث عن أولادها البقر

هذا الذي صدِّئَت منه خواطرنا
فليس يخلو صداها العلم والخبر

تفرد الله بالعلم الخفي ولهم
يشركه في سرره جن ^٢ ولا بشر

فليس يعشوا إلى نار الهوى أحد
إلا بتوفيقه ، إن كان يعتبر *

ثم قال :

هذه بلا بل الصدور ، وحسَّرات الأرواح ، ووساوس الكرام مِنْ هذا
السواد الغامر للأرض ، المطبق للآفات على مرّ الزمان القديم والأعصر الأوَّل ^٣
وكل يقلق في نصابه ، ويحفزه فكره إلى مدى نظره ، ويتطاول بحَوْلِهِ وطاقته
إلى ما يناله بسكنه وحركته واستطاعته . ولا دواء لهذا ولغيره أَنْجع من صنع الله
الذي مَنْ جاد عليه به صحا ؛ ومنْ فاته ذلك سُكِّر وذهل .

وهب الله لنا من العقل ما نعرف به أنفسنا ، ومن الأدب ما نتعاشر به بیننا ،
ومن الكفاية ما يغْيِي عن لثامنا وكرامنا ، ومن الشكر ما نستحق به المزية من
ربتنا ، ومن الصبر ما تخرج به مرارة حياتنا . بمنة وكرمه .

* * *

وقال في موضع آخر : (١٢٣) إني لأتعجب جداً من أمرين : أحدهما

(١) بالسين المهملة في كـ، م (وقد وردت علامة تدل على أنها مهملة) . وهذا البيت لم يرد في
مخطوط فاتح رقم ٣٢٢٢ ، وهو الذي فيه مختصر عمر بن سهلان الساوي لـ « صوان الحكمة »
بعنوان « مختصر صوان الحكمة » .

(*) هـ هنا ينتهي ما اختصره عمر بن سهلان الساوي من « صوان الحكمة » .

أمر الطبيعة مع شرفها في نفسها وتدبيرها لمرادها واستمرارها على عادتها في نظم ما تنظمه وإصلاح ما تصلحه – كيف أبَتْ طاعة النفس ، وعصيَتْ أمرها ، مع تلطف النفس في دعائِها وحسن فطنة النفس واهتدائِها ! والآخر : أمرُ النفس ، كيف شغفت بالطبيعة حتى انقادت لها في بعض الموضع فهلكت بانقيادها ومظاهرتها لها حتى آلت إلى عالمٍ مظلم دَنِس ! فقد عرَضَ التعجب تارة من النفس كيف لا تستغى عن الطبيعة جملةً ، وتارة من الطبيعة كيف لا تقتدي بالنفس ؟ وما هذه الحال التي أورثت النفس الملائكة ، والطبيعة البوار !

وقال : ما أحسن ما قال بعض الإلهيين في نظمِه :

ما رُمِّتْ تَحْصِيلِه إِلَّا وَيَرْهَقِي
سُكْرُ التَّطْوِرِ فِي بَحْبُوحَةِ الدَّهْشِ

حَتَّى إِذَا بَرَزَتْ عَنِي رَوَامِقَ—
أَلْفِيَتِي عَارِضاً ، وَالْكُنْهُ مُفْتَرِشٌ^(١)

وقال : العشق غاية إلهية ، متى ظهر في الغفل كان شرفاً ، لأنَّه يبعث على المعرف الصحيحة . ومتى ظهر في النفس كان تهذيباً من الأدناس العارضة . ومتى ظهر في الطبيعة كان متلوثاً بالأحوال الخبيثة .

أبو سليمان المقدسي

له الرسائل الاحدى والخمسون المسماة « رسائل لأخوان الصفا » ^(٢) وكلّها مشحونة بالأخلاق وعلم الألحان ^(٣) . وهي موجودة فيما بين الناس ، قد

(١) ك ، م : ألفيتي عارضاً ولكنه غير مفترش .
والوزن مكسور بهذا .

(٢) هنا خبر مهم جداً ، وهو أقدم خبر لدينا عن مؤلف هذه الرسائل .

(٣) ك ، م : اللحام . ولم نجد لها معنى فأصلحناها كما ترى ..

تداولها الأيدي . لكنني ذكرت هاهنا فصولاً يسيرة ، على الرسم في أمثلها .
وبه نخت الكتاب .

قال أبو سليمان : إن قوة نفوس إخواننا في هذا الأمر الذي نشير إليه ونحت عليه (١٢٣ ب) على أربع مراتب :

أولاً صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور . وهي مرتبة الصنائع في المدينة . وهي القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات ، الواردة على القوة الناطقة بعد خمس عشرة سنة من مولد الجسد . وإلى هذه ^(١) أشير بقوله تعالى : « وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلْمَ » (سورة النور آية ٥٩) . وهم الذين نسمّيهم في مخاطبتنا ورسائلنا : « إخواننا الأبرار الرَّحِمَاءُ » .

وفوق هذه المرتبة مرتبة الرؤساء ذوي السياسة ، وهي مراعاة الإخوان ، وسعاد النفس ، وإعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنّن على الإخوان . وهي القوة الحكيمية الواردة على القوة العاقلة بعد ثلاثين سنة من مولد الجسد . وإليه أشار عز وجل بقوله : « ولما بلغ أشدَّه آتيناه حكماً وعلماً » (سورة يوسف آية ٢٢) . وهم الذين نسمّيهم في رسائلنا : « إخواننا الأخيار الفضلاء » .

والرتبة الثالثة فوق هذه ، وهي مرتبة الملك ذوي السلطان ^(٢) والأمر والنهي والنصر والقيام بدفع العناد والخلاف عند ظهور المعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف بالمداراة في إصلاحه ، وهي القوة الناموسية الواردة بعد مولد الجسد بأربعين سنة . وإليها أشار ^(٣) قوله تعالى : « ولما بلغ أشدَّه وبلغ أربعين سنة » ، قال : رب أوزعني أنأشكر نعمتك « الآية (سورة التحل ١٩ والأحقاف آية ١٥) . وهم الذين نسمّيهم : « إخواننا الفضلاء الكرام » .

(١) ك ، م : أشار .

(٢) ك : ذوي السلطان السلاطين والأمر .

(٣) ك ، م : بقوله .

والرابعة فوق هذه ، وهي التي ندعو إليها إخواننا كلهم في أي مرتبة كانوا ، وهي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً . وهي (١٢٤ أ) القوة الملكية الواردة بعد خمسين سنة من مولد الجسد . وهي المهددة للمعاد والمفارقة للهيوبي ، وعليها تنزل قوة المعراج ، وبها يصعد إلى ملوك السماء فتشاهد أحوال القيامة : منبعث ، والنشور ، والخشـر ، والحساب ، والميزان والجواز على الصراط ، والنجاة من النيران ، ومجاورة الرحمن ذي الجلال والإكرام . وإلى هذه المرتبة أشار قوله (١) تعالى : « يأيتها النفس المطمئنة ! ارجعـي إلى ربـك راضـية مرضـية . فادخلـي في عبـادي ، وادخلـي جـنتـي » (سورة الفجر آية ٢٧ - ٣٠) . وإليه أشار إبرـهـيم عليه السلام ! — بقولـه : « واجـعنـي من ورـثـة جـنـة النـعـيم » (سورة الشـعـراء آية ٨٥) ، وإليه أشار يوسف عليه السلام ! — بقولـه : « ربـ قد أتـيـتـي من المـلـكـ وعلـمـتـي من تـأـوـيلـ الأـحـادـيثـ ، فـاطـرـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ . أـنـتـ وـلـيـتـيـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـآخـرـةـ . توـفـتـيـ مـسـلـيـماـ وـالـحـقـيـقـيـ بـالـصـالـحـيـنـ » (سورة يوسف آية ١٠١) . وإليه أشار المسيح عليه السلام بقولـه للـحـوارـيـنـ : « إـنـيـ إـذـاـ فـارـقـتـ هـذـاـ الـهـيـكـلـ فـأـنـاـ وـاقـفـ » فـيـ الـهـوـاءـ عـنـ يـمـينـ الـعـرـشـ ، بـيـنـ يـدـيـ أـبـيـ وـأـبـيـكـمـ ، أـتـشـفـعـ لـكـمـ . فـاذـهـبـواـ إـلـىـ الـمـلـوـكـ فـيـ الـأـطـرـافـ ، وـادـعـوـهـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ ، وـلـاـ تـهـابـوـهـ فـلـيـ مـعـكـمـ حـيـثـماـ ذـهـبـمـ بـالـنـصـرـ وـالـتـأـيـدـ لـكـمـ » . وإليه أشار نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ — صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ آلـهـ وـالـنـصـرـ وـالـتـأـيـدـ لـكـمـ » . إـنـكـمـ تـرـيـدونـ عـلـىـ الـحـوـضـ غـدـاـ » — وأـحـادـيـثـ أـخـرـ مـشـهـورـةـ مـرـوـيـةـ عـنـ أـصـحـابـ الـحـدـيـثـ . وإـلـيـهاـ أـشـارـ سـقـراـطـ بـقـولـهـ يـوـمـ سـقـيـ السـمـ : « إـنـيـ وـإـنـ كـنـتـ أـفـارـقـكـمـ إـخـوانـاـ فـضـلـاءـ ، فـلـيـ ذـاهـبـ إـلـىـ إـخـوانـ كـرـامـ قـدـ تـقـدـمـواـ » — فـيـ حـدـيـثـ طـوـيـلـ . وإـلـيـهاـ أـشـارـ فـيـنـاغـورـسـ فـيـ « الرـسـالـةـ الـذـهـبـيـةـ » (١٢٤ بـ) فـيـ آخـرـهـ : « إـنـكـ إـذـاـ فـعـلـتـ ذـلـكـ عـلـىـ مـاـ أـوـصـيـتـ بـهـ ، فـلـيـ ذـكـرـ بـقـاعـةـ الـجـسـدـ تـبـقـيـ فـيـ الـهـوـاءـ غـيرـ عـائـدـ إـلـىـ الـأـنـسـيـةـ ، وـلـاـ قـابـلـ لـلـمـوـتـ » . وإـلـيـهاـ أـشـارـ بـلـوـهـ (٥)ـ حـيـنـ قـالـ الـمـلـكـ لـوـزـيـرـهـ : « وـمـنـ أـهـلـ هـذـهـ الـمـقـالـةـ ؟ـ »ـ قـالـ : « هـمـ

(١) كـ ، مـ : بـقـولـهـ .

الذين يعرفون ملکوت السماء » – في حديث طويل .

وإليها ندعوا نحن إخواننا جميعاً . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم . وإليها أشار قوله تعالى : « والله يدعو إلى دار السلام ، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » (سورة يونس آية ٢٥) . وإليها أشار تعالى في آيات كثيرة وهي كل آية فيها صفة الخان وأهلها ونعمتها .

رزقنا الله ولماكم على الصراط المستقيم ، بحرمة (١) النبي محمد وآلـهـ الطيـبـينـ الطـاهـرـينـ أـجـمـعـينـ .

هذا آخر ما وعدنا من الاختصار من كتاب « صوان الحكمة » .

ويتلوه كتاب « تتمة صوان الحكمة » بعون الله وحسن توفيقه . والسلام !

(١) لـ : بـحـقـ النـبـيـ .

ثلاث رسائل

تأليف

أبي سليمان السجستاني المتطقي

مقالة أبي سليمان السجزي

في أن الأجرام العلوية ذات أنفس ناطقة

لما كان كل جسم طبيعي له حركة ذاتية نحو شيء يخصه دون غيره — وأعني بقولي « الطبيعي » ما له سبب من ذاته يحرّكه نحو الشيء الخاص به ، وهذا السبب هو الذي يسمى طبيعة ، ويحمد بأنه مبدأ الحركة والسكنون في الشيء الذي هو فيه أولاً وبالذات ، لا بطريق العرض ، وكانت الأجسام الطبيعية التي هذه صفتها هي الأجرام السماوية والاسطقطات الأربع التي هي النار والهواء والماء والأرض ، والمركبة من هذه ، أعني من الاسطقطات ، وكانت لكل واحد من هذه الأربعات اسقاطات حركة ذاتية ، فإذا كان خارجاً عن مكانه الخاص به ، نحو الشيء الملازم له وهو المكان الذي فيه كليته وله سكون عنده إذا حصل فيه ، فله إذن طبيعة تخصه هي مبدأ حركته

(*) عن المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای ملی في طهران ، صفحة ٣٦ - ٣٧ ، والمخطوط رقم ٧٢٠٨ في المكتبة المركزية بجامعة طهران ، والمخطوط رقم ٢٥٣ في المكتبة المركزية بجامعة طهران أيضاً . وسرمز إلى الأول بالحروف ص ، والثاني بالحرف م ، والثالث بالحرف د . على أنه يبدو من المقارنة بينها أن مصدرها واحد ، وربما كانت ص هي الأصل في م د . وهناك نسخة رابعة في المجموعة رقم ٢٤٠١ في المكتبة المركزية أيضاً ص . ٤٠١ - ٤٠٢ ، ونرمز لها بالحرف ط ، والكتابة فيها في كل اتجاه قطعاً قطعاً .

وسكونه . والاجرام العلوية – إذ هي أجسام طبيعية ، وها حركة ذاتية – فلها إذن طبيعة هي مبدأ حركتها . ولما كانت طبيعة كل من الاسطقطات مخالفة لطبيعة الآخر ، من قبيل أن حركته مخالفة لحركة الآخر ، إذ لا يتحرك نحو ما يتحرك الآخر ، ولا يسكن حيث يسكن الآخر – وجب أن تكون أيضاً طبيعة الأجرام العلوية مخالفة لطبائع الاستقصات . وإذا كانت هذه أربعة ، فتلك خامسة . فالنار خفيفة على الإطلاق ، والأرض ثقيلة على الإطلاق لأن تلك تتحرك من المركز ، وهذه إلى المركز . والهواء خفيف بالقياس إلى الماء ، وثقيل بالقياس إلى النار . والماء ثقيل بالقياس إلى الهواء ، خفيف بالقياس إلى الأرض . والأجرام العلوية لا خفيفة ولا ثقيلة ، إذ لا تتحرك من المركز ولا إلى المركز ، بل على المركز ، إذ الحركة التي تتحرك بها هذه الأجسام ، وهي الحركة التقبيلية ، على ضربين : مستقيم ومستدير . فالمستدير أشرف من المستقيم من قبيل أنه يتحمل البقاء والدوار . والمستقيم متقض " ذو نهاية . والأشبه أن السرمدي الدائم أفضل من الفاني المقضي . وإذا كان كذلك ، فالطبيعة التي هي مبدؤها ، أشرف من الطبيعة التي هي مبدأ المستقيم . والجسم المتحرك بها أفضل من الجسم المتحرك بتلك . وإذا هو كذلك ، فطبيعة الأجرام السماوية أشرف من طبائع الاسطقطات الأربع . وكذلك موضوعها وصورتها هي طبيتها . فقد صارت الأجرام العلوية أفضل الاجسام في موضوعاتها وطبائعها وحركاتها . ولما كانت حركتها حركة واحدة متصلة متساوية متشابهة ، لم يمكن أن تزاحمها حركة أخرى . وإذا لم تزاحمها حركة أخرى ، لم يقبل جوهر انتقالاً من حال إلى حال . إذ ذاك يكون بحركة منا . ولأن الجسم المتنفس أفضل من الجسم الغير المتنفس ؛ وقد وجدنا في المركب من الاستقصات متنفساً وغير متنفس . وتبيّن فيما قيل أن الأجرام العلوية أفضل من الاسطقطات . فهي إذن متنفستة ، لأنه لو لم تكن كذلك ، لكان بعض ما هو دونه في الفضل أفضل منه . وهذا محال . وإذا كانت متنفستة فطبيعتها نفس " التي هي مبدأ حركتها ، لأن طبيعة كل متنفس ، بما هو كذلك ،

نفس". والحي إلما هو جسم ذو نفس .

فقد بقي الآن أن نبيّن أيّ نفس هي نفسها ، وهل كلها ذات نفس ، أعني هل الأكروبات جميعاً ذات نفس ، أم الكواكب وحدتها ، دون الأكروبات ، أو الأكروبات وحدتها دون الكواكب ؟ وعلى أيّ وجه تحرّكها نفسها الحركة الجسمانية التي هي الدوران ، وهي جسماني . وكان الأليق ، بحسب جوهر نفسها إلما هو العقل والتمييز العلمي ؛ ونحو أيّ شيء تقصد في حركتها ؛ وكم عدد حركاتها :

لما وجدنا كل شيء ذي طبيعة يشترط نحو شيء يحرّكه هو أليق الأشياء لأن يتشبه به ، وعند حصوله له عنده تهدأ حركته ، بمنزلة الماء مثلاً ، فإنّه يتحرّك نحو المكان المافق له فيبقاء صورته ، وهو ما بين الهواء الذي يوافقه ببرطوبته والأرض التي توافقه ببردها ، وكذلك باقي الاسطقطاسات . والحيوان أيضاً فإنه يشترط بحسب جسمه إلى الشيء المافق لجسمه فيبقاءه وبحسب نفسه إلى ما يتصرف به المكان نحو المطالبة ، ولأنّ هذا إذا كان أمره جارياً على مجرّى الطبيع ولزوم النظام في حركاته ، قصدنا أن نذكر القوة التي يتشارق بها التنفس نحو مطلوبه دون غيره – فلننصرف عن ذكر ما سواه ونقول : إنّ الحي إلما أن يتشارق نحو الانتقام والإقدام على الغير لانتزاع ما في يده بالقوة الغضبية ، وإنما أن يتشارق نحو الشهوات واللذات بالقوة الحيوانية والقوة الشهوانية ، وإنما أن يتشارق نحو الفضائل بالقوة العقلية . ولأنّ الغضب والشهوة مقوّونان بالحيوان الناقص " حاجات بدنـه : أما الغضب فلأنّ يُقدم على تناول كل (ما) هو خارج عن ذاته لصلاح حالـه أو سلامته من عدوـه . وأما الشهوة فلتـناول ما يخالف المـتحـلـل من بـدـنه واستفـرـاغ الفـاضـلـ فيـه . والأـجرـامـ العـلوـيـةـ غـنـيـةـ عنـ هـذـهـ الأـشـيـاءـ ، لـبعـدـ جـوـهـرـهاـ منـ التـغـيـيرـ وـالـاستـحـالـةـ وـالـتـنـقـصـ وـالـفـاقـةـ إـلـىـ ماـ هوـ خـارـجـ عنـ ذاتـهـ ، كـمـاـ بـيـتـاـ فـيـمـاـ تـقـدـمـ . وـإـذـاـ كـانـ الـأـمـرـ عـلـىـ مـاـ قـلـنـاـ فـإـنـ نـفـسـهـاـ النـفـسـ الـيـتـشـارـقـ بـهـاـ نـحـوـ الـفـضـائـلـ . وـلـأـنـ الـفـضـائـلـ أـيـضاـ عـلـىـ

ضروب ، ومنها للحيوان بحسب القوى التي ذكرناها ، مثل الشجاعة والعدالة ، وهي التقسيط بالتساوي بين القوى الثلاث – وجب أن تكون الفضيلة التي تشوقها الأجرام العلوية أعلىها مرتبة وأجلّها درجة : وهي التشبه بأفضل الموجودات ، وهو الذي هو أفضل الحيوانات التي في عالم الكون والفساد . فقصد نحو هذا المعنى : إما على الحقيقة ، وإما على تخيل أنه كذلك ، فإنه ما به يقصد الخير على ما أحب ظنه ، وينطلي فيه لاختلاف طرائقه وتغير حركاته وكثرة مادته . وتلك ، أعني الأجرام العلوية ، لما كان جواهرها جوهرًا بعيداً عن الاختلاف والتركيب من الأشياء المتنافرة متشابهة الأجزاء في أشكالها وحركاتها وقربها من مُبْدِعها من بين سائر الأجسام – والقريب من الشيء هو القادر على التشبه به كما هو في مراتب سائر الموجودات – صارت مُتشوقةٌ وتَأْمَلُ لفضل^(١) الكمال الذي يليق بها في دوام البقاء بالحركة الدورية ، وقصد المحتملة لذلك بحسب جسمها والتصور العقلي والتمييز بين ذوات بحسب نفسها . فالنفس ، التي هي صورتها ، تحرّكها بالإرادة للتشبه بالعلة الأولى والمحرك الأول ، والعلة الأولى ، وتحرّكها كما يُحرّك المحبوبُ والخير طالبه .

وأما أنها كلها ذوات نفس فيبيين بما قلناه من قبل إنها كلها متفقة في النوع ، أو طبيعة كلها التي هي مبدأ حركاتها يقصد معنى واحداً في الموضوع إذ هو في كل منها واحدٌ في بعده من التغير والاستحالة وفي الحركة ، إذ كلها تحرّك دوراً في الغاية ، إن قصد الكل التشبه بالعلة الأولى أو المحرك الأول في دوام البقاء . وهذه [العقلى (!)] المعاني أليق بالجسم المتنفس من الجسم الغير المتنفس .

واما كم حركاتها فإنه يبين ذلك من معرفة عدد حركاتها التي هي الأكبر .

(١) ط ، د : يفصل الكمال . م : وتأم يحصل الكمال . أما . من فهي كثيرة الخروم في هذه الصفحة بأكلها ، بسبب تأكل الورق .

ويُرجَّع في معرفة ذلك إلى علم الهيئة ، ويحکم عليها بحسب ما حکمت به
الأرصاد الصحيحة .

قال أبو سليمان : هذا ما حضرني من القول في هذا المعنى بحسب قوتي .
وأرجو أن يكون مُنْفِعاً ، إن شاء الله تعالى وتقديس :

تمت المقالة والحمد لله والصلوة على خاتم الرسالة محمد وآلها .

مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني في المحرّك الأول *

إن أولى البحوث عن المحرّك الأول ما ارتبط الكلام^(١) في النظر الطبيعي فيه بالنظر فيما بعد الطبيعة . ولست أعني بالمحرّك الأول محرّكاً بعينه ، ولا بالمحرك عنه متحرّكاً ما بعينه ، كما ظنه منْ . ظن بأرسطو طاليس أنه في المقالة الثامنة من «السماع الطبيعي» حين بين أن محرّكاً ما أول ، ومتحرّكاً ما عنه أول ، وأن المحرّك في المحيط – أراد بالمحرّك الأول : الذات التي هي العلة الأولى ، وبالمحرّك الأول : فلك الكل ؛ وإن ذلك المحرّك في المحيط منه . فإني أرى أنه تكلم في ذلك الكتاب في المبادئ الكلية ، والقوانين العامة للأمور الطبيعية هي كذلك ؛ ولم يتعرض لذوات الأمور ، ليكون الناظر في الأمور ، إذا سلك مسلكاً طبيعياً ، طابق بتلك القوانين ما رام لاصابة الحق فيه منها . وإن كان كلام الفيلسوف يجذب الوهم إما ظن به حين أورد ما

(*) عن المخطوط ، رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای ملی في طهران ص ٣٧ - ٣٨ ، والمخطوط رقم ٢٥٣ ، في المكتبة المركزية جامعة طهران ورقة ٥٨٨ - ٩٠ ، والمخطوط رقم ٧٢٠٨ ، في المكتبة المركزية جامعة طهران أيضاً ، والمخطوط رقم ٢٤٠١ بنفس المكتبة ص ٤٠٢ - ٤٠٣ . ويلاحظ وجود عدة رسائل فلسفية مشتركة بين هذه المجموعات الأربع .

(١) في المخطوط رقم ٢٤٠١ : الكمال – وهو تحرير واضح .

أورد من الأقاويل ملابساً للأمور . وهكذا ينبغي أن يظن به في أكثر ما أتى به فيما بعد الطبيعة . فإن القصد تمهيد الطريق والتوقف على المسلك الصحيح إلى المطالب الالائقة بالفلسفتين ، أعني الفلسفة الطبيعية ، والفلسفة الإلهية ، يستعملها الناظر في حقائق الموجودات . وعلى ما أرى ، هذا الضربُ من النظر في الفلسفة هو الذي اختص به ارسطو طاليس دون منْ . تقدّمه من الأوائل ، فإنهما كانوا يخلطون النظر في الذوات بالنظر في الأقاويل لمعرفة أطوالها والمقاييس والدستورات التي بها تشير صحتها . فاما هو فقد جرد النظر في المقاييس والدستورات والقوانين العامة للمعقولة والمظونة ، والمطبوعة والموضوعة عن المواد ، بالفلسفة المنطقية التي تشمل عليها المخاطبات البرهانية والحدقية وغيرهما مما يحتاج فيه إلى التحقيق والتصديق . ثم أتى بالفلسفة الإلهية وجّرد النظر في الدستورات والقوانين الكلية للأمور بما هي طبيعية في « السماع الطبيعي » . ثم أتى بالفلسفة الإلهية وجّرد النظر في الطرق المؤدية إليها بما أورده في كتاب « ما بعد الطبيعة » . وليس النظرُ فيما بعد الطبيعة هو النظر في ذوات الأمور الإلهية ، لكنه النظر في كيفية البحث عن الذوات بما هي إلهية .

ولنرجع الآن إلى ما قصدنا من الكلام ، وإن كنا قد أوردنا شيئاً لا يختص بما نبحث عنه في هذا الموضوع فنقول :

كل محرك أول ، بما هو محرك أول ، له متحرك أول . فالمتحرك الأول – بما هو أول متحرك – له الحركة التي هي أدنى الحركات بالأولية ، وهي المكانية . ومنها الحركة التي هي أشرف أصنافها ، وهي الحركة الدورية .

وكل متحرك إما أن يكون متحركاً بالذات ، وإما أن يكون متحركاً بالعرض . والمحرك بالذات أقدم من المحرك بالعرض . والمحرك الأول ، الذي هو متحرك عن أول محرك أول ، أقدم وأشرف من كل متحرك بالذات . والمحرك بالذات أول . فالمتحرك الأول الذي عن أول محرك أول

متحرك بالذات . والمحرك بالذات مبدأ حركته . وكل جسم له مبدأ حركته فيه هو جسم طبيعي . وذلك المعنى الذي منه مبدأ حركته طبيعية . والحركة بين كل متحرك ومحرك وجودُها في المتحرّك دون المحرك . والمتحرّك دوراً ، الذي مبدأ حركته فيه وله توجد الحركة ، فالمحيط دون المركز . والمحرك الأول إذن في المحيط من كل متحرك دوراً دون المركز . والمتحرك الأول صورة طبيعية للمتحرك الأول دوراً ، فهو متحرك بالعرض . لكن المحرك الذي ليس بمحرك بالعرض أشرفُ من المحرك الذي هو متحرك بالعرض . وإذا كان كذلك ، فها هنا محركٌ ما ، ليس بمحرك بوجهٍ من الوجه ، لأن كل ما هو بالعرض تابعٌ للذي هو بالذات موجود جزءاً منه في أي شيءٍ فرض .

وإذ قد تبيّن أن المحرك الأول على ضربين : محرك أول هو صورة طبيعية للجسم المتحرك الذي هو أول متحرك دوراً هو متحرك بالعرض ؛ ومحرك أول ليس هو متحرّكاً بوجه من الوجه — قد ينبغي أن ننظر على أي وجه يُحرّك كلّ واحد منها المتحرك عنه . فإن في ذلك بيان ما هو كل واحد من المحرّكين . وإن الذي أشار إليه الفيلسوف بأنه في المحيط — غيرُ المحرك الأول الذي هو المبدأ الأقصى^(١) . وإن ذلك مع معلوم هذا ، وهذا على بوجه من الوجه .

وإذ قد تبيّن أن الفلك متنفس ، بما سبق من القول فيه في المقالة^(٢) التي عملتها « في أن الأجرام العلوية متنفسة » ، وان نفسها النفس الناطقة ، وبما بيته الإسكندر^(٣) وغيره مما لا حاجة بنا إلى إعادته في هذا الموضوع — وكل جسم طبيعي متنفس نفسه تحرّكه بالاشتياق^{*} نحو أخصّ الأشياء التي من شأنه أن

(١) في المخطوط : القصوى .

(٢) وهي المقالة السابقة على هذه مباشرة .

(٣) أي الإسكندر الإفروديسي .

يتشبه به ، وذلك الشيء يحرّكه بالشوق إلى ذاته — فالمتنفس غايتها خارجة عن ذاته ، وحرّكته مشوبة بضربٍ من الانفعال والتغيير ، بأن يخلع ذاته ويصير غيره . والمبدأ الأول يحرّك معلولاته بأن يعطيها ذاته وينقلها إلى أشرف مراتبها ، إذ هو الجود المحسن والخير الخالص ، دائم الفيض على جميع الموجودات ؛ ينال الكلُّ من خيره وجوده على قدر استهاله واحتماله . فإذاً المحرك الأول ، الذي هو المبدأ الأول ، يُحرّك الفلكَ على أنه سائق . والمحرك الأول ، الذي هو صورة طبيعية في المحيط ، يحرّك على أنه مشتاق . فإذاً قد تبيّن أنَّ الفيلسوف أراد بقوله إنَّ المحرك الأول في المحيط : المعنى الذي هو صورة طبيعية ، وهي نفسها ^(١) التي هي معلولة من المحرك الأول الذي هو علة أولى .

الفصل الثاني

قد قلنا في أول كلامنا إنَّ القول في المحرك الأول يرتبط بالنظر الطبيعي ، وبالنظر فيما بعد الطبيعة . فلنُنْقُلْ على أيّ وجه ذلك :

إنَّ النظر في ارتباط المعلولات بالعلل على وجهين : أحدهما من حيث هي متتصاعدة في اقرارها بعضها البعض إلى عللتها . والثاني من حيث سريانُ قوة العلة في معلولاتها . والنظر في الضربِ الأول للفيلسوف الطبيعي ، وفي الضرب الثاني لعلم ما بعد الطبيعة . وها هنا ضربٌ ثالث ليس هو بحسب المقايسة وهو النظر في الذات مُعرَّاة عن النسب والإضافات . والكلام فيه للفلسفة الإلهية . وقد تكلمنا في المحرك الأول الذي هو صورة (٣٨) طبيعية للمتحرك الأول . فلنذكر الآن حالَ المحرك الأول الذي هو صورة مفارقة ، فأقول :

(١) في المخطوط : نفسه ..

إن تسميتنا لإياده «الصورة» إنما هو بحسب نسبته إلى ما دونه ، لأنه من حيث يلحظ ذاته على التجديد بهذا المعنى يقال فيه إنه طبيعة الكل . فإن قولنا «صورة» يقتضي ما هي له صورة . وكذلك قولنا «طبيعة» «(على وزن) فعلية ، من الطبيع ؛ والفعيل بمعنى المفعول ؛ والطبيعة معناه : مطبوعة . وهذا السبب اسم الطبيعة الأولى إذن يشار به إلى الصور . فنحن في النظر الطبيعي نشير باسم الصورة إلى المعنى الحاصل في المادة ، وفي النظر فيما بعد الطبيعة إلى المعنى المصور للمادة ومعطيها صورها . وفي النظر الإلهي إلى الذات التي إليها تنتهي مراتب القوى ، وتنقطع دونها الصفات التي هي بحسب المعلولات على اختلاف حالاتها في الانفعالات وتقاييس (!) الصور وعند قبوله للفيض . فمن حَدَّ الطبيعة بأنها مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هي فيه أولاً وبالذات لا بطريق العَرَض — فذلك بحسب النظر الطبيعي . ومنْ حَدَّها بأنها قوة تنفذ في الأجسام فتعطيها التخلق والتصور بالصور الخاصة بوحدٍ واحدٍ منها — فذلك بحسب النظر فيما بعد الطبيعة .

وقد نجد الفيلسوف ، لما تكلم في محرّكات الأُكُر وأحصى عددها ، أشار إلى أنها مع اختلافها وكثُرتها ترجع إلى ذات محرّكة واحدة هي محرّك الكل . وفي هذا تصريح بما ذهبنا إليه في أن المحرّك الأول ، الذي هو العلة الأولى ، ليس هو المحرّك الذي في المحيط ، إذ هو بذلك المعنى صورة للمتحرّك الأول (١) . وبهذا المعنى يتصور : بأن كان المصور (٢) واحداً في الموضوع ، مختلفاً بالإضافة . لكن إذا أخذ المحرّك الأول على أنه شائقٌ — والمحرّك الأول الذي به المتحرّك الأول مشتاقٌ ومتشبه به — كانا مختلفين في الحدّ ، ولم يكن المحرّك الأول الذي هو الشائق في المحيط .

وهذا المقدار من الكلام كافٍ فيما أردنا بيانه .

(تمت المقالة ، والحمد لله حقَّ حمده . والصلوة على خير خلْقَة محمد وآلِه) .

(١) في مخطوطتي المكتبة المركزية : الأول بهذا المعنى تصور .

(٢) في المخطوطات كلها : فإن كانت والمصدر ...

مقالة أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجسي

في الكمال الخاص بنوع الإنسان *

الحمد لله خالق صُبْح ظلمة العدم بضياء وجود الجمود ، ومثبت حجج الإلهية وبراهين الوحدانية ، وداحض شُبَّه الإنكار والجمود ، وتم (١) إعلام عوالم الإختراع وبدائع الإبداع لبصائر العقول الناطقة والحواسـ الظاهرة كالشهود ؛ الذي أعطى كل شيء خلقه من ناطق وصامت ، وفتح الفقل للمستحق من أهل الركوع والسجود ، وجعل منهم المقربين والكريونـ والصافين المستحبين سَفَرَةً لأشخاص النوع الإنساني ، لا كلامهم ، بل ملـ رقـ نظره فوقف عند نهاية الحدود ، ورتب الأشياء مراتبها من حيث (٢) ابتدأ الجسم إلى متنه الخط ذي المساحة والكم والمعدود ، فلم يعد متمكنـ بمكانه ولا نازع ضدـه وإن طغى فإلى رتبته يعود ، وينتحي كل معلولـ

(١) غير واضحة في المخطوط صـ . وفي مـ : وسمـ .

(٢) في المخطوطين : ابتدأت الجسمـ .

(*) عن المخطوط رقم ٩٤ في كتابخانه مجلس شورای ملـ ، في طهران ، والمخطوط رقم ٧٢٠٨ في المكتبة المرکزیة بطهران . وسرمز للأول بحرف صـ ، والثاني بالحرف مـ . وهناك نسخةـ ثلاثة برقم ٢٥٣ في المكتبة المرکزیة ورقة ٩٧ بـ - ١٠١ بـ وهي ناقصة الأولى والآخرـ ، وسرمز إليها بالحرف دـ .

لعلته ويؤم كل ذي غايةٍ غايتها فيرتبط أدناها بأعلاها ، وتوارد القوى متداخلة نحو أفقها الأعلى ، ويجتمع الكل بالحكمة الإلهية في شرح النظام الحافظ على الموجودات كمالاتها الخاصة بها وال العامة لها . واحتضن الإنسان - من بينها - بأجمل صورة وأفضل هيئة : فعدل مزاجه وأخلاقه ، وأفاض عليه من فائض جوده ونور جوهريته ما استثارت به نفسه وأيدَ منه جسمه ، فسرَّتْ قوته في جميع ما دونه من أصناف الموجودات حتى تملَّكتها بطشها بجوارح جسده . وأحاطه بمعرف نفسه المشتملة على معانيها وأسبابها التي هي منها وإليها وفيها وعليها ، يبين جوهر كل واحد منها وماهيتها ، ويفصح بفضل علمه وعقله عن مكنون حقيقته .

ولما كان الغرض في هذه الرسالة الإبانة عن الكمال الخاص بنوع الإنسان ووصف الشخص الذي ظهر فيه جوامع ذلك الكمال في هذا الزمان ، ليتبين مولانا^(١) الملك - آدم الله دولته وعلوه وأيد سلطانه . واحتياج في ذلك إلى أن يشار إلى المعنى الذي قلت إنه القوة المنبعثة من المبدأ الأقصى^(٢) السائحة على القوى والأنفس حتى تنتهي ، بجميع ما فيها من الفضائل التي من شأنها أن تظهر في هذا العالم ، إلى نفس طاهرةٍ وطبع ذكيٍّ وعقل نقىٍّ من دنس الآراء والمذاهب الزائفة عن الحق ، فيتولى تدبير العالم ويسوس أهله بالستن العادلة وينخلصهم من أيدي المستلدين الذين أبطلوا آثار الآراء الشرعية وأزروا رسوم الرياسات المدنية ، وأباحوا سفك الرعايا بمنافسة ذوي الأخطار وأشعلوا في نفوس الزعار^(٣) نار العصبية المؤثبة أصغرهم على أكبابهم وأذنياءهم على علبيتهم ، فيرتبعهم مراتبهم ويصنفهم تصنيفاً يعرف كل امرئ مقامه ويقف عند الحد الذي حدّ أمامه ، وبيخع الطاعة لمن فوقه ولا يتزع إلى المناقشة لمن علاه في القدر والرياسة فيجري الأمور إلى نهاياتها التي حدّوها بالحكمة

(١) المقصود هو عضد الدولة البوهيمي الذي له ألف أبو سليمان ، أو أهدى ، هذه الرسالة ،

(٢) ص : القصوى .

(٣) م ، د : الدغار .

الإلهية والشريعة العقلية ويُأْمِنُ البلاء ، ويُعْمَرُ التلاد ، ويُطْرَدُ الرياسات بأجمعها منقادة لرئاسة واحدة ورئيس واحد . ولما كانت الرياسات الإنسية إنما هي بالقوة الرئيسية على القوى التي تستبطنها النفس المستعملة لجميع ما في هذا العالم ، المظهرة أفعالها في أصناف الحيوانات ، المعطية كل نوع منها كماله الخاص به بحسب قوّةٍ منه ، وبالمقدار الذي قسم له منها في الإفراط والتوسط والنقصان . وهذه هي الموافقة والتزاع والشوق والحسّ والتخيّل والوهم والتصور والفكّر والرأي والعزم والحدس والذكاء والذهن والحفظ والذكر والأنارة والظنّ والعلم والعقل . وقد انقسمت علتها قسمين : عدل فجعل لبعضها جزءاً وهو اللمس ، مضمومة إليه قوّة الشوق والتزاع والموافقة . ولا يمكن الحيوان إلا بمجموع هذه . ولم يُجْعَلْ له حظ من التخيّل . والتخيّل إنما هو للحيوان الكامل الحواسّ . وهو فيه أيضاً متعلق بحسّ البصر خاصة وما عَدِمَ هذا الحسّ ، عَدِمَ بعْدَه التخيّل . وهذا الصنف من الحيوان بمثابة الحزوون والدوود وكثير من الحشرات . وجعل لبعضها الحواسّ كلها مع التخيّل ، بمثابة الفرس والثور والحمار وغيرها ، ولبعضها مع هذه قوّة التوهم ولحمة من قوى التصور والفكّر ، بمثابة الحيوان الذي يسمى النسناس والعراس . ولبعضها – وهو الإنسان – مع هذه قوّة التصور والفكّر والحفظ والذكر ، مع ما يطيف بها من باقي القوى التي هي الحدس والذهب والذكاء والخزم والعزم والرأي والظنّ والعلم والعقل . ولبعضها – وهو الأجرام السماوية – العلم والعقل . وهذه القوى مدحّجة : منها نوع روحاني لا يحتاج معه في تناول المحسوسات إلى موافقة الأشياء الخارجية عن ذاتها ، لأنّها غير مركبة من التي باقي المحسوسات مركبة منها ، وهي النار والهواء والماء والأرض . فإنّ الحاسّ إنما يدرك محسوسه من قبيل المادة المشاركة في قبول كيّفيّات هذه الأجرام من ناحية الضد ، أعني الحار بالبارد ، والسيّال بالحامد ، وبالحملة بحسب تهيّؤ الموضوع القابل لأصناف المتضادات ، وتلك غير مركبة منها . وإنما قلت إن تلك مدحّحة فيها ، لأنّها لها بنوع الفعل والتأثير

في هذا العالم الكائن الفاسد ، لا بنوع الانفعال والقبول اللذين يكونان في الجوهر السرّي المستحيل حالاً بعد حال . فإن كل فاعل يفعل في مفعوله على مثال الصورة التي في ذاته ، ومن شأن ذلك الموضوع . فالاجرام السماوية إذن إنما تفعل أفعالها على قدر الصور الكليلية بنوعٍ نوعٍ من الموجودات في عالم الكون والفساد كما هي عليه في الوجود الحسي المتضمن أجزاءً وقوىً وكيفيات وأعظاماً وأعراضاً مختلفة ، إلا أنها فيها بنوع روحاني متوحد من قبل أنفسها ، ثم ترسلها بحر كاتها الجسمانية الجزئية في هذا العالم إلى المادة ، القابلة لها فتقبلها ، وتحدث عنها الأشخاص الجزئية المتمثلة مثل كلياتها ، وتصير عند الفاعل والصورة الكلية مقدمة قبل الموضوع لها بسيلان جوهر اختلاف أجزائه وحركاته في الزيادة والنقصان والتكافؤ وكثرة التغير والاستحالات اللازمة وقربه من الأجرام المحركة لها بحر كاتها .

ولنصيف الآن كيفية الحال (٣٩)* التي تصرف عليها أوصاف تلك الذات والاشارات التي أشارت إليها الأمم السالفة على اختلاف آرائهم ومذاهبهم فيها . فإنَّ منهم منْ زعم أن تلك الذات تواصل ذات الأمور التي زعموا أنها تتحد بها . وذلك أن القدماء من أصحاب الشرائع قالوا إنها الأجرام السماوية ، وزعموا أنها تظهر فيها وتعمل أعمالها بها ، وسمّوها آلة ثانية . ومنهم من قال إن الأمور التي تتحد بها الجوهر الإنسية . ومنْ هؤلاء منْ قال إن الجوهر الذي اتحد به من جملة هذه الجوهر واحد ، وهو جوهر ناسوت المسيح ، وهؤلاء هم النصارى ، مع اختلافهم في ذلك : فإن العاقبة تزعم أنه صار من الجواهرين : أعني جوهر الناس وجوهر الالهوت – جوهر واحد وأنقونم واحد . ومن الذين قالوا بالاتحاد منْ زعم أنها تتحد بأكثـر من شخص واحد ، وهؤلاء هم الغلاة ، والقائلون بالحلول ، وطائفة

(*) في المخطوط ص (كتابخانة مجلس شورای مل) وقعت في هذه الصفحة والسابقة عليها خروم عديدة ، بسبب أكل الأرضة للورق ثم ترميمه بورق ثقيل . ولكن النسخ الأخرى أكلت كل هني الخروم .

من الصوفية الذين يقولون بعين الجمع . ومنهم مَنْ قال إن العالم بأسره مركب من ذلك الجوهر وجوهر آخر ضده ، و هو لاء هم القائلون بأصلين : النور ، والظلمة . وأما أكثر المتكلمين من أصحاب الشرائع فقد أشاروا إلى تلك الذات بالأوصاف التي هي بحسب إضافة مفعولاتها إليها ، وبما ظهر لها من تأثيرات تلك الذات فيها . واعتبروا من جملتها الأوليّات والأصول لما دونها ، وسموها صفات الذات ، وهي : الحياة والقدرة والعلم وما أشبهها ، مما لا يجوز أن توصف به وبضده وبالقدرة على ضده . فإنَّ منهم مَنْ جعل الفرقَ بين صفات الذات وصفات الفعل بأن صفات الفعل هي التي يجوز أن يوصف بها وبضدها وبالقدرة على ضدها ، وصفات الذات هي التي لا تتجاوز ذلك من آثار تلك الذات ، فحكموا عليها بما ظهر لهم من تلك الآثار .

وأشار كل فريق ^(١) منهم بحسب الأعرف عنده وعلى قدر قوته في الاستدلال والتطرق إلى المعرفة بها . فوصفت النصارى الذات بصفة الأثر الذي ظهر من علامات الكمال في شخص المسيح . وأصحاب النور والظلمة وصفت الأثر بصفة الذات . وأما فضلاء الفلسفه فيقولون إن الذات المحدثة للموجودات متعلالية عن أن يحيط بها شيء من مبدعاته ، أو تلعقه الصفات اللاحقة لما حصره الوجود في هذا العالم ، إذ ليس من شأن العالى على الكل المحيط به أن يحاط به أو تبلغه قوة شيء من أجزاء الكل . فإنَّ الصفات ^(٢) سمات يسم بها العقل الإنساني ذوات الموجودات التي يدركها مما هو دونه بما يجده من الآثار الصادرة عنها والواردة عليها بالفعل والانفعال سمة روحانية بالمنطق الباطن ، ثم تبرزها النفس وتتفصّح عنها بالمنطق الخارج عبارة جسمانية بحسب اختلاف لغات الأمم . وهذا الفعل للعقل من طريق ما يختص به في نفس جوهره وهو على نظام الموجودات وتآلف بعضها مع بعض بالنسبة

(١) ص : فرقه .

(٢) ص : صفات .

(٣) ص : آثار .

الملائمة المعطية كـل واحد منها من العقل كـماله الخاص ، مـنْ قـبـل أنه ليس أي شيء اتفق كان منه موجودٌ تام فيما يقصد بالحكمة إلى إيجاده ، بل شيء ما مع شيء ما بـنـسبـة مـحـدـودـة^(١) . وللعقل فعلان آخران : أحدهما من حيث هو أول وبسيط ومفعول ومعلول للعلة الأولى . والفاعل الأول – سبحانه وتعالى – المعطى كل موجود من عقل ونفس وما دونهما الوجود العام لجميعها : فإنه يوزع ذلك الوجود على ذوات الموجودات بما يعطيها من الصور الخاصة بواحد واحد منها ، المتنفس وغير المتنفس . والعقل الثاني هو الذي يفعله بتوسط النفس من إفادة الحياة لكل مستعد لقبوـلـها . وهذا الفعل للنفس بالذات ، وله بتـوـسـطـها ، إذ النفس هي الصورة التي تحصل للمتنفس والعقل يعطيها . فاذن هو الذي يستحق أن يسمـى تاماً وكـلـاً وـكـامـلاً وـمـكـمـلاً لغيره ، أو له التمام من قـبـلـ الفـاعـلـ الأولـ حيث جعلـهـ سـبـباً لـوـجـودـ كـلـ مـوـجـودـ بماـهـ من إفادةـ النـظـامـ بـالـنـسـبـةـ التـأـلـيفـيـةـ فيـ الـمـوـجـودـاتـ .ـ وـلـمـ يـجـعـلـ لـوـجـودـهـ سـبـباًـ غـيرـهـ .ـ وـلـهـ التـامـ أـيـضاًـ مـنـ حـيـثـ مـنـ الـاـبـتـادـ بـإـفـادـةـ الـوـجـودـ عـلـىـ الـوـجـهـ الـذـيـ وـصـفـ ؛ـ وـإـلـيـهـ الـاـنـتـهـاءـ فـيـ التـصـاعـدـ وـالـتـصـورـ بـالـصـورـةـ الـأـوـلـىـ بـلـحـيـعـ الـقـوـىـ .ـ وـهـوـ الـوـسـطـ فـيـماـ بـيـنـ الـمـبـدـأـ الـأـوـلـ وـمـاـ سـوـاهـ مـنـ باـقـيـ الـمـوـجـودـاتـ .ـ وـهـذاـ التـرـتـيبـ لـهـ خـاصـةـ ،ـ وـبـالـحـقـيقـةـ وـالـطـبـيعـ ؛ـ وـلـغـيرـهـ مـنـ سـائـرـ الـأـشـيـاءـ بـالـوـضـعـ .ـ وـفـيـهـ أـيـضاًـ الـمـعـانـيـ الـتـيـ بـهـاـ الشـيـءـ هـوـ مـاـ هـوـ وـمـنـهـ وـإـلـيـهـ ،ـ وـلـهـ صـورـةـ الـثـالـثـةـ الـتـيـ مـنـ أـجـلـهاـ صـارـتـ النـصـارـىـ تـقـولـ بـالـأـقـائـيمـ الـثـلـاثـةـ .ـ وـقـدـ كـادـتـ الـفـلـاسـفـةـ يـشـرـفـونـ الـثـالـثـةـ وـيـقـدـّـسـونـ اللـهـ بـهـ .

وـذـكـرـ ذـلـكـ الـفـيـلـيـسـوـفـ اـرـسـطـوـ طـالـيـسـ فـيـ كـتـابـهـ :ـ «ـ السـمـاءـ وـالـعـالـمـ»ـ ،ـ وـمـفـسـرـ هـذـاـ الـكـتـابـ .ـ وـالـمـرـادـ بـذـلـكـ عـلـىـ مـاـ أـرـىـ إـشـارـةـ إـلـىـ الـعـقـلـ الـذـيـ يـنـتـظـمـ الـمـوـجـودـاتـ الـثـلـاثـةـ الـتـيـ هـيـ :ـ الـوـجـودـ الإـلهـيـ الـعـامـ لـجـمـيـعـ الـمـوـجـودـاتـ ،ـ وـالـوـجـودـ الـنـظـامـيـ بـهـ ،ـ وـالـوـجـودـ الـطـبـيعـيـ الـذـيـ يـنـقـسـمـ عـلـىـ الـمـوـجـودـاتـ الـحـسـيـةـ فـيـ الـخـصـوصـ

(١) ص : محدود .

والعلوم بالنفس الباعثة للطبيعة فيها . وله أيضاً معنى الكل ، إذ به جميع معاني الأشياء التي دونه بالصور الكلية ، وهو الكمال ، من قِبَلْ أنه الغاية التي تنتهي إليه القوى في التصور إما تصوراً روحانياً بحسب قوى النفس التي هي التمييز والفهم والإدراك لما في ذات العقل ، وإماً تصوراً جسمانياً بحسب قوى الأجسام المكتسبة وجودها منه بما فيه من النسب المرتبة لها أقساماً المقدرة لها ، من غير أن يحتاج هو إلى أن يتصور بصورة شيء آخر سواه . فإنه الكل – تقدّس ذكره ! – فليس على سبيل الإحاطة به والإدراك له ، إذ ليس من شأنه ، كما وصفنا فيما تقدّم ، لكنه لحاجته بما يحفظ عليه البقاء ، وفقره إلى ما يمدّه بالوجود ، وليدوم كونه في إفاده النظام يشعر بأنه ذات منها بقاوته وجوده ، فيذعن لها بالافتقار إليها في إيراده إياها بالحياة التي هي أول قوة ينبت منها إليه . ومعنى الحياة هنا هو التزاع إلى الشيء الأفضل لي-dom به . وهذا الإذعان هو التقديس الإلهي .

وأما أنه مكمل لغيره فقد ظهر ذلك مما وصفنا من أن كل موجود : متنفس وغير متنفس ، يستفيد وجوده وصورته التي بها هو ما هو – بأن يحصل له من تلك الصورة على قدر النسب المتناسبة روحانياً وجسمانياً ، بحسب الأنفس والأجساد .

وإذا كان الأمر على ما وُصِفَ ، فالإنسان – من بين سائر ما هو في العالم^(١) – هو الذي اجتمع فيه جميع القوى المترفة في سائر (الموجودات^(٢)) المتوزعة على صنف صنف منها من قوى الأجرام السماوية والأجسام الأرضية ، المتنفسة وغير المتنفسة ؛ فهو الواحد المتکثر المشتمل على الآحاد المترفة ، كما أن الفاعل الأول – سبحانه وتعالى – هو الواحد المحض الغير المتکثر ، على جميع الوجوه ، المنتبعث منه جميع الآحاد والقوى السارية في هذا العالم إلى أن ينتهي

(١) ص : عالم .

(٢) مكانه بياض في المخطوطات الثلاثة . م د : المتذرعة على ضعف صنف منها .

بأجمعها إلى الصورة الإنسانية وبنيلها الشخص الجزئي على قدر تهبيه لقبوها ومقدار واحد في اعتدال التركيب والإفراط والنقصان وبمحسب حركات الأجرام السماوية وما عليها من اختلاف التأثير عند اجتماعها وافتراقها وأدوارها وقراناتها العظمى والوسطى والصغرى ، وانتقامها في البروج من مثلثة إلى أخرى . فإن (٤٠) ظهور ما يظهر منها مختلف القوة والضعف ، والحلالة وعظم القدر وصغره ، فإن الحوادث العظام وظهور الأشخاص الكاملة المستوفية قوى المبدأ الأول ، المسئولية على تدبير العالم ، المالكة له ، لا تكون إلا " عند تبدل هذه الأدوار وانتقال هذه القرانات من مثلثة إلى أخرى . فإذا انفق الزمان ، الذي من شأن الشخص الإلهي ، أن يظهر بموافقة الأشكال الفلكية ، ظهر ذلك في الصقع الذي هو أليق به في التدبير وبها في التأثير ، بإظهار ما ينبعث من المبدأ الأول من الفضائل التي يختص بها ذلك الشخص بسياسة الأمم وتدبير المالك وتقويم السنن الحافظة على البشر مصالحهم بضروب السياسات الخارجية على ما يقتضيه حكم ذلك الزمان في إيصال المنافع إلى أهله ودفع المضار عنهم وتوفيقهم على سائر الجماعة لهم صلاح المعاش وحسن المقلب . ولما كانت المثلثات التي تكون فيها القرانات مختلفة في التأثيرات والأحوال الحادثة عنها في العظم والحلالة والشرف ، وكانت النارية هي التي تدل على الأمور وجسامها ، لما لها من قوة التأثير كالنارية العالية على جميع الأسطقسات بالوضع العارضة في نجومها بالتأثير والطبع ، ومنها تكون القوة التروعية إلى جميع المتشوقات للبشر ، وبها تكون الهمة الرياسية — وجب أن يكون عند بلوغ الدور إليها يظهر الشخص الكامل الفضائل بإظهار قوته المرتبة الأمور مراتبها في الحظر والإباحة ، وردها إلى مبادئها التي تكون مبانيها الصحيحة وقواعدها الراسية وأركانها الثابتة . والحمل من بين سائر بروج هذه المثلثة هو البرج الذي تختلف فيه جميع القوى التي تحفظ نظام الموجودات على ما نظمته الطبيعة الإلهية ، فإن وسط سمائه الجدي بيت زحل العلوي الذي لا يعلو عليه من المحببة كوكب ، وهو دليل السمو والعلو والثبات والدوام

والبقاء . وأول قابل من القوى الإلهية الفائضة على الموجودات . وصارت بذلك نسبته إلى ذلك العالم نسبة الملاعنة ، وإلى هذا العالم نسبة المنافرة . وصار كالمضد المنافي للقمر السريع التقلب الدال على القوى الطبيعية المستحبلة المتبدلة . وتسعة وثلاثة وهما القوس والحوزاء ، دليلاً على المقاصد بالحركات نحو الآراء والمذاهب والاختيارات في العلوم والأديان ، والتنقل في المكان : بيتا المشري وعطارد اللذين يدللان بالطبع على هذه المعاني . فإن المشري ، صاحب تاسع الحَمَل ، الكوكب الدال على العقل . وهو من وضع قوى الكوكب في مرتبة الأصل والمبدأ الفاعل للعلوم . وعطارد ، صاحب ثالث الحَمَل ، بمثابة الفرع المنتقل المظهر ، بما يقبله الموازي له في بيت العلم الذي هو فعل العقل . وسابعه الميزان ، بيت الزهرة ؛ ودليله الاظهار لما يقبله من المريخ صاحب برج الحَمَل بالمشاركة المولدة للموجودات توأيداً جسمانياً بالزاوجة والنكاح ، والآخر روحانياً بإفاده المعاني ، التي تستبطنها النفس ، بالبيان عنها والإفصاح . ورابعه السرطان ، بيت القمر وشرف المشري ، دليل العاقد الدال علىها القمر بالطبع لما عليه في الوضع من سائر الكواكب في مرتبة الأخير . وخامسه برج الأسد ، بيت الأفراح واللذات ، وصاحب الشمس صاحب شرف الحمل الدالة على التراغ في الأمور القياسية والالتاذ بها . ثم باقي الكواكب تنتظم على النظم الطبيعية وتنطاق لما ينبغي أن يكون عليه الأمر الأفضل في التنااسب والتشاكل . وكان يجب أن يكون الشخص ، المتوقع ظهوره ، مرتبط الدلائل بعضها ببعض في اتفاق كونه بأن يكون هذا البرج طالعه ، ويكون استعلى أمره وملكه على سائر المالك في الوقت الذي يبلغ انتهاء القرآن إليه ، ليجري الأمر في النظام على جريان الأمور على المجرى الطبيعي وسريان القوى الكمالية في العالم إليه . فتتداعى الدلائل في كونه من الأجرام السماوية في التأثير ومن المادة المستعدة للقبول في التأثير وفي المكان الموافق والزمان المناسب ، وبتوارد القوى والمعاني المحتاجة حينئذ إليها في وجوده على الحال التي لا يتخللها نقص عن خصال الكمال الداعية إلى طاعته والدخول تحت حكمه وسُنته والوقوف عند أمره

ونهيه ، كما اتفق في هذا الزمان بظهور سيد السادات ، ورئيس الرؤساء ، وملك الملوك ومولانا الملك المنصور ولي النعم ، عضد الدولة ، وناظر الملكة – أدام الله علوه ! – فإنه وَرَدَ العالم غياثاً لأهله مسعداً لهم الكلمات الواقعة للكمالات الخاصة بصنفٍ من أحواله ، وطبقة طبقة من طبقات أهله في التدبير السالك بهم إلى أفضل غياثتهم في السلامة من الآفات ، والسياسة المؤدية إلى مصلحتهم في معايشهم ومتصرفاتهم ، عارفاً من أعقاب أمورهم وتوظيفها على المنهاج التي تقتضيها سياسة الرعایا ، حتى لا يفوتهم الأجل^(١) عن معرفة ما يجب عليهم ولا يطغيهم البطر فيبغي بعضهم على بعض . ولا يطرح من كان مستحقاً للكرامة ، فيحبس حظه ؛ واقفاً من هذه الخلال على كل كمال . فهو – أدام الله سلطانه ! – الكامل^(٢) في ذاته ، المكمل^(٣) لغيره ، المستحق من جميع الخلق الثناء عليه والدعاء بدوام الملك ، وخاصة من أهل العلوم والأداب : فقد قوّى مُنتَهِم ، وأعلى كلمتهم ، وأطلق ألسنتهم بإذاعة ما تتخله كل فرقه من فرقاء من غير تقىة ، ليظهر ما يدعوه ، ويجهرون^(٤) ما يعتقد ، فيبين المحق^(٥) من المُبْطَل ، آمنةً من أن يسطو أحدٌ على أحد بلسان العصبية في الأديان .

فالحمد لله الذي أحظانا^(٦) بما حرم به سوانا من عابري الأمم الذين تمنوا بعض ما حظينا به من السعادة بالكون في أيامه السعيدة ، وهو المسؤول اداءها وإجراءها على أفضل عاداته عنده ؛ إنه كريم "فعال" لما يريد . وحسبنا كافياً ومغيناً . والصلاحة على محمد وآلـه الطيبين الطاهرين .

تمت رسالة أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني في الكمال^(٧)

(١) ص ، م ، د : لا يفوقهم الأسم (!) .

(٢) جهر الكلام وبه : أعلمه وأعلن به ، يتعدى بحرف وبغير حرف . وجه الصوت : رفعه .

(٣) أحظى الله فلاناً بالمال والبنين : أسعده بهما .

(٤) ص : الكلام – وهو تحرير واضح .

الخاص بنوع الإنسان .

(در أصفهان در مدرسه شیخ لطف الله مرحوم است . جهار شنبه أول ماه رمضان ، سال هزار وجهل وسه ^(۱)) .

(۱) ترجمة العبارة الأخيرة : « في أصفهان بمدرسة الشيخ لطف الله رحمه الله . - في يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة ألف وأربعين وثلاثة » - سنة ۱۰۴۳ هجرية قمرية .

صوان الحكمة

* فهرس الأعلام *

أرسنيطراطس	١٠٦ ، ١٥ ، ١٠٢	- ١ -
ارشميدوس	٢٢٢ ، ٨٥	
ارشيجانس	١٠٩	
أرميديوس (٢٦٣)	(٢٦٣)	
ارمالاوس (١١٥)	(١١٥)	
اروس (٢٣٠)	(٢٣٠)	
ارون الملك (٢٤٤)	(٢٤٤)	
اريوس	١٠٨	
اسانس	٢٥٨ ، ٢٤١	
استانس الخطيب	٢٤٠	
استقليس	١٠٤	
استوري	١٠٢	
اسحق بن حنين (٢٨١ - ٢٨٠)	(٢٨١ - ٢٨٠)	
اسخولوس (١٨٤ - ١٨١)	(١٨٤ - ١٨١)	
اسخيينس (٢٣٦)	(٢٣٦)	
اسطبيوس	١٠٢	
اسطسا ذوس	١٠٨	
اسطفانس المصري	١٠٩ ، ١٠٣	
اسقراطيس	٢٣٦	
اسقلبيوس	١١٠ - ١٠٠	
اسقوريس	١٠٣	
اسقولس	١٠٣	
ابراهيم (النبي)	١١٠ ، ٩٦	
ابرقلس	٢٧٦	
اثروذطيين (٢٢٠)	(٢٢٠)	
أحمد بن المعتصم	٢٨٢	
الأنخل (الشاعر)	١٤٥	
اخروسيس	١٠٩ ، ١٠٢	
ادنى الطرسوسي	١١٠	
ادولس	١١٠	
ارخوطرس	٢٨٢	
أردشير	٩٤ ، ٩٣	
ارساسالوس	١٠٩	
ارساسيوس	١٠٩	
ارسطوطاليس	٨١ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٢ - ٩٢	
	، ١٣٤ ، ٩٤	
	، ١٥٣ ، ١٥٢ - ١٣٥	
	، ١٧٦ ، ١٦١ ، ١٦٠ ، ١٥٨ - ١٥٥	
	، ١٧٣ ، ٣٧٢ ، ٢٧٦ ، ١٨١ ، ١٧٨	
أرسوفانس (٢٢١)	(٢٢١)	
أرسطليين (٢١٧)	(٢١٧)	
أرسوس الطرسوسي	١٠٨	
أرسيس الرومي	١٠٩	

* الأرقام الموضوعة بين قوسين تشير إلى الموضع الرئيسي بالنسبة إلى الشخص .

- انبريوس (٢٣١) ، ١٣٩ ، ١٠٩ ، ٨٥ ، الاسكندر الأكبر
 الانطاكي - أبو القاسم (٢٣٦) ، ١٧٢ ، ٢٤٢ ، ١٥٢ ، ١٥٠ ، ٢٥١
 أنقلس ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، انقلس
 انفلاوس ١٠٩ ، ١٠٩ ، ٨٧ : ٨٣ ، ٨٧ ، انباقلس
 انكافطراطس ١٠٧ ، انكافطراطس (١١٤)
 انكساغورس الطبيب ١٠٤ ، انكساغورس
 انكسيمانس ١٠٥ ، ١١٣ - ١١٤ (١١٤ - ١١٣)
 اندرولمانوس ١٠٦ ، انطياخوس (٢٣٨)
 انطيلانس (٢٤٧) ، انطيلانس (٢٤٧)
 انكسوم (٢٥٧) ، انكسوم
 او زيموس ١٠٩ ، او زيموس
 او زيموس تلميذ أرسطو (١٧٨ - ١٨١)
 او ريفيدس ٢٢٢ ، او ريفيدس
 او طيبة احسن ١٠٢ ، او مانيوس ٢٥٣
 او مينوس ١١٠ ، او مينوس ٢٢٢
 او مينوس الحكم (٢٦٢) ، او نورس (٢٥٧)
 اييرمسدس (٢٣٣) ، اييرمسدس
 اييراقلس ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، اييراقلس
 ايسوريس (٢٤٩) ، ايرون ١١٠
 ايرون ١١٠ ، ايرون
 ايرقلس الاسكندراني ١٠٩
 - ب -
- (أبو جعفر) بن بابويه (٣٢٠ - ٣١٥) ،
 بارقليس ٢٢١ ، بارقليس
 بارقدس (٢٥٦) ، بارقدس (٢٥٦)
 باستهليوس (٢١٥) ، باستهليوس
 البحيري - الشاعر (١٥٢) ، بختنصر ٩٢
 البخاري (تلמיד أبي سليمان) ٣١٤ ،
 أسلوبوس ١٠٧ ، أسلوبوس
 اصطفس الحراني ١٠٩ ، اصطفس
 اصون ٩٣ ، اصون
 أغافيطيمس ١٠٤ ، أغافيطيمس
 أغانيس ١٠٢ ، أغانيس
 اغلوقن ١٠٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٠ ، اغلوقن
 اغرس (٢٥٦) ، اغرس (٢٥٦)
 اغراغنطي ١٠٤ ، ١٠٥ ، اغراغنطي
 أفلاطون ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٤ ، أفلاطون
 ، ١٩٠ ، ١٤٢ ، ٢١٤ ، (١٣٤ - ١٢٨) ،
 ٣١٧ ، ٢٨٣
 أفلاطون الطبيب ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،
 افسورس ١٠٣ ، افسورس
 افليمن (١٤٥) ، افليمن (١٤٥)
 افولوطيمس ١٠٤ ، افولوطيمس
 افتطالفلوس ١٠٣ ، افتطالفلوس
 افروسيس ١٠٧ ، افروسيس
 افرو طرخس ١١٠ ، افرو طرخس
 افرو طرخس ١١٠ ، افرو ذيis ١٠٧
 افرو سطس ١٠٩ ، افرو سطس
 اقون ١٠٣ ، اقون
 أفافيوس ١٠٧ ، أفافيوس
 اقراطس المنطيقي ١٠٨ ، اقراطس المنطيقي
 اقريطن ١٠٧ ، اقريطن
 الخدورس ١٠٤ ، الخدورس
 اليتوس (٢٦١) ، اليتوس (٢٦١)
 اميتوس ١٣ ، اميتوس
 انلخورس (٢٥٣) ، انلخورس (٢٥٣)
 الأندلسي ١٥٩ ، الأندلسي
 اناخرسيس (٢٤٧) ، اناخرسيس (٢٤٧)

ثيودينوس ٢٢٥

البدائي (٣٤١ - ٣٤٠)

برمانيس الطبيب ١٠٣ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ،

برسماس ١٠٣

برو طاغورس (٢٢٤)

بطروس بن ماري ١٠٨

بطليميوس ٨٦ ، ٨٦ - ٢١٦

بطليميوس الطبيب ١٠٧

بلوطيس (٢٣٦)

بليتاس (٢٢٠)

بقراط (الأول) ١٠٦

، ١٠٥ ، ١٠١ ، ٩٣ ، ٨٥ ، ٢٠٣ ، ١١٠ ، ١٠٦

بقراط (الثاني) ١٠٠

بندارس (٢٤١)

بهمن بن أسفنديار ٩٣

بولوقراطس المتقلب ٨٢

بياورسطس (٢٢٢)

ابن بيلس (٢٣٩)

الحافظ ١٥١

جالينوس ٨٦ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ،

(٢٨٠ - ٢٦٤) ١١٩ ، ١١٩ ، ١١٩

جرفريجيس ١٠٢

(محمد) ابن الجهم (٣٠٥)

- ح -

الحسن بن اسحاق بن محارب القمي (٢٩٨)

حنين بن اسحق ١٢٤ ، (٢٨٢ - ٢٨٠)

- خ -

خارافرن ٢٣٨

خاركسانس ١٠٧

خاوس (٢٢٧)

خسرو بن دارا ٩٣

أبو الخطاب الصائبى (٣٤٢)

خوراطيميس ١٠٣

- ت -

تافرودوس ١٠٤

أبو عام (النيسابوري) (٣٤٠)

التوحيدى (أبو حيان) ١٥١ ، ٣٤١

- ث -

ثابت بن قرة ٢٩٩ - ٣٠٣

ثاصلس ١٠٣

ثاسلوس ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٧

ثارغافس (٢٢٨)

ثافراتس المعين زربى ١٠٨

ثاليس الملطي ٨٦ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٣ (١١١ -

(١١٣)

ثامسطيوس الطبيب ١٠٥

ثامسطيوس شارح أرسطو ١١٠ ، ١١٠ (٢٥٩)

ثانيديوس (٢٤١)

ثانون الطبيب ١٠٥

ثمانس (٢٥٥)

- ذ -

ذرايوس ١١٠

ذوالى الكحال ١٦٨

- سقراطيس الشاعر (٢٥١) ذيماس (٢٢٣)
 سقراطون الطبيب ١٠٢ ذياسقوريدس (الكحال)
 سقدرس ١٠٨ ذياسقوريدس (المشائعي) ١٠٧
 سقنداس ٢٥٩ ذيموستانس (٢٥٨)
 سفروقوس الأول ١٠٢ ذيميقوس (٢٤٣)
 سقلموس ١٠٢ ذيوفيلس ١٠٣ ،
 سلوس (٢٥٢) ذيوجانس الكلبي ٨٥ ، (١٦٩ - ١٧٢)
 سموأي ١٠٩ ذيوجانس الطبيب ١٠٨
 سموقلس ١٠٢
 سليمان (النبي) ١٠٢ ، ٨٣
 سوتاخوس ١٠٦ رامس ١٠٩
 سورانوس ١٠٨ رامون المستوفي ١٠٩
 سورانيوس ١٠٣ ركسيموس ٢٥٤
 سورينوس ١٠٢ رامون المستوفي ١٠٩
 سفوقيوس (١٠٢) ركسيموس ٢٥٤
 ابن السوار ٣٣٥ روفس الكبير ١٠٧
 (أبو الحير الحسن) ابن سوار (٣٥٣ - ٣٥٥)
 سولتن ٢١٨
 سطيوس ١٠٦
 سيفاوس ١٠٢
 سيفورس ١٠٥ (عيسى) ابن زرعة (٣٢٣ - ٣٢٥)
 - ش - زينون (الكبير والصغير) ٨٢ ،
 (٢٣٥) ، ١٦٨
- شهيابور بن اردشير ٧٥ ساروس ١١٠
 الد بن الحسين ٣٠٦ سافرسطس (٢٤٦)
 - ص - ساورأس ١٠٣
 - س - (أبو سيمان) السجستاني ١٣٨ ، ١٥٩ ،
 (٣١٥ - ٣١١)
 الصابي أبواسحق (أبواسحق) ٣٠١ ، ٣٠٠ ، ٣٤٢ (٣٤٦)
 الصابي أبو (الخطاب) ٣٤٢ - ٣٤٣ سخن ١٠٩
 الصيمرى ١٥٩ (أحمد بن الطيب) السرخي ٢٨٦ ، ٢٩٧
 - ط - سطس ١٠٥ سطس (٢٢٦)
 سعيد بن يعقوب الدمشقي (٣٠٥ - ٣٠٣)
 سقاطس ١٠٦ سقاطس (١٢٤ - ١٢٨) ، ١٢٨ ٨٨ ، ٨٣ ، ٨١
 سقراط الاسكندراني ١٠٩

- فرسطرنس (٢٤٩) طاحنة النسفي ٣٣٨
 فريوس ١٠٤ طيفن (٢٥٠)
 فترطيس (٢٥٠) طيلا مانس (٢٣٠)
 فلسطين (٢٣٤) طيماناوس (٢٥٥)
 فواطرنس ٢٢٤ طيماؤس الطرسوسي ١٠٩
 فوريس ١٠٧
 فوذيقوس ١٠٥
 فولوس ١١٠
 فولونس ١٠٦ - ع -
- فولس ١٠٢ (أبو الحسن) العامري ٨٢ ، ٨٥ ، ٣٠٧
 فيشاغورس ١٠٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ٩٥ ، ٨٨ ، ٨٧ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٢٨٢ ، ١٢٤ - ١١٦ ٣٢٣ ، ٣١٠
 فيذروس (٢٢٨) عثمان بن عفان ٢٧٦
 فيدياس (٢٢٣) (أبو محمد) العروضي (٣٤٢)
 فيلاطس ١٠٩ عضد الدولة البوهيمي ٣٨٦
 فيليوس (٢٢٢) (أبو الفضل) ابن العميد ١٥١ ، ٣٢٧-٣٢١
 فيلاسطوس (٢٢٩) ميسى (النبي) ٩٥
 فيلوس ١٠٨ عيسى بن علي بن عيسى بن البراج (٣٢٣-٣٢٢)
 فيليس ١٠٤
 فيلفس (أبو الاسكندر المقدوني) ٩٤ ، ٩٥ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٣
 فيلن (٢٥٠) - غ -
- غانساواس المصري ١٠٨
 غرغوريوس (٢٢٤) غالونس ١٠٦
 غلام زحل (٣٣٩) غموناس ١٠٤
 غورديانوس ٩٥ غوروس ١٠٠ - ١٠٤
 غوفولس ١٠٤

- ق -

- قابس السكريطي (٢١٤ - ٢١٥) فافانس ١٠٩
 قدموس ٩٣ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٣
 قذفيمون ١٠٢
 قرسطس المشاء (٢٥١) فالامينس ٩٣
 قومس ١٠٤ فانيس ١٠٤
 القومي (٣٣١) فايندروس (٢٥٨)
 فرفوريوس ٩٣ ، ١١٠ ، ٢٦١ - ٢٥٩ فرداذس ١٠٨

فرودطرنس ١١٠

- ف -

- ك -

مساوس ١٠٤ ، ١٠٢
مسكوبه (أبو علي) (٣٤٦ - ٣٥٣)

المسيح ١١٠
مسينارس ١٠٢
معاوية (بن أبي سفيان) ٢٧٦
مفسن الحمصي ١٠٦
مخينس الاسكندراني ١٠٩
ابن مقداد (٣٢٨ - ٣٣١)
 ملياطس ١٠٥
موس (٢٥٧)

موذيوس ١٠٨
موسوريوس (٢٤٥)
موريق الملك (٢٥٨)
موطيموس ١٠٣
مولوموس الاسكندراني ١٠٩
موريطس ٢٢١
مورون السوفطاني (٢٣٣)
ميروس ١٠٤
ميلاطوس الحكمي ١٦٧
ميلين ١٠٤

- ن -

(علي بن يحيى) النديم ٩٤
نسوميون ٢٣٠
نظيف الرومي (٢٣٨)
أبو النفيس ٢٢٦ ، (٣٥٥ - ٣٦١)
نفيطوس (٢٥٥)
التوشجاني ١٠٩ ، (٣٤١)
نيطس المجر ١٠٩
نيفالوس (٢٣٩)
نيغابون (٢٣٩)

- ه -

هرتسن ٩٨ ، (١٨٤ - ١٨٩)

- ل -

سكافرس (٢٤٠)
كمانوفون ٢٠٦
كمانوراطس (٢٤٦)
الكتندي - فيلسوف العرب (٢٩٧ - ٢٨٢)
كورس ٢٥٣

- م -

ماجيس ١٠٥
ماخاخيس ١٠٤
مارس الحيلي ١٠٧
مارفس ١٠٧
مارينوس ١٠٩
مارجرس (٢٣٣)
مارسخس ١٠٦
ماسطش ١٠٢
ماغارا العين زربي (١١٠)
ماغيينوس ١٠١
ماليس (٢٥٥ - ٢٠٦)
مامانس ١٠٣
مالياريسا ١٠٦
مانانخس ١٠٤
مافالس الأثيبي ١٠٩
مالطالس ١٠٦
مانافيلس (٢٥٧)
ماهانس ١٠٢
ماينوس ١٠٢
مرقس ١٠٢
مرطانس ١٠٨

وارحسن ١٠٥

وأفيقبيوس (٢٥٥)

والس ١٦٨

وهب بن يعيش الرقي (٣٢٩)

ينساليس (٢٢٦)

يوزبيوس ٩٢

يولانس ١٠٧

يعيى النحوي ٩٩ ، ١٠٠ ، ١١٠ ، ٢٧٦ (٢٧٦) -

(٢٧٩)

يعيى بن عدلي (٣٢٧ - ٣٢٨) ٣٤٠

فهرس أسماء الكتب

- «جوامع كلام أفلاطون في سياسة المدن» ٩٥
«قاطنغور ياس» لأرسطو ٢٨١
«السماع الطبيعي» لأرسطو ٣٧٣
أسماء مؤلفات أبي الحسن البصري
كما ذكرها بنفسه ٣٠٨
«طيماؤس» لأفلاطون ٩٠ ، ٩١
«الأمد على الأبد» للعامري ٨٢
«فولطيقوس» لأفلاطون ٨٩

rente de celle que nous trouvons dans les exposés donnés par al-Tawhîdî dans ses différentes œuvres, des idées de son maître Abû Sulaymân al-Sijistânî. Pourtant, leur valeur réside dans le fait que ce sont des traités complets et indépendants, écrits de la plume même d'Abû Sulaymân sans aucune intervention d'une main étrangère. La doctrine qui y est exposée s'inspire essentiellement du Pseudo-Aristote, c'est-à-dire de la soi-disante Théologie d'Aristote qui n'est en fait qu'une paraphrase de quelques chapitres des *Ennéades* de Plotin.

En conclusion, je tiens à exprimer ma profonde gratitude envers la Buniâdéh Farhang (Fondation Culturelle de l'Iran), placée sous le haut patronnage de Sa Majesté Impériale l'Impératrice FARAH, qui lui proclame ses nobles directives. Je remercie Son Excellence le Dr. Parwiz Khânlarî, le grand savant et énergique Secrétaire Général de cette fondation, qui a bien voulu accepter d'inclure ce volume parmi ses publications.

'ABDURRAHMAN BADAWI

Téhéran, hiver 1973-4

La partie qui traite de l'histoire de la philosophie grecque commence avec le commencement, c'est-à-dire avec Thalès de Milet. La notice sur chaque philosophie est composée surtout des paroles attribuées à lui. Comme nous l'avons déjà établi dans notre introduction à notre édition de *Mukhtâr al-Hikam* d'al-Mubashshir ibn Fâtik, qui contient plusieurs paroles qui se trouvent dans notre livre, la plupart de ces sentences ne peuvent pas être retracées dans les sources gréco-islamiques qui nous restent : Diogène Laërce, les *Stromates* de St. Clément d'Alexandrie et d'autres recueils de ce genre. Mais il ne faut pas pour autant attribuer leur composition aux auteurs musulmans ou syriaques. Le problème n'est pas si simple. — Pour cette partie, Abû Sulaymân s'est servi, dans une certaine mesure, de *Nawâdir al-Falâsifah* de Hunain ibn Ishâq, que nous avons publié cette année. Mais *Siwân al-Hikmah* est beaucoup plus ample, ce qui suppose d'autres sources que nous ne pouvons pas identifier dans l'état actuel de nos connaissances. Le livre de Prophyre sur l'histoire de la philosophie grecque en est sûrement une source.

Cette partie finit avec la notice sur Jean Philopon, considéré unanimement comme le dernier des philosophes grecs.

Aussitôt après commence la section consacrée à l'histoire de la philosophie en Islam, avec une notice sur Hunain ibn Ishâq, suivie d'une longue notice sur al-Kindî; la dernière est consacrée à Abû Sulaymân al-Maqdisî, l'un des auteurs des *Epîtres des Frères de la Pureté*. Ce qui est curieux, c'est qu'on y trouve une notice consacrée à Abû Sulaymân al-Sijistânî lui-même, l'auteur de *Siwân al-Hikmah*, redigée à la troisième personne, ce qui laisse supposer qu'elle n'est pas sûrement de sa plume. Mais on peut expliquer son insertion par le fait que nous avons ici un choix (*muntakhab*) de son livre, et non pas l'original. On peut donc supposer que celui qui a redigée ce choix est l'auteur de cette notice consacrée à l'auteur de l'original; ce qui est fort possible, et fort courant, du moins en témoignage de gratitude envers l'auteur de l'original; et c'est ce que nous faisons encore aujourd'hui quand nous éditons un texte : nous donnons dans l'introduction une notice sur Abû Sulaymân dans ce « choix » de son œuvre.

Quant aux autres trois traités, ils n'apportent pas de doctrine diffé-

IX.

CE VOLUME

Ce volume contient la publication, pour la première fois, de :

1. **Muntakhâb Siwân al-Hikmah** (Choix de la caisse de Sagesse);
2. **Risâlah fî al-Muharrik al-awwal** (Epître sur le Premier Moteur);
3. **Maqâlah fî al-Kamâl al-Khâss bi naw' al-insân** (Traité sur la perfection particulière à l'homme);
4. **Maqâlah fî anna al-ajrâm al-'ulwyyah tabî'atuhâ tabî'at khâmi-sah, wa annahâ dhât anfus, wa anna al-nafs allatî lahâ hiya al-nafs al-nâtiqah** (Epître sur le fait que la nature des corps célestes est une cinquième nature, qu'ils ont des âmes, et que l'âme propre à chacun d'eux est l'âme raisonnable).

Nous les publions d'après les manuscrits que nous avons signalés dans la bibliographie des œuvres d'Abû Sulaymân.

Le texte intégral de **Siwân al-Hikmah** est perdu; il n'en reste que ce choix et des resumés encore plus brefs. C'est évidemment une grosse perte.

Il se divise en deux grandes parties d'inégale étendue : la première est consacrée à l'histoire de la médecine, et la seconde à l'histoire de la philosophie en deux périodes : la période grecque et la période islamique. Dans cet aperçu sur l'histoire de la médecine grecque, Abû Sulaymân puise au livre de Jean Philopon sur le même sujet comme il le dit lui-même (p. 14 du manuscrit Béchir Aghâ). Il est à rapprocher du chapitre consacré à la médecine et aux médecins dans le **Fihrist d'Ibn al-Nadîm**.

l'argent est un objet dont on dispose. La science est de l'ordre de l'âme, tandis que l'argent est de l'ordre du corps. La science est plus spécifiquement humaine que l'argent. Les malheurs du riche sont très nombreux, car sa richesse peut être volée, pillée ou confisquée, et il restera alors désarmé et perplexe. Mais on ne prive jamais un savant de sa science. La science augmente quand on la dépense; elle recommande le contentement de peu. Mais il n'en est pas ainsi de la richesse. (1)

(1) Cf. al-Tawhîdî : al-Himâr, II, p. 49. Le Caire, 1942.

deux choses : ou bien on les tient pour des menteurs, des charlatans et des mystificateurs; ou bien on croit qu'il n'est pas permis qu'ils commettent des erreurs ou des actes repréhensibles. L'opinion juste est de croire que la personne douée de cette force (= le prophète) est au plus haut rang tant qu'il procède d'elle sans qu'il fasse appel à d'autres facultés : alors, il dira des choses vraies. Mais quand il revient à sa nature humaine, sans procéder de la lumière de la prophétie, il sera comme l'un de ses semblables : s'il voit juste, c'est grâce à son intelligence, et s'il commet une erreur ce sera par suite de sa nature humaine, il sera comme les autres hommes, un être formé du premier argile, ayant quatre humours qui sont en conflit les uns avec les autres. Il n'y aura aucune différence entre lui et n'importe quel autre homme. Mais, quand la force (prophétique) surgit en toute son intensité, cette personne apportera tout ce qui peut guider les hommes dans le bon chemin, organiser leurs intérêts, et éléver leurs caractères; il sera la lumière du monde, et miséricorde pour tous les hommes. (1)

**La ressource : on peut pas être sage et riche
à la fois**

Considérant le sort de la plupart des sages — ou philosophes — Abû Sulaymân estime qu'on ne peut pas être sage (ou philosophe) et riche à la fois. Il cite une parole attribuée à Platon qui dit : « Dieu donne autant de sagesse qu'il prive de richesse ».

Il explique cet état de fait en disant que la science et la richesse sont comme deux épouses d'un même homme : elles sont rarement en paix et en accord. En effet, la part de richesse qu'on a vient de l'âme appétitive et irascible; et sa part de science vient de l'âme raisonnable. Ces deux parts sont pour ainsi dire incompatibles et contraires. Il faut donc que l'homme averti sache que le savant est plus noble dans sa nature et dans tout son être que le riche. S'il possède la science, il ne faut pas qu'il s'attriste pour la richesse, car un peu d'argent lui suffit; il ne faut pas qu'il se plaigne de n'en pas posséder. La science dispose, et

(1) Cf. Muqâbasât, n. 50, p. 230. Le Caire, 1929.

Quand son disciple, Abû al-'Abbâs al-Bukhârî, lui demande : est-ce que le prophète commet des erreurs ? — alors Abû Sulaymân répond : « non ! mais il peut oublier par mésaventure, comme il est arrivé dans l'affaire de Dhû al-Yadayn. (1) Mais son oubli et son erreur ne portent pas atteinte à sa mission prophétique pour laquelle il fut envoyé aux hommes; en ce qui concerne celle-ci, (Dieu) le garde de tomber dans l'erreur ».

Al-Tawhîdî lui demande alors : mais le prophète commet-il l'erreur par la force de la prophétie ?

Et Abû Sulaymân de répondre : « non ! mais il lui arrive une imagination, comme dans l'affaire des palmiers des Ansârs, et puis il revient sur son opinion et leur dit : vous connaissez mieux (que moi) les affaires de votre monde. Rien de mal à cela. Sans cette force (de divination) qui se trouve dans quelques savants et quelques hommes pieux, il n'y aura pas d'intuition, ni d'opinion juste. Cela est très évident, on le constate même chez quelques gens du peuple ». (2)

Ce que dit le devin est susceptible n'être nié, car le possesseur de cette force parle tantôt dans la pleine ardeur de sa force, tantôt dans sa faiblesse et tantôt quand elle est dans un état moyen. Beaucoup de circonstances y contribuent, aussi sa parole est où bien au maximum de sa force, ou bien moyenne, ou bien au plus bas. Etre ces différents degrés, il y a aussi des états intermédiaires. Il y entre de l'interprétation, du doute, de l'à peu près.

Les degrés des possesseurs de cette force sont différents selon leurs parts; ils y participent selon leurs dispositions, leurs forces, leurs capacités. Cette différence est ce qui rend l'un mieux que l'autre — selon une longue gamme qui va du plus bas au plus haut horizon de cette haute et noble faculté. (3)

La plus grave erreur qu'on encourt à l'égard des prophètes vient de

(1) Dhû al-Yadayn est un compagnon du Prophète qui remarqua une fois que le Prophète Muhammad a fait deux agenouilements dans sa prière au lieu des quatre obligatoires; le Prophète a reconnu avoir oublié.

(2) Al-Tawhîdî : al-Muqâbasât, n. 50, p. 228. ,

(3) Cf. al-Muqâbasât, p. 229.

VIII

LA DIVINATION, L'ASTROLOGIE ET LE SORT

Abû Sulaymân croit en la divination. Celle-ci, estime-t-il, est « une force divine qui existe en quelques hommes, par une grâce céleste, et des causes astronomiques. Elle se trouve à mi-chemin entre l'humanité et la divinité. Elle révèle alors ce qui est caché des affaires de ce monde et de l'autre monde également. Mais elle concerne plutôt les affaires de ce monde ici bas, car l'homme est régi surtout par la nature dans la plupart de cas. Si cette force se libèrent un peu plus, elle désignera des choses hautes et nobles. La place de la prophétie (*nubuwwah*) se trouve à l'intérieur de cette force, tantôt haute et tantôt moins élevée. Au fur et à mesure que l'âme est en bonne disposition, la lumière empruntée à cette force sera plus forte et sublime ». (1)

Mais la force de l'astrologue qui observe les effets des astres est faible, car son outil ne lui est pas de grand secours, et il n'a pas assez de patience, car il reçoit les signes dispersés à l'aide de son effort et de sa persévérance. Quant au devin, sa force ne se base pas sur l'effort et la recherche, mais elle est comme une révélation et un éclair subit.

La divination est d'autant plus forte que le devin est plus pur, car sa force est versée d'en haut selon que sa relation avec la Cause Première est plus authentique.

Pourtant, le devin, comme l'astrologue, peut commettre des erreurs, car sa force n'atteint jamais le maximum de pureté, à cause de sa constitution humaine.

(1) Al-Tawhîdî : al-Muqâbasât, n. 50, pp. 226-227.

dû la limiter à la distinction entre le vrai et le faux.

Puis Abû Sulaymân montre l'aide que chacune des deux reçoit de l'autre, et il affirme que réunir la logique et la grammaire serait l'idéal.

D'autre part, il les distingue d'une autre manière en disant que la grammaire est particulière à la langue dont elle est la grammaire, tandis que la logique est générale, puisqu'elle relève de la raison, et ses lois sont communes à toutes les intelligences à quelles nations elles appartiennent.

Il affirme que la preuve en logique est tirée de la raison, tandis que le témoignage de la grammaire est tiré de l'usage. La grammaire est limitée, tandis que la logique est générale.

La grammaire est la première étude de l'homme puisqu'il en a besoin pour s'exprimer d'une manière juste, tandis que la logique est la dernière de ses recherches, puisqu'elle exige un haut degré de compréhension. Une faute en grammaire s'appelle un solécisme, mais une faute en logique s'appelle absurdité. La grammaire est une réalisation du sens par le mot, tandis que la logique est une réalisation du sens par le concept. La grammaire entre en logique, mais pour ordonner l'expression; et la logique entre en grammaire, mais pour corriger l'exactitude de la pensée. La grammaire est une forme verbale, mais la logique est une forme rationnelle, puisqu'elle est basée sur les exigences de la raison. En logique on pèse par le poids de la raison, et en grammaire on mesure par la mesure du mot.

VII

LA LOGIQUE ET LA GRAMMAIRE (1)

La position d'Abû Sulaymân, en ce qui concerne ce problème de la relation entre la logique et la grammaire, peut se résumer en cette phrase : « la grammaire (arabe) est une logique arabe, et la logique est une grammaire rationnelle ».

Puis il procède à des distinctions : la logique s'occupe essentiellement des concepts, quoique elle ne doive pas enfreindre aux lois de la langue; la grammaire concerne essentiellement la langue, quoiqu'il ne lui soit pas permis d'enfreindre aux lois de concepts. Comme le défaut dans l'expression verbale est nuisible et un signe d'imperfection, de même le défaut dans l'ordre des concepts est nuisible et un signe d'imperfection.

La grammaire arabe est une étude de la langue des arabes, pour y relever leurs habitudes et leurs usages dans l'expression de leurs idées. Quant à la logique « elle est un instrument par lequel on peut distinguer le vrai du faux — en ce qui concerne les croyances, le bien du mal — en ce qui concerne l'action (morale), ce qui est vérifique de ce qui est mensonger — en ce qui concerne la parole ». (2)

Cette définition de la logique est étrange, nous ne la trouvons chez aucun philosophe musulman ou non-musulman, car Abû Sulaymân l'étend jusqu'à ce qu'elle embrasse la morale, ce que personne n'accepte. Il aurait

(1) Nous avons exposé en détail l'historique de ce problème, aussi bien dans le monde arabe que dans la pensée occidentale, dans notre livre : *Logique formelle et mathématique*, Le Caire, 1962.

(2) Cité par Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, n. 22, p. 171.

par emprunt (ou par métaphore). « Le vrai bien est le bien voulu pour lui-même tandis que le bien par emprunt est celui voulu pour autre chose que lui. Ce qui est voulu est ou bien voulu seulement pour lui-même, ou seulement pour autre chose, ou bien enfin pour lui-même et pour autre chose. Ce qui est voulu pour autre chose seulement est par exemple le médicament; ce qui est voulu seulement pour lui-même est comme le bonheur; et ce qui est voulu pour lui-même et pour autre chose est comme la santé ». (1)

(1) Al-Tawhidi : al-Muqâbasât, n. 81, p. 286. Le Caire, 1929.

VI

QUESTIONS DE MORALE

a) La fin de l'homme

Comme Socrate, Abû Sulaymân a recommandé à l'homme de se connaître soi-même, parce que par cette connaissance de soi-même l'homme découvre ses secrets, et par là il pourra découvrir le chemin qui le mènera à la béatitude. L'homme doit, en outre, polir le miroir de son âme des taches des concupiscences. Il dit en ce sens : « Tu dois savoir que tu ne pourras atteindre ton bonheur, la perfection de ton essence et la pureté de ton âme qu'en la purifiant des ordures de ton corps, la polissant du trouble de ton être, la détournant de tes caprices, la sevrant des mamelles de ta volupté, la coupant de mauvaises habitudes, et l'empêchant de suivre le chemin de ta perdition et de ta destruction ». (1)

b) Le bien

Mais nous ne trouvons pas dans ce qui nous reste des textes d'Abû Sulaymân des détails de la morale qu'il recommande. Son épître sur « Les chemins qui mènent aux vertus » (mentionnée par al-Baihaqî dans son *Tatimmat Siwâن al-Hikmah*) est perdue; elle aurait nous donner une idée plus claire de son système moral.

Parmi les textes qui nous restent encore, il y a un morceau qui traite du bien. Il y distingue entre deux sortes de bien : le vrai bien, et le bien

(1) Cité par al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, n. 1, p. 119.

L'acte de Dieu est de ce genre : nous n'avons pas de nom pour le qualifieur, car nous n'avons pas son correspondant; et nous ne donnons des noms qu'aux choses dont nous autres hommes nous avons des correspondants ou d'analogues. Nous ne devons pas dire que l'acte de Dieu est par nécessité; car cela impliquerait que Dieu serait impuissant. Nous ne devons pas non plus dire que l'acte de Dieu est libre, car le libre arbitre comporte une forte dose de passion. Il ne nous reste donc que de dire que l'acte de Dieu s'accomplit d'une manière sublime et noble qui n'a pas de nom, ni de description qui le désignerait.

Il faut même finir par dire qu'on ne peut pas même dire que Dieu agit, car tout agent doit subir une sorte de passion quand il agit; de même tout patient agit en quelque sorte. Mais l'agir dans le passion est tout-à-fait invisible, et la passion dans l'agir est tout-à-fait invisible. Chacun d'eux est désigné par ce qui est dominant. (1)

(1) Cf. la Muqâbasah n. 10, pp. 149-151. Le Caire, 1929.

V

QUESTIONS DE THEOLOGIE

Comment Dieu agit-Il ?

Dieu agit-il par nécessité, par volonté (ou libre arbitre), ou bien ni par l'une ni par l'autre ?

Cette question fut posée à Abû Sulaymân par son disciple Abû Zakaryyâ al-Saymârî qui expliqua sa question en ces termes : si l'acte de Dieu est comme l'illumination de l'air par le soleil, il sera par nécessité; mais il est comme l'acte de chacun de nous, il sera un acte libre; il n'y a pas d'autre alternative, car une troisième possibilité est absolue, et ce qui est absurde ne peut pas être accepté.

Abû Sulaymân répond :

« Les grands philosophes anciens estiment que Dieu agit d'une manière plus noble que le libre arbitre. Cette manière d'agir n'a pas de nom chez nous, nous autres hommes, car nous ne connaissons que les noms des choses dont nous connaissons les êtres ou les ressemblances. Les hommes, quand il leur manque une chose, il leur manque aussi son nom, car son nom dérive d'elle et son être est son original, de sorte que si l'original manque, le dérivé manque également... Les attributs des choses très particulières n'ont pas de noms. Nous éprouvons beaucoup d'états, que nous ne pouvons pas écarter de noms, et qui sont ancrés en nos âmes; et pourtant, quand nous tentons de les nommer, nous nous sentons incapables de le faire; nous nous contentons de faire des gestes, d'employer des similitudes et des exemples que nous employons en substitution des noms qui nous échappent ».

essence finie, on aura l'éternité relative et conditionnelle. Un exemple de cette dernière sorte quand on dit : un tel fait cela éternellement (1), moi j'ai éternellement fait cela. Exemple de l'éternité absolue : ce qui se rapporte à l'Essence qui est la première (m. à m. la plus ancienne), la plus parfaite, qui dure sans fin ni commencement. (2)

Donc, l'éternité est absolue, ou relative. L'éternité absolue est la durée éternelle, sans fin ni commencement; elle s'applique à l'Eternel. L'éternité relative, par contre, se dit d'un acte fait en un temps défini qui a un commencement et une fin.

-
- (1) En français on dit plutôt : un tel fait cela tout le temps. Mais on dit aussi : c'est son éternel refrain.
- (2) Cf. la Muqâbah n. 73, pp. 278-279.

« La nature est une vie qui pénètre les corps et leur donne, par là, la formation et leur imprime la forme propre à chacun d'eux; elle est comme la force qui va du premier principe à toutes les choses qui sont agies par elle, et qui sont liées par elle. Elle est, en quelque sorte, la forme composée des deux parties du composé, et qui est différente de chacune d'elle à l'état séparé ». (1)

b) Le temps et l'éternité

Abû Sulaymân fait une nette distinction entre le temps et l'éternité (al-dahr). En cela, il est influencé par Plotin, et Prochus, tous deux traduits partiellement en arabe. (2)

Il commence, comme d'habitude, par donner la définition d'Aristote : « le temps est le nombre du mouvement selon l'antérieur et le postérieur ». Puis il donne la définition de « quelques gens » — selon sa propre expression — qui disent que le temps « est une durée nombrée par le mouvement ». Il objecte à cette dernière en disant que cette définition nous fait imaginer que les mouvements sont « comme les mesures du concept de l'éternité. Mais là n'est pas le véritable sens du temps ».

Il distingue, dans les êtres créés, entre : ceux qui marchent avec l'éternité (al-dahr) et dont l'être est lié à la Première Essence — et ces êtres ne comportent ni finitude ni infinité, ni antérieur ni postérieur par rapport au temps. Leur être est relatif à celui de la Première Essence. La seconde catégorie des êtres comprend ceux qui sont produits dans le temps, et le temps est limité entre l'antérieur et le postérieur.

Quant à l'éternité, elle désigne la durée (imtidâd, m. à m. extention) d'une essence. Elle est de deux sortes : absolue, et simple. Car les essences ou bien existent d'une existence absolue, véritable, sans être liée à un commencement ou à une fin. Ou bien cette existence est finie. Si on conçoit l'existence d'une essence qui n'a ni commencement ni fin — c'est là l'éternité (al-dahr) absolue. Mais si on conçoit l'existence d'une

(1) Al-Tawhîdî : al-Muqâbasât, n .79, p. 285. Le Caire, 1929.

(2) Voir nos deux livres : Neo-Platonici apud Arabes, Le Caire, 1955; Plotinus apud Arabes, Le Caire, 1e éd., 1955.

IV

QUESTIONS DE PHYSIQUE

a) La nature

La nature, dit Abû Sulaymân, se dit en plusieurs sens :

- a) elle désigne l'essence de toute chose, accident ou substance, simple ou composée, par exemple quand on dit : la nature de l'homme, la nature de sphère, la nature de la blancheur, ou la nature de la chaleur;
- b) le composé de plusieurs choses différentes;
- c) le premier mélange consécutif à tout composé d'éléments;
- d) la disposition (*mizâj*) générale commune à l'espèce humaine;
- e) la disposition particulière à tout individu de l'espèce humaine, comme c'est le cas pour le médecin;
- f) mais selon l'approche physique propre au philosophe physicien, la nature est ce qu'Aristote définit en ces termes : « la nature (phusis) est le principe de mouvement et de repos de la chose où elle se trouve par essence et premièrement, et non par accident. Ce sens comprend les deux parties du composé, à savoir la matière et la forme. Car la matière est le principe de ce qui est mû ou se trouve en repos, et la forme est le principe de ce qui meut ou cause le repos. Chez Aristote, ce nom (de nature) s'applique plutôt à la forme qu'à la matière ». (1)

Pour Abû Sulaymân lui-même, il préfère définir la nature de la manière suivante :

(1) Cité par al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, n. 79, p. 285.

pas l'une des deux. Cela s'applique à la cire, à l'argent et d'autres choses, si l'un ou l'autre prend une inscription dans un sceau. Or, nous constatons, par contre, que l'âme accepte toutes les formes dans leur perfection et leur ordre, sans déformation ni retranchement. Cette propriété est contraire à la propriété du corps. Aussi le corps devient-il plus perspicace au fur et à mesure qu'il raisonne plus, recherche plus, et découvre plus.

Il est plus facile encore de constater que l'âme n'est pas un accident, car l'accident n'existe que dans autrui; il est porté, et non pas porteur; il n'a pas de consistance propre. L'âme porte ce qu'elle porte; elle ne ressemble donc ni au corps, ni à l'accident.

L'examen impartial, sincère dans sa quête du vrai par un élan d'amour dominant, s'apercevra sans peine de la différence entre l'âme motrice du corps et le corps mû par l'âme...

Quand le doute s'empara des gens à vue courte, sans perspicacité ni science, ils se sont imaginé que si le lien entre l'âme et le corps était rompu, les deux auraient péri — ensemble.

Cette opinion est arbitraire, car dans leur union ils n'ont pas été de la même firme, je veux dire que dans leur réunion ils furent différents, et dans leur distinction ils furent réunis. Ne voyez-vous pas que le corps recevait sa consistance, son organisation et sa perfection — de l'âme ? Cela est évident. — Mais il n'en est pas ainsi en ce qui concerne l'âme dans son rapport avec le corps, car l'âme l'a rejoint au moment de la chute de semence; elle s'est mise à l'élever, à le nourrir, à le faire vivre et l'organiser, jusqu'à ce que le corps soit devenu comme tu vois; l'homme n'existe que par elle; mais l'âme seule n'est pas l'homme, et le corps seul n'est pas l'homme, mais l'homme est homme par eux deux. L'homme a plus de part de l'âme que du corps » (1).

Ces arguments, on peut les trouver, sous une forme ou une autre, chez Platon et Aristote. Al-Tawhîdî rapporte qu'il a lu avec Abû Sulaymân le **De Anima** d'Aristote, en l'an 371 de l'hégire, à Baghdâd (2) — bien sûre dans cette traduction arabe excellente faite par Ishâq ibn Hunain, et que nous avons publiée pour la première fois en 1954. (3)

(1) Al-Tawhîdî : al-Imta', I, pp. 202-203. Le Caire, 1939.

(2) Cf. al-Tawhîdî : al-Muqâbasât, n. 61, p. 246. Le Caire 1929.

(3) Sous le titre : Aristotelis De Anima... Le Caire, 1954.

d'imperfection et une cause de souffrance. Si un homme est transporté de l'étroitesse d'une prison à un vaste jardin fleuri, et se rappelle l'état où il fut auparavant, cela serait une cause de douleur pour lui, d'angoisse pour son cœur, de malheur pour son âme, de tristesse qui gênera sa joie ». (1)

L'âme est capable de cultiver les vertus et les vices, les biens et les maux. L'âme animale possède des mœurs qui ne changent pas; il entend par là : les instincts. L'âme raisonnable a une conduite par laquelle elle s'élève et se parfaît.

DEMONSTRATION DE L'EXISTENCE DE L'AME

Abû Sulaymân a traité le problème de l'existence de l'âme indépendamment du corps et de son essence incorporelle. Il dit que par l'introspection nous savons qu'il y a en nous quelque chose qui n'est pas un corps à trois dimensions : longueur, largeur et profondeur; quelque chose qui n'est pas divisible en corps, ni en accidents, qui n'a pas besoin d'une force corporelle, mais qui est simple, et incapable d'être saisi par le sens.

« Comme nous avons trouvé en nous quelque chose qui est différent du corps, et qui a des caractères distincts de ceux du corps, quelque chose qui est différent des accidents; comme nous avons constaté que cette différence entre lui et les corps et les accidents vient de ce que les corps sont des corps et les accidents des accidents — nous avons établi qu'il y a quelque chose qui n'est ni corps ni partie de corps, ni accident, et qui n'est pas susceptible d'altérité et de changement; nous avons constaté aussi que cette chose connaît toutes les choses d'une manière égale, et que ne l'atteint ni fatigue ni ennui. Cela devint évident par l'argument suivant : tout corps ayant une forme ne peut accepter une autre forme qu'après avoir quitté la première. Par exemple : si un corps accepte la forme de triangularité, il ne pourra pas accepter une autre forme, comme le carré ou le cercle, qu'après avoir quitté la première forme. De même s'il prend une figure. S'il reste en lui quelque chose du dessin de la première forme, il n'acceptera l'autre forme d'une manière régulière et exacte, mais en lui seront imprimées les deux formes mélangées, et non

(1) Al-Tawhîdî : al-Imtâ', III, p. 112.

sonner, douter, s'assurer, savoir, opiner, comprendre, cogiter, intuire, se mémoriser, retenir, se rassurer ». (1)

L'action de l'action consiste à « extraire la connaissance de l'endroit où elle se trouve, par le témoin de la raison, avec d'autres effusions (*ifâdât*) et d'autres belles acquisitions qui parfont l'homme; par cette perfection il jouit du bonheur, et par le bonheur il se sauve de ses malheurs » (*ibidem*).

Il distingue entre l'âme et l'esprit (*rûh*) en disant que « l'esprit (*al-rûh*) est un corps qui s'affaiblit et se fortifie, devient sain ou se détériore; c'est l'intermédiaire entre le corps et l'âme (*al-nafs*); par lui l'âme repand ses forces sur le corps; il peut sentir et se mouvoir, se réjouir ou souffrir ». (2)

De cette définition il est clair que par esprit (*rûh*), Abû Sulaymân entend l'esprit animal, qui est dans un état intermédiaire entre l'âme et le corps.

Quant à l'âme (*al-nafs*), elle « est simple, d'un haut rang, incorruptible et inaltérable ». (3)

Elle ne peut pas être corporelle, car elle est simple, tandis que le corps est composé. Aussi « tout attribut qui convient au corps ne peut pas être dit de l'âme, et tout attribut de l'âme répugne au corps » (*ibidem*).

Puisque l'âme est simple, elle est immortelle. Car étant simple, elle n'accepte pas les contraires, n'est pas susceptible de se corrompre et de se détruire. L'homme pérît, se détruit, et meurt parce qu'il quitte l'âme. Mais l'âme, que quitte-t-elle, pour qu'elle soit comme l'homme ? » (*ibidem*).

Quand l'âme parvient au Paradis, « elle n'aura pas besoin de connaître le monde d'ici-bas, un monde qui change toujours et ne conserve jamais sa forme, dominé qu'il est par l'altération, ce qui est une preuve

(1) Al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, III, p. 110.

(2) *Ibidem*, III, p. 111.

(3) *Ibidem*, III, p. 111.

III

L'AME ET LE CORPS

Dans son effort de définir l'âme, Abû Sulaymân commence par énumérer les définitions données par les philosophes grecs, à savoir :

- a) L'âme est le mélange des éléments.
- b) L'âme est l'harmonie des éléments.
- c) L'âme est un nombre qui se meut lui-même — c'est la définition donnée par les Pythagoriciens.
- d) L'âme est de l'air.
- e) L'âme est une nature en perpétuel mouvement.
- f) L'âme est l'entéléchie première d'un corps naturel (organisé) ayant la vie (en puissance) — c'est la célèbre définition donnée par Aristote.

Il faut remarquer qu'Abû Sulaymân a pris ces définitions du **Placita Philosophorum** de Pseudo-Plutarque, qui fut traduit en arabe par Qostâ ibn Louca de Baâlbek, traduction que nous avons publiée — pour la première fois — dans notre recueil intitulé : Aristote : **De l'âme**, etc. (Le Caire, 1954).

Abû Sulaymân n'est pas content de toutes ces définitions. Il donne sa définition propre en ces termes : « l'âme est une force divine, qui est le moyen (l'intermédiaire) entre la nature qui régit les éléments disposés et la raison qui l'éclaire, qui la pénètre, et qui l'enveloppe. Comme l'homme a une nature dont les effets sont manifestes sur le corps, de même il a une intelligence qui lui sert pour distinguer, examiner, rai-

L'INTELLECT EST DIVIN

Mais à côté de cette définition de l'intellect, nous trouvons qu'Abû Sulaymân attribue à l'intellect des qualités comparables à celles que Plotin accorde au **Nous**. En effet, il qualifie la raison de force divine, et il dit que « la raison est le représentant (*khalifah*) de Dieu. Elle est le réceptacle de l'émanation pure et exempte de toute tache. Si on dit que la raison est le maximum de lumière — on n'est pas loin de la vérité ». (1) La raison est comme le soleil : son rayonnement est continu, sa lumière est répandue, son lever est éternel, son éclipse est nulle, sa manifestation est sans fin.

Il est manifeste qu'en cela Abû Sulaymân est influencé par la Théologie de Pseudo-Aristote, et qui est en fait une paraphrase de quelques chapitres des **Ennéades** de Plotin. (2)

(1) Al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, III, p. 116. Le Caire, 1944.

(2) Voir notre livre : *Plotinus apud Arabes*, 1ère éd. 1955, 2e éd. 1966, Le Caire.

L'INTUITION

A côté de l'intellect et de la sensation, Abû Sulaymân affirme l'existence de l'intuition. Car, dit-il, la connaissance s'obtient ou bien par le raisonnement et le syllogisme, ou bien par l'intuition, où l'objet de la connaissance se présente lui-même à l'âme.

L'intuition (qu'il appelle : **al-badîhah**) représente le côté divin par raisonnement (**al-râwiyyah**), en revanche, représente le côté humain. Les deux facultés ne se trouvent pas réunies dans une seule personne au même degré, c'est-à-dire qu'il n'existe pas un homme doué du maximum d'intuition et du maximum de raisonnement, car quand l'une s'exerce elle empêche l'autre d'atteindre son but.

Quand al-Tawhîdî lui demande : quelle est la plus noble ? Abû Sulaymân répond « que toutes deux sont au plus haut degré de la noblesse. Seulement l'intuition est plus éloignée de l'ordre de la génération et de la corruption, et moins exposée aux différentes sortes d'effort et d'argumentation. Le raisonnement, par contre, est plus proche de la perfection de la substance, et plus pure de la matière. L'intuition et le raisonnement sont, par rapport à l'homme, comme son sommeil et son éveil, son rêve et son état éveillé, son absence et sa présence, son expansion et sa retrécissement. Les deux états sont nécessaires. Celui qui est faible en l'un, n'aura pas la chance recherchée dans cette vie, ni le beau fruit de ses efforts ». (1)

Si on regarde de près ces qualificatifs qu'Abû Sulaymân attribuent à l'intuition, on y trouve des traits qui rappelle la définition de l'intuition chez Bergson; mais sa définition se rapproche plus de celle que Plotin en a donnée dans les **Ennéades**.

(1) Al-Tawhîdî : **al-Muqâbasât**, n. 55, pp. 238-239.

II

L'INTELLECT

L'intellect se divise chez Abû Sulaymân, comme chez al-Kindî et al-Farâbî. (1) C'est la division tripartite qui a dominé la philosophie grecque depuis les commentateurs d'Aristote au 3e siècle de l'ère chrétienne.

En effet, Abû Sulaymân divise l'intellect en trois sortes :

- a) l'intellect actif; il est dans l'état d'agent; c'est le premier par rapport aux autres genres d'intellect;
- b) l'intellect hylique; il est dans l'état de patient ou passif; c'est le dernier dans la chaîne des intellects;
- c) entre les deux se trouve l'intellect acquis; il participe de l'action et de la passion.

Ce qui est en puissance a besoin de quelque chose en acte pour le faire passer de la puissance à l'acte. Cette chose c'est l'intellect agent.

Mais l'intellect agent, quoiqu'il soit au premier rang, renferme de la passion. Mais c'est une passion au-dessus de laquelle il n'y a aucune passion. Au fur et à mesure qu'on descend dans l'échelle de patients, on s'éloigne du degré de noblesse qui caractérise le premier intellect, jusqu'à ce qu'on arrive au plus bas degré de la passion. En sens inverse, on peut parcourir l'échelle d'agents jusqu'au plus haut. (2)

(1) Voir notre livre : *Histoire de la Philosophie en Islam*, t. II, Paris, Vrin, 1972.

(2) Voir al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, n. 83, p. 289, et n. 47, p. 222. Le Caire, 1929.

selon la méthode des théologiens, qui s'imaginent par là défendre la religion, mais qui sont, en fait, les plus grands ennemis de l'Islam et des Musulmans, et les plus éloignés de la certitude et de la tranquillité d'âme ». (1) Puis il énumère des exemples qui montrent l'esprit néfaste des théologiens et les malheurs qu'entraînent leurs disputes.

(1) Al-Tawhidî : *al-Imtâ'*, III, pp. 187-195.

sur la dialectique stérile, sur ce qui apparaît, à première vue, aux sens ou à la vue, ou sur la première opinion venue, composée qu'elle est de sensation, d'illusion, et d'imagination — tout cela allié à l'accoutumé, à l'habituel, et à d'autres circonstances qu'il sera fastidieux d'énumérer et malaisé d'épuiser. Tout cela en vue de tromper l'adversaire par des sophismes, de le faire taire par n'importe quel moyen, d'arriver à une conclusion sans valeur; ajoutez à cela des manières qui ne sont pas dignes d'un savant, et beaucoup d'impolitesse; oui, sans scrupule, sans religion, et sans aucune crainte ». (1)

La méthode des théologiens est donc polémique, stérile, sans appui sur un vrai raisonnement, ou un témoignage sûr des sens. Son but est de faire taire l'adversaire par n'importe quel moyen, légitime ou illégitime. Avec cela des insultes et des paroles grossières. Sans scrupule, ni crainte, ni sincérité, ni probité intellectuelle.

Par contre, la méthode suivie par les philosophes a son but de découvrir la vérité, en totalité et en détail, d'étudier l'être et le non-être, sans s'appuyer sur la passion, l'habitude ou l'imitation, mais en faisant appel à la raison, aussi bien volontaire que naturelle. Tout cela avec une morale divine et une visée vers en-haut.

Cette même attaque contre les théologiens, nous la voyons une autre fois dans l'*Imtâ'*, pourvue d'exemples tirés de l'histoire des controverses entre les théologiens musulmans. Abû Sulaymân s'étend longuement, et ici n'est pas le lieu de rapporter ces exemples; nous nous contentons donc d'y renvoyer le lecteur désireux de plus ample information. (2) Son ton ici est plus vêtement. On peut résumer son opinion là-dessus en disant que pour lui, la religion est basée sur l'acquiescement, la soumission à l'autorité et la très grande vénération. Cela ne s'applique pas à une religion spécifique, ou à une thèse spécifique, mais à toute les religions et toutes les doctrines religieuses sans exception, en tout temps et en tout lieu. Quiconque cherche à supprimer cela, cherchera à supprimer la nature, à renverser la règle. Abû Sulaymân assure que c'est en vue de l'intérêt général qu'on a interdit la polémique en matière de religion

(1) *Ibidem*, p. 223.

(2) Al-Tawhîd : al-*Imtâ'*, III, pp. 187-195. Le Caire, 1944.

contradictoire ». (1)

A cause de cette contradiction flagrante, l'un des disciples de Muhammad ibn Zakaryyâ al-Râzî, nommé Abû Ghânem le médecin, a attaqué vivement Abû Sulaymân, pendant le séjour d'Abû Ghânem à Baghdâd quand il y est arrivé venant de Rayy. Il gêna Abû Sulaymân et l'accula à cette contradiction, en lui extorquant l'aveu de ce qu'il ne concède pas à l'adversaire. (2)

Al-Tawhîdî a offert au vizir Abû 'Abdullâh al-'Arid — avec lequel il échangea tous les entretiens consignés dans son livre : **al-Imtâ'** wa **al-Mu'anasa** — de consigner par écrit la polémique entre Abû Ghânem le médecin et Abû Sulaymân; mais malheureusement, pour nous, le vizir se contenta des développements déjà donnés par son interlocuteur, Abû Hayyân, et que nous avons traduits plus haut; ce mémoire aurait un intérêt capital pour la connaissance de la marche des idées au 4e siècle de l'hégire.

Si on se demande maintenant comment Abû Sulaymân définit la philosophie, on trouve qu'il la définit comme la recherche de tout ce qui, dans le monde, apparaît à l'œil, ou est interne à l'intellect, ou le composé de ces deux, en tant qu'il est; c'est la considération de la vérité, dans sa totalité et dans ses détails; c'est l'étude de l'être et du non-être — et tout cela conformément à la raison, aussi bien la raison volontaire que la raison naturelle, sans faire appel à l'habitude ou à l'imitation. Avec tout cela il faut avoir une morale divine, une conduite rationnelle et des options célestes. (3)

CONTRE LES THEOLOGIENS

Abû Sulaymân se livre, en même temps, à une charge très nourrie contre les théologiens (les **Mutakillimûn**) et leur méthode, car celle-ci « est basée sur des disputes des mots, et d'analogies des choses, avec un faux appel à la raison, ou même sans lui faire aucun appel; elle s'appuie

(1) *Ibidem*, II, p. 23.

(2) Al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, II, p. 23.

(3) Al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, p. 223; éd. du Caire, 1529.

question, et qu'on peut résumer en disant que celui-ci affirme la coexistence, dans la même personne, de deux ordres distincts : l'ordre de la religion, et l'ordre de la philosophie. Les deux ordres ne se confondent pas, ni ne se pénètrent; chacun a ses propres lois, sa propre méthode, et ses propres objets.

Abû Sulaymân dit — selon ce que rapporte al-Tawhîdî : « Celui qui veut faire de la philosophie doit faire abstraction des religions. Celui qui a opté pour la religion, doit détourner son attention de la philosophie. Il doit les cultiver toutes deux séparément, dans deux endroits (de son âme) différents et de deux manières différentes. Par la religion il se rapprochera de Dieu selon ce que lui a montré le fondateur de la religion en se réclamant de Dieu. Par la philosophie, il considérera la manifestation de la Puissance de Dieu dans ce monde plein de beauté propre à remplir d'admiration tout œil, et d'étonnement toute raison. Il ne doit pas détruire l'une par l'autre, c'est-à-dire qu'il ne doit pas nier ce que le fondateur de la religion lui enseigne, ni en gros ni en détail. Il ne doit pas fermer les yeux à ce que Dieu a déposé dans cette grandiose création qui révèle Sa puissance, Sa sagesse, Sa volonté et qui est organisé par Sa volonté et parfait par Sa science. Il ne doit pas — au nom des exigences de la philosophie — éléver des objections au sujet des choses qui répugnent à la raison et qui sont affirmées par la religion, ni au sujet des miracles admirables de la prophétie; car la philosophie relève de la raison, dont la portée est limitée, tandis que la religion relève de la Révélation qui procède de la science divine.

Certes, cela est difficile. Mais c'est la quintessence de (la solution) de ce problème, et le maximum de ce que l'homme puisse atteindre, l'homme soutenu par la grâce, chargé de défauts et d'obligations.

C'est un bienfait de Dieu à sa créature de l'avoir fournie de ces deux voies, pour qu'elle atteigne la demeure de Sa bonne grâce (= le Paradis) en suivant l'une de ces voies ou les deux ensembles ». (1)

On le voit bien — comme l'a si justement remarqué son disciple al-Tawhîdî — « Abû Sulaymân a distingué la religion d'avec la philosophie, puis il a recommandé de les adopter toutes deux — ce qui semble

(1) Al-Tawhîdî : al-Imtâ', II, pp. 18-19.

quoi », le « comment », le « si... », car elle consiste en des assurances absolues; il n'y a pas donc lieu de douter, de chercher la cause ou d'objecter.

Cette attitude d'Abû Sulaymân est pour le moins étrange; c'est ce qui ne manque pas d'observer aussitôt le vizir Abû 'Abdullâh al-'Arid quand Al-Tawhîdî la lui expose, en disant : « ce qui m'étonne le plus dans ces paroles c'est qu'elles proviennent d'Abû Sulaymân, sur un ton de dédain, de fanatisme et de véhémence, lui qui est connu sous l'épithète du « logicien » (al-Mantiqî) et qui est un disciple très soumis de Yahyâ ibn 'Adyy le chrétien, et avec lequel il lit les ouvrages des Grecs, et leurs commentaires avec le plus grand soin ». (1)

Alors al-Tawhîdî essaie d'expliquer l'attitude de son maître en disant qu'Abû Sulaymân distingue clairement entre la philosophie et la religion tout en affirmant que les deux sont vraies, mais elles diffèrent par la source à laquelle chacune puise. Al-Tawhîdî dit : « Abû Sulaymân estime que la philosophie est vraie, mais elle n'a rien à faire avec la religion, et que la religion est vraie mais elle n'a rien à faire avec la philosophie. Le fondateur de la religion est envoyé (aux hommes), tandis que le philosophe est parmi ceux auxquels (le fondateur de la religion) est envoyé. L'un est gratifié de la Révélation, l'autre est dédié à sa recherche (rationnelle). Le premier se suffit à lui-même, tandis que le second est en quête fatiguante. Celui-là dit : on m'a ordonné, on m'a enseigné, on m'a dit, je ne dis rien de mon propre chef. Celui-ci dit : j'ai vu, j'ai considéré, j'estime bon ou mauvais. Celui-là dit : j'ai la lumière de Dieu qui me guide. Celui-ci dit : je prends la raison pour guide. Celui-là dit : Dieu dit, l'Ange dit. Celui-ci dit : Platon ou Socrate dit. Du premier on entend une révélation manifeste, une interprétation facile à saisir, la réalisation d'une tradition, et le consensus de la communauté. Du second on entend des termes comme : la matière, la forme, la nature, l'élément, l'essentiel et l'accidentel, l'être, le non-être et d'autres termes semblables qu'on n'entend jamais de la bouche d'un musulman, d'un juif, d'un chrétien, d'un mage ni d'un manichéen ». (2)

Puis, al-Tawhîdî donne l'attitude finale d'Abû Sulaymân en cette

(1) Al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, II, p. 18. Le Caire, 1942.

(2) Al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, II, p. 18.

répondre en disant : il suffit, pour nous réfuter, de constater que personne ne partage notre opinion là dessus. En effet, si un homme se contentait de sa raison dans tous les cas qui relèvent de sa religion et de sa vie ici-bas, il se contenterait de sa force en tous ses besoins, religieux et matériels, il serait capable de toutes les industries et de toutes les connaissances, et il n'aurait besoin daucun autre homme. Ce qui est évidemment absurde ».

Alors son disciple al-Bukhârî lui objecte : « mais les prophéties sont différentes, malgré la révélation. Si le désaccord est possible malgré la révélation, sans que celle-ci infirme celle-là, pourquoi ne serait-il pas de même en ce qui concerne la raison ? »

Mais Abû Sulaymân lui répond en véhémence : « oh là ! La différence dans les degrés de ceux qui ont reçu la Révélation n'a pas ébranlé la confiance de ceux-ci dans celui qui les a choisis comme receptacles de sa Révélation, et messagers de sa mission, et qui les a munis du don de prophétie. Or, cette confiance manque aux gens qui emploient la raison; ils ne sont pas d'accord que sur peu de points. Votre argument est donc manifestement faux ». (1)

Pour résumer l'opinion d'Abû Sulaymân au sujet du rapport entre la philosophie et la religion, nous disons que, pour lui :

a) la religion est une chose, et la philosophie une autre choose; car la religion se fonde sur la révélation, tandis que la philosophie est fondée sur la raison; la révélation décide en toute sûreté, tandis que la raison ne peut rien affirmer avec certitude. Les parts des hommes dans la raison sont différentes; aussi leurs opinions en philosophie diffèrent-elles; tandis que la Révélation, malgré la divergence de ses degrés, se donne toujours comme sûre;

b) la religion n'a pas besoin de la philosophie, dans toutes ses branches : logique, médecine, mathématiques, chimie ou musique. Aussi ne voyons-nous jamais les théologiens faire appel à la philosophie pour appuyer leurs thèses, ni suivre sa méthode dans leurs recherches.

c) la religion ne comporte pas des questions portant sur « le pour-

(1) Cité par Tawhîdî : *al-Imtâ'*, II, p. 6 et sqq. Le Caire, 1942.

la communauté de Jésus — paix sur lui ! —, c'est-à-dire les chrétiens, de même aussi les mages.

Ce qui vous remplira d'étonnement c'est que la communauté (musulmane) s'est diversifiée en ses opinions, ses doctrines, et ses thèses, de sorte qu'elle est divisée en plusieurs sectes, comme : les Murji'ah, les Motazählites, les shi'ites, les sunnites et les Khawârij; et pourtant aucune de ces sectes n'a fait appel aux philosophes, ni n'a appuyé sa thèses par leurs arguments et leurs témoignages, ni ne s'est préoccupée de leurs systèmes, ni n'a trouvé chez eux ce qu'ils n'avaient pas auparavant trouvé dans le livre de leur Dieu (c'est-à-dire : le Coran) et les traditions de leur Prophète. De même les juristes, qui se sont mis en désaccord au sujet des jugements juridiques et de ce qui est licite et illicite, depuis l'aube de l'Islam jusqu'à nos jours, n'ont jamais recouru aux philosophes pour les soutenir, ni ne leur ont dit : sécourez-nous par ce que vous avez, témoignez en notre faveur ou contre nous, par ce que vous avez établi.

Combien donc la religion est loin de la philosophie ! Combien loin est ce qui est appris par la révélation descendue, de ce qui est établi par l'opinion aléatoire !

Si (les philosophes) se targuent de la raison, il faut leur répondre que la raison est un don de Dieu à tout serviteur, pourvu qu'il l'emploie pour connaître ce qui est en haut et ce qui est ici-bas, selon ses mesures. Il n'en est pas de même de la révélation, dont la lumière est répandue et l'expression accessible.

En somme, le prophète est au-dessus du philosophe et le philosophe est inférieur au prophète. C'est au philosophe de suivre le prophète, et non le contraire, car le prophète est envoyé, tandis que le philosophe est destinataire.

Si la raison suffisait, la révélation serait inutile. En outre la raison est inégalement répartie entre les hommes, leurs portions étant différentes. Si donc nous nous dispensons de la révélation par la raison, comment ferions-nous, la raison n'étant pas tout entière le lot de chacun de nous, mais elle est pour tous ?! Si, par ignorance et vanité, on dit : tout raisonnable lui suffit sa propre raison et il n'a nul besoin d'en augmenter la portion par autrui, car elle lui suffit et on ne lui exige plus — on peut

mouvements...

On n'y trouve pas non plus les propos du physicien qui considèrent les actions de la nature, les formes des éléments, leur réunion et leur séparation; son action dans les climats, les minérais, et les corps; ni des propos sur la chaleur et le froid, l'humidité et la sécheresse, sur l'agent et le patient (parmi les corps naturels), comment ceux-ci se mélangent et s'accouplent, se repoussent et s'attirent; jusqu'où vont ses forces, et où elle s'arrête.

On n'y trouve pas non plus les propos du géomètre qui étudie les grandeurs des choses, leurs points, leurs lignes, leurs surfaces, leurs corps, leurs côtés, leurs angles, leurs sections; qu'est-ce que c'est que la sphère, le cercle, la droite et la courbe

On n'y trouve pas non plus les propos du logicien qui étudie les degrés des propositions, les relations entre les noms, les prépositions et les verbes, et comment ils doivent être réunis — selon ce que préconise un homme de la Grèce (= Aristote) pour que la proposition soit vraie — selon lui — et pour éviter le faux. Le logicien estime que le médecin, l'astrologue, le géomètre et quiconque s'exprime et vise un but ont besoin de lui et de ce qu'il préconise.

Puisqu'il en est ainsi, comment donc les Frères de la Pureté se permettent-ils de prétendre à une doctrine qui accorderait les vérités de la philosophie avec la voie de la religion ?! »

Et Abû Sulaymân continue : « la communauté (musulmane) s'est mise en désaccord au sujet des principes et des détails, s'est disputée de différentes manières au sujet des jugements clairs et équivoques (en jurisprudence), du licite et de l'illicite, de l'explication et de l'interprétation du témoignage oculaire et de la tradition, du coutume et de la convention — et en tout cela elle n'a jamais fait appel à un astrologue, médecin, logicien, géomètre, musicien, devin, magicien ou alchimiste, car Dieu — très haut ! — a accompli la religion par son Prophète — que Dieu le prenne en pitié ! — et Il ne l'a pas mis dans le besoin de recourir à l'opinion, après lui avoir accordé la révélation.

Comme nous ne trouvons personne dans cette communauté (musulmane) faire appel aux philosophes en ce qui touche sa religion, de même

nir. Ils ont cru pouvoir introduire la philosophie — qui est la science des astres, des sphères, d'Almageste, de grandeurs, des effets naturels, de la musique — qui est la science de notes, de rythmes, de coups et de mesures —, et de la logique qui est la considération des propositions quant à leurs relations, des quantités et des qualités — l'introduire dans la religion, et soumettre celle-ci à la philosophie. Mais combien d'obstacles empêchent d'atteindre ce but ! Avant eux, d'autres gens, plus forts, plus rompus aux arguments, plus hauts en rang, ayant plus de force et d'aptitude — ont tenté la même tâche, mais ils n'ont pas réussi, ni obtenu ce qu'ils avaient espéré. Bien loin de là, ils en sont sortis décriés victimes de l'opprobre, avec des résultats fâcheux et des péchés lourds ». La raison en est que « la religion vient de Dieu — très Haut ! — par l'intermédiaire d'un messager entre Lui et sa créature, au moyen de la révélation, et par l'appui de miracles, tantôt selon l'exigence de la raison, tantôt selon ce que celle-ci permet, et celà en vue d'intérêts généraux excellents et de guidance parfaite et claire. Parmi les enseignements (de la religion), il y en a qui dépassent toute recherche et toute scrutinisation, et qu'il faut accepter de celui qui nous le prêche (c'est-à-dire du messager ou prophète). Là tombent le « Pourquoi » et le « Comment », et disparaissent « ne vaut-il pas mieux... », « si... » — car ces questions seraient inutiles et déplacées; les objections seraient sans objet; le doute des sceptiques est nuisible, et la soumission et l'acquiescement sont utiles.. L'ensemble de la religion renferme du bien, ses détails s'appuient sur la foi qu'on lui accorde. Ses adhérents sont ou bien des gens qui s'accrochent au sens manifeste, ou des gens qui s'évertuent d'en dégager le sens caché, ou des gens qui la défendent par le langage ordinaire, ou ceux qui la défendent par une dialectique évidente, ou ceux qui l'illustrent par la bonne conduite, ou par l'exemple frappant, ou qui l'apuient par la démonstration claire, ou ceux qui s'occupent de distinguer entre le licite et l'illicite, ou ceux qui s'appuient sur les traditions reconnues par les gens de la communauté, ou sur le consensus de celle-ci. La religion se fonde sur la crainte et la pitié; sa fin est l'adoration et la recherche de la grâce. On n'y trouve pas les propos de l'astrologue qui parle des influences des astres, des mouvements des sphères, des grandeurs des étoiles, de la parution des astres qui disparaissent et des astres qui disparaissent; on n'y trouve pas non plus de propos sur les astres fastes ou néfastes, ni sur leur descente ou leur montée, ni les bons ou les mauvais augures tirés de leurs

III

LES IDEES D'ABU SULAYMAN

1.

Le rapport entre la philosophie et la religion

Donnons ici un aperçu des idées principales d'Abû Sulaymân.

Commençons par exposer son opinion au sujet de la relation entre la philosophie et la religion, sujet tant débattu entre les penseurs musulmans au IVe siècle de l'hégire (Xe de l'ère chrétienne), après que la philosophie a obtenu droit de cité dans le monde musulman grâce d'abord aux traducteurs du grec ou du syriaque en arabe d'un très grand nombre de textes de philosophie grecque, et grâce ensuite aux premiers philosophes musulmans : al-Kindî, al-Fârâbî et Muhammad ibn Zakaryyâ al-Râzî.

La grande tentative de concilier la religion et la philosophie fut celle entreprise par les Frères de la Pureté (*Ikhwâن al-Safâ'*) dans leur encyclopédie composée de cinquante traités, dans la période qui va de 330 à 370 h. (de 940 à 980 de l'ère chrétienne).

Abû Sulaymân s'est inscrit en faux contre leur tentative. Voici ce qu'il en pense : « (Les frères de la Pureté) se sont fatigués sans résultat; ils ont parcouru de long chemin sans arriver au but; ils ont chanté sans procurer de jouissance; ils se sont mis au métier, mais ce qu'ils ont tissu est dérapé; ils ont voulu brosser, mais le résultat fut qu'ils ont rendu les cheveux hursute. Ils ont cru pouvoir obtenir ce qui est impossible à obte-

g) Enfin l'éloquence de l'interprétation (*ta'wil*) relève de la possibilité de plusieurs interprétations comportant un grand nombre de significations.

En outre, Abû Sulaymân donne la définition suivante de l'éloquence en général : « C'est la vérité dans les idées, accouplée de l'harmonie entre les noms, les verbes et les prépositions, la justesse de la langue, et la recherche de la beauté harmonieuse par le refus de ce qui est forcé ». (1)

L'art

Selon lui, il n'y a pas d'éloquence meilleur que celle des arabes, car la langue arabe, estime-t-il, est la plus logique des langues; c'est la logique même. (2)

-
- (1) Cité par al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, n. 88, p. 293.
(2) Cité par al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, n. 88, p. 294.

ABU SULAYMAN POETE

Abû Sulaymân fut également poète à ses heures. Mais ses poèmes furent médiocres, et lui-même ne s'en cacha pas. Aussi interdit-il à ses amis de transmettre ses poèmes qu'il leur lisait en intimité. Il disait : « Il vaut mieux ne pas abonder dans ce genre, car nous ne sommes pas de la classe de poètes. Ce n'est pas notre métier. Notre faiblesse (en poésie) est trop manifeste, même si cela nous est caché, car l'homme est épris de soi-même et ne se reproche pas à soi-même sa faiblesse ». (1)

Al-Tawhîdî reproduit deux de ses poèmes. Ils sont bien médiocres, didactiques, et ne révèlent aucun talent poétique.

ABU SULAYMAN CRITIQUE LITTERAIRE

Comme critique littéraire, notre penseur a quelques idées qui méritent d'être citées :

Il distingue l'éloquence propre à chacun des genres littéraires de la manière suivante :

- a) L'éloquence de la poésie tient à la facilité de l'expression et la finesse de métaphore;
- b) L'éloquence du discours oratoire tient à la rime et aux brèves périodes;
- c) L'éloquence de la prose se manifeste dans la splendeur du style, le mouvement de la phrase, et l'articulation de périodes;
- d) L'éloquence de la sentence apophégmatique (al-mathâl) réside dans la brièveté de la parole, l'allusion, et la facilité de l'apprendre par cœur;
- e) L'éloquence de la raison vient de l'abondance des idées;
- f) L'éloquence de vive répartie vient de son pouvoir d'épater l'auditeur par ce qui est inattendu;

(1) Cité par al-Tawhîdî : *al-Muqâbasât*, p. 299, Le Caire, 1929.

7. Epître sur le Premier Moteur (*Tatimmat Siwân al-Hikmah*, m. Berlin f. 44 b; m. Fâtih n. 3222, f. 103 a).

Il en existe un manuscrit dans le recueil n. 94 à la Bibliothèque de Majlis Shûrây Melli à Téhéran, pp.

Nous le publions ici d'après ce manuscrit.

8. Traité sur la perfection particulière à l'espèce humaine.

Il en existe un manuscrit dans le recueil n. 94 à la Bibliothèque de Majlis Shûrây Melli à Téhéran, pp.

Nous le publions ici d'après ce manuscrit.

9. Epître consacrée à l'éloge du vizir Abû 'Abdullâh al-'Arid (mentionnée par al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, I p. 29 ll. 8-9).

10. Epître sur la politique (mentionnée par al-Tawhîdî; *al-Imtâ'*, II, p. 117), dédiée à Qâbûs ibn Washmagir à Jurjân.

11. *Siwân al-Hikmah* (Caisse de la Sagesse).

Le texte intégral est perdu. Mais nous en avons des choix, en deux versions :

a) La première et la plus longue, faite par un anonyme, se trouve dans cinq manuscrits :

1. Bechir Agha n. 944

2. Murâd Molla n. 1431

3. Köprölü n. 902

4. Fâtih n. 3222 — ces quatre à Istânbûl

5. British Museum à Londres, n.

b) La seconde est faite par 'Umar ibn Sahlân al-Sâwî. Elle est beaucoup plus brève, mais contient une notice sur al-Fârâbî qui n'existe pas dans la première version. Elle se trouve dans le manuscrit Fâtih n. 3222, ci-dessus mentionné. Nous l'avons analysée et reproduit.

II

SES OEUVRES

Comme nous l'avons déjà dit, et malgré sa longue vie, Abû Sulaymân a peu écrit. Nos sources lui attribuent les ouvrages suivants :

1. Traité sur les classes des facultés de l'homme et comment l'âme reçoit des présages de ce monde de génération (Ibn al-Nadîm, p. 264; al-Qiftî, p. 283; Ibn Abî Usaibi'ah, I, 322); ce doit être le même que celui mentionné par Ibn al-Nadîm dans le chapitre consacré aux livres écrits sur l'interprétation des songes, sous le titre : « livre d'Abû Sulaymân al-Mantiqî sur les présages dans le sommeil » (al-Fihrist, p. 316, ll. 24-25).

2. Traité concernant le fait que la nature des corps célestes est une cinquième nature, que ceux-ci ont des âmes, et que ces âmes sont rationnelles (Ibn Abî Usaibi'ah, I, p. 322).

Il se trouve en manuscrit dans le codex n. 94 à la Bibliothèque de la chambre des députés (Majlis Shûrây Mellî) à Téhéran, pp. 36-37.

Nous le publions ici, d'après ce manuscrit et d'autres.

3. Discours sur la logique (Ibn Abî Usaibi'ah, I, p. 322).

4. Plusieurs questions qui lui furent posées, et ses réponses (Ibn Abî Usaibi'ah, I, p. 322).

5. Notes philosophiques, anecdotes et bons mots (Ibn Abî Usaibi'ah, I, p. 322).

6. Epître sur la recherche des voies de vertus (Tatimmat Siwân al-Hikmah, m. Berlin f. 44 b; m. Fâtik à Istânbûl, n. 3222, f. 103 a).

ne le sait pas au juste. Mais on pourrait supposer que ce fut vers 350 h. (961 a.d.) ou un peu plus tôt avant l'assassinat du roi de Sijistân, Abû Ja'far en 352 h., car il resta quelque temps en correspondance avec celui-ci et se chargeait de transmettre ses messages aux gens de Baghdâd.

Mais il semble qu'Abû Sulaymân ne fréquentait pas les audiences des ministres et des grands notables, comme ce fut le cas de ses collègues, prêts, à n'importe quel prix, à servir ces potentats. Al-Qiftî explique ce fait ainsi : « Abû Sulâyman fut borgne, et sa peau fut tachetée de leprosité. Ce fut la cause de son renoncement à la société des hommes et du fait qu'il gardait sa maison; ne venait chez lui que celui qui voulait s'instruire ». (1)

Il menait une vie très pauvre, ne trouvant ni le prix de pain ni le prix du loyer de sa maison, à moins qu'un mécène quelconque lui fournitisse de quoi ne pas mourir de faim et de ne pas être chassé de sa maison. Un de ces mécènes fut le vizir Abû 'Abdullâh al-'Arid, Alias Abû 'Abdullâh al-Husain ibn Ahmad ibn Sa'dân, qui fut vizir du roi Samsâm al-Dawlah al-Buwaihi de 373 h. à 375 où il fut tué par l'ordre de ce même Samsâm al-Dawlah, comme il arrive très souvent en politique !

Toutefois, Abû Sulaymân restait toujours en contact avec son pays natal, par l'intermédiaire des messagers venus de Sijistân, et qu'Abû Sulaymân avait l'habitude de rencontrer tous les vendredis. (2) Il fut aussi en rapport avec Qâbûs ibn Washmagîr. Quand le grand vizir et lettré al-Fadl ibn al-'Amîd est venu à Baghdâd, il tenait beaucoup à rencontrer notre penseur.

Fidèle à ses disciples et admirateurs qui se réunirent autour de lui dans sa pauvre maison, leur prodiguant sa science, et a donné à ses lectures et à la rédaction des rares ouvrages qu'il consentit à écrire, Abû Sulaymân est mort après 391 de l'hégire (100 de l'ère chrétienne) à Baghdâd. (3)

(1) Al-Qiftî : *Akhbar al-Hukamâ'*, p. 283.

(2) Voir al-Tawhîdî : *al-Imtâ'*, I, p. 42.

(3) Sur la vie d'Abû Sulaymân, consulter : Ibn al-Nâdîm : *Al-Fihrist*, p. 264, éd. Flügel; Sâ'id al-Andalusî : *Tabaqât al-Umam*, p. 71; Ibn al-Qiftî, pp. 282-3, éd. Lippert; Ibn Abî Usaïbi'ah, I, 321-2; al-Bayhaqî : *Tatimmat Siwân al-Hikmah*, pp. 74-75. L'article de S.M. Stern, dans la 2e éd. de L'Encyclopédie de l'Islam, est pleine de fautes et sans valeur, comme le sont d'ailleurs tous les articles qui traitent de la philosophie musulmane dans cette seconde édition.

un culte pour la pensée grecque, culte dont témoigne son amour pour l'acquisition de manuscrits grecs, comme en témoigne un récit rapporté par Ibn al-Nadîm dans son *Fihrist* (p. 241, ll. 7-14, éd. Flügel à Leipzig). Vu l'importance de ce récit, nous le traduisons comme suit :

« Muhammad ibn Ishâq (= Ibn al-Nadîm) dit : un homme digne de foi m'a informé qu'en 350 de l'hégire (961 a.d.), un édifice qu'on ne supçonnait pas parce qu'il fut plein, s'est écroulé et a mis à découvert plusieurs livres que personne ne savait pas lire. Mais ce que j'ai vu moi-même de mes propres yeux, c'est qu'Abû al-Fadl ibn al-'Amîd a envoyé ici (c'est-à-dire à Baghdâd), en 340 et quelques années des livres abîmés qui avaient été découverts à Ispahân, dans des caisses placées à l'intérieur du mur de la ville. Ils furent écrits en grec. Quelques experts les ont lus, comme Yûhannâ (1) et d'autres. On y lit les noms des soldats de l'armée et le montant de leurs soldes. Les livres furent d'une très mauvaise odeur, comme si la tannerie venait de leur être soumise. Quand ils sont restés un an à Baghdâd, ils se sont séchés et changés, et leur odeur s'est envolée. Un peu de ces livres se trouve en ce moment chez notre maître Abû Sulaymân ». (2)

Ce récit prouve :

- a) qu'il y avait de manuscrits grecs à Ispahân;
- b) qu'Abû Sulaymân al-Sijistânî s'y intéressa et en acquit quelques-uns;
- c) que l'auteur d'*Al-Fihrist* considère Abû Sulaymân comme son maître, un fait qui nous intéressera quand nous aurons à établir la date de sa mort.

ABU SULAYMAN A BAGHDAD

Quand Abû Sulaymân est-il arrivé à Baghdâd pour s'y établir ? On

-
- (1) Flügel, dans son édition du *Fihrist*, note 7 de la page 241, estime que ce Yûhannâ pourrait être Yuhannâ ibn Yûsuf al-Kâtib, qui fut traducteur et qui traduisit le livre attribué à Platon sur l'*Education des jeunes* (*Adâb al-Sibyân*).
 - (2) Ibn al-Nadîm : *al-Fihrist*, éd. Flügel, p. 241, ll. 7e 14.

Sijistân. Il faut donc que la relation entre lui et Abû Sulaymân se formât aux dernières années du règne d'Abû Ja'far. Celui-ci fut un grand politicien, un homme versé dans l'héritage grec; il connaissait par cœur beaucoup de sentences, d'anecdotes des penseurs et des rois grecs. Il connaissait par cœur tous les passages concernant la politique écrits par Aristote, surtout ses paroles adressées à Alexandre le Grand. Son audience comprenait de grands penseurs musulmans versés dans la pensée grecque, parmi lesquels il faut citer les noms d'al-Isfizârî, d'Ibn Hibbân, de Talhah et d'Abû Tammâm; on trouvera dans notre livre ici des notices les concernant consignées par Abû Sulaymân dans son **Siwân al-Hikmah**. Une notice y est également consacré à ce roi, humaniste, mécène et penseur.

Quant à son initiation aux sciences grecques, durant cette période qu'Abû Sulaymân avait passée au Sijistân, aucune source ne nous permet de la préciser. Mais, en revanche, nous savons que quand il est venu à Bagdad, il se mit en rapport avec les savants versés dans les sciences des anciens, c'est-à-dire les sciences grecques. Parmi ceux-ci, il faut citer en tête Yahyâ ibn 'Adyy, le grand théologien, penseur et traducteur — du syriaque en arabe — de plusieurs textes philosophiques grecs. Ibn Abî Usaibi'ah dit : « A Bagdad il fréquentait Yahyâ ibn 'Adyy et se mit à son école ». (1) Abû Sulaymân quand il mentionnait Yahyâ ibn 'Adyy, disait toujours : « notre maître Yahyâ ibn 'Adyy disait... » (2) Abû Zakaryyâ Yahyâ ibn 'Adyy est né en 282 ou 283 h. (895-6 a.d.) et mort en 363 h. ou 364 h. (973-4 a.d.) à l'âge de 81 ans. Parmi ses disciples il faut citer : Ibn Zur'ah, Ibn al-Khammâr, Nazîf al-Qass al-Rûmî, 'Isâ ibn 'Alî (m. en 391 h.) — qui furent de grands traducteurs du grec ou du syriaque en arabe, Ibn al-Samh, al-Qûmasî et Miskawaih. Abû Sulaymân s'associa à ces hommes, qui furent la fine fleur de la culture grecque et arabe au 4e siècle de l'hégire (10e de l'ère chrétienne), échangeait avec eux leurs connaissances de l'héritage grec, ce qui a eu pour résultat de lui fournir une très solide formation humaniste, une connaissance très vaste de l'histoire de la philosophie, de la médecine et des mathématiques grecques, et

(1) Ibn Abî Usaibi'ah : **Tabaqât al-Atibbâ**; I, p. 321. Edition A. Müller, Le Caire, 1882.

(2) Cité par Tawhîdî : **al-Muqâbasât**, n. 48, p. 224, l. 1, éd. Sandûbî, Le Caire, 1929; n. 89, p. 297; — **al-Imtâ' wa al-Mu'ânasah**, II, p. 18, Le Caire 1942.

l'exception, bien entendu, de *Siwân al-Hikmah*, qui est pourtant un recueil de textes et d'anecdotes concernant les philosophes grecs. Sa pensée la plus typique et la plus personnelle ne se trouve que dans ces propos recueillis par son disciple al-Tawhîdî et qui sont éparpillés parmi les œuvres de celui-ci, surtout : *Al-Muqâbasât*, et *al-Imtâ' wa al-Mu'ânasah*. Il va sans dire que Tawhîdî, comme il l'avoue plusieurs fois lui-même, ne donne pas les paroles d'Abû Sulaymân *verbatim*. Il ne fut pas un sténographe. Loin de là. Il ne fit qu'exprimer les idées de son maître, en une langue et en un style qui sont typiquement ceux d'Abû Hayyân al-Tawhîdî, qui reste l'un de plus grands maîtres, sinon le deuxième grand maître, après al-Jâhîz, de la langue arabe, tandis que son maître, Abû Sulaymân, comme l'attestent les trois traités que nous publions ici, fut un écrivain médiocre. Autre trait de ressemblance avec le cas Socrate-Platon.

I

LA VIE D'ABU SULAYMAN

La vie de ce Socrate de l'Islam, est assez mal connu. On ne connaît pas exactement la date de sa naissance, ni celle de sa mort. Pour des raisons que nous avons fournies en détail dans notre introduction arabe, nous sommes arrivé à fixer la date de sa naissance entre 320 et 330 de l'hégire (932 et 942 de l'ère chrétienne). De même nous avons supposé que sa vie se prolongea jusqu'après 391 h. (1000 a.d.), dernière date attestée par al-Tawhîdî.

Il fut né dans la province de Sijistân, (aujourd'hui appelée surtout : Sistân, nom ancien), la province orientale de l'Iran actuel, limitrophe de Balouchstân au Pakistân et limitée au sud par l'Océan indien, d'où son nom : Sijistânî. Il y passa sa prime jeunesse. Il étudia d'abord le *fiqh*, c'est-à-dire la jurisprudence musulmane, selon le rite hanafite.

Puis on le trouve en étroits rapports avec le roi (ou plutôt : le roi-telet) de Sijistân, Abû Ja'far ibn Bâbûye, qui fut roi de Sijistân en 311 h. (923 a.d.) et fut tué en 352 h. (963 a.d.), alors qu'il fut encore roi de

INTRODUCTION

Abû Sulaymân al-Sijistânî fut l'une des plus grandes figures de cet humanisme musulman qui domina le quatrième siècle de l'hégire (dixième siècle de l'ère chrétienne). Il a su rassembler autour de lui un cercle de disciples et d'amis dont les traits communs furent : un culte de la pensée grecque, une liberté de penser à toute épreuve, un souci de la vérité qui ne craignait nul obstacle, un esprit critique qui n'épargna nul dogme, une vaste connaissance des sciences, aussi bien humaines que physiques et naturelles. On compte parmi eux : des traducteurs de textes grecs, comme Abû 'Alî Isâ ibn Zur'ah, et Isâ ibn 'Alî ibn Isâ ibn Dâwûd ibn al-Jarrâh, des penseurs semi-philosophes comme Abû Zakaryyâ al-Saymârî, Abû Bakr al-Qumasî, Abû Muhammad al-'Arûdî, Abû al-Fath al-Nûshajâni, Ghulâm Zuhâl, des grammariens rationalistes comme 'Alî ibn Isâ al-Rummânî et Abû al-Hasan Muhammad ibn 'Abd Allâh connu sous le nom d'ibn al-Warrâq, et de grands écrivains et littérateurs dont le plus connu fut Abû Hayyân al-Tawhîdî. A ce dernier, nous devons les procès-verbaux de ces séances où les sujets les plus divers et les plus ardus furent débattus, approfondis et discutés avec une rare pénétration et une très large liberté.

Al-Tawhîdî fut pour Abû Sulaymân, comme le fut Platon pour Socrate. Le même problème qui se pose au sujet de la relation de Platon avec Socrate se pose à propos du rôle de Tawhîdî vis-à-vis de son maître Abû Sulaymân : jusqu'à quel point chacun d'eux exprime fidèlement la pensée de son maître ? Problème d'autant plus important que les deux maîtres ne confierent pas leur pensée aux textes écrits. Si Socrate n'a rien écrit ou presque, Abû Sulaymân n'a écrit que de très petits traités — à

Abû Sulaymân al-Sijistâni

**MUNTAKHAB
SIWÂN AL-HIKMAH**

et

TROIS TRAITES

Publiés, annotés et préfacés

par

'ABDURRAHMÂN BADAWI

Téhéran

1974